عالمٌ لا يغيب عنه النور

الجزء الثاني

أرض الضياء

رواية خيالية

بقلم: خيال

لن أخضع..

لن أرضخ..

لن أمرغ رأسى فى التراب

لأى شخص..

أنا الأحق بما أنت عليه..

أنا الأحق بما تجلس عليه..

وأنا الأحق بالطاعة والولاء

مما تحصل عليه..

أنت الغادر..

وأنت الخائن..

أنت من سلبنى ما هو حقٌ لى..

وأنت من سيفقد حياته كى يعيده لى..

khayal-world.blogspot.com

(ملخص ما سبق)

عالمٌ لا يغيب عنه النور ..

عالمنا هذا هو عالمٌ غريب.. غير عادي.. خالف كل القوانين والأعراف وارتفع في أعالي السماء يسبح بسلاسة وأمانٍ لقرون وقرون ولدهرٍ طويل لا يعلمه أحد..

عالمٌ كان تاريخه سلساً رقراقاً كما البحيرة الساكنة التي لا يُرى على سطح مياهها أي تموج أو اختلال.. حتى سقطت تلك الصخرة وسط المياه وكوّنت تموجات متتابعة رغم صغر حجمها، لكن لا يمكن لأحد ألا يلاحظها وسط السكون العام في سطح البحيرة..

وكذلك كانت الحادثة التي بدأت بجود، الفتاة الأرضية التي جلبها قاث من العالم السفلي لتعيش في العالم السامي.. بدأت الأحداث بقتل جود لأحد الكهنة الذي تطاول عليها وعلى قاث، القائد العام للجيش، الذي لا تقبل بكلمة سوء تمسّه.. وتتابعت عجلة الأحداث مع عثور جود على قاث قتيلاً في مكتبه والاتهام ينصبّ على رأسها دون فرصة للنكران..

ووسط المحاكمة المتعجلة التي أقيمت لها بشكل يتعارض مع أخلاقيات وقوانين الجيش في مملكة الغمام، فوجئ الجميع بذلك الهجوم الذي شنّته قوة مجهولة على قيادة الجيش وعلى عاصمة المملكة بالتبعية، والذي كان من أهم نتائجها بالنسبة لجود سقوطها للعالم السفلي برفقة الكاهنة هيما وياسان رفيق طفولتها وصباها..

وكانت صدمة الشعب بأن أصحاب الهجوم الغادر الذي شمل المملكة كاملة هي مملكة الضياء.. ولم يقف الهجوم عند هذا الحد، إذ قتل الملك بيد رئيس الحرس الخاص لا غير.. لم يكتفِ أناري بقتل الملك، بل تبعه بقتل الملكة والأمير الصغير، وملاحقة الأمير سابار ولي العهد محاولاً قتله مثل البقية.. ولم يفرّ الأمير إلا بمعاونة بعض الحرس الذين ظلوا على إخلاصهم لملكهم السابق وملكهم الحالي وحاولوا الدفاع عنه بكل ما يملكونه..

أما جود، وبعد أن ساقها القدر لملاقاة سيرا وبارا، التوأمين اللذين سقطا من العالم السامي كقربانٍ

للشمس، وبعد أن توطدت صلتها برادال الرجل الذي قضى عمره ينقذ القرابين من الموت كما فعل معه معلمه قبل عقدين من الزمان.. بعد كل هذا، وجدت جود أن الحظ الذي خانها مرات ومرات في الأيام القليلة الماضية، قد ابتسم لها أخيراً عندما عثرت مع رفاقها على طائرة الأمير سابار التي حاول أعداؤه إسقاطها بكل حيلة..

والآن، أتيحت الفرصة لجود ورفاقها العودة لعالمهم السامي.. العودة لمملكة اغتيلت ومحيت من خارطة الممالك السامية.. والعودة لعرشٍ اغتصب بغير وجه حق وجلس عليه من لا يستحقه..

الآن، بدأت مرحلة أكثر جدية وخطورة من كل ما مضى.. وتدرك جود أن عودتها ربما تكون أخطر لحياتها من بقائها في أرض الهوام..

لكن من قال إن ذلك قد يردعها أو يردع رادال عن العودة؟.....

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

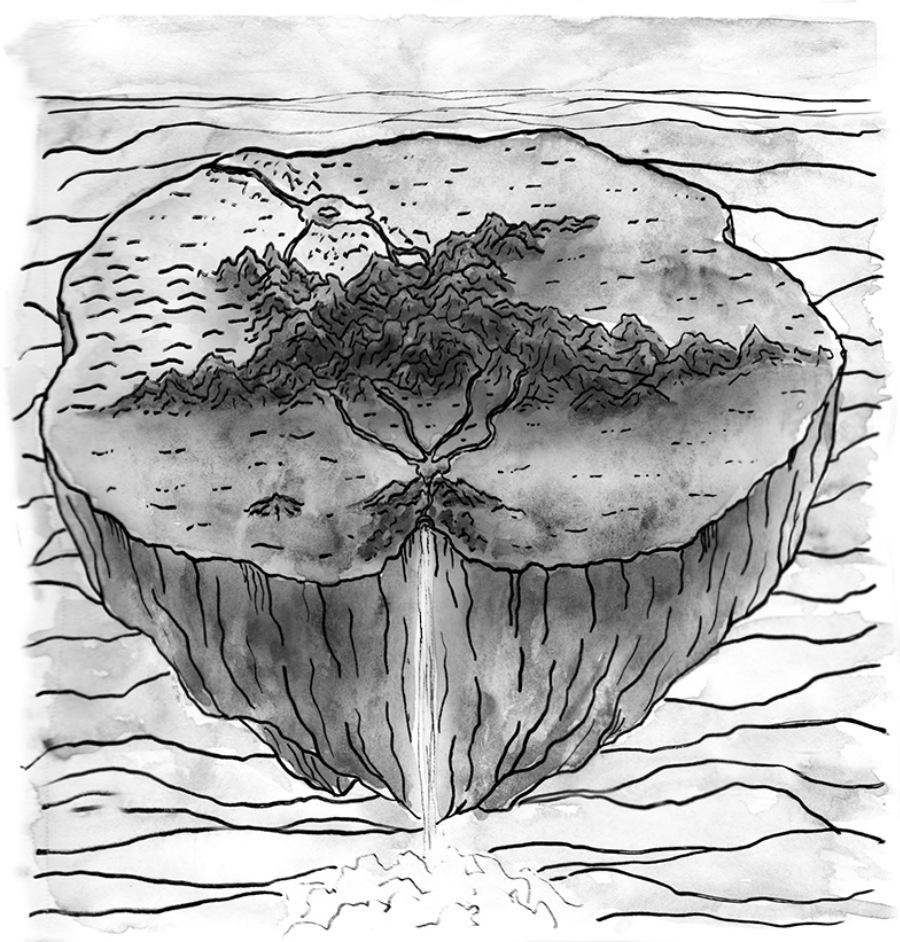

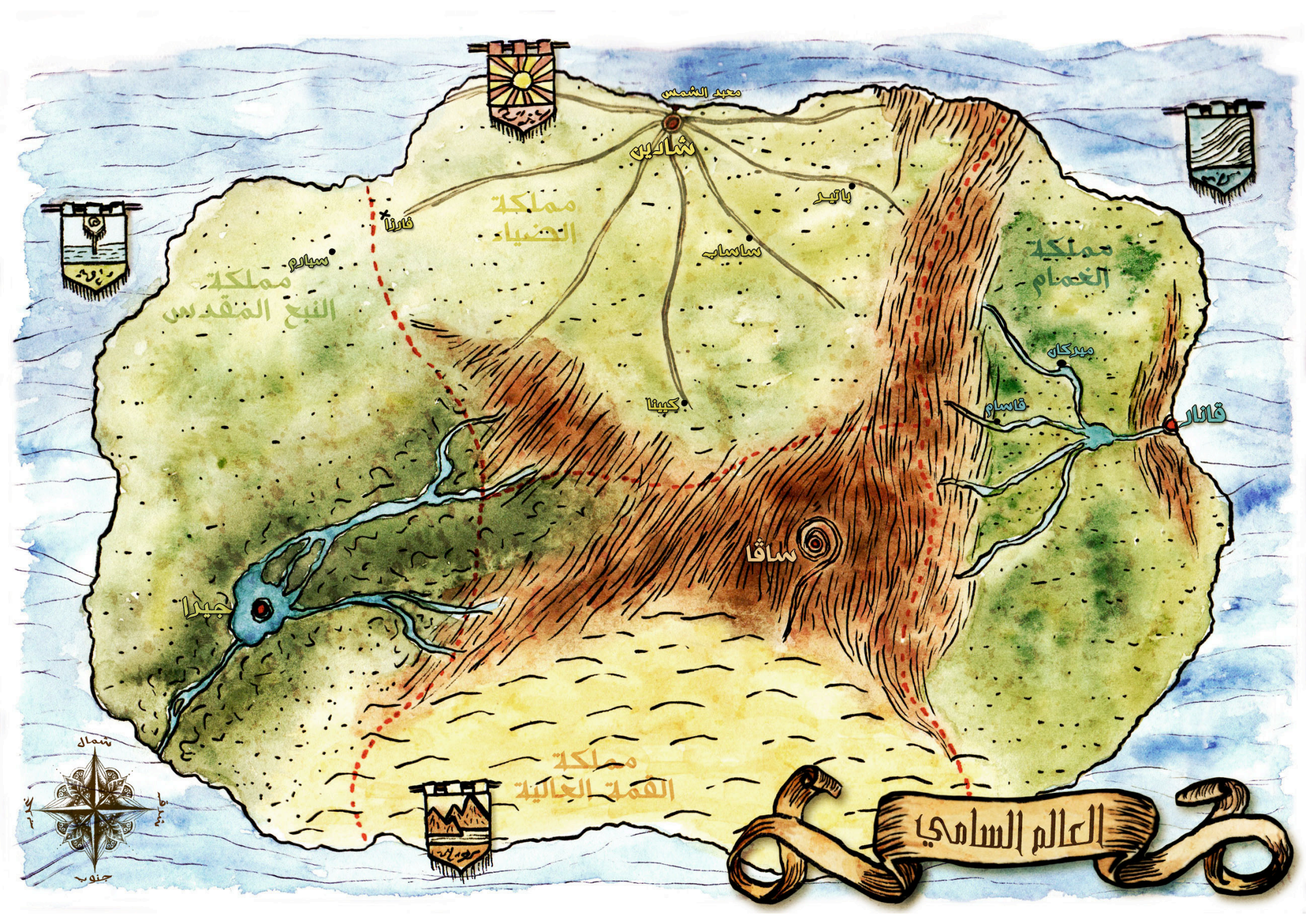
معبد الشمس
شادين
مملكة الضياء
فارزا
سيارم
مملكة النبع المقدس
باتير
ساسايه
مملكة الغمام
ميركان
قاسام
قانار
كيبنا
ساقا
جيدرا
مملكة القمة العالية
شمال
جنوب
العالم السامي

(الفصل الأول)
مملكة القمة العالية : صحراء وثلوج

لم تكن الشمس قد ارتفعت وسط السماء بعد عندما بدأت تلك الصحراء الشاسعة تتوهج بالحرارة الشديدة والهواء فوق كثبانها يتموج وتتموج معه الرؤية بوضوح.. التمعت حبات الرمل بنور الشمس، وانعكست في الأعين كمئات وآلاف الكشافات الصغيرة حتى تمر نسمة قوية فتحمل جزءاً من تلك الرمال وتذروها في السماء لتتحرك معها الكثبان حركة بطيئة لا تبدو بوضوح إلا خلال عشرات السنوات..

ورغم الحرارة العالية في هذا المكان، وغياب أي روحٍ حتى للحيوانات والحشرات المعتادة على معيشة الصحراء، فإن جسداً غريباً قد تحرك بسرعة وخفة فوق تلك الكثبان الرملية.. وعندما نقول فوقها، نعني أنه يحلق فوقها على ارتفاعٍ يسمح له بالتحليق بسلاسة دون التأثر بالجفاف والبيئة القاسية على الأرض..

حلقت تلك الطائرة متوسطة الحجم، بالشعار الخاص بجيش مملكة الغمام واضحاً على جانبها، متجهة نحو الشمال ونحو سلسلة جبلية عظيمة الحجم والامتداد تبدو لهم في الأفق.. وفي قلب الطائرة، في غرفة القيادة، جلس الأمير سابار قرب قاهين الذي يتولى القيادة منذ رحيلهم من الأرض الدنيا.. وخلفهما، وقفت جود تقول بإلحاح "أأنت واثقٌ أننا لن نواجه أي مشاكل مع حامية حدود المملكة؟.. لقد دخلنا حدودهم بالفعل، وهذا يبيح لهم أن يمطرونا بقذائفهم الضوئية دون إنذار.. ما الذي سنفعله عندها؟"

قال قاهين "لن يفعلوا.. هذه طائرة ملكية، حتى لو كانت تبدو كطائرة أخرى من طائرات الجيش.. بها نظامٌ خاص يرسل بياناتها وهويتها لكل من يملك نظام مراقبة، وهذا تحذيرٌ كافٍ لهم لئلا يقوموا بالهجوم عليها عشوائياً قبل التأكد من هوية راكبيها.."

قالت جود بغير اقتناع "هذه ليست ضمانات كافية.."

علق سابار قائلاً "ألم يحاول ياسان مخاطبة حامية المملكة ويعلمهم بقدومنا؟.."

قالت جود بضيق "إنه يحاول ذلك بالفعل.. لكن أحداً لا يجيبه ولم يتلقَ رداً حتى الآن.."

عالج قاهين أجهزة الاتصال أمامه، ثم قال بقلق "هناك خطبٌ ما في أجهزة الاتصال الداخلية.. لذا لا يمكنني محادثة ياسان.."

عندها قالت جود "سأذهب لرؤية الأمر.. التزم الحذر أرجوك يا قاهين.. ولو لاحظت أي مركبة غريبة أو طائرة في أجهزتك، فاحذر وأطِع ما يطلب منك قبل أن يبادروا بالهجوم علينا.."

وعادت أدراجها لإحدى الغرف حيث جلس ياسان مواجهاً جهازاً خاصاً للاتصالات ملحقاً بالطائرة، وقربه بارا يراقبه باهتمام وصمت.. وفي غرفة أخرى، قرب نافذة عريضة، وقف رادال يراقب العالم الذي وصلوا إليه دون أن يعتريه الملل لرؤية تلك الأمواج اللانهائية من الرمال الصفراء المتوهجة.. كان عقله غائباً في عالم آخر.. يحاول تذكر مدينته (شادين) التي تركها منذ عقدين من الزمان.. يحاول استحضار معالم مملكة الضياء التي تختلف اختلافاً كلياً عن هذا المملكة الصحراوية الجافة..

انتبه من أفكاره عندما شعر برجفة يد سيرا التي تمسكت بذراعه ووقفت قربه بصمت.. فغمغم "ما بك؟"

لم تجبه سيرا وهي تتمسك به أكثر.. ها هي تعود للعالم الذي تبغضه.. وها هي تعود لهواجسها فيما يخص علاقتها برادال وما قد يجري لها في هذا العالم.. تشعر أنها لو أفلتته فلن تعثر عليه بعدها من جديد.. ما الذي يسعى إليه رادال حقاً بالمجيء لهذا العالم؟.. مما تراه أمامها الآن، فإن هذه الأرض تبدو لها أسوأ بمراحل من الأرض التي تركوها خلفهم..

كانت رحلتهم للعالم السامي سلسة منذ بدء ذلك النهار.. ارتفع قاهين بالطائرة دون مشاكل تذكر، وسرعان ما حلق بها نحو السماء بسلاسة متخذاً طريقاً مائلاً حتى اخترق حاجز الغيوم الذي لم ترَ سيرا السماء دونها يوماً ما.. وفور أن تجاوزوه، بدت لهم السماء زرقاء زاهية كما لم يروها قط من قبل.. الشمس المنيرة قد أعشت عيونهم للحظات، وفور أن زالت تلك الغشاوة المؤقتة، تمكن ركاب الطائرة من رؤية تلك الأرض الواسعة المهيبة التي تسبح أمامهم في عرض السماء على ارتفاعٍ لا يصدق..

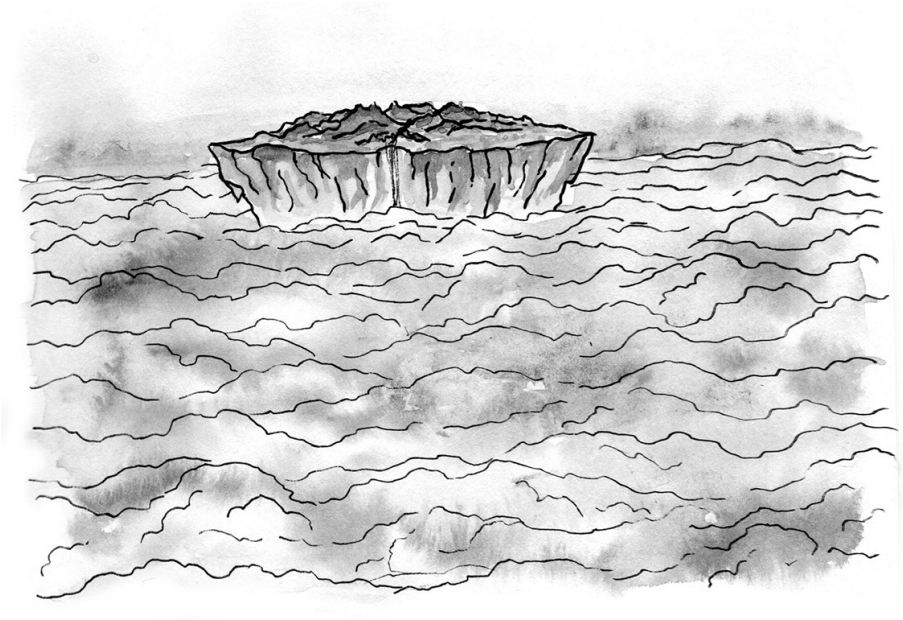

بدت السعادة الفائقة على وجه بارا لعودتهم للعالم السامي بعد تلك السنوات الطوال، مصحوبة بسرور واضح من بقية الفريق.. ولاحظت سيرا انفعال رادال البالغ الذي حاول التحكم به ولم يسمح له بأن يبدو في ملامحه.. لكنها تعرفه، وتعرف أي شعورٍ يشعر به في تلك اللحظات..

استغرق الأمر منهم عدة دقائق لتتمكن الطائرة من الارتفاع بشكل كافٍ ليتمكنوا من رؤية سطح تلك الأرض التي لم يطرأ أي اختلال في ارتفاعها لقرون عديدة.. وفور أن بدا لهم سطحها، وتبدّت لهم تلك الصحراء الواسعة في الموقع الذي اختاره قاهين بعيداً عن مملكة الغمام والحامية التي تحمي حدودها، ازداد البؤس الذي تشعر به سيرا وهي تجد هذا المنظر كنذير شؤم لحياتهم على هذه الأرض..

عندما لاحت الجبال في الأفق كحاجزٍ يحجز الكثبان عن الامتداد لباقي أجزاء العالم السامي، ترك رادال موقعه وتوجه إلى غرفة القيادة ليرى ما الذي سيفعله قائد الطائرة، وإلى أين ينوي التوجه بها بعد مضي كل ذلك الوقت وهم يطيرون دون أن يروا أي نوعٍ من العمران أو القرى أو حتى الواحات..

فور اقترابه من غرفة القيادة، لاحظ جود التي وقفت قرب الباب بصمت تراقب سير الرحلة بدورها، وسمع سابار يتساءل "قاهين.. هل تعلم أين هي (ساقا) عاصمة المملكة؟"

قال قاهين بحيرة "هي وسط السلسلة الجبلية التي تبدو أمامنا.. لكني لا أعلم أين هي بالضبط.."

علق رادال بسخرية "هل سنجوب السلسلة كاملة بحثاً عنها؟.. ألا تملك وسيلة للاستدلال على وجهتك بدل الطيران عشوائياً؟.."

أجاب قاهين بتوتر "من المفترض أن يرد علينا شخص من الحامية التي يفترض بها حماية حدود المملكة، أو من إحدى المدن القريبة، عندما يصلهم إرسال ياسان.. لكني لا أدري ما سبب هذا الصمت حتى الآن.."

فتساءل رادال وهو ينظر للجبال الظاهرة أمامهم "وهل سنبقى حائرين بانتظار استجابة أحدهم؟"

علقت جود "هل تملك حلاً آخر؟"

سمعوا في تلك اللحظة صوتاً متقطعاً يصدر من أحد الأجهزة أمامهم.. نظر قاهين للشاشة البادية أمامه بصمت وقلق للحظة، لكن جود أدركت ما يعنيه ذلك الصوت وتقدمت خطوة لتلقي نظرة على الشاشة بدورها، ثم قالت عاقدة حاجبيها "هناك أربع طائرات تقترب منا.."

تساءل سابار "أتظنين أنها مسالمة؟"

غمغمت جود "لا أدري.."

ظل قاهين يحدق في الشاشة بين لحظة وأخرىٰ دون أن يغيرّ مساره.. بدا واضحاً أن الطائرات تلاحقهم بإلحاح، لكن لم يدرك أحدهم ما الذي تنوي فعله فور وصولها إليهم.. بعد بضع لحظات، تمكنوا من رؤية الطائرات الأربع في الشاشات أمامهم، ووجدوها تحيط بهم من الخلف ومن الجانبين.. ظل قاهين محافظاً علىٰ مساره وهو يراقب الطائرات التي تابعته بصمت.. ولما نبع ذلك الوميض من مقدمة إحدىٰ الطائرات، تصرّف قاهين بسرعة لم يتوقعها وهو يجذب المقود بقوة فترتفع ارتفاعاً حاداً بميلانٍ محدود ليمرق ذلك الضوء من تحت الطائرة وقاهين يصيح "تباً.. إنهم يحاولون إصابتنا.."

تشبث رفاقه بكل ما يمكنهم مع ميلان الطائرة القوي فيما حاول قاهين السيطرة عليها وهو يرىٰ الطائرات تلاحقه بتتابع مدروس وإحداها تطلق عليهم طلقة ضوئية أخرىٰ.. ناور قاهين بكل المهارات التي يملكها، وتوتره يتضاعف صائحاً "ما الذي يجري هنا؟.. لمَ تحاول تلك الطائرة مهاجمتنا؟"

قالت جود موازنة نفسها لئلا تسقط مع حركة الطائرة "أليس ذلك بديهياً؟.. لأننا تجاوزنا حدود المملكة دون إذن.."

قال قاهين بعصبية "ما الذي جرىٰ مع ياسان؟"

أجابت وهي تتراجع "سأذهب لأرىٰ.."

تجاوزت رادال الذي تشبث بإطار الباب فوقه محاولاً الثبات في موقعه، وسيرا الملاصقة له دائماً تتشبث به وهي تقول بقلق "ألن تسقط الطائرة بنا بهذه الطريقة؟"

لم يجبها أحدهم وجود تتراجع للغرفة التي تحوي جهاز الاتصالات حيث بدت لها عصبية ياسان فور وصولها إليه.. فقالت باستياء "ما الذي يجري يا ياسان.. هل أبلغت هذه الدورية عن هوية الطائرة ومن تحمله بقلبها؟.. إنهم يهاجموننا.."

قال ياسان بكلمات سريعة "فعلت ذلك عدة مرات.. لكني لا أجد استجابة منهم حتىٰ الآن.. إنهم لم يحاولوا مخاطبتنا بأي وسيلة كانت قبل هجومهم علينا.."

قطبت جود متسائلة "ما معنىٰ هذا؟.. هل يتجاهلوننا؟"

نظر لها ياسان بقلق، فيما قال بارا "ألا يمكن مخاطبتهم بأي وسيلة أخرىٰ؟"

صمت ياسان مفكراً وهو يعالج جهاز الاتصال من جديد محاولاً الحصول على نتائج أفضل.. فيما عادت جود مسرعة لإبلاغ قاهين والأمير بما جرى.. كان الوضع قد ازداد سوءاً والطائرات التي تلاحقهم تتبادل إطلاق قذائفها الضوئية نحوهم، وقاهين يناور بكل ما يملك وقطرات العرق تحتشد على جبينه وهو يصرّ على أسنانه بقوة.. لا يدري حتى متى سيدوم هذا الهجوم، لكنه كان واثقاً أنه لن يتوقف حتى تسقط بهم الطائرة أرضاً.. ورغم الكثبان الرملية تحتهم، لكنه واثقٌ أن سقوطاً كهذا لن يكون دون خسائر كبيرة في الطائرة أو في رفاقه.. تجاهل تجادل رفاقه بحثاً عن وسيلة لتجاوز هذه الأزمة، وحاول التركيز على الطائرات التي تحلق حول طائرتهم وتتبعهم بإلحاح وهو يدمدم "ما الذي سنفعله الآن؟.. هل أهبط بالطائرة؟"

قالت جود التي سمعته "إياك.. قد يلجؤون لتدمير الطائرة فور استقرارها أرضاً.. لا نعلم ما يعتقدونه بخصوص هوية هذه الطائرة، لكن الاستسلام دون التواصل معهم ليس في صالحنا.."

سمعا خطوات تركض نحوهم، وفور وصل ياسان إليهم صاح "قاهين.. أطلق ثلاث طلقات في السماء.."

صاح قاهين بحنق "أتريدهم أن يبيدوننا؟.."

هتف ياسان بانفعال "بالعكس.. لو كنت لا تعلم، فهذه إشارة معترف بها في العالم السامي بين جيوشها.. وهي تعني استسلام المركبة ومن فيها.."

قال سابار بقلق "كيف نستسلم وهم لا يعلمون أننا نحاول اللجوء إليهم؟.. قد يطلقون قذائفهم نحونا فور استسلامنا.."

قال ياسان بسرعة "بل سيتوقفون عن ملاحقتنا ومحاولة إسقاطنا فور استسلامنا.. هذه الوسيلة الوحيدة لننجو قبل أن تصيبنا إحدى قذائفهم بالفعل.."

تردد قاهين وهو مستمر بمناورته مقلباً نظره بين الطائرات التي تلاحقهم بإصرار.. فيما قالت جود وهي تحاول التشبث لئلا تسقط "لِمَ رفضت تلك الطائرات التواصل معك حتى الآن؟.. هذا غريب.. ماذا لو كانوا يعلمون بهويتنا لكنهم تعمّدوا تجاهل ذلك لإسقاطنا.."

نظر لهما سابار بقلق واضح، فيما صاح ياسان "ثقوا بي هذه المرة.. قاهين.. افعل ما طلبته منك.."

نظر قاهين للأمير، فأشار له سابار برأسه أن يستجيب لياسان.. عندها لم يجد قاهين بداً من إطاعته وهو

يعالج أحد المدافع الضوئية الملحق بالطائرة.. وبضغطة زر، انطلقت ثلاث طلقات شقت طريقها في السماء كلمحة ضوء متتابعة.. ورغم أنها لم تنفجر في السماء لأنها لم تجد ما يعترض طريقها، فإنها بدت واضحة وضوح الشمس لتلك الطائرات التي استمرت في ملاحقة طائرتهم إنما كفّت عن إطلاق قذائفها نحوهم.. ولم تلبث إحدى الطائرات أن أطلقت طلقة في السماء ساد بعدها صمتٌ تام..

تنهد ياسان وهو يستند على الجدار القريب، ثم قال "إنهم يطلبون منا اللحاق بهم.."

تساءل الأمير بحيرة "وما هي الضمانات؟.."

قالت جود "علينا ألا نخبرهم بأمر الأمير سابار قبل التأكد من نواياهم.. صمتهم السابق عندما حاولنا التواصل معهم، وملاحقتنا محاولين إسقاطنا، كلها إشارات لا تدلّ على حسن نواياهم.."

أجاب ياسان "لا.. لقد عرفت سبب تلك المشكلة في التواصل.. فجهاز الإرسال الملحق بطائرتنا معطل من سقوطها السابق، لكن عطله لم يبدُ لنا في الأجهزة.. لذا عجزنا عن التواصل مع الحامية وإبلاغهم بهويتها.. وهذا ما جعلهم يشكون بنوايانا أكثر.."

لم يملك قاهين هذه المرة إلا الاستسلام لتلك الطائرة، واتباعاً لتعليمات ياسان قاد طائرتهم خلفها وهو يراها تسلك جهة الغرب وتنخفض رويداً رويداً.. وبعد دقائق قليلة، تمكن الفريق من رؤية تلك الواحة الصغيرة التي احتلت بقعة لا تكاد ترى من الصحراء.. بنبعٍ متوسط الحجم، وبعض الأشجار التي انتشرت حوله، بالإضافة لمباني طينية صغيرة الحجم تتوزع في المكان مستفيدة من النبع وفير المياه ومن ظلال الأشجار القريبة وثمارها..

هبطت الطائرة الأولى في جانب المكان، فلم يتردد قاهين في الهبوط بدوره في جانب منبسط بين الكثبان الرملية مثيراً سحابة عالية من الرمال حوله.. فيما بقيت بقية الطائرات في السماء تراقب ما يجري.. فقال قاهين "لا مفرّ من مواجهتهم.. لكن أرى بالفعل أن نتحفظ على وجود الأمير سابار حتى نتأكد من نواياهم.."

هزت جود رأسها موافقة وقالت للأمير " أرجو أن تبقى خلف الجميع، ولا تلفت الأنظار إليك يا مولاي.."

لكن الأمير نهض بحركة حادة، وتجاوز رفاقه قائلاً "لن أكون حاكماً لشعبي إن اختبأت خلف رفاقي في

مثل هذه المواقف.."

تجاوزهم جميعاً وسلك طريقه نحو مدخل الطائرة، يتبعه قاهين وياسان محاولان إقناعه بالعدول عن هذه الفكرة.. ورغم إقرار جود بأن ما يفعله الأمير منتهى الحماقة وقد يودي بكل جهودهم للعودة به للعالم السامي أدراج الرياح، لكنها لم تتمالك إعجابها بشجاعته بعد كل ما جرى له..

فتح باب الطائرة ليدخل عبرها هواءٌ شديد الحرارة محمّل بالرمال المتطايرة.. وقرب الباب، وقف قاهين وياسان بتحفز على جانبي الأمير سابار الذي وقف شاداً جسده بصمت.. وخارج الطائرة، أمكنهم أن يروا تلك الجماعة من الجنود التي أحاطت بهم وأيديهم متحفزة بالبنادق وغيرها من الأسلحة الحديثة.. تقدم أحد الجنود قائلاً بلهجة صارمة "تقدموا بصمت ولا داعي للمقاومة.. لقد اخترقتم حدود مملكة القمة العالية، ورفضتم التواصل مع حاميتها.. لذا، سنتخذ بحقكم الإجراءات....."

قاطعه الأمير سابار بصوتٍ حازم "أنا الأمير سابار، ولي عهد مملكة الغمام والملك الحالي بعد مصرع الملك على أيدي الخونة في قانار.. أتيت طالباً اللجوء للملكة هايانا، ملكة المملكة.. وأرجو أن تأخذوني إليها دون التعرض لي أو لأحد رفاقي.."

تبادل الجنود النظرات المذهولة لما سمعوه والصمت يسودهم للحظات، ثم قال الجندي الذي تحدث في البدء "لا نملك أي ضمانات على ما قلته، ولا يمكننا تصديقه دون تأكيد.."

رفع الأمير سابار يده بخاتمٍ يحمله ويدلّ على هويته، ثم قال "يمكنكم مخاطبة القصر الملكي والتأكد من أمر هذا الخاتم.. أما سبب عدم تجاوبنا مع الحامية، فلعطلٍ واجه جهاز اتصال الطائرة، ولم نعرف وسيلة لإصلاحه في الوقت المناسب.."

ثم خفض يده مضيفاً "أرجو أن لا تتجاهلوا قولي وتعاملوني بغير الاحترام الذي أستحقه.. لا أظن الملكة تقرّ معاملة ضيوفها بتحقير والاستهانة بهم.."

أشار الجندي لرفاقه لخفض أسلحتهم، وقال للأمير بلهجة طغى عليها الا حترام " سأنتظر الرد من العاصمة.. وحتى ذلك الوقت، أرجو أن تتفضل بالبقاء في طائرتنا حتى تصلنا الأوامر الخاصة بهذا الشأن.."

كانت هذه وسيلة مهذبة لاحتجاز الأمير ورفاقه، لكن سابار لم يعارض وهو يسير تابعاً الجندي نحو

الطائرة القريبة، وتبعه الآخرون بصمت وشيء من الضيق وأقدامهم تغوص في الرمال الناعمة وحرارتها تكاد تلفح وجوههم مع انتصاف هذا النهار.. فيما وقف جنديان عند باب طائرتهم يحرسانها منعاً لعودة أحدهم والاستيلاء عليها تمهيداً للهرب بها من قبضتهم..

أما الهرب على الأقدام، فمن الاستحالة أن يطرأ على ذهن أحدهم في هذه الصحراء المهلكة..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

كما توقع الأمير سابار، أو كما كان يأمل في الواقع، جاءت الموافقة من العاصمة على استقبال الأمير واستضافته بالشكل اللائق لمنصبه ومكانته.. جاءهم الجندي السابق، حيث احتجزوا في إحدى غرف طائرة الدورية، وقال للأمير بلهجة طغى عليها الاحترام والتوقير أكبر من السابق "الملكة هايانا ترحب بك في المملكة، وتدعوك للقائها في العاصمة (ساڤا).. ونعتذر منك بشدة على محاولاتنا إسقاط طائرتك فقد كنا نجهل هوية من تحمل بقلبها.."

غمر الارتياح المجموعة المرافقة لسابار، الذي تمالك نفسه لئلا يفضح تلهفه وقال ببساطة "لا داعي للاعتذار.. سأكون سعيداً بلقاء الملكة.."

هز الجندي رأسه إيجاباً وعرض عليه باختصار رحلتهم القادمة نحو ساڤا والتي قد تستغرق منهم بضع ساعات.. وفي هذه المرة، لم يقم أحد الجنود بإغلاق الباب واحتجازهم في الغرفة، بل قام الجندي بدعوة الأمير للجلوس في غرفة أكبر وأكثر راحة من هذه.. لكن الأمير رفض مجدداً مفضّلاً البقاء مع البقية..

حلقت الطائرة بسلاسة فور ورود الإذن إليها من العاصمة، تتبعها بقية الطائرات بالإضافة للطائرة الخاصة بالأمير سابار والتي قادها أحد جنودهم خلف البقية..

كانت الساعات التالية أقل توتراً وقلقاً بالنسبة للمجموعة، وجدالاتهم تدور حول ما قد تفعله الملكة هايانا عندما يطلب منها الأمير سابار اللجوء إلى مملكتها.. وإن كانت ستوافق على معاونة البقية على تحقيق أهدافهم على اختلافها، أم ترفض ذلك بسببٍ أم بدونه..

بعد تلك الساعات، بدأت المناظر تتغيرّ تغييراً كبيراً لأعينهم وهم يراقبونها من نافذة الغرفة الواسعة..

بدأت الصحراء تتحول لأراضٍ صخرية مستوية بيضاء اللون، ثم بدأت الصخور تتكاثف وترتفع عن مستوى الأرض مكوّنة سلسلة جبلية سرعان ما التهمت الأفق كاملاً دون أن يتمكن أحدهم من رؤية مداها الحقيقي.. كانت الجبال تعلو أكثر فأكثر كلما استمروا في رحلتهم تلك.. وبدأ قائد الطائرة يخفف سرعتها ويقودها بحذر خشية الاصطدام بحافة بارزة أو قمة عالية.. وسرعان ما بدأت الثلوج تتكاثف على الصخور السوداء مغطية ثناياها وقممها بتباين مدهش والحرارة تنخفض انخفاضاً شديداً وفجائياً..

لا تدري جود كم طال بهم الوقت وهم يحلقون وسط تلك السلسلة الجبلية، وعندما بدأت التساؤلات تدور في أذهانهم عن موقع المدينة المنشودة وكم من الوقت سيستغرقون للوصول إليها، انكشفت السلسلة الجبلية أمامهم عن منظر أذهلهم وجعل فك ياسان يتدلى بدهشة وهو يهمس "يا للسماء العالية.. ما هذه المدينة؟"

فمن بين القمم الثلجية، التي احتفظت ببرودتها الشديدة رغم الشمس التي ترسل أشعتها الدافئة كل يوم دون انقطاع، لاحظت جود تلك المدينة التي ظهرت لهم كجزءٍ لا يتجزأ من إحدى القمم.. فعلى أعلى نقطة من ذلك الجبل، ربضت مدينة دائرية ذات قبة زجاجية عالية، وعدة طبقات من الأسطح الحجرية تتخللها الشقوق الطولية التي تبدو كمداخل ومخارج للمدينة بالإضافة للنوافذ التي تسمح للشمس بالتغلغل في المستويات الدنيا منها.. وأسفل المدينة، شق طريق حجري الجبل في مسارٍ دائري يتسع شيئاً فشيئاً ويقود سالكيه لمواقع أخرى من المملكة.. ولمدن أخرى لا تدري جود إن كانت قد أقيمت بالطريقة ذاتها أم لا..

سارت الطائرة بشيء من البطء نحو القبة الزجاجية التي تعكس أشعة الشمس بقوة، وانخفضت رويداً رويداً حتى لاحظ ركابها ذلك المهبط المقام في أعلى نقطة من السطح الحجري للمدينة، وفي جانب منها بحيث يتمكن ركاب الطائرة من الدخول للمدينة فور خروجهم من الطائرة دون التعرض للحرارة المنخفضة والبرودة القارسة لهذا المكان.. وفي المستويات الأدنى من المدينة تمكنوا من رؤية مهابط مشابهة للطائرات، وإن كانت أكثر اكتضاضاً وتنوعاً من هذا المهبط المخصص للطائرات الملكية..

هبطت الطائرة بسلاسة في المهبط الواسع، وسارت لمسافة قصيرة قبل أن تقف قرب أحد المداخل المؤدية لأجزاء أخرى من ذلك المطار، وملتصقة بممرٍ زجاجي يتصل بالقبة القريبة.. ساد الصمت للحظات وجود ورفاقها يتأملون ما يبدو لهم من المدينة الغريبة عبر القبة الزجاجية القريبة منهم.. حتى قام أحد

الجنود بدعوة الأمير ليتبعه نحو مباني المطار القريبة.. نظر سابار لرفاقه بدعوة صامتة، ثم عدّل ملابسه وسار بقامة مشدودة نحو باب الطائرة ليهبط درجاتها القليلة ويسير عبر الممر الزجاجي نحو بوابة واسعة تقودهم لقلب القبة الزجاجية..

كان أول ما شعرت به جود فور خروجها من الطائرة هي البرودة الشديدة التي صدمتها، رغم الغطاء الزجاجي الذي يغطي هذا الممر بإحكام، فقالت بدهشة "الصحراء سابقاً، والآن هذه القمم الثلجية والبرودة الشديدة.. لشدّ ما تدهشني هذه المملكة.."

علق ياسان وهو يسرع للحاق بالأمير لتفادي البرودة المنخفضة هذه " هذه المدينة أقيمت هرباً من الصحراء وجفافها.. وهذا مفهومٌ نوعاً ما.. لكن أكان لزاماً عليهم أن يقيموها فوق أعلى قمة في هذه السلسلة؟.."

تسارعت خطوات البقية لتجاوز المهبط ودخول القبة الزجاجية التي كانت أدفأ بكثير مما كان عليه الجو خارجاً.. وهناك، وجدوا أنفسهم في قاعة واسعة بدت مناسبة لاستقبال الشخصيات الهامة، وهو ما حدث مع الأمير الذي وجد رجلاً في أوسط عمره بملابس رسمية وابتسامة واسعة يقترب منه قائلاً "أرحب بك ترحيباً حاراً في مملكتنا السامية يا سمو الأمير.. إنه من حظي البالغ أن أقوم باستقبالكم كنائبٍ للملكة هايانا.. هل تريد الحصول على بعض الراحة في هذا المبنى أم تفضّل ذهابنا للقصر الملكي في الحال؟"

أجاب سابار "بل أفضل الانطلاق للقصر حالاً.. أريد مقابلة الملكة بأسرع ما يمكن.."

هز النائب رأسه متفهماً الأمر، ثم أشار بيده قائلاً "تفضّل معي يا مولاي.. المركبة الملكية بانتظارك خارجاً.."

سار الأمير تابعاً النائب الذي لم يكف عن الحديث ولو للحظة.. فيما وقف رادال للحظة يتأمل القاعة الفاخرة والمباني القريبة قائلاً بانشراح "إن هي إلا أيامٌ قليلة ونصبح في شادين.. ألن يكون ذلك رائعاً؟"

لم تبدُ أي سعادة على وجه سيرا وهي تشيح بوجهها جانباً، بينما قال بارا "القول سهل.."

قال رادال "بل ثق أننا سنتمكن من الوصول وتحقيق كل ما سعينا لأجله.. نحن أصحاب حق، ولن نعدم وسيلة لنيل ذلك الحق بأي شكل كان.."

ونظر لجود التي مرّت قربه تابعة الأمير قائلاً "ألا توافقيني الرأي يا جود؟"

هزت جود كتفيها معلقة "لا أدري.. لن أكون موجودة لأشهد ذلك.."

رفع رادال حاجبيه بدهشة متسائلاً "ماذا تعنين؟"

أجابت بسرعة "كما قلت سابقاً، فور استقرار الأمير سابار في ساڤا، سأكمل طريقي نحو مملكة الغمام برفقة ياسان.. هذا هو هدفنا الأصلي.."

فقال رادال وهو يسير بدوره لاحقاً بها "هذا محال.. لا ترمي نفسك في التهلكة بخطة حمقاء كهذه.."

قالت جود "قل ما بدا لك.. هذه هي خطتنا، وهي ليست أقل حماقة مما تنوي فعله.."

التفت رادال إلى ياسان الذي تبعهم متسائلاً "ياسان.. أأنت جاد في فعل ذلك؟"

أجاب ياسان "وما الذي نملك فعله غير هذا؟"

قال رادال "هناك خطط أكثر فعالية وسهولة من رمي أنفسكم في النار بغية إطفائها.."

لم يبدُ على ياسان أو جود أي اقتناع بحديثه وهما يتركانه تابعين الأمير سابار وقاهين.. فيما وقف رادال وهو ينظر إليهما مقطباً، فتساءلت سيرا بوجوم "ما الأهمية في وجود هذين الإثنين معنا؟.. لمَ أنت مصرٌّ على اصطحابهم معك وهم لا شأن لهم بالمكان الذي ننوي الذهاب إليه؟"

قال رادال بتبرير "من الخسارة أن نفترق بعد كل جهودنا التي بذلناها معاً.. ثم إنني بحاجة لكل فرد يمكنه أن يعينني على تحقيق هدفي.. وأنا واثقٌ من هذين الإثنين ثقة كبيرة ولن أخشى خيانتهم لي في يوم من الأيام.."

قالت سيرا بضيق "أي هدفٍ تعني؟.. ما الذي تسعى إليه حقاً؟.. لا تقل لي إنك تنوي الانتقام من كهنة الشمس كما هو بارا!.."

غمغم رادال وهو يتبع جود وياسان "لا.. ليس هذا ما أهدف إليه مطلقاً.."

لم تكن هذه إجابة واضحة تفهمها سيرا، فأسرعت تلحق به وهي تسأله بإلحاح دون أن يمنحها جواباً صريحاً، فيما سار بارا خلفهم يتلفت حوله بدهشة وشيء من الحسد.. لشدّ ما يبدو هذا العالم مختلفاً عما عاشوه في سنواتهم الاثنتي عشر الماضية.. لو لم يرمهما كهنة الشمس من عالمهم، لربما عاش مع سيرا في هذا العالم، ولأصبحت لهما مكانة وخبرات تفوق ما هما عليه الآن.. ولربما كانت حياتهما السلسة الميسرّة لها تأثيرٌ على شخصيتيهما، وعلى سيرا بالذات التي لن تكون بهذه الأنانية والقساوة التي تبدو عليها.. كل شيء بدأ

منذ دخل الكهنة حياتيهما، وكل شيء لابد أن ينتهي بعد أن يخرجوا منها.. خروجاً لا عودة منه..

بعد أن تجاوزت المجموعة ذلك المبنى، وجدوا أنفسهم أمام منظرٍ لم يتخيلوا رؤيته في أحلامهم.. كان الأفق الواسع حول المدينة مغطىً بالقمم الثلجية وتلك السلسلة الجبلية تكوّن بحراً واسعاً من الصخور لا يمكن رؤية نهايته.. وأمامهم، استقرت المدينة التي رغم موقعها الحساس إلا أنها تمتد لمسافة غير قصيرة على قمة ذلك الجبل والبنايات تتكدس بكثافة غير عادية في تلك المساحة المتاحة لها.. ورغم ذلك، انتشرت مساحات واسعة من الساحات المرصوفة والحدائق المزهرة كثيفة الأشجار، بتنسيق جميل للناظر إليه..

كانت البنايات أمامهم بطرازٍ يختلف تمام الاختلاف عما هو مشهود في مدن العالم السامي الأخرى.. فنسبة لصغر المساحة المتاحة لها، اتخذت البنايات ارتفاعات أكبر من المعتاد، وضمّت عدة طوابق للمبنى الواحد مع نوافذ عديدة.. يغلب عليها اللون البني المقارب للون الصخور في تلك الجبال، مع زخارف بيضاء كالأقواس فوق النوافذ.. كانت ارتفاعات المباني هذه التي لا يعهدها العالم السامي وسيلة للتحايل على المساحة المحدودة للمدينة المقامة على قمة هذا الجبل.. ولتوفير أكبر عدد من المنازل للسكان الذين يتزايد عددهم باضطراد كل سنة..

أدركت جود مع هذا المنظر الغريب أمامها، أن هذا ليس أعجب ما في هذه المدينة.. فمما رأته من نافذة الطائرة أثناء قدومهم، فإن ما تراه أمامها هو مجرد أحد المستويات التي تم إنشاء المدينة عليها.. فهذه المدينة تكونت من عدة طوابق وكل طابق يكوّن جزءاً من المدينة يحوي أبنيتها وأسواقها ومدارسها ومعابدها، بالإضافة لجزءٍ كبير منها مخصص للزراعة أهم المحاصيل الزراعية بوسيلة فريدة من نوعها لا تستهلك مساحات كبيرة كما هي المزارع المعتادة، بل تتم الزراعة فيها بشكل رأسي

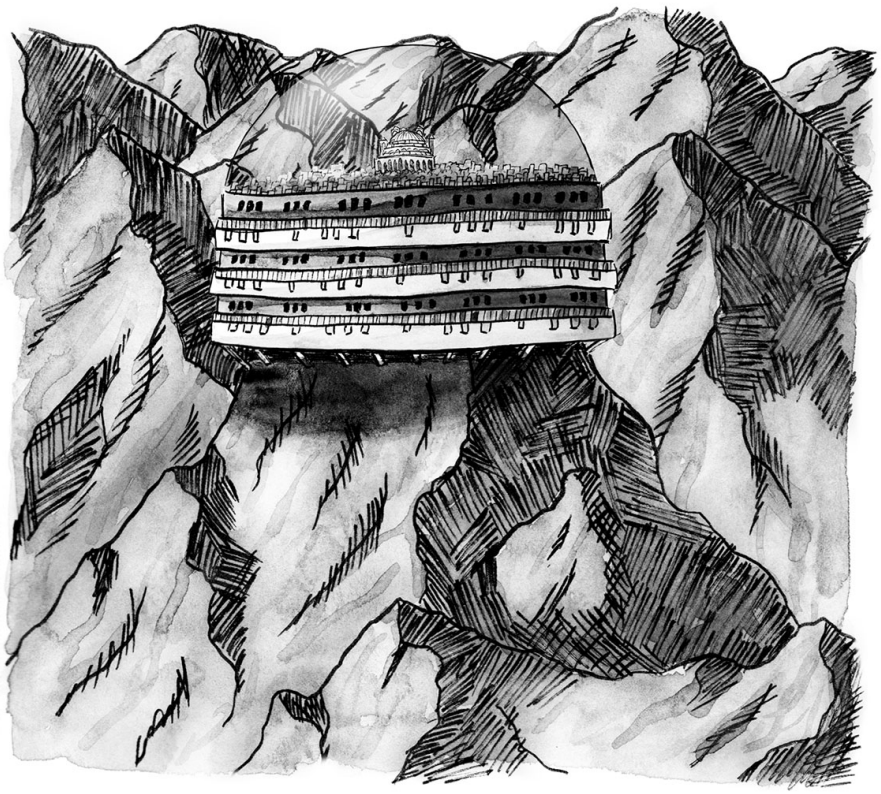

باستخدام أحد ابتكارات العلماء الذين سعوا جاهدين للتغلب على صغر المساحة المتاحة لديهم وكثرة الاستهلاك السكاني لهذه المزروعات، وجفاف أغلب أراضي المملكة التي تضمّ تلك الصحراء الميتة..

لم يخفت تعجب جود مما تراه وهي تتبع الأمير سابار وبرفقته النائب السامي الذي حرص على شرح جوانب المدينة ومميزاتها بصوت فخور.. سارت المجموعة تحت تلك القبة الزجاجية العملاقة التي تمنح المدينة دفئاً يستحيل الحصول عليه في هذا الارتفاع الشاهق، ملاحظة أنهم يتجهون في سيرهم نحو مركبة فاخرة مذهبة الأطراف بنقوش تميّز مملكة القمة العالية، وبشعارها واضحاً على جانبها.. وسرعان ما تراصّوا فيها تاركين كرسيها الأمامي للأمير سابار وللنائب.. وفور استقرارهم فيها تحرك بها سائقها ليقطع طريقاً ممهداً بأشجار غناء على طرفيه وشجيرات ورد تزين المكان، وبجوارهم مرت عدة مركبات بهيئات عادية وألوان هادئة مقارنة بمركبتهم هذه، بالإضافة للعديد من المارة الذين ساروا قرب الطريق وملابسهم تتنوع بين الأنيقة العادية وبين الفاخرة التي تدل على الثراء والمكانة العالية في هذا العالم..

ومما فهموه من وصف النائب السامي، فإن هذا الجزء من المدينة مخصص للأثرياء وللطبقة الحاكمة، بينما توزع الشعب العادي الأقل ثراءً ومكانة في طبقات المدينة السفلى.. ولم تملك جود أن تتعجب لهذا الأمر، فهذا المكان مع تلك القبة التي تعلوه يبدو متوهجاً والشمس تنيره طوال النهار دون أي حواجز، فيما لا يبدو الأمر مماثلاً مما رأته في المستويات الأخرى للمدينة التي لا تنعم بنور الشمس بهذه الوفرة وهذا الجمال.. لذا من الطبيعي أن يخصص هذا المستوى الأعلى والأكثر جمالاً للفئة ذات المكانة العالية التي تبيح لها التمتع بهذه المميزات..

وأمامهم، استطاعوا رؤية ذلك القصر المنيف ذي الأبراج العالية والشرفات الواسعة، بجدرانه ذات اللون الأبيض التي تعكس نور الشمس فيبدو للناظر إليه مشعاً ومتوهجاً.. وحوله، تم تخصيص مساحة لا بأس بها للحدائق الغناء التي تركزت بكثافة كبيرة مكونة حاجزاً بين القصر وبين بقية أحياء المدينة.. سارت المركبة بهم على الطريق الذي يقطع تلك الحدائق، في مسارٍ تمت تغطيته بالشجيرات المزهرة ليبدو كقوسٍ ملون بألوان زاهية.. ومن بعده سارت المركبة قاطعة بعض الساحات الحجرية حتى وقفت بهم عند مدخل القصر ذي الأبواب الفضية العالية ذات النقوش الجميلة، والتي تحمل شعار المملكة محفوراً بقلبها بالإضافة للأعلام التي ترفرف على أبراج القصر وعلى شرفاته..

لم يخفت انبهار المجموعة بالمدينة وهم يسيرون في جوانب هذا القصر الذي لم يروا مثله قط، خاصة بالنسبة لسيرا وبارا اللذان انقطعا عن هذا العالم منذ صغرهما.. وياسان وجود اللذان لم يريا قصراً مثله قط ولم يحالفهم الحظ بدخول قصر الملك في قانار عدا عن تلك اللحظات القصيرة في بداية عهد جود مع هذا العالم.. أما رادال، الذي لا يزال يذكر طفولته في جنبات قصر مماثل، فقد سار بشيء من الثقة تابعاً الأمير سابار عبر ذلك البهو الواسع وحتى وصلوا لإحدى القاعات التي زهت بلونٍ أحمر غلب على أكثر الأثاث والتحف الموزعة في جوانبها.. وهناك، قال لهم النائب "مولاتي الملكة هايانا بانتظار سمو الأمير سابار.. أما بقيّتكم، فعليكم الانتظار في هذه القاعة حتى انتهاء لقاء الأمير بسمو الملكة.."

نظر قاهين بقلق جهة الأمير سابار، فقال الأخير "لا بأس.. خذني إليها حالاً.."

تقدم قاهين خطوة من الأمير وهمس "مولاي.. أأنت واثق من رغبتك لقاء الملكة بمفردك؟.. في ظل هذه الحرب التي لا نعرف خباياها، لا ندري إن كانت الملكة موالية لنا أم لمملكة الضياء.. ماذا لو حاولت الخلاص منك بعيداً عنا؟"

قال الأمير سابار "لن ندري حتى نواجه الأمر فعلياً.. لكن فلنأمل خيراً.."

وسار بخطوات واثقة خلف النائب تاركاً البقية يتبادلون النظرات بصمت.. ثم توجه رادال لأكبر الأرائك وجلس عليها بابتسامة واسعة قائلاً "إذن.. ها نحن هنا بالفعل.."

غمغم بارا وهو يتأمل ما حوله "أجل.. من كان ليصدق؟.."

قالت جود وهي تجلس بدورها "لا تزال هذه هي البداية.. ولا نعلم إن كانت ستمضي على خير أم لا حتى يعود الأمير سابار إلينا.."

انشغل بارا بتفحص جوانب المكان باهتمام وسيرا تلقي تعليقاتها الهازئة على ما تراه من رفاهية لا أهمية لها برأيها، دون أن تستطيع أن تخفي الدهشة البادية في عينيها.. فيما وقف ياسان وقاهين قرب النافذة يتأملان المدينة الممتدة أمامهما ويتناقشان حول ما قد ينتج عن لقاء الأمير بالملكة، وإن كانت بالفعل ستمنحه الحماية والعون الذي يرجونه منها..

عندما لاحظت جود انشغال البقية، مالت على رادال متسائلة "ما الذي ستفعله الآن؟.. هل ستفصح للملكة عن هويتك الحقيقية؟"

قال رادال بابتسامة "ربما.. يعتمد هذا على ما قد تبديه من تعاون مع الأمير ورفضها لأفعال سوريم.. عندها قد يمكنني أن أرجو عونها للعودة لشادين.."

علقت جود قائلة "عندما التقيتك لأول مرة، لم يدُر بذهني قط حقيقة هويتك في هذا العالم.. ولا أظنني كنت سأخمن ذلك لو لم تصرّح لي بذلك.. لذا أخشى ألا تقابَل بالتصديق الذي تتوقعه من الملكة.."

لم تخفت ابتسامة رادال أو ثقته الواضحة، فيما أضافت جود "إنني لم أرَ التوأمين كذلك يعاملانك بما يناسب مكانتك.. أليس ذلك غريباً؟"

علق رادال "لأنهما لا يعلمان بذلك بعد.."

نظرت له جود بدهشة بالغة، ثم قالت "لكنك أخبرتني بذلك بالفعل.. فلمَ فعلت ذلك ولم تخبرهما قط رغم كل السنوات التي أمضياها برفقتك؟.."

هز رادال كتفيه دون أن يجيب.. فصمتت جود بحيرة من أمرها.. ظنت في البدء أن بارا وسيرا يعلمان بهويته الحقيقية، وربما لهذا السبب أصرّت سيرا على رفض العودة للعالم السامي خشية أن ينبذها رادال فور أن يستعيد العرش، لو كان ذلك ممكناً حقيقة.. لكن ما تتعجب له أنه أخفى هذا الأمر عنهما، لكنه صرّح لها بذلك بكل بساطة.. هل تخلى عن حذره عندما رأى الطائرة الماثلة أمامه مستعدة لحملهم نحو العالم السامي؟.. هذا هو التفسير الوحيد الذي تملكه جود في الوقت الحالي للسبب الذي جعله يختصّها بهذا الخبر بالغ الحساسية بالنسبة له..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

في مكان آخر، وفي إحدى الشرفات المرتفعة من القصر والتي تطلّ على المدينة الممتدة وتكشف كافة جوانبها وزواياها، دلف الأمير للشرفة تابعاً إشارة النائب الذي تخلّف عنه عند مدخلها سامحاً له بالتقدم وحيداً.. رأى الأمير أمامه طاولة عريضة ذات سطح مزين بالفسيفساء ذات اللون الأزرق والأخضر والأبيض، بتشكيل جميل متناسق.. وقربها عدد من الكراسي الخشبية المغطاة بالوسائد الوثيرة ذات ألوان متناسقة مع الطاولة ومع الشرفة الواسعة بأحواضها الملونة وشجيراتها الصغيرة المزهرة والأعمدة المنقوشة

على جانبيها..

لاحظ الأمير تلك المرأة التي نهضت واقفة فور قدومه وهي تقول بانشراح "من كان يتخيل أن أستضيف الأمير سابار ذاته في قصري؟.. هذه صدفة لم أتوقعها قط منذ وصلتني الأنباء المشؤومة عن أمر ذلك العدوان على مملكة الغمام المسالمة.."

انحنى لها الأمير سابار بخفة قائلاً "لسموّك شكري العميق واحترامي لقبولك وجودي في حضرتك دون إعلامٍ مسبق بهذه الزيارة.."

ولما اعتدل لم يتمكن من منع نفسه من ملاحظة الملكة التي اقتربت منه وهي المرة الأولى التي يلاقيها فيها.. كانت الملكة هايانا، خلاف توقعاته السابقة، امرأة في منتصف الثلاثين من عمرها.. طويلة الجسد تتجاوزه وتكاد تكون أقرب لرادال في الطول.. وهو أمرٌ لم يعتده سابار في النساء قط.. ومع كتفيها العريضين اللذين لا يتمتعان بأي رقة وجسدها الطويل، فإن الملكة قد فضّلت ارتداء ملابس أقرب لملابس الرجال منها عن ملابس الأميرات التي تتميز بالألوان الزاهية والحواشي المطرزة والخامات الناعمة التي تزهو بها النساء عادة..

لم يستطع الأمير تخيّل مثل تلك الملابس على الملكة بحجمها ذاك، رغم الرشاقة التي يتحلى بها جسدها الذي يخلو من أي سمنة واضحة.. فملابسها الرسمية بسيطة مكونة من قميص ناصع البياض وعليه معطف طويل بلون أزرق قريب للسواد يكاد يصل لكاحليها.. ومن تحته يمكنه أن يرى ذلك البنطال الواسع الذي يضيق عند القدمين بلون أسود.. وعلى المعطف، رأى شعار المملكة معلقاً على شكل وسام ذهبي يعلوه تاج الملك، بالإضافة لبعض النياشين والأوسمة التي تدلّ على مكانة حاملها في هذه المملكة.. وقد احتفظت الملكة بشعرها البني قصيراً حتى أذنيها بما يناسب هيئتها هذه وقد صففته بإحكام عدا عن خصلة قصيرة مالت جانباً على جبينها.. عيناها الخضراوان المبتسمتان بوضوح لا تخلوان من ذكاء، وفمها الرفيع يظهر بعض الجدية رغم الابتسامة عليه.. وملامحها لا تخلو من جاذبية فرضتها ثقتها الواضحة بنفسها..

فور أن اعتدل سابار في وقوفه، رآها تتقدم منه وتصافحه قائلة "أنا لا أحب الرسميات.. لذا لا تقلق من هذا الأمر.. سأناديك سابار، وعليك مناداتي باسمي مجرداً.. هايانا.."

قال الأمير سابار دون أن يتخلى عن احترامه "لا أظن هذا ملائماً مع سموّك يا مولاتي.."

ربتت الملكة على كتفه بألفة وهي تقول "لا تكن عنيداً هكذا.. أنت ضيفي، وعليك احترام ما أطلبه منك.."

سمعا صوتاً من خلف الملكة يقول "مولاتي.. أرجو أن تكفي عن إحراج الضيف بهذه الصورة.."

التفتا خلفاً ليرى سابار رجلاً لم يهتم لأمره ولم يلاحظه في البدء.. كان يقارب الأربعين من عمره، بطول معتدل ووجه هادئ لا يخلو من صرامة بشعره الأسود المسرّح للوراء بإحكام وشاربه الخفيف وحاجبيه الحادين، يرتدي ملابس فخمة تليق بالوزراء أو معاوني الملك، ويقف جانباً باحترام ظاهر منحنياً للأمير قائلاً "سمو الأمير.. أرجو أن تعذر الملكة على تصرفاتها غير المسؤولة هذه.."

لم يكن أسلوب الرجل مع الملكة بالاحترام الذي توقعه سابار، وإن كان بتهذيب لا يمكن إنكاره.. فقالت هايانا ملوحة بيدها "هيرود.. عليك أن تكف عن الغيرة كلما رأيتني مع شاب وسيم كالأمير سابار.."

ونظرت لسابار المتعجب شارحة بابتسامة "هيرود هو معاوني ومستشاري المخلص منذ سنوات لا حصر لها.. وزوجي كذلك.."

لم يخفِ سابار دهشته لهذا الأمر، بينما قال هيرود متجاوزاً عن تعليق الملكة "أرجو أن يعتبر الأمير سابار نفسه في وطنه الثاني، وألا يتردد في التوجه إليّ لأي طلب مهما كان صغيراً.. فأنا سأظل في خدمتك طوال بقائك هنا في ساقا يا مولاي.."

هز سابار رأسه معلقاً "أنا شاكرٌ لك يا هيرود.."

اقتادته هايانا ليجلس على الكرسي وجلست مواجهة له باهتمام متسائلة "إذن.. أريد أن أسمع الحكاية منك كاملة عما حدث في الهجوم على قانار.."

تساءل سابار "ظننت أن ما تملكينه من معلومات يفوق ما أملكه بالفعل، بالنظر لمنصبك، ولغيابي عن الساحة لعدة أسابيع.."

قالت هايانا "سأخبرك بكافة التطورات بالطبع، لكني أريد أن أسمع الحكاية منك لا من التقارير التي وصلتني عن هذا الهجوم.."

بدت له الملكة بحماس لسماع تلك الحكاية، وهذا سبب بعض الضيق لسابار الذي يرى فيها استهانة بمن

قتلوا ومن اغتيلت براءتهم وأحلامهم في هذا العدوان.. لكنه لم يجرؤ على رفض الطلب أو التعليق على تلك النقطة، بل جذب نفساً عميقاً وشرع يخبرها بكل ما جرى في ذلك اليوم المشؤوم، الذي يوقن أن الشمس لم تطلع على مثله في العالم السامي قط.. ورغم ما بدا على هايانا من ثبات واهتمام بالغين بهذه القصة، إلا أنه فوجئ بالدموع تترقرق في عينيها بعد انتهائه من الحكاية قبل أن تسارع لمسحها قائلة بتعاطف "يا للمأساة.. لابد أنك قد صدمت بتلك الأخبار عن مقتل الملك والملكة.."

ثم ارتجف صوتها وهي تقول "والأمير الصغير.. ما ذنبه في كل ما جرى؟"

لم يملك الأمير التعليق على هذا الأمر وهو يحاول تجاوز مرارته لما أصابه.. ولشعوره أنه خذل عائلته في وقت حاجتهم له.. رغم أن وجوده لم يكن ليغني عن الواقع شيئاً.. رأى هيرود يقدم منديلاً لهايانا لتمسح دموعها وهو يخاطب سابار قائلاً "تعازيّ الحارة بمصابك يا مولاي.. رغم مضيّ كل تلك الأيام على تلك الحادثة، لكن لابد أن الحديث عنها يؤلمك بشدة.."

زفر سابار قائلاً "لا أريد أن أقضي وقتي في الحزن.. فما أمامي أهم وأقوى من تلك المشاعر.. والخونة يمرحون في قصر أبي في هذه اللحظات بأمانٍ تام.."

تساءلت هايانا بعد أن استعادت جديتها "ما الذي تنوي فعله الآن؟"

أجاب بحزم "عقاب الخونة، وطرد المعتدي من بلادي.."

صمتت هايانا للحظات وسابار يضيف "يجب أن أحرر بلادي من هذا العدوان الظالم.. سوريم قد كسر كل المعاهدات القائمة بين الممالك السامية بهذا التصرف، وارتكب ما لا حصر له من الجرائم بدفع جيشه في أراضي مملكتي.."

غمغمت هايانا "هذا لن يكون بالأمر السهل.."

أجاب سابار "طبعاً.. ولذا آمل أن يكون في ساڤا متسعٌ لاستضافتي، ومعاونتي على لملمة جنودي للرد على هذا العدوان.."

قالت هايانا بابتسامة واسعة "ساڤا كلها وطنٌ لك يا سابار.. لستَ بحاجة لمثل ذلك الطلب.. أنت ضيفي، وستبقى في حمايتي حتى تقرر مغادرة المملكة.."

ثم خفتت ابتسامتها وهي تضيف "أما بخصوص معاونتك على تكوين جيش جديد.. ألا ترى أن تلك

أحلامٌ بعيدة عن التحقيق؟.."

تراجع سابار في كرسيه قائلاً "أليس هذا ما يفترض بي فعله؟.. هل تفترضون مني أن أصمت وأنبذ شعبي ومملكتي وأقبع في هذه المدينة هارباً من مصير مملكتي؟"

بدا الاحتقان على وجه سابار واضحاً دالاً على انفعاله وغضبه، فسارعت هايانا لتلطيف المحادثة قائلة "لم أقل ذلك.. ولا يمكنني معارضة ما تنوي فعله مهما كان جامحاً.."

ثم نهضت قائلة "لا بد أنك متعبٌ بعد تلك الرحلة الطويلة.. هيرود أمر بتجهيز أفخر أجنحة الضيوف لك، فأرجو أن تنال قسطاً وافياً من الراحة قبل أن نعاود حديثنا هذا وتبادل آخر أخبار تلك الحرب.."

لم يعارض سابار هذه المرة وهو ينهض بدوره، ثم سمع هايانا تقول بابتسامة "سمعت أن معك مرافقين.. لكن مما تناهى لعلمي لا يبدو أحدهم كحرس لك أو جنود من جنود المملكة.. فمن هم؟"

أجاب سابار "هم مجموعة ساعدتني كثيراً عندما كانت طائرات مملكة الضياء تلاحقني بغية قتلي.."

ثم أضاف بعد لحظة صمت "أتيت بهم معي من أرض الهوام.."

توقفت هايانا صامتة بشيء من الصدمة الواضحة.. لكن سابار أسرع ليقول "لكنهم جميعاً من العالم السامي.. فبعضهم سقط بسبب الهجوم الذي حدث لقانار، وبعضهم الآخر كان ينتمي لمملكة الضياء وتمت التضحية بهم كقرابين لآلهتهم الشمس.."

تساءلت هايانا بدهشة "ما الصدف التي مكّنت كل هذا العدد من النجاة من السقوط لأرض الهوام؟.."

ثم استعادت ابتسامتها وهي تضع ذراعها على كتفه وتسير معه مضيفة "لا بد أن حكايتهم مثيرة.. وأظنني سأستمتع بها كثيراً.."

سمعت هيرود من خلفها يقول بهدوء "مولاتي.. أرجو أن تلتزمي ببعض اللباقة في التصرف مع ضيفنا ومراعاة منصبك ومنصب ضيفنا المحترم.."

أدركت هايانا أنه يعني سيرها مع الأمير واضعة ذراعها على كتفه بكل أريحية، فلوّحت بيدها الأخرى قائلة "أوه يا هيرود.. كفاك غيرة.. أنت تحرجني أمام ضيفي.."

وسارت برفقة الأمير سابار للقاء بقية الوفد الغريب الذي حضر معه من أرض الهوام، دون أن يتخلّف هيرود عن اللحاق بهما بصمت ودون تعليق..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما عاد الأمير سابار للقاعة حيث انتظره البقية بنفاذ صبر، لم يتوقع أحدهم رؤية الملكة هايانا برفقته.. دخلت الملكة بهيئتها غير المعتادة وصخبها الواضح وهي ترمق المجموعة المتنافرة قائلة بابتسامة "مرحباً بكم في قصري.. سمعت أنكم قد عاونتم الأمير سابار في الوصول لمملكتي.. وأنا شاكرة لكم ذلك.. أصدقاء ضيفي هم ضيوفي، وستحلّون في هذا القصر ما طاب لكم البقاء.."

سارت أمامهم تتأملهم وهي تردد جملتها تلك، حتى وقفت أمام رادال تتأمله بحاجبين مرتفعين، قبل أن تقول "من النادر أن أرى رجلاً يفوقني طولاً.. أأنت من مملكة الغمام أم مملكة الضياء؟"

أجاب رادال "من مملكة الضياء.."

فقالت بإعجاب "لم أتوقع قط أن أرى شخصاً من مملكة الضياء بهيئتك هذه.. عادة رجال تلك المملكة شاحبوا البشرة بملامح أقل حدة مما أنت عليه.. أنت حالة فريدة كما يبدو.."

ثم مالت عليه هامسة "أودّ إطراءك أكثر، لكن كما ترى، هيرود زوجي خلفي وهو شديد الغيرة لذا لا يمكنني أن أسترسل في الحديث معك أكثر.."

وتابعت سيرها فيما نظر سابار بتعجب جهة هيرود الذي لم يُظهر اهتماماً بتصرفات الملكة الأقرب للصبيانية، ولم يعبأ بمشاغبتها له أمام الآخرين.. كتم سابار ابتسامته لئلا يسيء لمضيفته، وهو يشعر أن الملكة تتمنى لو يُظهر هيرود غيرته عليها فعلاً بدلاً من تصرفاته الحيادية المعتادة كما يبدو..

تقدم سابار من رفاقه قائلاً بعد أن أنهت الملكة تفحصها لوجوههم بفضول واضح "الملكة هايانا قد وافقت على استضافتنا في قصرها، ووافقت على لجوئنا إليها واعدة بحمايتنا حتى نقرر المغادرة.."

بدا الارتياح على وجوه أغلبهم لهذا الخبر، والملكة تقول "خذوا قسطاً من الراحة اليوم، وغداً سنتباحث بشأن هذه الحرب ونرى أفضل السبل لمعاونتكم فيما تسعون إليه.. لكن يمكنكم الاطمئنان أنني لن أخونكم مطلقاً مهما كانت الأسباب.."

لاحظت أن رادال تقدم خطوة عن الآخرين قائلاً "هل تسمحين لي بكلمة؟"

قالت هايانا ببساطة "نادني باسم هايانا.. وأنت؟.. ما اسمك؟"

قال رادال "أنا رادال.. ولي عهد مملكة الضياء السابق، ووريث عرشها الحقيقي.. أنا شقيق سوريم الأكبر، والأحق بالجلوس على العرش منه.."

بهت ياسان بصدمة لم تقل عن صدمة الآخرين وهم يحدقون برادال لفترة طويلة.. صمتت جود دون تعليق، وقد توترت قليلاً لتسرّع رادال بالكشف عن حقيقته.. ماذا لو جابه غضب الآخرين بسبب الحرب التي أقامتها مملكته بالأساس؟..

صاحت هايانا في تلك اللحظة "أنت تمزح!.."

ابتسم رادال مجيباً "هذه كلمة مهذبة لوصفي بالكذب.. لكني لستُ كاذباً يا سيدتي.. ولو بحثتِ في تاريخ مملكة الضياء، فلابد أن تقرئي عن خبر اختيار الأمير رادال ولي عهد المملكة كقربانٍ للشمس.. حدث هذا عندما كنت في العاشرة من عمري، منذ ما يتجاوز عقدين من الزمان.."

نظرت هايانا تجاه هيرود بصدمة، فقال الأخير "سأبحث في هذا الأمر وأتأكد منه.. لكن كيف نتأكد من كونك هو فعلاً؟"

قال رادال بحزم "لا يهمني إثبات نفسي لكم.. من يجب أن أثبت نفسي وهويتي، وأحقيتي بالعرش، أمامه هم شعبي ومملكتي.."

ونظر لهايانا المذهولة قائلاً "أود أن أطلب عونك يا سيدتي للعودة لمملكة الضياء، حيث يمكنني أن أستعيد ما أستحقه.. وحيث يمكنني أن أجد حلاً جذرياً لهذه الحرب.."

كان الصياح هذه المرة صادراً من سيرا التي تقدمت منه وتشبثت به صائحة "محال.."

تجاهلها رادال بشكل تام، فيما نظرت الملكة هايانا جهة سابار لترى في وجهه علامات جهله واضحة بهذا الأمر.. دارت دورة قصيرة مطرقة وهي تفكر في الأمر ملياً، ثم قالت "هذا خبرٌ صدمني بشدة.. لذا لا يمكنني أن أطلق حكماً أخيراً على الأمر قبل أن أفكر فيه.."

قال رادال بهدوء "لا بأس.. لا أملك إلا انتظار حكمك بالطبع.."

نظرت له هايانا وتمعّنت ملياً في ملامحه وكأنها تبحث فيها عن شبهٍ بسوريم، ثم تنهدت وقالت "لا بأس.. سنلتقي غداً لنتباحث في كل هذه الأمور.. أتمنى لكم ليلة سعيدة.."

انحنى لها سابار باحترام وتبعه قاهين وياسان في ذلك، فيما وقف البقية يتبادلون النظرات.. فغادرت هايانا وهي تلقي بأوامرها لهيرود الذي تبعها كعادته.. وفور رحيلهما، التقت نظرات البقية عند رادال الذي بادلهم النظر بابتسامة قائلاً "ماذا؟.. هل صدمكم هذا الخبر؟"

قال بارا "بالطبع.. لمَ أخفيت عنا هذا الأمر طوال السنين الماضية؟"

هز رادال كتفيه مجيباً "وما الداعي لذكره ونحن على تلك الأرض؟.. الآن، يحق لي استعادة لقبي ومنصبي الذي سلب مني.. لذا....."

قاطعته سيرا قائلة برجاء "رادال.. انبذ هذه الفكرة من ذهنك.. فهي مستحيلة.. سيقتلونك فور أن يعرفوا ما تنوي فعله في شادين.. أتظن أن الملك سيسمح لك بالإعلان عن نفسك في تلك المدينة؟"

قال رادال بتصميم "لا يهمني كل ذلك.. ولا يهمني كل ما قد يعترضني في سبيل الوصول لهدفي هذا.."

نظرت سيرا لبارا قائلة "أقنعه بحماقة فكرته يا بارا.."

لكن بارا نظر لرادال قائلاً "لا أدري.. ألن يكون هذا حلاً ملائماً لمشاكلنا كلها؟"

وجمت سيرا لقوله وهي ترى بارا يخالفها في كل ما تطلبه.. وهذا ما دأب على فعله منذ صغرهما، وما جعل علاقتها به تتذبذب بين شد وجذب.. بينما قال بارا وهو يتقدم خطوة من رادال "لا أدري نتيجة قراراتك هذه، ولا مغامرتك التي ليست أقل جنوناً من كل ما فعلناه سابقاً.. لكني لا أستطيع تجاهلها هذه المرة.. لو كنت بحاجة لي، فلن أتردد في شدّ إزرك بكل ما يمكنني، وسأسلك هذا الطريق معك للنهاية.."

قال رادال ببسمة تعجب "هذا غريبٌ منك أنت بالذات يا بارا.."

علق بارا قائلاً "لكن لي شرط واحد، أن تقوم بإلغاء معبد الشمس ومعاقبة الكهنة على ما ارتكبوه لعقود طوال في حق الصبية.."

قال رادال بثقة "لستَ بحاجة لهذا الشرط.. أظننت أنني سأغفر لأولئك الكهنة الذين ارتكبوا تلك الجرائم بحقي وحق كل صبي وفتاة قضى نحبه تحقيقاً لمعتقداتهم البالية؟.."

ثم ربت على كتف بارا مضيفاً "لكني سعيدٌ بعرضك هذا يا بارا.. للمرة الأولى يعجبني تصرفٌ منك.."

لم يعلق بارا على ما قاله، وإن فرك أنفه بأصابعه في حركة بدت لجود كلمحة سرور لما قاله رادال في حقه..

وفي الآن ذاته، قال الأمير سابار "أنا سأبقى هنا وأحاول الاتصال بالمدن في مملكة الغمام طلباً لمساندة فلول

الجيش الذي تفرق في البلاد.. لا بد أن الكثير منهم صامتٌ بانتظار من يقودهم.. ولا بد أن يتبعوني وينضمّوا إليّ لنرد على أعدائنا بالرد الملائم.."

تبادلت جود مع ياسان النظرات الصامتة، والتي لم تفُت رادال.. كانت جود ولا زالت رافضة مصاحبة البقية في أي قرارٍ يتخذونه، أو الركون للأمن الذي توفّره لهم الملكة هايانا في عاصمة مُلكها ساقا.. كانت تريد العودة لقانار ورؤية ما حل بها.. وربما الانضمام لفلول الجيش الذي لا يزال أفراده يحاولون مقاومة العدوان كما تثق بذلك تمام الثقة.. وياسان لا يقل عنها في إصراره على العودة.. فهي تدرك قلقه البالغ على أمه التي قاربت الخمسين، والتي لا يظن أنها قادرة على الهرب بأي صورة كانت من مثل ذلك الهجوم.. وكذلك شقيقته الصغرى التي لم تتجاوز الخامسة عشر من عمرها بكثير، والتي تعتمد عليه اعتماداً كلياً بصفته الرجل الوحيد في حياتها وحياة أمهما والذي يمكنهما الاعتماد عليه.. ترى، ما الذي جرى لهما في الأيام الماضية ووسط ذلك العدوان القاسي؟.. لابد أن ياسان يعاني الأمرّين بتفكيره في عائلته البعيدة، وإن كان يكتم ذلك بنجاحٍ كبير عن أعين البقية إلا عن عيني جود التي تحفظ خلجاته كلها..

ولما حانت من جود نظرة تجاه رادال، لاحظت الاعتراض الصارخ في عينيه للاتفاق الصامت الذي جرى بينها وبين ياسان.. لا يبدو أنه راضٍ عن عودتهما لمملكة الغمام، ولا تعلم سبب ذلك حقاً.. لا شيء يربطها برادال، ولا تملك أدنى فكرة عن سبب رفضه الواضح في عينيه، رغم أنه لم يتمكن من التصريح به صراحة أمام الآخرين كما يبدو..

كل ما تبغيه جود في الوقت الحالي أن تعود لقانار.. أن تعود لترى ما حلّ بوطنها بعد قاث.. وأن تبحث بنفسها عن ذلك الخائن الذي ارتضى خيانة وطنه وقتل قائده دون أن يرف له جفن أو يساوره الندم على مئات الأرواح التي سُلبت بعد روح قاث..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الثاني)
مملكة القمة العالية : سبيل العودة

في ليلتهم الأولى في عاصمة المملكة، ساقا، سارت جود خلف إحدى الوصيفات التي قادتها للجناح الذي خصص لكل ضيف منهم.. كانت فكرة أخذ قسط من الراحة على فراش وثير تلغي أي تفكيرٍ آخر، لكن راحتها تلك لم تطُل مع صدمتها برؤية سيرا تشاركها ذلك الجناح.. لم يكن لجود أي طاقة للجدال أو مسايرة سيرا في شجاراتها، فتجاهلتها عامدة وهي تقبل اقتراح الوصيفة بأخذ حمامٍ رائق.. كانت بالفعل تشعر أن رائحة جسدها قد أصبحت تخنقها، وأنها تتوق لنبذ هذه الملابس التي لم تعرفها غيرها لأيامٍ عديدة.. رغم أنها رفضت رفضاً تاماً ارتداء الملابس الرقيقة التي جلبتها لها الوصيفة مكتفية بقميص نومٍ قطني طويل، وعشاءٍ خفيف قبل أن تندسّ في الفراش مندهشة من ليونته ورائحته العطرة، وهو ما يخالف الفراش الذي استخدمته في قيادة الجيش طوال سني عمرها، ويخالف الأريكة التي نامت عليها ليالي طويلة في كوخ التوأمين..

لم تدرك جود مقدار التعب الذي تشعر به إلا عندما استيقظت صباحاً بعد ليلة طويلة لم تنتبه فيها من نومها العميق ولو للحظة.. تلفتت حولها، ملاحظة سيرا التي نامت على السرير الآخر في الغرفة الواسعة التي احتلت أغلب مساحة ذلك الجناح.. ثم نهضت من سريرها لتغسل وجهها بسرعة وتستبدل قميصها بالملابس التي طلبتها من الوصيفة في الليلة الماضية.. رغم اعتراض الوصيفة على ما طلبته منها جود، لكنها لم تتقاعس عن توفير الملابس التي لا تتجاوز بنطالاً أسوداً وقميصاً أبيضاً بكمين طويلين.. ورغم ذلك، وضعت قربها بعض الملابس التي تليق بأميرة مرفهة بلون الكهرمان وشرائط سوداء تتخلل صدريته وكمّيه الواسعين كما يُفترض بأي امرأة أن ترتدي في هذا القصر..

لم تعبأ جود لأمر تلك الملابس ولم تحاول حتى تجربتها وهي ترتدي القميص والبنطال وتغادر دون إبطاء بحثاً عن بقية رفاقها لمعرفة آخر أخبار قانار ومملكة الغمام.. ولم تدرِ أن رادال لم ينتوِ تركها طويلاً قبل أن يحدثها في الأمر الذي أثار ضيقه في الليلة الماضية.. إذ وجدته جود أمامها فور مغادرتها الجناح وقد سدّ الطريق عليها بشكل منعها من التظاهر بعدم رؤيته.. وقفت أمامه بتساؤل وتعجب، فيما وقف رادال

صامتاً للحظة وهو يشدّ قبضة يده اليمنى ويرخيها لبعض الوقت.. كانت تدرك أنه يكرر تلك الحركة عندما ينشغل تفكيره بأمر يثير اهتمامه وحيرته، فالتزمت الصمت بدورها بانتظار أن يفصح عما جاء به إليها.. لاحظت أنه أفضل حالاً مما بدا عليه سابقاً، بهيئة نظيفة ولباس مختلف عما يرتديه عادة، وإن لم تملك جود أن تتساءل من أين جلبوا له لباساً يناسب مقاسه وطوله..

وبعد صمت قصير، رفع بصره إليها ونظر في عينيها بشكل لم يدع لها مجالاً للهرب من عينيه.. وقال بتساؤل اختلط بحزم يؤكد به الإجابة قبل أن تتفوه بها "أنت ستكونين معي؟.."

لم يكن هذا سؤالاً حقيقياً.. نظرت له بصمت ودهشة من السؤال ومن الأسلوب الغريب، ففسرّ صمتها على أنه تردد أو رفض من جانبها، فتقدم خطوة وهو يقول بتأكيد " أنت ستكونين معي.. لا يمكنك التنصل من هذا الأمر.. ستذهبين معي، وهذا هو رأيي الفاصل.."

استاءت من أسلوبه في الحديث، فرفعت وجهها له قائلة بصرامة "ومن تكون أنت لتأمرني؟.. ألا ترى أنك تتجاوز حدودك هذه المرة؟.."

قطب بشدة وهو يتقدم دون أن تحاول هي التراجع أمامه، وقال باستياء "حدودي؟.. أنا أفكر بصالحك وبما يحميك، وأنت تعترضين لأني أتدخل بأمورك؟.."

قالت بحزم "لأني لا أحب أن تظنني ضعيفة.. لا أحب أن تسيرّني كيفما تشاء.. أنا أعرف أين هي مصالحي وأستطيع حماية نفسي بنفسي.. لقد وصلنا للعالم السامي كما كان الاتفاق بيننا سابقاً.. فما الذي يجعلني أنصاع لرغباتك دون سببٍ مفهوم؟.."

لم يكن اعتراض جود جدياً هذه المرة.. تمنّت لو يدفعه تساؤلها هذا لطرح أسباب اعتراضه صراحة أمامها.. لو يفصح عن دخيلة نفسه ولو لمرة واحدة فقط.. لكن رادال تجاوز عن أي توضيح وهو يقبض على ذراعها ويقول بغيظ "لكني لن أسمح لك بذلك.. أنت ستكونين معي منذ الغد.. وهذا أمرٌ نهائي.."

جابهت جود عينيه بصمت وتحدٍّ واضح، وهذا غاظ رادال أكثر فأكثر.. حتى سمعا في تلك اللحظة صوتاً من خلفهما يتساءل "رادال؟.. ما الذي تفعله؟!"

بدا الاستنكار في صوت سيرا واضحاً وهي تخرج من الجناح بدورها وتقترب منهما بانزعاج كبير للمنظر الماثل أمامها.. لكن رادال لم يفلت جود وهو يهمس لها بتأكيد "لم يوجد قط من يخالفني الرأي ويفلت

بذلك.. أفهمتِ يا جود؟"

وأفلتها مستديراً ليغادر بخطوات واسعة متجاهلاً سيرا التي رمقته باستنكار ونظرت تجاه جود ببغض قبل أن تبادر بالرحيل خلفه بدورها.. أما جود فقد عادت لها أنفاسها التي كتمتها لوهلة وهي تسمع تحذيره ذاك وترىٰ عيناه الحادتان.. ما الذي يبغيه منها؟.. إنها لا تفهم هذا الرجل علىٰ الإطلاق..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم تكن بضع ساعات قد مضت من ذلك النهار، ورغم ذلك وجدت جود نفسها ورفاقها يتناولون إفطارهم لوحدهم في إحدىٰ قاعات الطعام التي تضمّ طاولة خشبية مزخرفة بأدق الزخارف وحولها عشرون كرسياً علىٰ الأقل منضّدة بقماش مخملي ناعم فاتح اللون ومطرز بالخيوط الذهبية الدقيقة.. وقد وقف القيّم علىٰ أمور الطعام منحنياً لهم قائلاً "الملكة هايانا ترسل لكم تحياتها، وتستميحكم عذراً في عدم مشاركتكم الفطور.. الملكة معتادة علىٰ تناول فطورها قبل شروق الشمس، لانشغالها بأعمال المملكة باقي ساعات الصباح.. لكنها وعدت بملاقاتكم فور تفرّغها من أعمالها العديدة.."

انشغلت المجموعة بتناول الفطور دون اهتمام بما يقوله، بينما قال الأمير سابار "نحن شاكرون لسيادتها الوقت الذي تمنحه لنا.."

انحنىٰ القيّم مرة أخرىٰ وابتعد خطوات للخلف بانتظار أي أوامر منهم، فيما قال رادال بشيء من الهزء "أيجب أن تكون بهذه الرسمية في تعاملاتك دائماً؟"

أجاب سابار وهو يفتح المنديل المطويّ أمامه بعناية " هذا ما تحتّمه أصول اللباقة، وما تعلمناه منذ الصغر.."

ثم نظر لرادال بابتسامة مضيفاً "أتوق لرؤيتك وأنت تجلس علىٰ عرش مملكة الضياء.. ألن تكون مجبراً علىٰ معاملة الآخرين وفق القواعد والضوابط المطلوبة؟"

قال رادال بإصرار "مطلقاً.. لا يهمني ما يطلبه مني الآخرون.. عندما أجلس علىٰ العرش، سأقوم بعملي كما أريد وكما يحلو لي.. أليس ذلك هو الأهم؟"

هز سابار كتفيه دون تعليق، وانشغل بتذوق طعامه وتناوله بهدوء.. فيما عبثت جود بمحتويات الصحن أمامها دون أن تجد لديها أي شهية لتناول أي شيء.. كان تصرف رادال معها هذا الصباح يحيرها.. لماذا يحاول تسييرها كيف يشاء دون أن يشرح لها سبب ذلك؟.. لو أنه أخبرها بالسبب الحقيقي لتصرفاته تلك، لربما تقبلتها وتفاعلت معها.. أما أسلوبه الصارم الذي يعاملها به وكأنها تابعة له، لا تملك حق رفض ما يقرره عليها، فهو يغيظها بشكل كبير..

نهضت أخيراً عازفة عن إكمال الطعام، تلاحقها عينا رادال، وتتبعت إشارة القيّم الذي قادها لغرفة جانبية بها بعض الأرائك الوثيرة وعلى الطاولة إبريق شاي تفوح رائحته العطرة في المكان، فيما النوافذ الواسعة مفتوحة لتسمح لبعض النسمات الهادئة بتلطيف الغرفة.. وقفت جود قرب الشرفة تتأمل المدينة، متسائلة في سرها عن مصدر تلك النسمة اللطيفة في بيئة محكمة كهذه المدينة، لكنها لم تتعجب لذلك فلابد أن من بنى المدينة قد اعتنى بتوفير كل ما يساعد على تهيئتها كأي مدينة عادية دون أن يشعر سكانها بأنهم يعيشون تحت قبة زجاجية..

سمعت باب الغرفة يفتح، فاستدارت لترى هيرود يدخل وهو يحني رأسه لها باحترام لم تفهم سببه.. هي ضيفة الملكة، لكنها لا تملك مكانة تجعلها تستحق هذه المعاملة.. لكنها لم تتساءل عن ذلك وهي تخمّن أن هيرود وبقية العاملين في القصر معتادون على هذا الأسلوب لمعاملة الضيوف ونزلاء القصر..

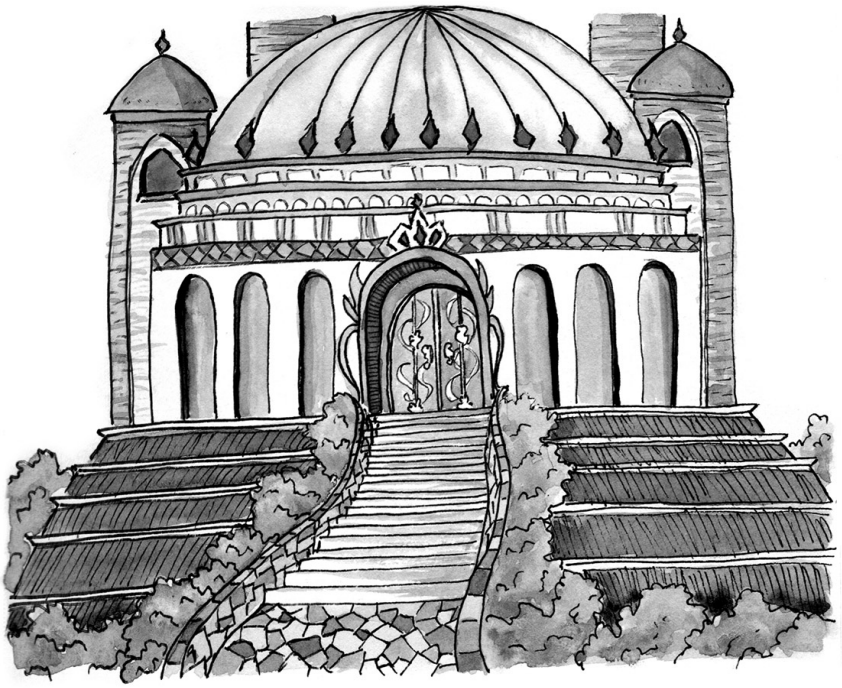

رأت هيرود يتناول الإبريق ويسكب محتوياته في كوبٍ أنيق ذي زهور مرسومة يدوياً على جانبيه وبقبضة مذهبة.. فناولها الكوب قائلاً "أرجو أن تكوني قد حصلت على قسطٍ وافر من الراحة ليلة البارحة.."

تقبلت جود منه الكوب مجيبة "بلى.. الجناح كان أكثر رفاهية مما يتقبله جسدي في المعتاد.."

وجلست جانباً قائلة "هيرود.. هلا أخبرتني بآخر أخبار قانار؟.. ما الذي جرى لها ولسكانها؟.. وما الذي حلّ بالجيش؟.. هل أبيد عن بكرة أبيه؟.."

ورغم لهفتها لمعرفة الجواب، لكنها تخشاه بالقدر ذاته.. لاحظت اقتراب البقية لينضمّوا إليهما بعد أن فرغوا من إفطارهم، فيما قال هيرود وهو يحني رأسه باحترام للبقية وللأمير سابار بالذات "لهذا السبب أتيت هنا نيابة عن الملكة.. فهي لن تقدر على الانضمام إليكم إلا في وقتٍ لاحق من النهار.. يمكنكم طرح الأسئلة التي تشاؤون، وسأجيب عليها بقدر علمي.."

ثم سرد عليهم كافة الأحداث التي جرت في الشهر الماضي لمملكة الغمام.. وهو لم يكن يزيد على ما قاله قاهين سابقاً لهم إلا بقليل.. مثل هدم معابد إينار وفرض عبادة الشمس على سكان المملكة.. وفرض ضريبة عليهم لتعويض خسائر الحرب، وهذا أكثر خبرٍ كان مدعاةً لسخرية رادال رغم وجوم الآخرين..

أخيراً، تساءل سابار "ألا تملك أي أخبارٍ أخرى عن الجيش في قانار أو المدن الأخرى من المملكة؟.. هل تشتّت أفراده في المدن أم أنهم يحاولون المقاومة بشكل أو بآخر؟"

صمت هيرود للحظة موازناً ما يقوله، ثم تساءل "هل علمتم بما جرى لميركان؟"

تبادلوا نظرات التساؤل، ثم انبرى سابار قائلاً "سمعت أنها قاومت جيش الغزاة، وهزمت أمامه.. فدخل الجيش تلك المدينة ودمرها دماراً تاماً.."

هز هيرود رأسه إيجاباً وقال "هذا ما حدث.. عندما حاول والي ميركان التصدي للجيش المتوجه لقانار، أملاً في أن يصدّه عن إحاطة العاصمة وإسقاطها وبالتالي إسقاط المملكة كاملة، فإن مبادرته تلك فشلت لأسباب لا يسعني إحصاؤها الآن.. ولم يغفر لهم جيش مملكة الضياء محاولتهم التصدي له، إذ دخل المدينة وأعمل فيها القتل والسلب والنهب عدة أيام، بالإضافة لهجومٍ شامل من قاذفات طائراتهم، وتركها أطلالاً فرّ منها من بقي من أهلها حياً بعد ذلك الهجوم.."

قالت جود باستياء، لهذا الخبر ولما ينطوي عليه من تحذير واضح لهم "أتخبرنا بهذا لكي تبيّن لنا عدم جدوى

المقاومة مهما كانت نوعها؟.."

أجاب هيرود "ليس هذا ما عنيته.. مما ورد إلينا، من آخر أخبار المملكة، أن فرقاً من الثوار قد تمركزوا في أطلال ميركان المهجورة.. هم خليطٌ من بعض الجنود الهاربين وبعض الرجال الذين يبحثون عن وسيلة لمقاومة ذلك الاعتداء.."

استمعت له جود باهتمام واضح ولهفة كبيرة.. هذا طبيعي.. من الطبيعي أن يلجأ الجنود الذين فقدوا قياداتهم للتجمع ولملمة صفوفهم بانتظار الفرصة الملائمة للرد على هذا العدوان الظالم.. أضاف هيرود "لا نعلم حتى الآن إن كانوا يملكون شخصاً أو قيادة تقودهم، أو إن كانوا مجرد فرقاً مشتتة دون تنظيم كبير.. ما نعلمه أنهم يحاولون الحفاظ على سريّة تجمعهم ذاك عن أعين العدو.. ولولا الأخبار التي نقلها بعض سكان المدينة الذين لجؤوا لأراضينا طالبين الحماية هرباً من عدوان مملكة الضياء، لما علمنا بأمرهم مطلقاً.."

صمت سابار مطرقاً بتفكير.. هذا حلٌ يلائمه كثيراً.. يمكنه محاولة الاتصال بهذه الجماعات، وإنشاء قوة منظمة للمقاومة وطرد الغزاة.. لكن كيف له الاتصال بهم دون أن يفضح أمرهم إن اعترض الغزاة مثل ذلك الاتصال؟..

سمع قاهين يقول له باهتمام "أليس ذلك مناسباً لنا يا مولاي؟.. هذه هي البداية، ولو أحسنّا معالجة الوضع، فسنتمكن من تأليب الشعب على المعتدي وضمّ الرجال الذين يطمحون لتحرير بلادهم.. وتكوين جيشٍ ملائم لطرد جيش مملكة الضياء.."

قال رادال بغير اقتناع " هذه خطة مثالية أكثر من اللازم.. أتظن أن بضع رجال غير مدربين يمكنهم الخلاص من جيش كامل؟"

قال قاهين باعتراض "ولِمَ اليأس قبل المحاولة؟.. يمكن لفئة قليلة أن تهزم جيشاً كبيراً ببعض التخطيط والإصرار.."

علق سابار بحيرة "أتمنى التواصل معهم، لكن رحيلي إليهم ينطوي على مخاطر جمّة في الوقت الحالي.. واستخدام أجهزة البث والاتصال قد يعرّضنا لتنصت العدو فيكشف خططنا قبل أن نبدأ.."

انبرت جود قائلة "يمكنني حل هذا الإشكال بسهولة أيها الأمير.."

التقت الأبصار عندها وهي تضيف "أنا وياسان سنذهب لميركان.. وبذا، يمكنني أن أحمل رسالتك إليهم بصورة أكثر أمناً.."

تلاقت الأعين عندهما بدهشة، ولم يكن لجود ألا تلاحظ نظرات رادال الحارقة نحوها وهي تعلم أن ما قالته سيغضبه بشدة.. لكنها لم تتراجع حتى مع اعتراض سابار الذي قال "لا يمكنني تعريضكم للخطر لتحقيق هذه الغاية.."

قالت جود مقطبة " هذا لن يردعنا من العودة.. لا يمكننا ألا نقدم كل نفيسٍ وغالٍ لتحرير الوطن، وانضمامنا للثوار في ميركان هو الخيار الطبيعي بالنسبة لنا.."

ونظرت لياسان الصامت مضيفة "كما أن ياسان يملك عائلة تركها في أسوأ الأوقات.. ولا يمكننا أن نمنعه من العودة والاطمئنان عليها.."

تقدم رادال من جود متجاوزاً الآخرين، وأمسك ذراعها بقوة متسائلاً بصدمة " هل تنوين العودة لقانار؟.."

هزت جود رأسها إيجاباً وهي تزيح يده من ذراعها، فقال رادال باعتراض حانق "هذا جنون.. هل تريدين قتل نفسك؟.. لم يكن هذا ما اتفقنا عليه.."

قالت جود مقطبة "اتفقنا عليه؟.. تقصد ما فرضته عليّ.. وأنا لا يمكن أن أوافق على هذا الأمر نهائياً.."

قال رادال بحنق "هذا لا يلغي أن فكرتك هذه عسيرة التحقيق.. ما الذي يمكنك تحقيقه في قانار حيث الجيوش الحاشدة على أهبة الاستعداد لكل من يحاول مقاومتها؟.. تسللكم لمملكة الغمام لن يمر مرور الكرام.. فما الداعي لهذه المخاطرة؟!.."

ونظر تجاه ياسان مضيفاً "الأفضل أن تأتوا معي وتعينوني على استعادة العرش من قبضة سوريم.. عندها، سيكون أول ما أفعله هو سحب الجيوش من مملكة الغمام.. ألا يكفي هذا؟.."

قال ياسان "لازلت قلقاً على عائلتي.. ولن أطيق الانتظار دون الاطمئنان عليها.."

أضافت جود "لا أظن قرارك هذا أكثر سهولة وأمناً مما ننوي فعله.. مع هذه الحرب، لن يكون التسلل لمملكة الضياء أسهل، وحصولك على عرش المملكة أصعب بمراحل مما تتوقع، إن لم يكن مستحيلاً.."

ونظرت إلى سابار مضيفة "سنأخذ الطائرة التي أتينا بها ونحاول التسلل للمملكة.. إن سمحت لنا بهذا أيها

الأمير.."

هز الأمير رأسه موافقاً، بينما قال رادال محتداً "ماذا عني أنا؟.."

قالت جود "يمكن للملكة هايانا أن تزودك بطائرة أخرى للوصول لشادين.. لا أظن دخول طائرة تابعة لمملكتنا إلى مملكة الضياء سيكون آمناً دون أن يلفت الأنظار إليك.."

لم يكن هذا ما عناه رادال بتساؤله.. كان حانقاً لتجاهلها إياه، ولرفضها طلبه رغم إصراره..

سمعوا صوت الملكة هايانا من خلفهم تقول "للأسف لا أظن ذلك ممكناً.."

التفتوا إليها ليجدوها تقترب منهم، بوجه أكثر انتعاشاً من اليوم السابق رغم أعمالها التي تبدأ في وقت مبكر من كل نهار.. فتساءل سابار "ما الذي تعنينه يا مولاتي؟.."

نظرت لرادال مجيبة "لا يمكنني توفير أي طائرة لأيكم.. تسلل طائرة تحمل شعار مملكتي لإ حدى المملكتين يعني أنني أعادي مملكة الضياء، وهذا قد يشعل الحرب بيننا في أسوأ الأوقات الممكنة.. لذا، أستميحكم عذراً عن استجابة هذا الطلب.."

قالت جود باعتراض "وهل تخشى مولاتي من غضب الملك سوريم بعد كل ما فعله؟.. ألا تظنين أن سوريم بعد أن يحكم قبضته على مملكتنا سيوجه جيوشه نحو الممالك الباقية؟.."

قالت هايانا وهي تجلس جانباً "لا أستبعد هذا الأمر.. لكني لا أريد الدخول في الحرب قبل الاستعداد لها بصورة محكمة.. وهذا ما أحاول فعله منذ سمعت بالهجوم على قانار لأول مرة.."

لم يكن منطقها عسيراً على أذهانهم، بل يحتكم للواقع بعيداً عن الخيالات والمثالية التي قد يسعى إليها بعضهم.. وبعيداً عن قرار الملكة، بقي أمر الطائرة الوحيدة التي يمكنها تحقيق خطط هذه المجموعة التي تباينت آراؤها بشكل كلي..

نظرت جود لياسان بحيرة، فتسللهم لمملكة الغمام ووصولهم لمير كان أقرب للمستحيل بدون تلك الطائرة.. ثم سمعت رادال يقول لها بابتسامة عصبية "إذن أنتما مجبران على مرافقتنا رغم كل شيء.."

أسرعت جود تقول "محال.."

فقال رادال مقطباً "سنرى بشأن ذلك.."

لم تفهم جود إصرار رادال على أن يكونا معه في طريقه نحو استعادة العرش.. كيف يمكن لجود، أو ياسان،

أو غيرهما معاونته في هذا الأمر؟.. ولما نظرت جود تجاه ياسان ورأت رفضه الواضح لتلك الفكرة، احتارت بشدة في الطريقة المثلى لتحقيق طلبه وتهدئة قلقه الذي لن يهدأ قبل أن يلتقي بعائلته.. هي لا تملك عائلة، لا على هذه الأرض ولا في الأرض السفلى، لكنها تفهم قلقه وتفهم دوافعه.. لو أنها فقدت ياسان لأي سبب، لما كانت أقل قلقاً وخوفاً من المصير الذي قد يلاقيه بعيداً عنها.. والأمر ذاته دار بذهنها عدة مرات عن مصير دارو منذ غادروا العالم السامي.. لكن معرفتها بمصيره سيكون أصعب بمراحل، خصوصاً مع ذلك الهجوم الذي صبّ على قيادة الجيش والذي لم ينجُ منهم إلا قلة كما تناهى إليها من أخبار..

بعد أن انفضّ ذلك الاجتماع المصغر، أسرعت جود خلف رادال الذي غادر الغرفة بخطوات واسعة وعصبية ملحوظة.. وفور مناداتها له، وجدته يقف بضيق واضح لم تفهم له سبباً.. كانت حائرة من تقلباته الواضحة ومن مشاعره المبهمة، بينما هي واضحة منذ البدء، منذ أول يوم عرفته فيه، برغبتها العودة لقانار فور وصولها العالم السامي.. فما الذي تغيرّ ليغيظه هذا الأمر بهذه الصورة؟..

تساءلت فور أن وصلت إليه مقطبة "ما الأمر؟.. لمَ تغيرت معاملتك لي فور وصولنا للعالم السامي؟"

قال رادال بشيء من السخرية "وهل أنا ملزمٌ بك لأعاملك كما تحبين؟"

قالت بحيرة "لا.. لكن في الأيام الأخيرة التي سبقت عودتنا لهذا العالم كنت أكثر لطفاً ورقة.. أو فلنقل كنت أكثر تحضراً في التعامل معي مما أنت عليه الآن.."

نظر لها رادال بحنق وقال "آسفٌ لأنني همجي كفاية لألائم ذوقك.."

تنهدت جود وهي لا تدري كيف تتعامل معه، ثم قالت متجاوزة عن هذا الحوار العقيم "اسمع.. أنت تريد الطائرة، ونحن نريدها كذلك.. لمَ لا نصل لنقطة نتفق فيها دون أن نضطر للتصادم في كل حوارٍ يخص هذا الأمر؟"

تساءل رادال بضيق "وكيف نصل لاتفاق وأنت ترفضين ما أطرحه أمامك رفضاً تاماً؟.. أليس من الأنسب لنا حلّ المشكلة من جذورها؟.. مقاومة شخص أو أشخاصٍ معدودين لجيش كامل التسليح هو أمرٌ مستحيل.. لكن استبدال ملكٍ خائن بالملك الشرعي للبلاد سيحل جميع المشاكل بغمضة عين.."

قالت جود بسخرية لم تملكها "وتظن أن المملكة سترحب بك وتلهب أيديها بالتصفيق فقط لأنك كنت

الملك الشرعي الذي غاب عن بلاده لعقود؟.."

وقبل أن يثور لهذا التعليق قالت زافرة "اسمع.. لديّ حلٌ يناسب جميع الأطراف.. فلنذهب معاً إلى ميركان.. يمكننا أن نفترق عنكم بعد تجاوز حدود مملكتنا.. ومن هناك، يمكنك التسلل لحدود مملكة الضياء بالطائرة ومواصلة طريقك لشادين.."

نظر لها بغيظ قائلاً "هل أنت مدركة لما تقولينه؟.. أتظنين أنني، أو أياً من التوأمين، قادرين على تطيير تلك الطائرة؟"

بهتت جود للحظة، ثم غمغمت ناظرة بعيداً "هذا ما لم أفكر به قط.."

وعادت ببصرها لرادال مضيفة "ألهذا السبب أنت مصرٌّ على ذهابنا معك؟"

صمت للحظة، ثم قال بعناد "هذا واحدٌ من الأسباب فقط.."

ثم أضاف وعيناه ترمقانها بحدة "ماذا عنك؟.. ما الذي ستفعلينه بعد وصولك ميركان؟.. هل تنوين الذهاب لقانار حقاً مع ياسان؟"

أجابت جود مقطبة " هل سترفض العودة لشادين لو طلبتُ منك ذلك لأي سبب؟.. ألا يمكنك الإحساس بما يشعر به ياسان في هذه اللحظات؟.."

ظل صامتاً دون أن يبدو على ملامحه أي اقتناع، فقالت أخيراً "لا يمكنني أن أمنعك من استخدام تلك الطائرة، لكن ألا يمكنك معاونتنا ولو قليلاً؟.. لو رفضت، فسنضطر للرحيل على الأقدام، وهذا أكثر خطورة وصعوبة من استخدام الطائرة بمراحل.. خاصة مع سلسلة جبلية مهولة كهذه.."

صمت رادال مطرقاً برأسه، فأضافت "لا تجعل اختلافنا في هذا العالم ينسيك ما عايشناه معاً في العالم الآخر.. ولا تجعلني أبغض عنادك غير المفهوم هذا.."

رفع رادال بصره أخيراً إليها، ورغم أنها شاهدت فيها انفعالاته واضحة، لكنها بدت لها مبهمة بشكل كبير.. تنهد أخيراً وقال "يبدو ألا مفرّ أمامي من قبول ذلك.."

ابتسمت جود قائلة "أرجو ألا تندم على ذلك.. على الأقل، يمكننا أن نحقق أهدافنا دون أن يعطل أحدنا الآخر.."

لم يحاول النظر إليها ولقاء عينيها بعدها، بل استدار وغادر بصمت دون أن تجد جود سبباً للحاق به..

إن هي إلا أيامٌ قليلة ويفترقان، ولا يعلم أحدهما إن كان سيلتقي بالآخر بعدها أم لا..
لقاؤهما، وعلاقتهما، كانت أقصر مما تمنّت جود.. لكنها شاكرة للصدف التي ساقتها لرادال.. ومكّنتها من التعرف على رجلٍ لن تنساه بسهولة..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

تلك الليلة، آخر ليلة تقضيها هذه المجموعة في ساڤا قبل رحيلها لمملكة الغمام، جلس رادال متربعاً على فراشه في الجناح الذي شاركه مع بارا بصمت وتقطيبة ظاهره.. وفي الجانب الآخر من الجناح وقف بارا قائلاً بضيق "ما معنى هذا؟.. ما سبب رحيلنا لتلك المدينة ما دمنا نقدر على التوجه لشادين مباشرة؟"
قال رادال باقتضاب "أنا لا أعرف قيادة تلك الطائرة.. ومما يبدو لي فأنت لا تقدر على ذلك أيضاً.."
قال بارا متغاضياً عن تلميح رادال الهازئ "يمكننا أن نطلب من الملكة معاونتنا في هذا الأمر.. أن تمنحنا قائداً للطائرة ليس مثل أن تمنحنا طائرة كاملة.. ربما لن تعارض الأمر عندها.."
غمغم رادال "اطلب هذا منها بنفسك.."
احتج بارا "ما بك قد استسلمت بسهولة لإرادة أشخاصٍ آخرين؟.. لم أعهدك بهذه الصورة قط.. من يرى حماسك وإصرارك السابقين للعودة للعالم السامي لا يصدق أن يتهاوى كل هذا في أيامٍ قلائل.."
صمت رادال متغاضياً عن تذمر بارا وحيرته، وهو منشغلٌ بالأفكار التي تمور في عقله منذ بعض الوقت.. لا يلوم جود على دهشتها لتصرفاته الأخيرة، فهو أكثر منها دهشة بها.. لطالما أعجب بإرادة جود القوية، وإصرارها على المضيّ قدماً رغم العوائق التي تعترض طريقها.. فلماذا أصبح هذا الإصرار وتلك الإرادة مصدر ضيقٍ له الآن؟.. إنها لم تلمّح له ولو لمرة برغبتها الذهاب لشادين ورؤية الطريق الذي ينوي أن يسلكه لنهايته.. فلماذا يضيق بذلك حقاً؟.. هو بالفعل يدرك أنهما عندما يفترقان، ويسلك كلٌ منهما طريقه الخاص، فلن يتلاقيا بعدها مطلقاً.. هذا أمرٌ لا يختلف الرأي عليه خاصة مع الحرب القائمة بين البلدين.. العجيب أن تلك الفكرة أصبحت تصيبه بتوترٍ لا محدود وارتباك لا يفهم سببه ومغزاه..
يحاول في ساعات وحدته، وما أقلها، الغوص في نفسه والبحث عن سبب مقنع لكل هذا.. لكنه في كل مرة

يصطدم بجدارٍ سميك يعترض طريقه.. جدارٌ طابعه العناد، أو الكبرياء.. أياً كان المسمى، لكن النتيجة واحدة.. لم يسبق له أن اهتم لأمر امرأة، ولا يظن أن هذا سيحدث قط.. وهذا يتعارض بشدة مع ما يشعر به تجاه جود.. لمَ هي بالذات؟.. هذا سؤالٌ آخر لا يعرف له إجابة..

زفر أخيراً بضيق وهو لا يعلم إلى أين يوجّه أفكاره.. العرش.. جود.. وهو.. أيها يستحق التفكير فيه الآن وبعد الآن؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

تأملت جود المسدس في يدها والذي لم تحمل مثله منذ وقت طويل.. شعرت بشيء من الراحة والثقة لوجوده، فوضعته في جرابه المعلق على حزامها وتأكدت من وجود عدد من الحاويات المعبأة بالرصاص في جيوب الحزام.. تفحصت الخنجر المخبأ في جرابٍ خاص تحت إبطها تخفيه بذراعها اليمنى، والآخر الذي علقته في حزام حول فخذها، ثم ارتدت المعطف السميك الذي سيقيها برد هذه الجبال..

سمعت الملكة هايانا تعلق قائلة "لم أتوقع عند رؤيتك لأول مرة أنك تلك الفتاة المسماة بالأرضية.."

ابتسمت جود وهي تواجهها معلقة "أفضّل لقب بنت التراب.."

شعرت بغصّة في حلقها عند ذكرها لهذا اللقب، وأدركت أنها بالفعل لا تودّ أن تسمعه من أي شخص آخر، لكنها تجاوزت عن ذلك بسرعة وهي تسأل "هل كانت مولاتي ستعاملني بطريقة مختلفة مما لو كنت أحد سكان العالم السامي كالآخرين؟.."

قالت هايانا بانفعالاتها المعتادة "أتمزحين؟.. لطالما طلبت من قاث أن يرسلك إليّ كي أرى كيف يبدو سكان أرض الهوام.. لكنه كان دائم الاعتذار ولم يستجب لي قط.."

وربتت على ظهر جود بقوة مضيفة "لقد أحسن صنعاً بتبنّيك، ومما أراه فأنت أكثر تحضراً مما توقعت من سكان ذلك العالم.."

غمغمت جود واجمة "سكان أرض الهوام بشرٌ يا مولاتي.. ليسوا مجرد حيوانات كما قد يخيّل إليكم.."

ضحكت هايانا قائلة "بالطبع.. لكنها مجرد خرافة حملها سكان العالم السامي عنهم.. ولا يمكنك لومهم في

ذلك.."

ثم سارت برفقة جود حيث تجمع بقية رفاقها مضيفة "لو عدتِ يوماً لمملكتي، فعليك أن تأتي لزيارتي دون تردد.. أريد الاستمتاع بحكاياتك الغريبة التي لا أظن لها مثيل في هذا العالم.."

قالت جود بتهذيب "لا أملك أي حكايات غريبة يا مولاتي.. حياتي أبسط مما تتخيلينه بكثير.."

قالت هايانا بابتسامة "هل هذا رفضٌ مهذبٌ منك لزيارتي؟.. أنت تجرحينني بهذا الرفض.."

لم تدرِ جود ما يجب قوله في هذه اللحظة، فيما أولت هايانا اهتمامها للبقية قائلة "هل حصل كلٌ منكم على ما طلبه بالتحديد؟"

كان ياسان بدوره قد حصل على مسدس بالإضافة لبندقية علقها على ظهره، وخنجر مثل الذي تحمله جود.. أما رادال وسيرا وبارا، الذين يجهلون كيفية استخدام تلك الأسلحة، فإنهم اكتفوا ببعض الخناجر والسيوف، وحصل بارا على قوسٍ أكثر تطوراً من الذي اعتاد عليه وكنانةً ملأى بالسهام..

صفقت هايانا بيدها صفقة واحدة، جذبت انتباه الجميع، وقالت بصوتها العالي "أتمنى لكم رحلة موفقة وممتعة، ولا تنسوا ألا تذكروني بأي كلمة لو تمّ القبض عليكم بواسطة جند سوريم.."

لم يعلق أحدهم بكلمة، فيما استدرك هيرود قائلاً "مولاتي، ومملكتنا كاملة، تتمنى لكم التوفيق في رحلتكم الحساسة هذه.. ونرجو ألا تترددوا في العودة واللجوء إلينا إذا تعطلت خططكم لأي سبب.."

علقت هايانا بضجر "هل عليك أن تبدّل قولي في كل مرة؟.. هذا ما عنيته بالطبع.."

تقدم سابار خطوة قائلاً "للأسف، سينقطع اتصالنا بكم ولن نعلم ما سيجري لكم بعد مغادرتكم أرض المملكة.. لكني أتمنى أن تغفل عنكم أعين العدو حتى تصلوا ميركان سالمين.."

اقترب ياسان من الأمير سابار الذي مد يده له برسالة مختومة وموضوعة في وعاء معدني اسطواني يحفظها من أي ظروف قد تدمر محتواها.. حمل ياسان الرسالة قائلاً "سأتأكد من إيصالها للثوار الذين يناضلون المعتدي أملاً في عودتك، أو عودة من يقودهم للنصر على الغزاة.."

هز سابار رأسه راضياً، ثم قال "لكن حافظ على حياتك يا ياسان.. هذه المهمة التي أنتم بصددها لها بالغ الأهمية في مستقبل البلاد، لكن هذا لا يعني أن تبخس نفسك حقها وتتنازل عن حياتك لإيصالها.."

ابتسم ياسان شاكراً وقال "لن أفقد حياتي بسهولة.. عائلتي تنتظرني، وقد تخليت عنها لوقت طويل

بالفعل.."

تقدمت جود بدورها للأمير سابار وأدّت له التحية الرسمية، قبل أن تبادل قاهين التحية وهي تقول له "كن على ثقة أن دورك لا يقل أهمية عن دور أي فرد منا.. عليك حماية الأمير سابار، والتأكد أن أيدي الخونة أو مملكة الضياء لن تصل إليه.."

هز قاهين رأسه متمنياً لهم النجاح في مهمتهم هذه.. فاستدارت جود إلى رادال ورفيقيه قائلة "إذن، هل ننطلق؟"

لم يعارض أحدهم وهم يتبعونها ويتبعون ياسان الذي بادر بدخول الطائرة التي جاؤوا بها من أرض الهوام.. كانت الطائرة بأفضل حال، بعد أن اعتنى بها المهندسون في ساڤا وقاموا بصيانتها بشكل تام تبعاً لأوامر هيرود.. وفور استقرار ياسان على كرسي القيادة، وجود قربه تتابع إعدادات المحرك وباقي الأجهزة الحساسة في لوحة التحكم.. ولصغر حجم غرفة القيادة وخلوها من أي كراسي إلا كرسي القائد ومعاونه، اضطر رادال والبقية البقاء في غرفة أخرى بعد أن أصرّ ياسان على استخدامهم أحزمة الأمان..

لم يكن من السهل شرح عمل الأحزمة تلك، فاضطرت جود لمعاونتهم على ربطها، ورغم تذمر سيرا فإنها علقت قائلة "هذه المنطقة غير معروفة لنا.. من الصعوبة بمكان التحليق فيها دون خطر، ودون تقلّبات فجائية في سيرنا.. لا نريد أي إصابات بينكم قبل أن نصل لهدفنا بالفعل.."

علق رادال مقطباً وهي تعاونه على ربط حزامه "الطيران بهذه الطائرة لن يكون أقل خطورة من استخدام الشاس.. ونحن نركبه دون سرج أو أحزمة مثل هذه.."

تنهدت جود لذلك الجدال الذي لا معنى له، وغمغمت "هذا أمرٌ مختلف.."

تراجعت بعد أن تأكدت أنهم بأمانٍ تام، ثم عادت لياسان لتعاونه على الإقلاع وتشرف بنفسها على مسار الرحلة كما حدده لهم أحد الخبراء التابعين لمطار ساڤا.. لم يكن الأمر بالسهولة كما خططوا لها، لكن لم يملكوا إلا المضيّ قدماً في هذا الطريق مهما كانت مخاطره..

أقلعت الطائرة بشيء من السلاسة، وسرعان ما ثبّتها ياسان في مسارها وهو يتجاوز جانباً من قمة جبل قريب، ويرتفع بسرعة وثبات ليناى بالطائرة عن أي اصطدام مفاجئ.. وخلال لحظات، كانت الطائرة مجرد نقطة سوداء في سماء العالم السامي الصافية..

راقبت هايانا رحيلهم بصمت من النافذة الواسعة للقاعة الملكية في مبنى المطار، ثم وضعت ذراعها على كتف هيرود القريب قائلة بابتسامة "أودّ لو أرحل بتلك البساطة كما فعلوا هم.. ألا تراودك بعض الأفكار عن الهرب من ساڤا واستكشاف جوانب العالم السامي التي لم نرها قط؟"

قال هيرود بهدوء "أرجو أن تكف مولاتي عن المزاح وتلتفت لأعمالها المتأخرة لهذا اليوم.. جدول أعمالك مزدحم بالفعل.."

دمدمت هايانا وهي تتراجع "يا لك من ممل.."

وقالت للأمير سابار الذي تعلق بصره بالطائرة "لا تقلق عليهم.. سيبقى هيرود على اتصال بهم حتى يغادروا حدودنا.. بعدها سينقطع الاتصال بيننا كي لا نلفت أنظار العدو إليهم قبل وصولهم لميركان.."

أكّد قاهين قائلاً "لابد أن يصلوا لميركان بأمان.. أنا واثق من قدرتهم على ذلك.."

هز سابار رأسه ببطء دون أن يتخلى عن قلقه.. ثم استدار وتبع الملكة وهيرود عائدين للقصر بصمت.. لم تكن الخطة التي بدت لهم سهلة ميسرّة على الورق بذات السهولة في الواقع.. وما قد يواجهه رفاقه الذين عرفهم لوقت وجيز أقوى مما يتوقعون، ومما يقدرون على مواجهته.. فإلام سيصير حالهم؟.. وكيف له أن يعلم بنجاحهم في مهمتهم من عدمه؟.. أيامٌ طويلة من القلق ستشغله قبل أن يتمكن من الحصول على إجابة واضحة لتساؤلاته تلك..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الثالث)
مملكة الغمام : أطلال ميركان

ساعاتٌ عدة مرت على جود ورفاقها في تحليقهم الذي اتسم بالبطء والحذر الشديد نسبة لامتداد السلسلة الجبلية الهائل وتشعب وديانها وتعالي قممها.. ولخبرة ياسان الضئيلة بالتحليق في مثل تلك المناطق، وخشيته من أن يتم اكتشاف أمره لو ارتفع فوق القمم الجبلية عند اقترابهم من الحدود، فإنهم قنعوا بسيرهم البطئ هذا مع اجتماعهم على ضرورة التسلل لمملكة الغمام في وقت متأخر من تلك الليلة..

ومع غروب الشمس، كانت الطائرة مستقرة على إحدى القمم الثلجية في موضعٍ يخفيها عن الأنظار، وخلف جدارٍ صخري منحها وقاية من الرياح القوية ومن الأعين كذلك.. رغم استحالة وجود من قد يلمح الطائرة على هذا الارتفاع، لكن لم يكن أخذ الاحتياطات اللا زمة ليضرّ أحداً.. كانت الخطة أن ينتظروا حلول الظلام ومرور عدة ساعات على هذه الليلة قبل المغامرة بتجاوز الحدود بين المملكتين.. وبالطبع كان عليهم اختيار موقعٍ يبعد عن أقرب حامية منهم مسافة كبيرة ليفلتوا من أجهزة الكاشف التي تملكها والتي ستدلّهم على موقع طائرتهم حتى في أحلك الليالي ظلمة.. فهذه الحامية، التي كانت مسؤوليتها حماية مملكة الغمام، الآن أصبحت تحمي الأرض التي احتلتها جيوش مملكة الضياء، وتحمي تلك القوات من أي اعتداءٍ عليها من مملكة مجاورة..

فور أن أعلن ياسان أنهم سيواصلون سيرهم من جديد، ساد الصمت التام في الطائرة وكأن ركابها قد اتفقوا على التزام الحذر وعدم إصدار صوت قد يكشف وجودهم، لو كان ذلك منطقياً، أو أنهم حبسوا أنفاسهم رهبة وقلقاً مما هم مقدمون عليه.. سار ياسان بالطائرة لمسافة معقولة منخفضاً بها نحو الأرض محاولاً أن يجعل الجبال القريبة حاجزاً بينه وبين أي أجهزة للرصد والكشف عن المتسللين.. ومعه، ظلت جود تدقق في الشاشات التي أمامها على لوحة التحكم تحسباً لأي طارئ..

كان طيرانهم سلساً أكثر من اللازم.. وفقاً للخرائط الإلكترونية على الشاشة أمامهم، فإنهم قد تجاوزوا الحدود بين المملكتين بالفعل منذ بعض الوقت.. نظرت جود تجاه ياسان الذي زفر معلقاً "ربما كان حظنا حسناً ونجحنا بتفادي أي حامية قريبة من الحدود.."

غمغمت جود "أنت متفائل....."

لم يلحظ أحدهم الضوء الذي اندلع من خلف الطائرة.. كل ما شعروا به هو تلك الضربة التي أصابت جانب الطائرة وارتجّت لها بقوة شديدة اختلّ لها توازنها وكادت تصطدم بجبل قريب.. رصّ ياسان على أسنانه وهو يمسك المقود بيديه المتشنجتين، بينما هتفت جود وهي تتفحص الشاشة "إنهم يهاجموننا.."

كانت الآن قادرة على رؤية تلك الإشارة التي تدلّ على طائرة محلقة نحوهم بسرعة كبيرة، والتي لم ترها سابقاً دون أن تعرف السبب.. لكن الآن، مع تلك الضربة ومع الدخان الذي اندلع من جانب الطائرة المصاب، كان من المستحيل عليهم تفادي تلك المواجهة أو النجاة منها دون خسائر..

ناور ياسان قدر استطاعته متفادياً الجبال وقمم الأشجار القريبة ومحاولاً الفرار من الطائرة التي تلاحقه.. لكن طائرتهم كانت غير ثابتة بالفعل، وبدأ صوت إنذارٍ يتعالى من جوانبها دليلاً على قوة الإصابة وخطرها، مما جعل جود تقفز واقفة قائلة "علينا الهرب قبل أن يسقطوا الطائرة بقذائفهم.."

وركضت نحو البقية لتعاونهم على حلّ أحزمتهم واستعادة أسلحتهم تمهيداً للفرار.. بينما غمغم ياسان بقلق وهو يناور مراقباً الطائرة التي تلاحقه بإصرار "وكيف لنا الفرار من هذه المطاردة؟.. سنسقط بالفعل قبل أن يصيبونا بضربة أخرى حتى.."

كانت الطائرة ترتجّ وتنتفض بالفعل، وتتطلّب منه حرصاً أكبر من المعتاد لئلا تميل جانباً أو تهوي بشكل متسارع.. ورغم ذلك، كانت القذائف الضوئية تتلاحق خلفهم بإصرار شديد دون أي محاولة للتفاهم.. ولما عادت جود لمقعدها، وتجمع الثلاثة الباقون خلفه، قال رادال بتوتر لم يملكه "علينا مغادرة هذه الطائرة.."

هتف ياسان "محال.. فور هبوطنا، ستدمرنا الطائرة التي تلاحقنا بنيرانها دون تفاهم.. نحن دخلاء في أرض مطحونة بالحرب.. لن يملك أصحاب تلك الطائرة المزاج الرائق لسؤالنا عن سبب تجاوزنا الحدود.."

قالت جود بقلق "لكننا يجب أن نفر بوسيلة ما.. سنسقط في كلا الحالتين، عندما يقرر محرك الطائرة التوقف، أو عندما تنجح الطائرة الأخرى في إصابتنا.."

ظل ياسان يناور ويحاول موازنة الطائرة، وهو يراقب الموقع حولهم من النافذة العريضة أمامه، فيما بقيت

جود تراقب الطائرة المعادية بالشاشة التي أمامها.. كان موقفهم عسيراً فعلاً.. وزاد موقعهم وسط هذه السلسلة الجبلية خطورة وصعوبة.. فأقل ضربة ستجعل طائرتهم تميل نحو جانب الجبل وترتطم بصخوره فتنفجر أو تهوي دون تحكم من قائدها..

ناور ياسان بكل جهده بينما لم يملك الآخرون ما يفعلونه إلا الانتظار.. وبينما تجاوز بالطائرة المهتزة جانباً عالياً من جبلٍ قريب، فوجئ بقذيفة ضوئية تمرق فوقهم وترتطم بجانب ذلك الجبل ناثرة صخوره الضخمة في كل اتجاه.. تساقطت الصخور في اللحظة التي مرقت فيها الطائرة قريبة من ذاك الموقع، ورغم أن الصخور الصغيرة لم تؤثر بها، لكن صخرة متوسطة الحجم قد ارتطمت بجناحها بقوة جعلت الطائرة ترتج وتدور حول نفسها دون أن يملك ياسان التحكم بها.. ورغم ذلك، تشبث بالمقود بقوة.. ومن بين الصياح الذي تعالى حوله، لاحظ ياسان أن الطائرة بعد دورتين قد استقرت نوعاً ما مواجهة الطائرة المعادية.. وفي لحظة، وجزء من الثانية، كان ياسان قد اتخذ القرار الواجب عليه تنفيذه، وأطلق قذيفة ضوئية نحو ملاحقيه دون تصويب أو تمهل..

انطلقت القذيفة بأسرع من البرق لتصيب الطائرة المعادية إصابة محدودة في أسفلها.. ورغم أن تلك الضربة لم تكن قاتلة، لكن القائد مع الحركة المفاجئة لطائرته قد مال بها جانباً وكاد يرتطم بزاوية بارزة من الجبل القريب مما جعله يشد المقود جانباً متفادياً الارتطام وطائرته تختلّ بشدة ويكاد يفقد السيطرة عليها..

كانت تلك لحظات ثمينة لم يتردد ياسان في استغلالها، إذ انخفض بالطائرة المتهاوية صائحاً بالبقية "فور هبوطنا، غادروا الطائرة حالاً قبل أن تعود تلك الطائرة وتهاجمنا من جديد.."

لم يتمكن أحدهم من الاعتراض وهم يحملون أسلحتهم ويهرعون لباب الطائرة بانتظار أن تهبط بهم كيفما كان.. أما جود، فقد ربتت على كتف ياسان قائلة بقلق "غادر فور هبوط الطائرة أنت أيضاً.. لا تتأخر لأي سبب.."

قال ياسان بتوتر "وهل أملك غير ذلك؟"

كانت الطائرة تقترب من أحد الوديان وياسان يبحث عن أقرب موقع يمكنه الهبوط فيه دون أن تنفجر الطائرة لقوة الاصطدام.. الأرض الصخرية تجعل الأمر صعباً، وسفح الجبل القريب يرفع معدل الخطر عشرات المرات.. لكن ياسان لم يرغب بتفويت الفرصة الوحيدة التي لاحت لهم، فغامر بالهبوط بالطائرة

التي فور ملامستها للأرض الصخرية ارتجت ارتجاجاً عنيفاً وزحفت لمسافة غير بسيطة وياسان يوازنها لئلا تنقلب فيخرجون بخسائر أكبر مما توقعوا..

دام الأمر لحظاتٍ بدت كسنواتٍ طويلة من أعمارهم وهم يترقبون اللحظة التي تكف فيها الطائرة عن الارتجاج، وكل منهم متشبث بجانب من الطائرة التي توشك على قذفهم عالياً لقوة اهتزازها العنيف.. ولما سكنت أخيراً، هتفت جود وهي تفتح باب الطائرة "اهربوا متفرقين ولا تنتظروا أحداً.."

لم يتوانَ أحدهم عن المغادرة، ليبتلعهم ظلام تلك الليلة وأعينهم بالكاد تتمكن من رؤية الطريق الذي يسلكونه، بينما رمقت جود الممر الواقع خلفها للحظة حتى سمعت خطوات ياسان واضحة دليلاً على لحاقه بهم.. عندها غادرت الطائرة دون تمهل وتجاوزت بعض الصخور الضخمة راكضة نحو سفح الجبل القريب بزواياه العالية التي قد تمنحها غطاءً عن ملاحقيهم.. وبالفعل، تمكنت جود من أن تسمع الطائرة المعادية وهديرها يقترب منهم قبل أن تبدو فعلاً وأضواؤها تنير جانباً من ذلك الجبل قبل أن تسقط على طائرتهم الساكنة أرضاً..

لم تتمهل جود لترى ما الذي سيجري لتلك الطائرة، بل تبعت الطريق الذي رأت رفاقها يسلكونه، دون أن تفلت أسلحتها وهي تشد أصابعها عليها بتوتر.. لو قررت تلك الطائرة أن تبحث عنهم، ولمحتهم بالفعل، فلن يغدو من الصعوبة عليها بمكان التخلص منهم بقذيفة من قذائفها دون أي اعتبار..

سمعت في تلك اللحظة انفجاراً قوياً من موقع طائرتهم هز أرجاء الوادي بقوته وأنار جانباً من سفح الجبل القريب.. شهقت جود وهي تستدير خلفاً بحثاً عن ياسان، بعد أن لاحظت طائرة العدو التي فرغت من قصف طائرتهم لتعطيلها بشكل كامل، وتفرغت للدوران في المكان بحثاً عن الهاربين.. ورغم بحث جود، مع النيران التي ألقت بضوئها على بقعة واسعة حولها، لكن جود لم تتمكن من العثور على ياسان أو أن تسمع له صوتاً.. انتابها قلقٌ شديد لأنه آخر من غادر الطائرة، لو تمكن من ذلك بالفعل..

صاحت وهي تدير وجهها في جميع الجهات "ياسان.. أين أنت؟.. ياسان..."

لم تتلقَ رداً، ولاحظت أن الطائرة تقترب من موقعها بالنور الذي توجهه نحو الأرض لمنح قائدها رؤية أفضل لما يختبئ بين صخور الجبل.. تراجعت جود بقلق وهي لا تدري أتهرب أم تبحث عن ياسان.. أيمكن أن يكون قد هرب من الاتجاه الآخر؟.. لا تدري، ولا تملك فرصة لتعرف الجواب وهي تتراجع

بسرعة بحثاً عن مكانٍ تختبئ تحته عن أنظار قائد الطائرة.. كانت تخشى لو استخدم الجنود في الطائرة كاشفاً حرارياً، عندها سيتمكنون من العثور عليهم مهما اختبؤوا وتفرقوا.. أين بقية رفاقها في هذه اللحظة؟.. تخشى أن لا تعثر عليهم قبل أن يعثر عليهم الجنود بالفعل..

انخفضت تحت جلمودٍ ضخم برز من جانب الجبل، وضمّت سلاحها لها وهي تربض بصمت متلاحقة الأنفاس تسمع هدير الطائرة التي أكملت دورانها وبدأت الانتقال لموقعٍ أبعد من هذا الوادي.. ظلت جود صامتة بقلق في موقعها، حتى خفت صوت الطائرة، عندها تشجعت لتغادر مكانها وهي تهتف "رادال.. بارا.. أين أنتم؟"

سمعت صوتاً خلفها وتساقطت بعض الحصى الصغيرة قربها، فاستدارت فوراً رافعة مسدسها بتحفز، لترى بارا يقترب منها من ذلك الجانب متسائلاً "أين البقية؟"

قالت جود بحيرة وهي تعتدل في وقوفها "لا أدري.. علينا أن نجتمع ونرحل قبل أن يقرر قائد تلك الطائرة إنزال بعض الجنود بحثاً عنا.."

علق بارا وهو يتلفت حوله "ولِمَ هذا الإصرار في ملاحقة عدة أشخاص رغم تحطم طائرتهم؟.. هل نحن من سيدحر قواتهم ويقلب كفة النصر ضدهم؟"

سمعوا شهقة واضحة في صمت الليل في تلك اللحظة، فسارعا للاقتراب من ذلك المكان محاذرين إصدار أي صوت يجذب إليهما الأنظار.. كان ذلك صوت سيرا، كما بدا في هدأة الليل، فهل باغتها بعض الجنود؟.. تقدم بارا بقلق واضح على شقيقته، فتبعته جود متلفتة حولها بحذر خشية أن يباغتهم أي شخص وهم غافلون.. شعرت بالأسف لحظتها لأنها لم تتزود بأي مصابيح أو كشافات يدوية في ساقا، فلم يدُر بخلد أحدهم أنهم سيرتحلون على الأقدام وهم يملكون تلك الطائرة التي أصبحت حطاماً لا يُرتجى منه.. تسارعت خطوات بارا نحو مصدر الصوت، حتى لمح سيرا واقفة بصمت وهي تدلك ساقها وعلى وجهها عبوس وضيق.. فسألها "أأنت بخير؟.. ما الذي جرى؟"

أجابت وهي تشير جانباً "تعثرت ببعض الصخور وتدحرجت عدة أمتار.. ساقي تؤلمني بشدة الآن.."

زفر بارا معلقاً "أفزعتني.. ظننت أن جنود العدو قد وصلوا إليك.."

لم تعلق سيرا على قوله بعدم اهتمام وهي تبحث ببصرها عن رادال، فيما تساءلت جود الواقفة خلفه "أين

اختفى الآخران؟.. علينا الرحيل قبل أن تعود الطائرة.."

قال بارا "ربما علينا البحث عنهما.. هل نفترق؟"

أجابت جود بسرعة "لا.. مع الظلام المهيمن على المكان، وبوجود هذه الدورية، فإن هذه فكرة غير مناسبة على الإطلاق.."

نظرت حولها للحظة، ثم أسرعت ترتقي جانب الجبل القريب، حتى وقفت على جزءٍ بارزٍ منه يمنحها رؤية محدودة للمكان حولها، وصاحت بأعلى صوتها "ياسان.. رادال.. أين أنتما؟"

كان صدى صوتها واضحاً، وهي تأمل أن يحمله لمسافة أبعد من المعتاد، لكن لم تكد تكرر نداءها حتى سمعت صوت رادال يجيب "نحن هنا.. لا داعي لكل هذا الصياح.."

لاحظوا اقتراب رادال من الجهة التي أنارتها الطائرة المحترقة وخلفه ياسان والأول يقول "عندما انفجرت الطائرة، عدت لأرى إن كان الجميع قد نجح في الهرب قبل ذلك.. فعثرت على ياسان والصخور تكاد تدفنه تحتها.."

زفر ياسان مضيفاً "لقد نجوت بالكاد.. قبل أن أنجح في الابتعاد عن الطائرة انفجرت بقوة أسقطتني أرضاً، وبعض شظاياها ترتطم بالجبل القريب فتساقطت الصخور وكادت تقتلني.."

قالت جود بارتياح "أنتَ حسن الحظ يا ياسان.."

علق رادال "الشكر لي، لا للحظ، على نجاته هذه الليلة.."

سمعوا صوت الطائرة وهدير محركها يصل إليهم واضحاً، فتوجس الجميع في وقوفهم وهم يتلفتون حولهم.. كان ضوء الطائرة واضحاً لهم، ويبدو أن قائدها لم ييأس من البحث عنهم.. لكن لحسن الحظ كانت تبتعد عن موقعهم مانحة إياهم بعض الأمان الجزئي في تلك اللحظات..

تطلع الخمسة لبعضهم البعض، ثم تساءلت جود "والآن ماذا؟.. فقدنا الطائرة، وأصبح طريقنا عسيراً في كل الأحوال.."

علق ياسان قائلاً "حسب ما رأيته على الخرائط في وقت سابق، فإن أقرب مدينة لنا هي (قاسام).. فلنذهب إليها، ولنأمل ألا نجد لجنة استقبال من قوات العدو تنتظرنا فيها.."

نظرت جود لرادال والبقية متسائلة "هل ستذهبون معنا لميركان أم أننا سنفترق هنا؟"

نظر بارا وسيرا بتلقائية لرادال الذي قال دون لحظة تردد "بل سنرحل معكم لميركان بالطبع.."

قال بارا بدهشة "ألن يؤخرنا هذا عن العودة لشادين؟.."

أجاب رادال "مازال هذا العالم مجهولاً بالنسبة لنا.. لا أظننا سنعثر على وسيلة لدخول مملكة الضياء والوصول لشادين دون أن نلفت إلينا الأنظار.."

ونظر تجاه جود وياسان مضيفاً "ربما، عندما تنجزان المهمة التي أنتما بصددها، توافقان على مرافقتنا ومد يد العون لنا للعودة لشادين.."

غمغمت جود "أما زلت مصرّاً على ذلك؟.."

وتلفتت حولها قبل أن تبدأ سيرها نحو نهرٍ قريب بدا لهم واضحاً ومياهه تلتمع بضوء القمر الشاحب..

وياسان يسير قربها قائلاً "أظن أننا سنصل للمدينة لو تتبعنا هذا النهر نحو الشرق.. فقاسام كما تعلمين تقع على ضفاف أحد الأنهار التي تصبّ في نهر قانار.."

لم يتردد رادال في اللحاق بهما، لكن بارا وقف في وجهه متسائلاً "حتى متى سنظل نتبعهما دون هدف؟.. هدفنا نحو الشمال الغربي.. ما معنى أن نلاحقهم من مدينة لأخرى نحو الشرق دون أن يكون لنا حاجة إليهم؟"

قال رادال بابتسامة مشيراً للجبال حولهم "أتظن أننا نستطيع عبور هذه الجبال سيراً على الأقدام؟.. افعل ذلك لو أردت، لكني لن أرحل دون مركبة، أو دابة تنقلني.. ودون أن أعرف الطريق الصحيح الذي سيقودني لشادين.."

وتجاوزه مضيفاً "أنا لم أجبر أحدكما على اللحاق بي.. أنتما حرّان منذ اللحظة التي وطأنا فيها أرض العالم السامي.."

غمغم بارا بضيق "وكأننا نستطيع الرحيل وحيدين.."

لمح سيرا تتبع رادال دون تردد، فتنهد مضيفاً "أو نرغب بذلك.. تباً.. حتى متى سننتظر؟"

وتبعهم دون تذمر هذه المرة.. لقد طال به طريق العودة.. ذاك الطريق الذي يتمنى أن يشفي به غليله في نهايته.. ولم تكن شادين، أرض الوطن، تعني له أكثر من الانتقام الذي يسعى إليه بكل ما يملك..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم يكن وصولهم لقاسام صعباً.. فبعد يومٍ من السير المتواصل إلا الوقوف للحصول على القليل من الراحة ولاصطياد أي حيوان بري يملأ معداتهم الخاوية، تمكن الخمسة من رؤية ملامح مدينة قاسام أمامهم على ضفة ذلك النهر.. لم يكن الوصول صعباً، لكن دخولهم المدينة كان أمراً آخر.. فأمامهم، وعند مداخل المدينة، تمكنوا من ملاحظة تمركز جنود مملكة الضياء بتحفز وبأسلحة تفوق ما يملكونه هم.. لذا كان تجاوز تلك الحراسة أمراً مستحيلاً عملياً، والتسلل للمدينة كان صعباً بالقدر ذاته..

لذا تبع الفريق نصيحة ياسان، واستمروا بسيرهم متفادين المدينة وما حولها، ومتخفّين عن أنظار حاميتها، باتجاه ميركان التي تبعد عدة أميالٍ عنها..

عندما بدت لهم أطلال المدينة المهجورة ميركان، بعد أن تجاوز النهار منتصفه، كان التعب قد بلغ بالفريق مبلغه بعد سيرٍ متواصل لعدة أيام.. مع الحرب المشتعلة في المملكة، قلّت حركة المركبات والعربات في السهول، وصار من العسير العثور على وسيلة للتنقل كما كان يحدث في الماضي.. فضّل الأهالي الإلتجاء لمدنهم وقراهم وعدم مفارقتها إلا للضرورة القصوى، وهذا جعل رحلة جود والبقية عسيرة أكثر بالإضافة لخشيتهم من كشف أنفسهم أمام أي قوات للعدو قد تشك بأمرهم أو تحتجزهم لسببٍ أو لآخر..

ومع اقترابهم، قال ياسان وهو يتلفت حوله "علينا أن نكون حذرين.. قد يشك بنا الثوار المختبئون في الأطلال ويحاولون الخلاص منا.."

علق رادال وهو يراقب المدينة المهجورة "وهل هذا هو ما يفلح سكان العالم السامي بفعله؟.. الخلاص من كل من يثير ريبتهم وشكهم دون لحظة تردد؟"

لم يعلق أحدهم وهم يخترقون المدينة من أقرب طريق منهم يتجاوز السور الحجري المتهدم الذي أحاط بالمدينة في وقت سابق مانعاً عنها أي عدوان.. ساروا متجاوزين عدداً من المنازل التي طالها التدمير بأشكال عدة.. فمنها ما تهاوت حجارته، ومنها ما اسودّت جدرانه بفعل حريق ما، ومنها ما نأى بثقل بعض الأشجار التي تهاوت عليه وحطمت جانباً منه.. لم يكونوا يعرفون الطريق الذي سيقودهم لمأوى الثوار، لذا استمروا في السير تابعين هذا الطريق الذي يخترق بهم عدداً من أحياء المدينة المكتضّة بالمنازل

المتلاصقة وبعض الواجهات الزجاجية للمحلات المصفوفة على جانبيه..

طال سيرهم في هذه المدينة المهدمة وقتاً طويلاً دون أن يلمحوا أكثر من بعض الحيوانات العابرة والعصافير المتطايرة عند اقترابهم.. حتى وقف ياسان أخيراً قائلاً "هذه المدينة شاسعة.. وربما كانت تباري قانار في الحجم.. كيف لنا أن نبحث فيها كلها في وقت قصير؟"

قالت جود وهي تشير لنواحي المدينة "يمكننا أن نتفرق في بحثنا.. هكذا سنغطي مناطق أكبر من المدينة بوقت أسرع.."

هتف ياسان "هذه فكرة سيئة.."

لكن جود كانت قد افترقت عنهم بالفعل متخذة طريقاً يقودها نحو الأحياء الجنوبية من المدينة.. لم تكن قلقة من لقائها بالثوار في المدينة.. لو كان بعضهم من الجنود في جيش قانار، فلا بد أن يتعرفوا عليها فوجهها لم يكن مجهولاً لأ حدهم بسبب هويتها التي تلفت الأنظار دائماً.. ولم تكن تتخيل أن تمضي الساعات وهم يدورون في المدينة دون أن ينجحوا في تحقيق ما أتوا لأجله..

بعد سيرٍ قصير، لاحظت بعض الخطوات التي تبعتها بوضوح.. استدارت جود بتحفز رغماً عنها وهي تشهر المسدس نحو القادم خلفها.. فرأت رادال يقترب منها قائلاً "حاذري.. لا ترفعي مسدسك في وجوه الآخرين قبل التأكد من هويتهم.."

خفضت مسدسها معلقة "لم أكن أنوي أن أطلق، إنما هو للتحذير فقط.."

سار رادال نحوها وجود تلاحظ أن البقية ليسوا معه، مما دلّها أنهم اتبعوا اقتراحها وتفرقوا في المدينة.. والغريب أنها لم ترَ سيرا مع رادال هذه

المرة، لكنها لم تعلق وهي تستمر في سيرها سالكة الطريق الذي يخترق الأحياء الجنوبية قبل أن يمر قريباً من السور المهدم والبوابة التي كانت تشغل ذلك الجانب، ثم يعود بها لوسط المدينة الأكثر اكتضاضاً بالمباني والقصور.. لم تدرِ جود سر الصمت الذي ساد بينها وبين رادال، لكنها أظهرت عدم اهتمامها وهي تقلّب بصرها في الأحياء التي تمر بها وتدقق في الأزقة الجانبية التي خفت النور فيها واكتضت بالأشجار الظليلة.. لا يملكان وسيلة للإعلان عن نفسيهما، ولا للعثور على مرادهما.. لا يملكان إلا السير في طرقات المدينة دون هدىً..

بعد الصمت الطويل الذي ساد بينهما، كسرته جود متسائلة "لِمَ أراك مصرّاً على ذهابنا معك رغم رفضي المتكرر؟.. ألم يدر بذهنك قط أنني لن أوافق على ما تطلبه مني يا رادال؟.. "

قال رادال ببساطة "لن يكون ذلك مهماً.. لن أعارض منحك الفرصة لتحقيق ما ترغبين به.. لكن، في النهاية، ستكونين معنا في عودتنا لشادين.."

وقفت جود تنظر له بعجب ودهشة دون أن يتوقف رادال عن سيره أو يعبأ بدهشتها، ثم لحقته متابعة خطواته الواسعة وهي تقول "ما الذي تعنيه بهذا؟.. مازلت لا أفهم سبب كل هذا العناد والإصرار على هذه النقطة.."

قال دون أن ينظر إليها "هو كما أخبرتك.. أريد عونكم، لا أكثر ولا أقل.."

قالت باستنكار "حدثني بما يمكنني أن أفهمه.. عوننا ونحن مجرد اثنان؟.. بإمكانك طلب عون الثوار الذين يحركهم التوق للانتقام، والذين قد يرحّبوا بتغيير الملك سوريم مقابل سحب العدوان من أراضيهم.. ما الذي يمكنني أن أفهمه من إصرارك على وجودي وياسان معك بالذات؟"

قال بلهجة عارضة "افهمي ما بدا لك.."

جذبته من ذراعه ليواجهها، بعد أن لاحظت تجنبه النظر نحوها، ووقفت في وجهه مانعة إياه من الابتعاد وهي تقول بحدة "لن أفهم أمراً إن أصررت على الهرب من هذا النقاش.. ما الذي تخشى قوله لتتجنب شرح الأمر لي بشكل واضح؟"

قال بسخرية "أخشى قوله؟.. أظننت أن أمراً كهذا يمكن أن يوجد قط؟"

عقدت ذراعيها على صدرها وهي ترفع وجهها قائلة "هذا ما بدا لي من تصرفاتك الغريبة منذ وصلنا لهذا

المكان.. لا.. منذ وصلنا للعالم السامي.."

أدار وجهه جانباً زافراً بضيق واضح.. فظلت جود ترمقه بمزيج الضيق والحيرة.. ما باله يتصرف بتلك الطريقة الغريبة.. قالت أخيراً بلهجة ألطف "رادال.. لن أفهم ما تريده حقاً، وما تعنيه، إن لم تصارحني بما يدور في خلدك.. أخبرني بما تريده، وصدقني سأعاونك بكل ما أستطيعه عندها.. فما الداعي لهذا الغموض؟"

ولما طال صمته، قالت "ألا يمكنك أن تثق بي؟"

نظر لها رادال بصمت وهي تلاقي عينيه بحثاً عن جواب فيهما.. في الأيام القليلة التي سبقت قدومهما للعالم العالي انتاب جود شعور بأنها قد بدأت تميل لرادال.. لا تعرف السبب، ولا تعرف ما نهاية هذه المشاعر، لكنها بدأت تستلطفه وتشعر بقربه منها أكثر مما سبق.. ورغم إصرارها أن تسلك الطريق الذي لا تحيد عنه، فإنها في قرارة نفسها لم تتمنّ قط أن تفترق عنه وهي لم تتأكد من جدوى مشاعرها تلك.. وتمنّت وهي ترى ممانعته أن يحمل رادال رغبة مشابهة تجاهها.. والآن، تودّ لو يفصح لها عما يدعوه للإصرار على رحيلهما معه.. تمنت وهي تنظر في عينيه أن تسمع منه إجابة واضحة تنعش بعض الأمل في صدرها..

بدا للحظة أنه ينوي قول أمرٍ ما، لكنه قال أخيراً وهو يدير عينيه جانباً "وما الذي يمكن أن يدور بخلدي إلا ما قلته لك؟.. لا تتوهمي أموراً لم تكن موجودة قط.."

صمتت وهي تراقبه بدهشة.. أهذا تلميح منه لما دار بذهنها قبل لحظات؟.. أهو يظنها تنتظر منه اعترافاً بميله إليها أو رغبته بوجودها معه لأسباب لا تتعلق بالمهمة التي يسعى إليها؟.. جملته المبهمة تلك قد أفصحت أكثر مما ظن أنها ستفعل، وجود تنتبه في تلك اللحظة أنها لم تسمع منه قط ما يدلها أنه يميل إليها بدوره.. كيف لها أن تكون سطحية لهذه الدرجة بحيث تشغل بالها بأمرٍ لم ولن يوجد قط؟..

تنهدت مديرة بصرها بدورها جانباً، ثم استدارت وغادرت عازفة عن جرّ الحوار أكثر مما هو عليه.. مع تأكيده بأنها لا تعني له شيئاً، لمَ يصرّ على رحيلها لشادين معه؟.. لمَ لا يتركها وشأنها لعلّها تنسى أملها القصير ذاك بأن تكون أكثر من مجرد شخصٍ عابر في حياته؟..

عاد الصمت يظللهما للحظات، لكن لم يكادا يتجاوزان هذا الطريق حتى سمعا صوتاً خافتاً في أحد الأزقة التي مروا بها، فظنا أنه لأحد رفاقهما وقد تقاطع طريقهما في هذه النقطة.. لكن تعالى صوت عدد من

الأسلحة وهي ترتفع نحوهما وصوتٌ يصيح بهما صارماً "قفا في مكانيكما.."

استدارا بسرعة نحو ذلك الصوت، ولاحظا عدداً من الرجال غريبي الهيئة وقد احتلا ذلك الطريق، وبدا بعضهم من النوافذ والأسطح القريبة وكلٌ منهم يحمل سلاحاً ويراقبهما بشك وحذر.. تقدم رادال خطوة دافعاً جود خلفه وقال "مهلاً.. لا داعي لهذه العدائية.. نحن لا ننوي شراً.."

قال الرجل الذي وقف أمام البقية بعصبية "ومن تكونا؟.. ما الذي جاء بكما لهذه المدينة المهجورة؟"

علق رادال "لا تبدو لي مهجورة بشكل خالص.."

صاح الرجل بعدائية "أجِب عن السؤال ولا داعي للاستظراف يا هذا.."

اقترب رجلٌ آخر منه قائلاً "مهلاً.. لا داعي لمعاملتهم بهذا الأسلوب يا حاكين، فالجواسيس لن يحاولوا دخول المدينة نهاراً والتجوال فيها بمرأىٰ من الجميع.."

وتقدم من رادال مضيفاً "لا ننوي الإساءة لكما، لكن لو لم تملك سبباً مقنعاً لقدومكما لهذه المدينة، فالأسلم لكما الرحيل عنها بصمت كما جئتما.."

قال رادال بتقطيبة "ومن تكون أنت؟.."

فوجئ بجود الواقفة خلفه، تراقب ما يجري بصمت، تدفعه فور أن بدت ملامح وجه ذلك الرجل واضحة لها.. نظر لها رادال بدهشة، فصدم لرؤيتها تندفع نحو ذلك الرجل وترتمي عليه دون حرج وهي تصيح "دارو.. أنت بخير؟.. أنت حقاً بخير؟.."

ارتفع حاجبا دارو بدهشة حقيقية لرؤيتها تندفع نحوه، وتلقاها بذراعيه قائلاً "يا للسماء.. جود؟!.. لم أتوقع رؤيتك هنا، ناهيك عن العثور عليك حية.. كيف نجوت من ذلك الهجوم؟.. وأين اختفيت طوال هذه المدة؟.."

عانقته جود بقوة وسعادة واضحة وهي تقول "هذا أمرٌ يطول شرحه.. لكم أنا سعيدة لرؤيتك ونجاتك من ذلك الهجوم.. هذه معجزة حقيقية.."

ربت دارو علىٰ رأسها بابتسامة واسعة وهو يشير لرفاقه المتحفزين أن الأمور هنا علىٰ ما يرام، فيما وقف رادال يحدق بهما بدهشة.. ودمدم باستنكار واضح "من هذا الرجل؟.."

لاحظ أن جود لم تلتفت إليه بعدها وهي تتبع ذلك الرجل مع بقية الرجال الذين تراجعوا نحو جانبٍ آخر

من المدينة، فيما أشار الرجل العصبي الذي واجههما في البدء لرادال ليتبعهما دون أن يتخلى عن نظراته المتحفزة والشك الواضح في ملامحه.. لم يقلّ استنكار رادال وهو يستجيب لدعوة الرجل بصمت.. غاظه أن يتجاهل الآخرون وجوده، وغاظه أكثر رؤية العاطفة البالغة التي أظهرتها جود لذلك الرجل.. لم يرَ قط وجهها سعيداً بهذه الصورة.. لم يرَ ابتسامتها الواسعة وعيناها المتلألئتان قط.. فما الذي جرى؟.. من يكون هذا الرجل الذي سلب اهتمامها بهذه الصورة؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

بعد سيرٍ تجاوز بهم عدداً من أحياء المدينة، لاحظت جود تغيّراً واضحاً في معالم المكان حولهم.. مع نور الشمس الغاربة التي صبغت الجدران بلمحة حمراء واضحة، بدا الحي الذي يمرون به أقل وحشة وهدوءاً مما سبق أن رأوه في المدينة المدمرة.. كان بإمكانها ملاحظة معالم سكنى البشر في ذلك المكان بوضوح حتى قبل أن تلمح عيناها الوجوه التي ظهرت من البيوت والأزقة القريبة.. لاحظت دخاناً متصاعداً من أكثر من موقع في هذا الحي، ورأت تلك الملابس التي علقت في جوانب الشرفات والأشجار القريبة لتجف.. بدأ عددٌ غير قليل من الرجال يتجمع حولهم، وسرعان ما أدركت جود أن عددهم يتجاوز ما وقر في ذهنها منذ سمعت بأمر لجوء الثوار لميركان..

كانت دهشتهم بوجود هذين الغريبين، وبوجود فتاة فوق ذلك، واضحة بشدة على وجوههم.. وبعد سير قصير، تمكنت جود من رؤية جماعة أخرى من الرجال تقتاد معها ياسان وسيرا وبارا دون ترفق.. فبادرهم دارو قائلاً "لا داعي للشك بهم ومعاملتهم بهذه الصورة.. إنهم رفاقنا.."

كانت سعادة ياسان عارمة لرؤية دارو، وعدد من رفاقه في قيادة الجيش، في هذا المعسكر البدائي.. بينما هرعت سيرا لتقف قرب رادال وتتشبث به متجنبة النظرات التي تحدق بها وهي تهمس له "أين اختفيت وتركتني؟.."

قال رادال بضيق "أنتِ لست طفلة.."

قطبت وهي تحدق في وجهه، بينما وقف بارا قريباً متسائلاً بقلق "هل يمكننا أن نثق بهؤلاء فعلاً؟.. نظراتهم

لا تريحني.."

لم يعلق رادال وهو يتبع إشارة دارو الذي اصطحبه برفقة جود وياسان لجانب المعسكر، في منزل بقي سليماً من الهجمات التي طالت أجزاء المدينة.. وفي الداخل اجتمع بهم بعيداً عن البقية مع حاكين الذي لم يتغلب على فضوله لرؤية هذه المجموعة الغريبة تجتاز الأطلال بحثاً عنهم.. وفور استقرارهم في ذلك المنزل، استخرج ياسان رسالة الأمير سابار قائلاً لدارو "جئناكم لغرضين اثنين لا ثالث لهما.. لننضمّ إليكم في مقاومة العدو، ولنحمل لكم هذه الرسالة.."

وأضاف بلهجة فخور "هذه رسالة خاصة من الأمير سابار، الذي هرب من قصره بعد هجوم الخونة عليه.. وقد طلب منا إيصالها إليكم مهما كانت المخاطر.."

علق دارو بدهشة وهو يتبادل النظرات مع حاكين "الأمير سابار لا يزال حياً؟.. وردنا أن جميع من في القصر قد قتلوا.. الملك وبقية عائلته قد قضوا نحبهم بأيدي الخونة.. فكيف نجا؟"

أجابت جود "تلك حكاية طويلة.. المهم الآن أن الأمير في حماية الملكة هايانا في مملكة القمة العالية.. والملكة قد وافقت على حمايته حتى يقرر العودة لقانار واستلام العرش كملك لمملكة الغمام.."

استلم دارو الرسالة منه، وفضّها ليقرأها بعناية، بينما قال حاكين بحماس "هذا أفضل خبر سمعته منذ مدة.. بوجود الأمير سابار، أو الملك سابار كما يجب أن يكون، سيتزايد حماس الرجال للمقاومة.. لن يشعروا أن قضيتهم خاسرة، وأن الفشل سيلحقهم قبل أن يبدؤوا بالفعل.."

ثم قال لدارو بحماس "كما أن وجود مملكة القمة العالية معنا هو أمرٌ جيد.. يمكنهم أن يمدّوننا بالأسلحة وغيرها من....."

قاطعه ياسان بأسف قائلاً "الملكة هايانا أصرّت أنها لا تقدر على مد يد العون لنا بأي شكل ممكن.. لا تريد أن تجابه سوريم في هذه اللحظة، ولذا هي تكتفي بالدعم الذي تقدمه للأمير سابار في قصرها.."

بدت الخيبة واضحة على وجه حاكين، فيما علق دارو "لا بأس.. نحن اجتمعنا هنا معتمدين على سواعدنا وما نملكه بالفعل.. امتناع مملكة القمة العالية من مد يد العون لنا ليس غريباً، ولن يفتّ في عضدنا بعد كل ما فعلناه.."

تساءلت جود "هل تمكنتم من تحقيق أي نصر أو القيام بأي عملية ناجحة؟"

هز دارو رأسه مجيباً "لا.. ليس بعد.. الكثير منا من المدنيين الذين لا يملكون خبرة في القتال أكثر من ملاحقة اللصوص وقطاع الطرق.. المقاومة تتطلب مهارات أكبر مع جيش بحجم جيش مملكة الضياء.. لذا نحاول أن نعدّهم الإعداد الملائم قبل المغامرة بهجومٍ غير محسوب العواقب.."

لم يتخلّ حاكين عن حماسه السابق وهو يقول "بوجود الأمير سابار، ستتغير الكثير من الأمور هنا.."

ثم نظر لدارو مضيفاً "يجب أن أبلغ الرجال كذلك.. سأجمعهم في الساحة، وأخبرهم بهذه التطورات المهمة.."

هز دارو رأسه موافقاً وقال "لابد أن ترتفع معنويات الجميع بهذا الخبر.. خصوصاً عندما يعلمون أن الأمير بعيدٌ عن أيدي الخونة حتى عودة البلاد لنا.."

انطلق حاكين لتنفيذ هذا الأمر بحماس شديد.. مع مثل هذا الخبر، سترتفع معنويات الرجال ويزداد حماسهم للمقاومة.. وربما تبدأ المدن والقرى الأخرى بالانضمام لهذه الثورة وصدّ المعتدي نافضين عنهم اليأس والتخاذل..

بينما التفت دارو للثلاثة الذين جلسوا صامتين في المنزل دون تعليق.. فوجه حديثه نحو رادال قائلاً "هل أتيتم للانضمام للثوار أنتم أيضاً؟"

أطلقت سيرا ضحكة هازئة قصيرة، متجاهلة نظرة زاجرة من بارا، بينما اعتدل رادال قائلاً "لا.. شاءت الصدف أن نلتقي بجود وياسان عند سقوطهما للعالم السفلي.. والتقينا الأمير سابار عندما كان مطارداً من الأعداء.. وبعدها....."

سأل دارو بصدمة "العالم السفلي؟.. كيف حدث ذلك؟"

انبرى ياسان يخبره باختصار عن سقوطهم للعالم السفلي ولجوئهم للقرية القريبة قبل أن يتمكنوا من العودة للعالم السامي بواسطة الطائرة الخاصة بالأمير سابار.. وهذا جعل دهشة دارو وصدمته تزداد مع كل الصدف التي قادتهم للقاء الأمير سابار والعودة معه ومن ثم الانضمام للثوار حاملين رسالته التي كانت بالنسبة لهم كبارقة أملٍ جديدة في ليلهم المظلم..

نظر دارو للثلاثة بحيرة للحظة متسائلاً إن كان من اللائق سؤالهم عن الهدف من قدومهم لهذا المكان.. ثم قال "هل تنوون البقاء هنا معنا؟.. إن كان كذلك، فأنتم مرحبٌ بكم بالطبع، رغم خطورة بقائكم هنا مع

الثوار.."

قال رادال "بل سنغادر عندما نعثر على وسيلة لذلك.. فميركان ليست هدفنا.."

وصمت عازفاً عن شرح الأمر أكثر من ذلك.. ولم يبحث دارو في الأمر أكثر متفهماً الظروف التي قد يمرون بها وربما لا يحبذ أحدهم الحديث عنها..

لم يتمكن دارو في ذلك الوقت من إغفال النظرات المتوترة التي تلقيها عليه جود بين وقت وآخر.. كان يدرك أن عينيها تحملان العديد من التساؤلات.. أو بالأصح تنتظران منه أن يستوضح منها عما جرى في قانار قبل يوم الهجوم.. كان مدركاً أسباب قلقها ذاك، لذا لم يستطِع أن يتجاهلها لوقت طويل.. فقال موجهاً حديثه للبقية الذين لم يعرف أكثر من أسمائهم ولا يدري سبب وجودهم مع جود وياسان في هذا المكان "اعتبروا هذا المنزل مأوىً لكم، ولا تترددوا في طلب أي شيء مني أو من حاكين.. لكني أرجو أن تحاولوا تفادي الاحتكاك بالبقية، لئلا يحدث ما لا يحمد عقباه.. خاصة أن وجود فتاة في هذا المكان أمرٌ غير مألوف.."

وغادر بصحبة جود وياسان، بينما دمدمت سيرا بضيق "ولِمَ تستطيع تلك الفتاة أن تتحرك بحرية بينما عليّ أنا أن ألزم الحذر؟.."

وبينما انشغل ياسان ببعض الرفاق الذين عثر عليهم ضمن الثوار، وبتقصي أخبار قانار وما جرى فيها عند دخول جيش مملكة الضياء، انعزل دارو مع جود في جانب المكان.. وقد قال فور جلوسهما معاً "كيف حالك يا جود؟.. ما الذي جرى لك في الأيام الماضية؟"

قالت واجمة "ما جرى لي بعد ذلك اليوم ليس بأهمية ما جرى قبله.."

ثم خفضت بصرها متسائلة بكدر "ألن تسألني عن قاث؟"

أدرك أنها تتحدث عن اتهامها بقتل قاث، والذي لم يتمكن أحدهم من إنكاره أو إثباته قبل أن يشغلهم ذلك الهجوم.. فأمسك دارو يدها قائلاً بتأكيد "لستُ بحاجة لأي سؤال.. أنت قلتِ للقائد بارت أنك وصلت لغرفة المكتب بعد مقتله مباشرة، وأنك لم تريِ القاتل.. لذا لستُ بحاجة لأن أسألك في الأمر أكثر.. فما سمعته يكفيني.."

ازداد وجومها أكثر رغم ثقة دارو الكبيرة بها.. كيف له ألا يشك بها ولو للحظة؟.. ارتجفت شفتاها

للحظة، قبل أن تزمّهما وهي تدير وجهها جانباً بصمت.. عندها تساءل دارو بلطف "ألم تحاولي نسيان ما جرى؟"

ارتجفت شفتاها من جديد، ثم احتشدت الدموع في عينيها وهي تقول بانفعال مكتوم "أنسى؟.. أنسى جسده الذي رأيته صريعاً أمامي؟.. أنسى السنوات التي قضيتها أسعى خلفه وأتمنى نيل رضاه وفخره بي؟.. أنسى حياتي التي ما كانت لتصبح ما هي عليه لولاه؟.."

تسللت دموعها رغماً عنها وسالت على خديها بلا توقف، فتهدج صوتها أكثر وهي تقول "لقد أقسمت ألا أبكيه حتى أنتقم له.. لكن كيف أنتقم وأنا لا أعلم من فعل به ذلك؟.. كيف لروحه أن تهدأ ونحن قد تناسيناه مع هذه الحرب التي أكلت المملكة كاملة؟"

أحاطها دارو بذراعيه وضمّها إليه مغمغماً "قاث لا يمكنه أن يرضى بالانتقام.. هذا تفكيرٌ عبثي ولّده حزنك عليه.. لو كان قاث هنا، لفضّل أن تشغلي نفسك بتحرير هذه الأرض معنا، والكفّ عن البكاء عليه.."

حاولت جود تمالك دموعها دون حظٍ كبير، ومع غيظها للضعف الذي تبديه أمام دارو فإنها أجهشت بنشيجٍ مكتوم وهي تخفي وجهها بين يديها.. كيف لها أن تنسى قاث؟.. كيف لها ألا تبكيه؟..

ومع نشيجها الذي وصل إليه خافتاً، فإن رادال وقف على مبعدة منهما ينظر لها ولدارو بشيء من الاستنكار مدمدماً "صدقاً.. من هذا الرجل؟!"

لمح ياسان يقف قربه معلقاً "هل يسوؤك ما تراه؟"

انتفض رادال مستنكراً الفكرة، أمام نفسه قبل أن يكون أمام ياسان، مجيباً "لا.. قطعاً لا يهمني ما تفعله تلك الحمقاء.. لكني لم أرها قط ضعيفة بهذه الصورة.. فما الذي فعله ذلك الرجل بها؟"

غمغم ياسان "لابد أن الأمر متعلقٌ بقاث...."

نظر له رادال بعدم فهم، ومع الشرح المبسط الذي تبرّع به ياسان كعادته، فإن رادال رمق جود بصمت وشيء يعتمل في صدره.. لا يدري ما هو.. ولا يريد أن يبحث في هذا الأمر.. لكن صورتها البائسة تلك تغيظه.. ويغيظه أكثر اعتمادها على ذلك الرجل الذي انشغل بتهدئة حزنها ولم يلتفت لما حوله.. أهذه الدرجة هي ضعيفة وبحاجة لمن يطبطب على كتفها ويهدئ حزنها؟.. لمَ كانت تتظاهر أمامه بالقوة وترفض

إظهار ضعفها وانكسارها.. ألهذه الدرجة يسوؤها أن يرىٰ هذا الجانب منها؟..

لم يترك دارو جانب جود حتىٰ بعد أن هدأ بكاؤها وصمتت ساهمة.. ورغم صمتها، فإن جود شعرت بتعاطف دارو العميق من صمته وجلوسه قربها دون أن يحدثها تاركاً لها المجال لتستعيد نفسها وعواطفها دون تدخّلٍ منه.. حتىٰ جاءه استدعاءٌ من حاكين، ومن جموع الثوار التي اجتمعت تناقش قضاياهم مع الأحداث الجديدة الهامة، فنهض مربتاً علىٰ كتفها قائلاً "لا تنسيٌ ما نحن فيه يا فتاة.. بتحرير هذه الأرض، فإنك تنتقمين من كل الخونة الذين باعوها وباعوا رجالاً أفضل منهم بمئات المرات مثل قاث.."

هزت جود رأسها صامتة، ولم تغادر موقعها رغم بقائها وحيدة.. طال جلوسها في ذلك المكان بعض الوقت، لكنها لم تجد لديها القدرة علىٰ العودة للبقية.. خشيت من رؤية القلق في عيني دارو أو ياسان بعد بكائها ذاك، واستاءت من ضعفها أكثر من شيء آخر.. ودّت لو تستطيع التركيز علىٰ قضيتهم التي تحتل الدرجة الأولىٰ من اهتمامهم في الوقت الحالي، لكن وجه قاث قد عاد لذهنها بقوة فور أن رأت دارو.. فهما ثنائيان قلّ أن ترىٰ أحدهما وحيداً دون الآخر منذ صغرهما، ولابد أن يذكرها أحدهما بالآخر..

تنهدت شاعرة بالبؤس من وضعها هذا، ولم تقطع صمتها حتىٰ شعرت بتلك الأصابع التي لمست خدها بخفة، ثم سمعت رادال يقول وهو يظهر من خلفها وينحني ليصل لمستواها "كنت جازماً أن الدموع قد أغرقت وجهك، لكن لا أثر لها مطلقاً الآن.."

نظرت له جود واجمة وهو يتساءل "أأنت بخير؟.."

قالت بضيق "ماذا تعني؟.. ولمَ لا أكون كذلك؟.."

علق بابتسامة وهو يجلس غير بعيدٍ عنها "لم يبدُ لي ذلك وأنت تبكين كطفلة بين ذراعي ذلك الرجل منذ لحظات.."

تزايد استياؤها لملاحظته، فقالت بعصبية "كان ذلك حديثاً انفرادياً.. أكنت تتلصص علينا؟.."

أجاب وابتسامته تحمل شيئاً من الحنق الذي لم يملكه "لا.. لا يمكن لشخص أن تفوته رؤية حالك البائس.. والضعف الذي بدا عليك قد غاظني شخصياً.."

أدارت جود وجهها جانباً مغمغة "ما الذي جاء بك إلي؟.."

كانت تتوقع منه رداً ساخراً يهزأ بما مرت به، لكنه قال بعد لحظة صمت "صدقاً.. لا أملك جواب هذا

السؤال.."

نظرت له بدهشة، فقال وهو ينظر إليها بدوره "أدهشتني رؤيتك باكية، وهو أمرٌ لم أتخيله قط مع ما رأيته من شخصيتك سابقاً.. وما زاد استيائي هو لجوئك لذلك الرجل الغريب، بينما لم تحدثيني قط عن الأمر الذي سبب لك الحزن طوال الأيام التي قضيناها معاً.."

فوجئت جود بمنطقه أكثر ما فوجئت، ولم تعلم كيف ترد عليه دون أن تجرّ نفسها لأمور لا تود الحديث عنها.. كانت كلماته تلك تهيئ لها أفكاراً شتى لم تعرف جود كيف تتصرف نحوها، خاصة مع رفضه السابق الذي لم يمضِ عليه الكثير.. وإزاء نظراتها قال رادال وهو يفرك عنقه من الخلف "أعني.. إننا أصدقاء.. ألسنا كذلك؟.. وقد صارحتك بالفعل بكل ما في حياتي سابقاً، فلمَ لمْ تخبريني قط عن هذا الأمر؟.."

أصدقاء.. هذا هو ما يراه رادال فيها.. فلمَ ظنت للحظة أن الأمر مغايرٌ لتلك الحقيقة؟.. عندها قالت "دارو هو معلمي وكأخٍ أكبر لي.. تجمعنا سنواتٌ طوال وذكريات عديدة معاً.. من الطبيعي أن ألجأ له في لحظة ضعفي.. لكن لم تسمح لي الأيام القليلة التي قضيتها معك بحديثٍ مثل هذا.."

قال رادال بعدم اقتناع "ولمَ لمْ تشعري بالحاجة للحديث معي؟.. ظننتُ....."

تردد لوهلة، وهو يراقب ملامحها التي لم تُظهر ترحيباً بحديثه هذا.. عندها تنهد وقال وهو ينهض "لا شيء.. انسيْ الأمر.."

وغادر تاركاً إياها صامتة للحظات قبل أن تنهض بدورها مغادرة.. عليها أن تريح جسدها وتنام نوماً عميقاً.. علّها تنسى مأساة فقدها قاث.. ولعلّها تنسى رادال كذلك.. علّ ذهنها عندها يصفو لمواجهة ما هم سائرون إليه..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الرابع)
مملكة الغمام : عودة الأمور لنصابها

في صباح اليوم التالي لوجودهم في ميركان، بعد ليلة قضتها جود في أحد المنازل الذي بقي صامداً بعد الهجوم الذي طال المدينة، وشاركته مع دارو وياسان بالإضافة لرادال والتوأمين، خرجت من المنزل بانشراحٍ أكبر مما كانت عليه الليلة الماضية.. رمقت المدينة المهجورة حولها، وراقبت الجماعات التي لا تعرف عددها من الرجال والجنود الذين توزعوا في أنحاء ذلك الحيّ من أحياء المدينة.. رغم كل ما يجري، كانت جود تشعر بانشراحٍ بالغ لرؤية بذرة المقاومة التي زرعها الرجال في هذه المدينة، والتي لابد أن تنمو وتزدهر وتتفرع جذورها في البلاد كلها..

سارت في طرقات ذلك الحي، باحثة ببصرها عن دارو، وبها لهفة شديدة لسؤاله عن خططهم القريبة والبعيدة للمقاومة.. لا تدري متى بدأ تجمعهم في هذه المدينة، بعد مضيّ أكثر من شهر من بدء عدوان مملكة الضياء على وطنهم، لكن لابد أنهم يملكون تصوّراً للوسيلة المثلى للمقاومة واستغلال معرفتهم بهذه البلاد وتظافر سكان المملكة معهم للتغلب على أعدائهم..

لاحظت أن الرجال رغم بقائهم في هذا المكان دون أن يشغلهم شاغل، بانتظار قيامهم بالخطوة الأولى، لكن كثيراً منهم لم يركنوا للراحة والسكون.. فقد رأت جماعة كبيرة من الشباب المجهولين بالنسبة لها يخضعون لبعض التدريبات على يد مجنّدين محترفين، سواء في القتال اليدوي أو في استخدام بعض الأسلحة البسيطة.. لاحظت أيضاً أن عدداً منهم قد انشغل بصنع الطعام لهذه الجموع مستخدماً أي معدات يعثرون عليها في المدينة المهجورة، مثل القدور والأواني والملاعق، بالإضافة لما عثروا عليه من موارد في أحد المخازن التي غادر أهلها، أو قتلوا، قبل أن يتمكنوا من ترحيل محتويات المخزن معهم أو الاستفادة منها..

شعرت جود بمعدتها تعتصر جوعاً، لرائحة الطعام التي وصلتها بوضوح، لكنها خشيت أن تقابل بالرفض لو تقدمت طالبة بعضاً منه لكونها غريبة عن هذا المكان.. لذا أكملت بحثها عن دارو مرجئة أمر الإفطار لوقت لاحق.. لكنها توقفت عن السير فجأة وهي تلمح وجهاً مألوفاً بين الوجوه التي انشغلت بالمعاونة في تحضير الطعام وتوزيعه، استدارت تنظر لذلك الشخص بشك ودهشة، قبل أن تتجاوز عدداً من الرجال

وتقترب منه وهي تقول بدهشة "أنت.....؟"

نظر لها الرجل بصمت مدهوش، بينما قالت جود بانفعال "أنت كابو؟.. ألست أنت من كان مع هيما في السوق ذلك اليوم؟.."

أجاب كابو الذي وقف أمامها مزيحاً القبعة عن رأسه "أنا هو يا سيدتي.."

قالت جود بدهشة "ما الذي تفعله هنا؟.. كيف وصلت لهذا المكان مع الثوار؟.."

لا حظ كابو انزعاج رفاقه من وقوفهم هناك، معرقلين حركة طابور الطعام المزدحم.. فتراجع كابو خطوات وجود تتبعه حتى صارا خلف تلك الجموع التي لم تتوقف عن الحركة نحو القدور الضخمة التي ضمّت أنواعاً مختلفة من الطعام.. وأمام نظرات جود الفضولية، أجاب كابو مطرقاً "لقد طردت من المعبد في ذلك اليوم الذي قابلناك فيه في السوق.. وربما كان ذلك من حسن حظي.. فعندما بدأ الهجوم على قانار، دمر معبد أناري وقتل أغلب الكهنة والحرس والخدم فيه.. لم ينجُ منهم إلا القليل.."

بدت التعاسة على وجهه وهو يذكر ما حصل للمعبد، فشكّت جود أن يكون معتقداً أن هيما قد قضت نحبها في ذلك الهجوم بدورها.. فلمست ذراعه بيدها قائلة بابتسامة "حظك لا يقل عن حظ هيما إذن.."

نظر لها كابو بعدم فهم.. فأضافت "لديّ رسالة خاصة لك، وقد شاءت الأقدار أن تأتي لهذا المكان كي ألتقيك وأبلغك إياها.."

وأملته رسالة هيما كما أملتها إياها.. فتقدم كابو خطوة وهتف "أهي بخير؟.. كيف نجت من ذلك الهجوم؟.."

أجابت جود "لقد هربتُ بها من المعبد قبل الهجوم بيوم واحد.. ألم أخبرك أنكما تملكان حظاً لم أرَ مثله في حياتي؟.."

ورغم القلق الذي بدا على كابو لما جرى لهيما مع خبر قرارها البقاء في أرض الهوام، إلا أن خبر نجاتها من الموت كانت كافية لإسعاده وهو يدمدم "من كان يصدق؟.. لقد ظننت بالفعل أنها قد قتلت تحت ركام المعبد.."

ابتسمت جود للفرحة الواضحة على وجه كابو، فتساءلت "وما الذي جاء بك لهذا المكان؟.."

فرك قبعته التي احتفظ بها في يده للحظة، ثم قال "لم أتمكن من البقاء منزوياً في قانار عندما سمعت بأمر

تجمع الثوار في ميركان.. كان يجب أن آتي وأنضم إليهم مهما كانت العوائق.."

تساءلت جود بقلق "وهل أخبار هذا التجمع متداول بين أهالي قانار؟.."

أجاب بحيرة لسؤالها ذاك "بلى.. الكثير منا يتهامس بهذا الأمر.. ولذا يتسلل الجنود السابقون وكثير من الشباب محاولين الوصول لميركان والمشاركة في هذه المقاومة.."

صمتت جود للحظة تفكر في تداعيات مثل ذلك الخبر، ثم ابتسمت لكابو معلقة "سعيدة بنجاتك وبلقائي بك لكي أتخلص من الأمانة التي حمّلتني إياها هيما.. لكن لا تفقد هذه الحياة بسهولة.. الوطن يحتاجك ويحتاج لكل رجل وامرأة يمكن أن يقدم الدعم لهذه الثورة.. لذا لا داعي للتهور.."

أحنى كابو رأسه شاكراً بوعد صامت، فاستدارت وغادرت بعدها وبحثت بعينيها عن دارو بشيء من القلق.. وفور أن رأته، بين عدد من الرجال الذين نصّبوا أنفسهم على فرق الرجال في ميركان، أشارت له بعينيها طالبة التحدث إليه.. وفي إحدى الزوايا، مع نظرات دارو المتعجبة للتقطيب الذي علا جبينها، قالت بصوت حاولت ألا يصل للبقية "دارو.. أخبار تجمعكم في ميركان بغرض الثورة وصل لشوارع قانار.. أكنت تعلم بذلك؟"

أجاب دارو "علمت بذلك عندما وجدت جماعة من شباب قانار يفِدون إلينا طالبين الانضمام للثورة.."

علقت جود بقلق "ألا يعني هذا أن أمر هذا المكان قد وصل للجواسيس، وربما وصل لمملكة الضياء بالفعل؟"

قال دارو "لا يمكننا التأكد بعد من هذا الأمر.. فلم تمر بنا أي فرق من جيشهم ولم نلحظ أي قوات تحاول الاقتراب من المدينة.."

قالت جود بإلحاح "لكن هذا لا يعني أن علينا الاستسلام لهذا الأمن.. علينا التصرف بسرعة لحماية القوة الوحيدة الباقية في المملكة للدفاع عنها.. لو قتل هؤلاء، أتظن أن أحداً من أهالي المملكة سيحاولون إيقاد شعلة الثورة من جديد؟.."

تنهد دارو قائلاً "أدرك ذلك بالطبع.. وحاولت إقناع الرفاق بهذا الأمر.. لكن ميركان بالفعل هي المكان الوحيد الذي يمكن أن يضمّ جماعات كبيرة منا دون أن نلفت الأنظار.. كما أننا نعتقد أن العدو لن يلجأ للهجوم علينا في هذه المدينة.. فلو حاول قصف الأطلال، لن يمكنه الوثوق أنه قد قضى علينا بشكل تام..

والتدخل البري مستحيلٌ أيضاً بسبب حجم المدينة وتشعّب طرقاتها وأطلالها.."

ألحّت جود بضيق "هذا لا يعني أنكم بأمانٍ كلي هنا.. عليكم إيجاد حلّ لهذا الأمر، وتقصيّ المسألة قبل أن تتفاقم دون أن تنتبهوا لها.."

لاحظت رادال الذي اقترب منهما وانضمّ إليهما قائلاً فور أن لاحظ نظراتهما الصامتة الموجهة نحوه "بحثت في أرجاء الحي كاملاً فلم أرَ أي نوع من المركبات أو حتى الدواب.. كيف جئتم لهذا المكان من دون أيها؟"

أجاب دارو بدهشة من سؤاله ومن بحثه ذاك "لدينا بعض الأحصنة، لكنها ليست قريبة من هنا.. احتفظنا بها بعيداً كي لا يجذب صوتها الأنظار إلينا.."

فقالت جود معلقة "لا أظنك ستستفيد من الأحصنة يا رادال.. فهي لن تعينك على اجتياز السلسلة الجبلية تلك.. وحتى لو تمكنت من تجاوزها بها، فستستغرق وقتاً طويلاً قبل أن تنجح في اجتيازها بالفعل.."

نظر دارو بصمت وتساؤل نحو جود ورادال، فقالت جود "رادال كان عوناً كبيراً لنا في عودتنا للعالم السامي، ولمملكة الغمام أيضاً.. ونحن ندين له بالكثير، لذا هو يرجو معاونتنا على اجتياز السلسلة الجبلية ليتمكن من العودة لوطنه.."

ونظرت بتردد إلى رادال، الذي فهم سبب قلقها فبادر بالقول "أنا من مملكة الضياء بالأساس.."

نظر له دارو مصدوماً، ثم تلفت حوله قائلاً بصوت خفيض "لو علم الرجال هنا بذلك، لمزقوك إرباً.. عليك إخفاء هذه الحقيقة، ولا يخفى عليك السبب.."

قال رادال مقطباً "ليس من مصلحتهم ذلك، فأنا قادرٌ على إنهاء هذه الحرب بضربة واحدة، ولكني لن أقدر على ذلك دون عون منكم.."

نظر له دارو بدهشة، فلم تتردد جود أن تخبره بهويته الحقيقية وما جاء للعالم السامي لتحقيقه.. كانت تلك المعلومات صادمة له بأكثر من كونه من مملكة الضياء.. ورغم أن ذلك قد يحقق لهم حرية موطنهم دون جهد ودون أن يخسروا رفاقهم وحياتهم لأجله، لكن دارو رأى أن تلك أحلامٌ عصيّة على التحقيق.. من يمكنه أن يظن لوهلة أن رجلاً وحيداً مختبئاً مع ثوار مملكة الغمام يمكنه أن يصل لشادين، ولعرشها، وينتزعه من الملك الذي يحظى بتأييد وولاء شعبه وجيشه بالكامل؟..

لكن دارو لم يتمكن من الإعلان عن ذلك صراحة، بل هز رأسه قائلاً "مهما كنا بتوقٍ لتحقيق هذا الأمر، لا

يمكننا مد يد العون لك بأي صورة.. لا نملك حتى مركبة نمنحك إياها، أو أي دابة يمكنها أن تعينك على السفر نحو شادين.. ولا تنسى أن المرور عبر حدود المملكتين لن يكون هيناً مع هذه الحرب.."

غمغم رادال متذكراً ما جرى عندما عبروا الحدود في المرة الأخيرة "أدرك ذلك.."

زفر متطلعاً حوله للحال البائس الذي رأى عليه الثوار منذ قدومه.. كيف له أن يأمل بمواجهة سوريم وحيداً، أو حتى بمعاونة هؤلاء وهم ليسوا أكثر من شرذمة مقارنة بجيش مملكة الضياء الذي سمع عنه من هيرود في ساڤا؟..

لكنه لم يكن مستعجلاً.. هو يوقن أن طريقه سيقوده لشادين.. والعرش سيكون من نصيبه في النهاية.. لكن الاندفاع نحو ذلك الهدف بغير تعقل أمرٌ غير وارد نهائياً، فنهاية الاندفاع ستكون خيبة أملٍ كبيرة ونهاية مؤسية له قبل أن يكون كذلك للآخرين..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

سارت سيرا متأففة في ذلك الطريق الذي يقطع وسط ميركان وهي تراقب الحال المزري الذي يعيش فيه أولئك الرجال.. ما الذي يجبرهم على البقاء في هذا المكان معهم؟.. حقاً إنها لا تفهم رادال ولا تفهم بارا الذي يسايره دون أن يعترض على ما يفعله..

لاحظت النظرات الملتصقة بها من كل جهة، فتجاهلتها وهي ترمي شعرها للوراء وتسير بثقة بعد أن أصابها الملل الشديد من الجلوس في ذلك المنزل شبه وحيدة.. لا تملك أدنى اهتمام بالبقاء حيث طلب منها بارا، ورادال قد اختفى منذ بدء النهار دون أن تجد له أثراً.. فكيف لها أن تبقى مستسلمة للملل والكآبة وهي التي لم تعتدْ على ذلك؟..

ظلت تجول في المكان بحثاً عن رادال وعيناها تتقلبان بين المنازل الساكنة وبين الرجال الذين وقف بعضهم يتأملها بصمت وابتسامات لم تخفَ عليها.. ورغم أنها تجاهلت كل هذا، لكنها لم تقدر على الاستمرار بذلك عندما وجدت أحدهم يسدّ عليها الطريق بعد ابتعادها عن الآخرين.. وكان الأمر أسوأ عندما رأت ثلاثاً آخرين يقتربون فيحيطون بها.. تجرأ الأول ليقول وهو يتفحصها "ما الذي جاء بفتاة مثلك لهذه المدينة

المهجورة؟.. كيف طاوعك أهلك على ما تفعلينه؟"

رفعت رأسها قائلة بسخرية "أتظنني فتاة تافهة تنتظر الإذن من أبويها لتفعل ما تشاء؟.. أهكذا تتصرف فتيات هذه البلاد؟"

قطب الرجل وهو يقول "فتياتنا لا يرمين بأنفسهن في مثل هذا المكان مع ما في ذلك من حطٍّ لقدرهن.."

علقت سيرا بهزء "ماذا عن جود؟.. ألا تعتبرونها من فتياتكم؟"

أسرع الرجل يقول ساخراً "وهل تعتبرينها فتاة؟.. ثم إنها ليست منا.. إنها أرضيّة.. لا أحد ينسى هذه الحقيقة رغم كل محاولاتها للاندماج بيننا.."

انتاب سيرا شيء من الغيظ لما تسمعه.. ما الذي يدفع جود للاستماتة في مشاركة هؤلاء مصيرهم رغم بغضهم الواضح لها؟.. عندها قالت بجفاف "لا يشرفني الوقوف معكم ولا مبادلتكم الحديث.. ابتعدوا عن طريقي.."

حاولت المغادرة، لكنه أمسك ذراعها قائلاً بضحكة ساخرة "سنرى كم سيطول كبرياؤك هذا يا جميلة.. تناهى إلى أسماعنا أنك من مملكة الضياء.. أراهن أن فتيات المملكة فاتنات مثلك، ومنحطّات بالدرجة ذاتها.."

جذبت سيرا ذراعها وقد انقلبت سخريتها غضباً وهي تصيح "لا تجرؤ على لمسي.."

قال آخر بابتسامة "بل نجرؤ على ما هو أكثر من ذلك.."

حاولت سيرا التملص، لكن أيدي الرجال الأربعة قد ثبّتتها ومنعتها من الهرب رغم مقاومتها ساحبينها لجانب بعيد عن الآخرين وهي تصيح بحنق "اتركني.. ستندمون على هذا.."

فوجئ الأربعة في تلك اللحظة بطلقة رصاص ترتطم بالأرض بينهم حتى كادت تغوص في قدم أحدهم، مما جعلهم يقفزون خلفاً بفزع وينظرون للجهة التي صدر منها الصوت.. وهناك، لمحوا رادال يصوب نحوهم مسدساً قائلاً "حاذروا.. لم أتمكن من إجادة التصويب بهذه الأشياء بعد، لذا لا أضمن النتائج في المرة القادمة.."

صاح أحدهم بغضب وهو يقترب منه "أيها الخسيس.. ما الذي.....؟"

صمت عندما رأى حاكين يظهر من خلف رادال غاضباً وهو يصيح به "كيف تقوم بتصويب المسدس نحو

الرجال؟.. أنت تُمضِ أكثر من ساعة من التدريب، وعليك التزام الحذر واتباع تعليماتي بدقة.."

قال رادال بابتسامة وهو يخفض فوهة المسدس "لا تقلق.. لم أكن أنوي إصابة أحدهم فهناك فتاة قربهم.."

ازداد حنق الرجال من قوله الذي يستهين بهم، فيما انسلّت سيرا من بينهم متقدمة من رادال بثقة.. الآن، لن يجرؤ أحدهم على لمسها مع تهديد رادال الواضح لهم.. من يجرؤ على معارضة شخص مثل رادال؟..

أدار حاكين بصره للرجال باستياء وقال "ما الذي يجري هنا؟.. هل كنتم تحاولون مضايقة ضيفتنا بأي شكل من الأشكال؟"

بدا التردد واضحاً على وجوه الرجال، لكن أحدهم اندفع قائلاً بحدة "إنهم من مملكة الضياء كما تناهى لعلمنا.. أتعلم كم فتاة وامرأة اغتصبت وقتلت بأيدي جنودهم؟"

علق رادال ساخراً "وأنت تسعى خلف الانتقام، لا بحثاً عن متعتك الخاصة.. أليس كذلك أيها الثائر النبيل؟"

تميّز الرجل غيظاً وهو يصيح "حريٌّ بنا قتلك أنت أيضاً والانتقام منك.. كل من يعارض هذا لا يمكنه أن يكون وفياً للوطن.."

ازدادت تقطيبة حاكين حدة وهو يتقدم منهم قائلاً بصرامة "أي وطن هذا الذي يدعوكم للانتقام من ضيفٍ لجأ إلينا، وحمل إلينا خبراً ورسالة مهمة كما فعل هؤلاء؟.."

بدا الاعتراض واضحاً على وجوه الرجال دون الاقتناع بما قاله، فأضاف حاكين بشدة "فليحاول أحدكم مد يده بسوء لضيوفنا، عندها سيتم طرده من الثوار شر طردة.. لا يمكن للوطن أن ينهض بأيدي من ينتقمون بكل خسّة ممن لم يرفع سلاحاً في وجوههم أو يتعدّى على حرماتهم.. ومن يطرد من الثوار، سأحرص أن تصل فضيحته تلك للآفاق في مملكتنا السامية.."

تراجع الرجل خطوة، قبل أن يستدير وينضمّ لرفاقه مبتعدين دون أن يملك أحدهم التذمر لما قيل.. راقبت سيرا رحيلهم بهزء، فيما قال رادال باستياء "ما الذي أخرجك وحيدة؟.. ألا تملكين ذرة تعقل تدلك على خطورة تجوالك في هذا المكان؟"

قالت سيرا غير عابئة بتأنيبه "خرجت بحثاً عنك.. ظننت....."

تساءل رادال "ظننتِ ماذا؟"

غمغمت سيرا "لا شيء....."

لم ترغب بإخباره أنها ظنت أنه خرج للقاء جود، ولم تدرِ لم خايلها أنه فعل ذلك.. دهشت لما رأته مع ذلك المدعو حاكين الذي يقوم بتدريبه على استخدام هذا السلاح الذي لا يملكون مثله في العالم السفلي، لكن رغم دهشتها فإنها شعرت براحة أكبر لما رأته.. ورغم معارضته، جلست سيرا جانباً تراقبه بصمت.. مع رادال، هي مطمئنة أنها بخير.. لطالما حماها، ولابد أنه سيفعل ذلك لما بقي من حياتها.. فلمَ ينكر اهتمامه بها ويستنكر أن تعلن هي ذلك؟.. هذا ما لم تفهمه قط..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

بعد أقل من يومين على وجودهم في ميركان، فوجئوا بتطورٍ كبير في الأحداث مع تلك المركبتين اللتين اخترقتا جوانب المدينة وسارتا وسط طرقاتها نحو الساحة التي تتوسطها.. كانت أخبار اقتراب المركبتين قد سرت مثل النار في الهشيم بين الثوار، والذين سارع أغلبهم لحمل أسلحتهم وصعود المنازل القريبة من الساحة وعلى طول الطريق المؤدي إليها في تحفزٍ لا يمكن أن يجهل شخصٌ أسبابه..

سارت المركبتان تخترق شوارع المدينة بسرعة متوسطة تحت أعين الثوار المتفحصة.. لكن تعذر عليهم معرفة ركابها مع الغطاء الذي يعلوهما ويلقي ظلاله على من بقلبها.. وفوق سطح أحد المنازل التي لا تبعد الكثير عن الساحة، ربض دارو وحاكين مع جماعة من الرجال يراقبون الوضع عبر المناظير المقربة.. وقربهم، انحنت جود تتأمل الغبار الذي يعلو من أثر المركبتين اللتين تقتربان منهم بشكل حثيث، وقربها ياسان يغمغم "أرجو ألا يكون قدومنا فألاً سيئاً للثوار.."

أشارت له جود ليصمت وهي تسمع أحد الرجال يقول بقلق "الأفضل أن نتخلص منهما.. لا نعلم كم رجلاً تحملان بقلبها، ولا نوعية الأسلحة التي يحملونها.."

علق دارو "نتخلص من المركبتين دون أن نعرف هوية أصحابها؟.. لا يحق لنا ذلك.."

نهض حاكين من مخبئه جوارهما قائلاً "فلنفعل ذلك بأبسط الطرق.."

وتسلل مغادراً متجاهلاً نداء البقية له.. وبينما سلكت المركبتان طريقاً عشوائاً في المدينة، فوجئ سائق

أولاهما في أحد التقاطعات بذلك الرجل الذي وقف في وجهه حاملاً بندقيته.. ضغط السائق على الفرامل بقوة ليوقف المركبة وقوفاً فجائياً فتتبعه الأخرى بحدة مثيرة سحابة من الغبار غطتهما.. ولم تلبث أن تنقشع ليروا حاكين الذي اعترض طريقهم يرفع بندقيته صائحاً "غادروا المركبة وأفصحوا عن هويتكم.. والأفضل لكم ألا تقاوموا بعناد، فليست بندقيتي هذه هي الوحيدة الموجهة نحوكم.."

فتح باب المركبة الأولى بهدوء، وغادرها رجلٌ قال فور خروجه "ومن تكون أنت لتعترض طريقنا؟.. هل أصبحت هذه المدينة المهجورة ملكاً لك؟.."

لم يدرِ رفاق حاكين بما دار من حوار بينه وبين الرجل الذي خرج للتو من المركبة، لكنهم فوجئوا بحاكين يخفض بندقيته على وجه السرعة ويشد جسده مؤدياً التحية باحترام لذلك الرجل.. مما أثار موجة من الحيرة بين رفاقه.. بادر دارو فور أن رأى ذلك المنظر بمغادرة موقعه بدوره والاقتراب من المركبتين وأصحابها ليكشف اللثام عن هذا التصرف المحير من حاكين.. من ذاك الشخص الذي استطاع أن يجعله يسقط حذره في لحظة؟.. أهو من رجالات الجيش في قانار؟..

وفور اقترابه من حاكين، سمع الرجل يقول "وإن لم يكن هذا دارو!.. يبدو أن فلول جيش قانار قد اجتمعت هنا كما ورد إلينا بالفعل.."

بدت الدهشة الكبيرة على وجه دارو وهو يرى ملامح الرجل الذي وقف وقفة حازمة، ويتعرف فيه على تادار، القائد الخامس من قادة الجيش، والذي اختفى منذ اليوم الأول للهجوم على قانار.. كتم دارو تساؤلاته العديدة تلك وأدى التحية العسكرية بدوره قائلاً "لم أتوقع أن أراك في هذا المكان يا سيدي.."

قال تادار بسخرية "أظننتم أنني قد قتلت كما جرى لبقية القادة؟.."

أجاب حاكين "هذا ما دار بأذهان الجميع مع اختفائك عن ساحة الأحداث تماماً يا سيدي.."

تلفت تادار حوله قائلاً "هي حكاية تطول، سأخبركم بها بالطبع.. لكن لا أظن هذا المكان هو الأنسب لمثل هذه المحادثة.."

لاحظ الأفراد الذين توزعوا على الأسطح القريبة، ورأى الأسلحة التي يحملونها والموجهة لهم وللمركبة، فقال مواجهاً دارو من جديد "من المسؤول عن هؤلاء الرجال؟.. أأنت من تولى قيادتهم يا دارو؟.."

أجاب دارو "لم نقم باختيار قادة لنا، بل قراراتنا تتم بالإجماع.."

فقال تادار بابتسامة "لا أظن هذا حل ملائم على المدى الطويل.. ثم إنه من غير اللائق أن يوجه الجنود أسلحتهم نحو قائدهم.. أليس كذلك؟.."

تساءل حاكين بدهشة "هل تنوي تسلّم قيادة الرجال يا سيدي؟.."

ابتسم تادار ابتسامة واثقة وهو يتراجع عائداً لمركبته، فيما أشار دارو للرجال بخفض أسلحتهم.. ثم تراجع الجميع لوسط المدينة الذي اتخذوه مخبأً ونقطة تجمع للثوار.. كان خبر وصول تادار مدهشاً وغريباً لم يصدقه أغلب من سمعوه ولم يشهدوا ما جرى بينه وبين دارو وحاكين.. حتى وقفت المركبتان وسط الساحة، وهبط منها تادار يتبعه عدد من الرجال الذين كانوا معاونيه وبعض أخلص جنوده في الجيش سابقاً..

مسح تادار المكان بعينيه بنظرة متفحصة، ملاحظاً العدد الذي بدأ يتحلق حوله من الرجال، والذي تكون من بعض الجنود بالإضافة لعدد من الشباب والرجال المدنيين.. وقد كان بإمكانه تمييز الجنود من غيرهم بسهولة مع حرصهم على أداء التحية العسكرية له رغم عدم ارتداء أغلبهم للزي الخاص بالجيش..

ابتسم تادار متقدماً من الجموع التي تترقبه، وقال بصوتٍ واضح ليصل للجميع "لشدّ ما أنا سعيدٌ برؤية هذا التجمع الذي يسعى للثورة ضد العدو وطرده من البلاد شرّ طردة.. فور أن علمت بالخبر، سعيت للقدوم إليكم، والانضمام لهذا التجمع الذي تباركه السماء دون شك.."

تجرأ أحدهم ليسأل "سيدي.. مع ذلك الهجوم الذي دمر قيادة الجيش، والخونة اللذين استهدفوا القادة الخمس في ذلك اليوم، لم نتوقع وجود أحد القادة حياً.. فكيف تمكنت من النجاة؟"

ابتسم تادار ابتسامة هازئة وقال "أظننتم أنني يمكن أن أسقط بسهولة؟.. ليكن في علم الجميع، لم يتخلص من ذلك الخائن الذي قتل القادة إلاي.."

تبادل الجميع النظرات بينما خفق قلب جود للحظة وهي تسمع ما يقال.. كان الحديث يتعلق بقاتل قاث.. أليس هو الخائن الذي قتله وقتل بقية القادة أثناء الهجوم؟.. هل قُتل بدوره دون أن تنال جود انتقامها منه؟.. كان هذا أسوأ ما سمعته منذ زمن طويل..

شد تادار جسده قائلاً بنظرات حادة "لستُ أحمقاً ومتخاذلاً كالبقية.. كنت في طريقي لمبنى القيادة، رغم الهجوم المدمر الذي يتناهب زواياها.. فلا يمكنني أن أتقاعس عن القيام بعملي وحماية الوطن في أسوأ الأوقات وأخطرها.. ولما لمحت ذلك الجندي قادماً نحوي، وعيناه تنطقان بشررٍ واضح، أدركت من

الوهلة الأولى أنه ينوي قتلي.. لم أنتظر لأفهم السبب، وحاولت الخلاص منه.. دار عراكٌ عنيف بيننا، وتمكنت من التخلص منه بالفعل خلال لحظات معدودة.."

تساءل أحد الرجال بشك "وما سبب اختفائك بشكل كلي بعدها؟.."

حدجه تادار بنظرة قاسية لطرحه هذا السؤال، ثم قال بأسف "ذلك الوغد نجح في إصابتي بجرح غائر في صدري، قبل أن أقتله بالفعل.. فقدت الوعي بعدها بسبب النزف الذي لم يتوقف.. ولولا معاونيّ المخلصين هؤلاء، الذين أنقذوني من ذلك الجحيم وأخذوني لمن عالج جرحي، لما تمكنت من الفرار من الموت.."

وسار خطوات يتأمل الوجوه حوله مضيفاً "عندما استيقظت من غيبوبتي، راعتني الأخبار التي وصلت إليّ، عن دمار القيادة واستسلام قانار، وأخبار ذلك الجيش الذي يقترب منها منتوياً دخولها والسيطرة عليها.. اضطررت للصمت والبحث عن بقية الجنود الذين تشتتوا في ذلك الهجوم، أملاً في أن أجمعهم على كلمة واحدة لمقاومة العدو.. حتى سمعت بأمر هذا التجمع في ميركان.. فانطلقت من فوري للانضمام إليكم، لنبدأ في دحر هذا العدوان الظالم ونستعيد حرية وطننا الغالي بالقوة.."

تعالت صيحات الحماس بعدة أفواه من الرجال المتحلقين حوله، وقد اشتعل حماسهم وازداد أملهم بجدوى هذا النضال الذي ينتوون به مواجهة جيش لا حصر له.. بوجود قائد يقودهم، يغدو الأمر أكثر ثباتاً وتنظيماً، وتصبح جموعهم أكثر قدرة على السير في هذا الطريق الشائك..

علت ابتسامة راضية وجه تادار وهو يراقب انفعالات الرجال أمامه، فيما وقف معاونوه خلفه بصمت.. حتى تناهى لسمعه أحد الرجال وهو يقول بحماس "يبدو أننا بالفعل في الطريق الصحيح.. أولاً هناك خبر عثورنا على الأمير سابار، والآن عودة القائد تادار لينظم مقاومتنا هذه.. ألم أقل لكم أن الأمور ستتحسن دون شك؟.."

تقدم تادار خطوة متسائلاً بصدمة "ماذا قلت؟.. أي أخبارٍ تلك عن الأمير سابار؟"

اقترب دارو شارحاً له الأمر "وردتنا أخبار، ورسالة خاصة، من الأمير سابار قبل عدة أيام.. وقد حملها أحد رجالنا الموثوقين الذين لا يمكننا أن نتهمهم بالكذب.."

وأشار لياسان الواقف قريباً، فاتسعت عينا تادار وهتف "الأمير سابار؟.. هل هو حي؟.. تناهت لنا بضع

إشاعات أنه قتل في القصر مع الملك في اليوم الأول للهجوم.."

قال دارو "بل هو حي ولم يمت بعد.."

تساءل تادار باهتمام "وأين هو الآن؟.. لمَ لم يأتِ ليقود شعبه نحو التحرير؟"

أجاب ياسان "إنه ليس في أرض المملكة.. لقد حاول أناري الخائن قتله، وأصيب إصابة بالغة.. وقد قام بعض الحرس بتهريبه لئلا يطاله أناري ويحاول قتله من جديد.."

ظل تادار يستمع إليه باهتمام، ودارو يضيف "لقد لجأ للملكة هايانا في مملكة القمة العالية.. هو بأمانٍ هناك حتى نتمكن من توحيد صفوفنا وتجهيز أنفسنا لحرب تحرير الوطن.."

قطب تادار متسائلاً "هل تكفي كلمتكم هذه، ورسالة يمكن تلفيقها، لنتأكد من وجوده حقيقة؟.. كيف سيعيننا على استعادة الوطن وهو على بعد مئات الأميال منه؟"

تبادل الرجال القريبين النظرات بحيرة وشيء من الضيق.. كان آخر ما يرغبون به هو ما يحطم عزيمتهم وآمالهم بالنصر في تلك الأوقات، خاصة بعد أن انتعشت آمالهم بالأخبار التي توالت عليهم في الآونة الأخيرة.. لكن ياسان تقدم خطوتين قائلاً بلهجة حماسية "ليس الأمر مقتصراً على الأمير سابار.. بل هناك خبرٌ يفوق ذلك أهمية.."

التقت النظرات عنده بدهشة وفضول، وتوجست جود شيئاً ما مما ينوي ياسان قوله.. لكن قبل أن تتمكن من منعه رأته يستدير مشيراً إلى رادال مضيفاً "معنا هنا الأمير رادال.. ولي العهد الحقيقي ووريث عرش مملكة الضياء.. والملك الحالي للمملكة الذي يسعى لاستعادة عرشه ممن سلبه إياه.."

لكزته جود مقطبة بحدة، فيما صمت رادال دون تعليق رغم أنه لم يكن ينتوي كشف أمره بشكل عام في أرضٍ معادية ووسط رجال يكرهون مملكته.. لكن من يمكنه أن يمسك لسان ياسان؟.. أما تادار، فقد بهت بشكل تام وهو يحدق في وجه رادال بمزيج الصدمة وعدم الاستيعاب، ولم تكن صدمة الرجال حوله أقل قوة.. طال صمت تادار وقتاً طويلاً وهو عاجزٌ عن إيجاد الكلمات المناسبة للتعليق على هذا الأمر، مما جعل جود ورادال يتبادلان النظرات بصمت وتقطيبة ظاهرة..

أخيراً، قال تادار بشيء من العصبية "ما معنى هذا؟.. كيف يمكننا التأكد من حديث هذا المدّعي؟"

قال رادال بصرامة "إياك أن تجرؤ على تكذيبي.."

احتقن وجه تادار لهذه اللهجة التي خاطبه بها رادال، فيما قال ياسان محاولاً تلطيف التوتر الذي تصاعد في المكان "رادال يعارض هذه الحرب بشكل تام.. وهو يعدنا بأن يسحب كافة الجيوش من أرضنا لو وصل للعرش بالفعل.."

قال تادار بجفاء "وهل يطلب منا سعادته أن ننبذ أرضنا ونذهب خلفه لنزيح سوريم من عرشه ونضعه مكانه؟"

كانت لهجته الساخرة واضحة للجميع، فيما أضاف تادار مدمدماً وهو يستدير "هذا هراء.."

فيما همست جود لياسان بحنق "أما أمكنك أن تمسك لسانك قليلاً؟.."

هتف ياسان بدهشة "ما الذي فعلته؟!.."

لاحظت جود أن تادار قد أشار لدارو ليتبعه بحركة من إصبعه، فنظر دارو لرادال الذي يكتم غضبه بوضوح، وقال له "لا تغضب مما تسمعه هنا.. لكَ أن تدرك أن أي شخص ينتمي لمملكة الضياء سينال نصيبه من العداوة بعد كل ما جرى بين المملكتين.."

لم ينكر رادال ما قاله دارو، ولم يستنكر ما فعله تادار رغم حنقه من تلك المعاملة المهينة.. إنه مجرد رجل الآن.. وحتى يصبح الملك بشكل فعلي، فعليه ألا يأمل بأن يحصل على أي احترام أو معاملة مختلفة لما يراه الآن..

استدار رادال لجود الواقفة قربه وهمس بحدة "أنا لا أحب هذا الرجل.."

تساءلت جود "ألأنه لم يعاملك بالاحترام الواجب؟"

قطب رادال مجيباً "لا.. هناك ما يلوح في عينيه.. استنكاره لوجودي لا معنى له، وصدمته بي أكبر من أن يتم إغفالها.."

صمتت جود بدورها مراقبة تادار الذي غادر متذمراً ودارو يتبعه.. بالفعل هي ليست مرتاحة لوجوده كلياً.. لكن الرجال بحاجة لمن يقودهم.. وفي غياب سابار، الذي لا يمكنه القدوم لهذا المكان الخطر، وفي غياب أي قائد آخر من القادة الخمس، يبقى تادار هو الحل المثالي لهذا المنصب، والرجل الذي لن تختلف الآراء على أحقيته بالقيادة..

تنهدت جود وهي تغادر بدورها.. لو كان قاث حياً، هل كانوا سيجدون أنفسهم في هذا المكان؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

بأمرٍ من تادار، انضمت جود وياسان للاجتماع الذي ضمّ تادار ودارو وحاكين، وهما أبرز اثنين استلما قيادة هذه المجموعة المتنافرة من الأشخاص منذ بدأ تواجد الثوار في هذه المدينة.. وبينما حكى ياسان لتادار عن عثورهم على الأمير سابار وعودتهم معه للعالم السامي واللجوء للملكة هايانا، فإن دارو سلّم رسالة الأمير لتادار ليتأكد بنفسه من محتوياتها..

ظل تادار يتفحص رسالة الأمير سابار ويقلبها من كافة جوانبها بشك واضح، ثم نظر لياسان متسائلاً بريبة "أأنت واثق أن من رأيته هو الأمير سابار وليس مدعياً كهذا الرجل الذي يحاول إقناعنا أنه الأمير رادال؟.."

قالت جود باندفاع "رادال ليس مدعياً.. ونحن لا نكذب فمن سلّمنا الرسالة هذه هو الأمير سابار بنفسه.."

قال تادار باستياء "ومن طلب منك الحديث يا هذه؟.."

احتقن وجه جود بغضب، فيما لمس ياسان ذراعها لتصمت وقال لتادار "إنه بالفعل الأمير سابار، وهو يملك الخاتم الذي يثبت به هويته.. لكن ليس هذا ما يجب أن نشغل أنفسنا به الآن.."

قال تادار وهو يضع الرسالة جانباً "أتحاول فرض نفسك عليّ يا ياسان؟.. كونك كنت معاون القائد كارون لا يعني....."

قال دارو "بالفعل.. علينا أن نركز على توحيد صفوفنا وترتيب الأولويات.. تنظيم هذه الجموع المتفرقة في نظام واحد له الأهمية القصوى في هذه المرحلة يا سيدي.. لا يمكننا القيام بأي هجوم دون أن تجمعنا كلمة واحدة.. وبوجودك، يغدو هذا الأمر أسهل من السابق لأنه من الأسهل على الجنود الاعتراف بك قائداً لهم عن انتخاب قائد جديد.."

حك تادار لحيته النامية وتساءل "كم عدد الرجال المتواجدين في هذه المدينة؟.. وكم عدد الجنود بينهم؟.. ما تسليحكم، وما المعدات التي تملكونها؟.. أريد أن أعرف كل صغيرة وكبيرة في هذا المكان.."

أجاب دارو "عددنا لا يزيد عن ألفي رجل، أقل من نصف هذا العدد هم من الجنود السابقين.. لكن مع بدء هجومنا على العدو، فإننا نأمل أن تتزايد أعدادنا باضطراد.."

قال تادار باهتمام "هذا العدد أكبر مما توقعت بالفعل.. ظننت أنني لن أجد أكثر من ألف شخص.."

أكمل دارو قائلاً "أغلب الجنود قد انضموا إلينا بما يملكونه من أسلحة سابقة، بنادق ومسدسات وأسلحة بيضاء.. عثرنا في ميركان على مستودع لجيش ميركان يحوي بضع مدافع وقاذفات للقنابل الضوئية، ويبدو أن جيش مملكة الضياء قد غفل عنها بعد أن تهدم المبنى الذي يحوي المستودع بقلبه وأخفى ما كان يحتويه.. لكننا نفتقد للمركبات والذخيرة، وطبعاً بدرجة أكبر للطائرات وأي معدات حديثة.."

غمغم تادار "بهذا التسليح، سيغدو من الأصعب أن نقوم بأي هجومٍ ناجح.. وإن قمنا بمثل هذا العمل دون تخطيط، فنحن نعلنها حرباً مع العدو ونجعل أنفسنا صيداً سهلاً دون أن نملك ما ندافع به عن أنفسنا ناهيك عن الدفاع عن الوطن.."

تساءل ياسان "والحل؟.. نحن لم نجتمع هنا لنفقد الأمل قبل أن نبدأ بعد.."

ظل تادار يحك لحيته مفكراً وهو يقلب بصره بين دارو وحاكين، بالإضافة لجود وياسان اللذان جلسا بصمت.. ثم مال نحو دارو قائلاً "هناك حلٌ سريع ومثالي لهذه المشكلة.. قد تستنكرونه، لكنه أفضل طريقة لنحصل على موارد كافية ومناسبة، ونعلن عن أنفسنا في الآن ذاته.."

وتراجع في كرسيه قائلاً "أثناء قدومنا لهذه المدينة، مررنا بثكنة عسكرية تابعة لجيش مملكة الضياء أقيمت في قرية زراعية صغيرة لا تبعد الكثير.. راقبناها لبضع ساعات لرؤية سبب إقامتها هناك، ولاحظنا أن عدد الجند الذين يحرسونها ويقيمون فيها أقل من اللازم.. ورغم ذلك، تمكنا من رؤية بعض المركبات التي انضمّت للثكنة في وقت لا حق حاملة عدداً كبيراً من الصناديق المحملة بالأسلحة وقاذفات ضوئية بالإضافة لطائرة وحيدة وقفت في ساحة جانبية.."

التمعت الأعين حوله وتادار يقول بلهجة حماسية "أيمكنكم تخيّل ما سنفعله لو وضعنا أيدينا على تلك الموارد؟.. ولن يكون الأمر بالصعوبة المتوقعة، فالحراسة كما قلت لم تكن بالتشدد المتوقع، وربما ذلك ناتجٌ عن ثقة جيش مملكة الضياء المبالغ فيه بنفسه بعد خسارتنا الكبيرة أمامه.."

علق حاكين بحماس "أليس هذا رائعاً؟.. يمكننا أن نهجم عليهم ونستولي على الثكنة وما فيها.. لطالما

أردت أن نقوم بعمل مماثل نرفع به خبرات الرجال ونؤكد به على وجودنا وإصرارنا على تحرير وطننا من العدوان.."

قال دارو بدهشة "أيمكننا أن نقوم بهذا قبل أن ننظّم رجالنا ومواردنا بالفعل؟.."

قال تادار بإصرار "هذه التجربة، لو نجحنا فيها، ستمنحنا قفزة كبيرة فيما يتعلق بالموارد اللازمة لقيام ثورة تناسب حجم العدوان الحاصل على بلادنا.. وفي الآن ذاته سيكتسب الرجال خبرة كبيرة وثقة بالغة في أنفسهم وأهدافهم.. فيما ستكون تلك ضربة موجعة لجيش العدو الذي لن يتوقع هذه الضربة قط.."

نظر حاكين لدارو قائلاً "هو كما يقول القائد.. بخطة بسيطة وتنظيم سريع لقواتنا، يمكننا أن نحقق نصراً كبيراً على كافة الأصعدة.."

أشار تادار بكفه قائلاً "لا أطالب أن نقوم بهذا الهجوم هذه الليلة أو غداً.. سنأخذ وقتنا في التخطيط والتنظيم وحصر قدرات الرجال.. لكني أهيب بكم التفكير في الأمر واتخاذ القرار بسرعة، فلا نعلم متى سيقوم الجيش بتغيير موقع تلك الثكنة لسببٍ أو لآخر، أو إن كانت أخبار مخططاتنا ستصل إليهم فيزيدوا الحراسة عليها وتزداد مهمتنا صعوبة عما سبق.."

صمت دارو تماماً أمام حماس حاكين رغم عدم اقتناعه بما قيل.. كان الرجال بالفعل يتحرقون شوقاً للتحرك، ولم تكن هناك بداية أفضل بالنسبة لقدراتهم ومواردهم من مثل هذه العملية التي تبدو في ظاهرها بسيطة ونصراً مؤكداً.. لكن من عادة دارو أن يحمّل الأمور أكثر مما تحتمل، ويتوقع الخسارة قبل النصر.. هذا يجعله أكثر حذراً في موازنة الأمور، وهو من الأمور التي علمه إياها قاث طوال سنوات عمله.. الحذر لا يضر، والتخطيط البطيء لن يؤذي أحداً.. لكن الاندفاع بدون تخطيط قد تكون له فوائده، لكن أضراره قد تكون أكبر بكثير.. لكن من سيستمع لنصائح قاث في هذه الأوقات؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الخامس)
مملكة الضياء : ذاك الغر الساذج

لم تبخل الشمس في هذا اليوم بإضاءة جوانب شادين كما تفعل في كل يوم لمئات السنين دون انقطاع.. وبينما تغلغل ضياؤها من النوافذ التي تحتلّ أغلب جدران قاعة العرش، صانعة جواً يوحي بالسعادة والانشراح مع بداية هذا اليوم الجديد.. لكن لم يكن هذا حال الوزير الأول قيرام وهو يدخل القاعة بخطوات متعجلة، ويصرف من فيها من الحرس ليختلي بالملك سوريم حاملاً له أخباراً لم يتوقع قط أن يحملها له..

انتفض سوريم واقفاً يستمع لوزيره الأول، وقد بدت عليه صدمة وانفعالٌ لم يتوقعها أحد منه مع هدوئه وثباته المشهورين عنه.. لكن كيف له ألا يصدم، مع هذا الخبر الغريب الذي لم يحلم قط بأن يسمعه لبقية حياته.. ركز سوريم بصره الحاد على قيرام متسائلاً بلهجة مرعبة "ماذا قلت؟.. رادال؟"

أظهر قيرام ارتباكه أكثر وهو يقول "أجل يا سيدي.. هناك من يدّعي أنه الأمير رادال الذي تمّ اختياره كقربانٍ لـــ....."

قاطعه سوريم هادراً "أعرف تاريخ رادال فلستَ بحاجة لترديده أمامي.. ما الذي قاله لك الجاسوس؟"

أجاب قيرام بتوتر فاركاً كفيه "قال إن ذلك المدعو رادال ينوي العودة.. وينوي المطالبة بالعرش.."

وصمت بتوجس متوقعاً أن سوريم سيأمر بقطع رقبته لإفراغ غيظه من تلك الأخبار التي جلبها له.. لكن سوريم انفجر ضاحكاً بعد لحظة بشكل أدهش الوزير.. تعالت ضحكاته في القاعة الخالية إلا منهما، وتتابعت وكأنه سمع نكتة لم يسمع مثلها قط، حتى سقط على عرشه وجسده يهتز لشدة ضحكه.. ثم مسح طرف عينه للحظة قائلاً بمرح "هذه نكتة ممتعة.. لم أضحك بهذا القدر منذ زمن.."

علق قيرام بابتسامة متوترة "تلك نكتة بالفعل.. من يمكنه أن يصدق أن ينجو أي شخص بعد أن يتم رميه للعالم السفلي؟.. لابد أن ينكشف أمر ذلك المدعي بسرعة.."

فقال سوريم بعد أن استعاد جديته "أرسل لرجالنا طالباً منهم التأكد من هويته.. هناك أمرٌ أريد منهم التأكد منه، قبل أن نؤكد أو ننفي هويته الحقيقية.."

تساءل قيرام بتوتر "أتظن أن هناك فرصة ولو ضئيلة أن يكون ذلك المدّعي هو الأمير رادال فعلاً؟"

حدجه سوريم بحدة قائلاً ببرود "لن ننفي الأمر أو نثبته حتى نتأكد منه تماماً.. فلا أظن شخصاً بكامل قواه العقلية يجرؤ على انتحال تلك الصفة مع ما قد تجره عليه من مصائب.. وهذا الأمر يجعلني أميل أكثر لكون ذلك الأحمق هو رادال فعلاً.."

ثم استرخى على العرش وطرق مسند اليد الخشبي بأصابعه قائلاً باستمتاع "رادال، شقيقي الحبيب، قد عاد مطالباً بالعرش.. وكأن ذلك الرجل بعشرين روحاً.. مهما حاولنا الخلاص منه، يعود بكل إصرار وسماجة.."

تساءل قيرام "ما الذي تأمرنا به يا مولاي؟.. يمكن لجاسوسنا الخلاص منه بغفلة من الآخرين.."

استوقفه سوريم قائلاً بحزم "لا.. من العار أن يعود رادال دون أن يتمكن من العودة لشادين، أو رؤية عائلته الحبيبة التي تفتقده.."

ثم اتسعت ابتسامته الجانبية مضيفاً "أتوق لرؤية شقيقي الهزيل بعد كل تلك السنوات.. أتظنه يستطيع تحمل هذه الرحلة الطويلة من ميركان إلى شادين؟"

أجاب قيرام بقلق "قيل لي إنه أكثر صحة وقوة مما كان عليه.. قد لا تكون هذه الفكرة حسنة يا مولاي.."

ضحك سوريم قائلاً "إذن استطاع ذلك الوغد أن يتفوق على نفسه.. رائع.. هذا يجعلني أكثر حماساً للقائه.."

وصرف الوزير بإشارة من يده، ثم مد يده يعبث بأطراف شاربه الخفيف وهو يغمغم "جئت متأخراً يا رادال.. والدك الحبيب قد قضى نحبه، ولن تجد من يربت على رأسك ويمتدح إنجازك كما كنت تتمنى.. يا للخسارة.."

ولم يتمالك ضحكة ساخرة أفلتت من فمه وهو يتأمل القاعة ذاتها التي شهدت حكم توريك الأخير على رادال بالنفي، أو الموت، قبل عشرات السنين..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

قبل اثنتين وعشرين سنة

وقف رادال باحترام أمام الملك توريك، دون أن يتمكن من إخفاء شيء من الارتباك على ملامحه.. عندما

استدعاه الملك هذا الصباح، وهو أمرٌ نادراً ما يحدث، فإن رادال لم يتمكن من تمالك قلقه لسبب ذلك الاستدعاء.. ما الذي ارتكبه؟.. عادة لا يوجه له الملك أي أحاديث ولا يخاطبه إلا ليلومه على أمرٍ ما أو يطلب منه أن يبذل جهداً أكبر في تدريباته ويكف عن التصرف كالفتيات..

رغم أن رادال لا يعلم السبب الذي لأجله لا يستطيع نيل رضى الملك رغم كل ما يفعله، لكنه نوعاً ما لا يلومه على تأنيبه الدائم له.. مع سوريم الذي يحقق كل ما يطلبه الملك ببساطة وسهولة وبشكل يثير إعجاب كل من رآه، لابد أن رادال يبدو قربه باهتاً هزيلاً بلا شخصية قوية.. لكن ذلك لن يدوم.. لابد أن يصبح رادال أقوى مع مرور الوقت، وعندها سينال إعجاب الملك وتفضيله بالتأكيد..

وقف رادال أمام توریاك لبعض الوقت دون أن يلتفت إليه وهو منشغل ببعض الأخبار التي يتلقاها من الوزير الأول.. لم يحاول رادال الجلوس أو التذمر وهو ينتظر بصبر، حتى فتح باب القاعة ودلف منه سوريم بخطوات سريعة وهو يصيح بأعلى صوته "هل استدعيتني يا أبي؟"

لم يتوقف سوريم في الموقع المحدد أمام الملك، كعادة كل من يدخل قاعة العرش، بل تجرأ على التقدم ببساطة وكأنه هو صاحب المكان والمتحكم الأول فيه.. ورغم نظرات الاستنكار الواضحة في عيني رادال، إلا أنه لم يتمكن من التذمر بصوت عالٍ أو التصرف بذات الإهمال.. بينما قال توریاك بابتسامة فور أن رأى سوريم "طبعاً يا بني.. اجلس حتى أفرغ لك ولأخيك.."

تراجع سوريم وجلس جانباً وهو ينظر باستخفاف نحو رادال.. فيما ظل الأخير محتفظاً بمكانه ووقفته دون أن يفكر بالجلوس بدوره.. كيف لذلك الصبي الذي لا يراعي أدنى أصول اللباقة والتهذيب أن ينال إعجاب الملك وتفضيله بهذه الصورة؟..

بعد أن فرغ الملك من الوزير، أشار له ليغادر ويتركه مع ابنيه.. ازداد توتر رادال لهذا الاجتماع المغلق بينه وشقيقه وبين الملك، وهو أمرٌ نادر الحدوث.. وفور أغلاق باب القاعة عليهما، نظر الملك لرادال بنظرة طويلة صامتة، وكأنه يقوم بتقييمه للمرة الأخيرة.. لا يدري رادال سبب هذا الشعور، لكنه بالفعل أحسّ أن هذه هي فرصته الأخيرة ليثبت نفسه..

باغته سؤال الملك "ما رأيك بمملكة الضياء يا رادال؟"

رفع رادال بصره وشدّ جسده قائلاً "هي أعظم ممالك العالم السامي يا مولاي.. وأكثرها رخاءً وقوة.. بفضل جهودك يا مولاي وجهود أجدادنا الطويلة.."

ابتسم توريك نصف ابتسامة، ثم ألقى سؤاله الثاني "بالفعل.. لكن ما نحن عليه لا يرضيني.. مملكتنا آمنة مادام الميثاق قائماً بين الممالك على ألا تغدر مملكة بمملكة أخرى.. لكن ماذا لو تغيرّ ذلك؟.. أين سيكون موقعنا من هذا الأمر؟"

أجاب رادال بإخلاص "سندافع عن مملكتنا ونبذل أرواحنا فداءً لها.."

ضرب الملك مسند اليد هادراً "خطأ.."

انتفض رادال للحظة في وقوفه وهو يبهت وعيناه معلقتان بالملك.. ما الخطأ فيما قاله؟.. لكن توريك لم يتركه بحيرته طويلاً وهو يقول بصرامة "هذه هي وسيلة العاجز تجاه المواقف التي قد لا ترحمه ولا تمنحه الفرصة لتحقيقها.. وهو أسلوبٌ لا يناسب مملكة عظيمة كمملكة الضياء.."

ظل رادال صامتاً بحيرة وهو يشعر بضيقٍ في صدره لأن الإجابة الصحيحة خانته، رغم أنه لا يعلم ما هي الإجابة المثلى التي ترضي أباه.. مال توريك في كرسيه قائلاً "ما الذي تفعله لو علمت أن إحدى الممالك الثلاث تنوي الهجوم علينا؟.. هل ستقف صامتاً بانتظار هجومها ذاك؟"

قال رادال بشيء من التردد "سأخاطب ملوكها، وأطلب منهم....."

قاطعه توريك هادراً "تطلب؟!..."

أطلق سوريم ضحكة شامتة، ثم قفز واقفاً وقال لأبيه "أنا سأبادرهم بالهجوم، وأصبّ قذائفنا الضوئية على رؤوسهم حتى أبيدهم عن بكرة أبيهم.."

نظر له رادال بصدمة لهذا الرأي، بينما قال توريك بابتسامة "رائع.. هذا ما عهدته فيك يا سوريم.."

قلّب رادال بصره بينهما، ثم قال بتردد "كيف نبدأ الحرب التي ستودي بحياة الأبرياء دون ذنب؟.. أنت قلت إن تلك المملكة تنوي مهاجمتنا، ولم تفعل ذلك بعد.. فكيف....."

قاطعه توريك بسخرية "لهذا السبب أراك دائماً خانعاً وضعيف الشخصية.. لو انتظرت حتى يبدؤوا هجومهم علينا، فلن نجد الفرصة (لتطلب) منهم الكف عن ذلك.. أرأيت ما تفتقد إليه كولي للعهد وكملك مستقبلي لهذه المملكة؟"

شحب وجه رادال بشدة لهذا القول الذي بدا له كحكمٍ فاصل عليه.. ألن يجد وسيلة قط لنيل رضا أبيه وفخره به؟..

نهض توريك وهبط الدرجات المؤدية للعرش ساحباً معطفه الملكي الطويل خلفه، فاقترب من سوريم واضعاً

يده على كتفه قائلاً بنبرة راضية "كان عليك أن تكون مثل سوريم، شجاعاً مقداماً لا يخشى الهزيمة.. لو أنك كنت مثله....."

صمت للحظة قبل أن يشيح ببصره ويتوجه نحو أقرب النوافذ المطلة على مدينة شادين أمامه.. وقال بحزم "ما الذي يدعونا للانتظار حتى تقرر إحدى تلك الممالك مغافلتنا؟.. مملكة الضياء هي الأقوى، وهي الأحق بسيادة العالم السامي كاملاً.. أليس كذلك يا سوريم؟"

اندفع سوريم ليقف قرب توریاك قائلاً بحماس "هو كذلك يا أبي.. هل تنوي أن تبدأ أنت الهجوم عليهم؟"

لم يزايل رادال وقفته الصارمة رغم انحناء كتفيه وانخفاض رأسه، ورغم القبضة القاسية التي اعتصرت معدته لفكرة الحرب التي أتعسته.. ولم يملك نفسه أن قال بصوت يرتجف "كيف لنا أن نرتكب جرماً كهذا ونكسر الميثاق بين الممالك دون وجه حق؟.."

ألقى عليه توریاك نظرة ضيق دون أن يخفي استياءه من هيئته البائسة، ثم قال له ملوحاً بيده "هذا يكفي.. يمكنك أن تغادر الآن يا رادال.."

استدار رادال بصمت، وانحنى للملك قبل أن يغادر جاراً خطواته، حائراً في مغزى هذا الاجتماع الذي لم تكن نتيجته إلا خذلانه لأبيه أكثر فأكثر..

بقيت عدة أيام وسيحلّ عيد الشمس، اليوم الذي يختار فيه الكهنة قربانهم من صبية المملكة.. أمه في المعتاد تنغمس في التحضير لهذا العيد ولطقوسه المقدسة.. ولا يمكنها أن تصغي له حتى لو حاول محادثتها.. لا بأس.. سينتظر حتى انقضاء العيد، وبعدها سيحادثها عن تلك الفكرة التي طرحها الملك والتي أثارت الرعب في أعماقه..

لو كان الملك توریاك ينوي الهجوم على الممالك الأخرى، فهذا يعني حرباً شعواء لم تشهد الممالك مثلها قط.. ولن يجد رادال خيراً من أمه لإقناع الملك بالعدول عن هذه الفكرة..

سيمضي العيد.. وبعدها لكل حادث حديث....

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما اقتحم سوريم جناح الملكة الكبرى، دون استئذان أو إنذار، قالت الملكة ساخرة وهي منشغلة بلوحٍ

خشبي صفّت عليه بعض المجسمات الصغيرة ذات الألوان المتباينة "هذه المرة الأولى التي يشرفني فيها سعادة الملك الأعظم بزيارة جناحي.. ما هذه الصدفة الغريبة؟"

أشار سوريم للوصيفة التي وقفت جانباً، فأسرعت تغادر منحنية له باحترام، ولما أغلقت باب الجناح خلفها، جلس سوريم على أقرب أريكة قائلاً بضيق "ولستُ أحب المجيء هنا.. فأنت، وأمي، لا تملكان إلا موضوعاً واحداً تتحدثان فيه عادة.."

تجاهلته الملكة الكبرى للحظات وهي تصفّ المجسمات الصغيرة بعناية على ذلك اللوح، والتي تتكون من فريق بلون أسود أبنوسي، وآخر مصنوع من العاج، وبشرائح رقيقة من الذهب تطوق المجسمات بزخارف منمنمة.. بعد أن فرغت الملكة الكبرى من عملها، شبكت أصابعها ذات الخواتم الثقيلة قائلة "وهل تملك أنت موضوعاً أفضل وأكثر أهمية من ذاك؟.. ألهذا السبب جئت؟"

وأشارت للّوح مضيفة "هل تبارزني في هذه اللعبة؟.. أراهنك أنني لازلت قادرة على هزيمتك كالعادة.."

قال سوريم "لم آتِ هنا لتسليتك يا جدتي.. هل يمكنك أن تحدثيني ببعض الجدية؟"

لم تمنحه الملكة الكبرى موافقتها وهي تبدأ تحريك القطع بمفردها متبادلة الأدوار في كل مرة.. فاعتدل سوريم في جلسته قائلاً "لا أدري إن كنتِ ستقدرين على أن تهنئي بلعبتك هذه طويلاً بعد هذا الخبر.. مما تناهى لعلمي، فإن رادال قد عاد.."

تجمّدت يد الملكة الكبرى على أحد القطع الخشبية، ثم نظرت تجاه سوريم قائلة "أأنت جاد؟.. ليست هذه مزحة مقبولة مطلقاً.. كيف يمكن لذلك الصبي أن ينجو بعد أن تم رميه لأرض الهوام؟.."

أجاب سوريم "ولِمَ قد أمزح في مثل هذه الأوقات؟.. رادال موجود بالفعل، وقد سمعت عن عزمه العودة لشادين واستعادة العرش لنفسه.. هذا طبعاً بعد أن نتأكد من هويته بالفعل.. وهو ما سيقوم به رجالي فور القبض عليه.."

ضحكت الملكة الكبرى معلقة "ذلك الغرّ الساذج.. يدهشني أنه لم يمت بعد، لكن ما يدهشني أكثر قدرته على الاحتفاظ بتلك العقلية الساذجة التي اشتهر بها.."

قال سوريم باهتمام "لم آت لأبلغك هذا الخبر وحسب.. ما أنا قلقٌ بشأنه هو أمر أمي.. لو علمت بوجوده، وهو الابن المفضّل لديها، فلابد أن تلجأ لمعاونته بشكل من الأشكال.."

مطت الملكة الكبرىٰ شفتيها وهي تعاود لعبها متسائلة "أتظن أنها ستفعل ذلك؟.. كيف تتوقع أن تزيح ابنها ذاته من علىٰ العرش حتىٰ لو كان لأجل رادال؟.. لا أظنها بهذا الغباء.."

صمتت للحظة متذكرة كلماتها السابقة عن ندمها الموافقة علىٰ قرار التضحية برادال، ثم قالت مقطبة "لحظة.. أظنها ستكون بذاك الغباء فعلاً.. تلك المرأة لا تمتلك أدنىٰ عقلانية في تصرفاتها.."

فقال سوريم "لهذا السبب أريدك أن تجسيّ نبضها بهذا الخصوص.. إن لمحتِ منها تردداً وميلاً نحو رادال، فلا تترددي في إبلاغي بأسرع ما يمكن.."

قالت الملكة الكبرىٰ بشك "وما التصرف الذي تنوي اتخاذه عندئذ؟.."

ثم اتسعت عيناها بصدمة "هل تنوي الخلاص من أمك؟!.. تعساً لك يا رجل.. لا أظنك بالقسوة تلك.."

قطب سوريم معلقاً "لا يمكنني فعل ذلك مطلقاً.. لست بذلك الجحود.. لكني سأحاول أن أمنعها من لقاء رادال، وربما أرسلها لقضاء بعض الوقت في مدينة (كيينا) كنوع من التغيير، قبل أن تعلم بوجود رادال أو تدرك مسعاه.."

تنهدت الملكة الكبرىٰ قائلة "لا أدري.. أيكفي هذا؟"

قال سوريم وهو ينهض "لا أريد أن أطعن في ظهري عندما أواجه أخي الحبيب.. لذا لا تتأخري في تحقيق طلبي هذا يا جدتي.."

قالت الملكة الكبرىٰ ماطة شفتيها "ولِمَ لا تتخلص منه الآن قبل عودته؟.. لن يكون ذلك عسيراً عليك.."

ابتسم سوريم معلقاً "يا لكِ من مرهفة الإحساس يا جدتي.. ألا تشتاقين لرؤية حفيدك الأكبر؟.."

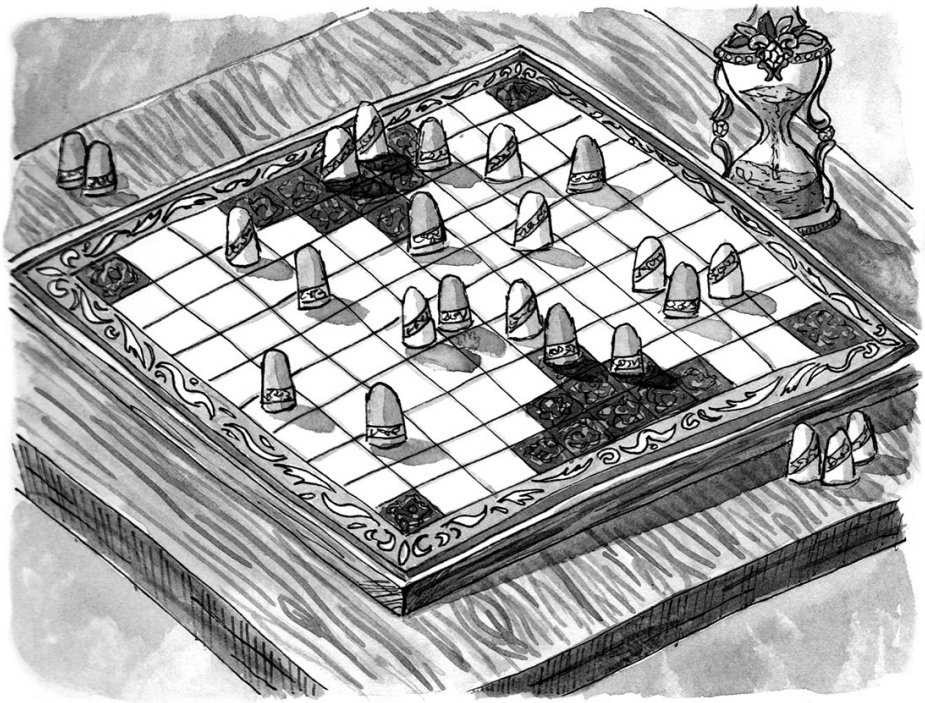

وغادر دون إبطاء تاركاً الملكة تنشغل بتحريك القطع الخشبية بهدوء، فغمغمت بعد أن عاد الهدوء لجناحها "أحياناً أجدك تتصرف بالغباء ذاته كأمك يا سوريم.."

تنهدت وهي تستمر في تحريك القطع الخشبية دون توقف والصوت الوحيد الذي يعلو في جناحها هو صوت التقاء القطع المختلفة باللّوح الخشبي في رتابة وهدوء..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل السادس)
مملكة الغمام : شعلة الثائر

بعد مرور أقل من أسبوعٍ على وصول تادار، كان القائد الجديد للثوار قد أعلن أن الرجال على أهبة الاستعداد للقيام بالعملية التي طال انتظارها.. رغم كل اعتراضات دارو، لكن إصرار تادار وحماس حاكين قد غلباه وتمكنا من التأثير على بقية الرجال الذين تحمسوا بدورهم لما سيحصلون عليه من موارد وأسلحة بهذه العملية، ولتوقهم الشديد لنصرٍ سريع على جيش مملكة الضياء الذي أذاق البلاد كاملة مرّ الهزيمة..

عكف دارو وحاكين وتادار على التخطيط لهذه العملية بناءً على قواتهم وتسليحهم، وبما يناسب الثكنة التي ينوون الهجوم عليها.. انطلق دارو برفقة رجلين من الجنود السابقين إلى موضع الثكنة، واختبأ خارج القرية يراقبها ويتفحص مداخلها ومخارجها وعدد الجنود فيها والحراسة المقامة عليها.. كان عليه مراقبتها ليوم وليلة على الأقل قبل أن يكون ملماً بكافة جوانب هذا الأمر، وإن كان رأيه الشخصي أن هذا اليوم لا يكفي لجمع المعلومات المطلوبة بشكل متقن.. لكن مع إصرار تادار فإن يوماً كاملاً هو كل ما يمكنه الحصول عليه.. ولم ينسَ دارو تفحص الأراضي المحيطة بالقرية الواقعة على النهر بدورها، فيما تحيطها المزارع في عدد من جوانبها والتي يبدو أن أهلها قد أهملوا جانباً كبيراً منها مع الاحتلال الذي واجهته القرية ووجود ثكنة عسكرية بقلبها مع ما في ذلك من تهديد لهم..

ورغم اتفاقهم على القيام بتلك العملية قرب انتصاف الليل، في اليوم الذي يختارونه، إلا أن تادار أصرّ أن يتم تقسيم الرجال لثلاث قوات، والاحتفاظ بقوة بسيطة لا تتجاوز عشرة أفراد لحماية المخبأ تحسباً لأن يخترقه الأعداء ويتربصوا بهم في جوانب هذه المدينة عند عودتهم.. وباستخدام تلك الفرق الثلاث، يمكنهم تقسيم العمل بشكل مترابط بحيث تعين كل فرقة أختها حتى يتمّ لهم النصر.. الفرقة الأولى ستداهم القرية محاولة إحراز نصرٍ سريع على الجنود المرابطين في الثكنة، والثانية ستدعمها من فوق أسطح المنازل القريبة والأزقة التي تقود للثكنة، أما الثالثة فسترابط خارج القرية تحسباً لاحتياج الفرقتين الثانيتين لتدخلها السريع، سواءً لإحراز النصر أو للانسحاب السريع قبل الهزيمة..

كانت خطة بسيطة ومثالية كما بدا لحاكين، وكما أصرّ تادار.. لكن لِمَ لا يزال دارو يشعر بالقلق إزاءها؟.. إنه يكره القرارات المتعجلة، لكن لو أصرّ على الرفض فقد يعمد تادار لإبعاده عن هذه العملية وتركه في المدينة مع الفرقة التي ستتخلف لحماية المخبأ..

وفي اليوم المحدد، بعد أن استعد الرجال لعمليتهم الأولى وحرصوا على الحصول على نومٍ وافر والاكتفاء بالقليل من الطعام لتبقى حواسهم متنبهة، وقف دارو برفقة حاكين أمامهم حيث تجمعوا في الساحة الواسعة، وحاكين يقول بصوت واضح يعلو فوق أصوات البقية "هذه هي الليلة الفاصلة يا رجال.. عليكم أن تذكروا كل التعليمات التي أملیناها عليكم، وأن تلتزموا بتعليمات القادة المؤقتين لكل فرقة.. لا نريد خلافاً بينكم قد يشتتكم ويغري العدو بكم.."

ونظر للرجال المتحمسين أمامه مضيفاً "أرجو ألا يجبركم الحماس على تجاوز التعليمات بأي صورة.. ولو طلب منكم قادتكم الانسحاب لأي سبب، فعليكم إطاعتهم بالطريقة التي تدربتم عليها، حتى لو كان البقاء والقتال يوحي لكم أن النصر قريب.. الفرقة التي ستقوم بالهجوم مكونة على الأغلب من الجنود القدامى لأنهم يملكون خبرة كافية للقيام بهذه العملية.. وعلى الفرقتين الأخريتين العمل لمآزرة الفرقة الأولى في عملها، سواء في الهجوم أو الانسحاب.. تذكروا أن العدو قد يكون متوقعاً هجومنا هذا، وقد يلجأ لصدّنا بشراسة.. فلا تجعلوا هذه الفكرة تعجزكم عن تحقيق الأهداف التي سعينا إليها.."

ونظر لتادار الذي استمع له برضىً واضح، فأشار له تادار أن يستمر دون أن يضيف أي أمرٍ أو تعليمات أخرى.. فقال حاكين "ستبدأ الفرقة الأولى بالتجمع، وبعد مغادرتها الحي ستجتمع الفرقة الثانية وتتبعها ثم تليهم الثالثة.. تأكدوا من جاهزيتكم وأسلحتكم، فعندما يبدأ القتال بالفعل سيكون من المحال عليكم تدارك مثل هذا الخطأ عندها.."

بدأ الرجال بتنفيذ أوامره وهم يتأكدون من أسلحتهم، فيما راقبهم دارو متأكداً أن أغلبهم قد ارتدى ملابس قاتمة تناسب عمليتهم الليلية.. وشعر بالأسف أكثر ما شعر لغياب أي أجهزة اتصالات للتواصل مع القادة في هذه العملية المهمة..

وعندما بدأت الفرقة الأولى بالتجمع وسط الساحة، ومن ثم بدء السير في تشكيل منظم مغادرين الحي والمدينة نحو الجهة الشرقية، وقف رادال يراقب ما يجري مقطباً.. رأى ياسان يغادر مع الفرقة الأولى

بحماسٍ كبير رغم التوتر الظاهر على وجوه من حوله.. وقد غادرت فرقته المدينة على أن تتبعهم الفرقة الثانية بعدها على الفور.. وفي جانب الساحة، وقف دارو وحاكين لتنظيم الجموع حسب الخطة، بينما ظل تادار جالساً في مركبته انتظاراً للحظة التي عليه بدء التحرك فيها مع الآخرين نحو الهدف لمراقبة تلك العملية وإدارتها مراعياً التغييرات والمفاجئآت التي ستعرقل سيرها.. فيما بقيت المركبة الأخرى مع الفرقة التي تحرس المدينة وفيها ما لا يقل عن أربع من رجال تادار..

كانت جود جالسة في جانب المكان تتأمل تجمع الفرقة الثانية وسط الساحة، بانتظار أن تنضمّ للفرقة الثالثة كما أمرها دارو وأصرّ على رأيه رغم كل اعتراضاتها.. كانت تتمنى الانضمام للفرقة الأولى، على الأقل لتكون مع ياسان في ذلك الهجوم، وهذا خيرٌ لها من البقاء وانتظار النتائج مع ما في ذلك من قلق وتوتر لا تطيقه..

لاحظت اقتراب رادال منها، وعلق فور وقوفه قربها مراقباً الساحة بدوره "لم أركِ بهذا الحماس من قبل.."

ابتسمت معلقة "ألا يحق لي ذلك؟.. هذه هي الهجمة الأولى للثوار ضد العدو.. وما يسعدني أنني سأشارك فيها، وهو ما تمنّيته منذ لحظة الهجوم الأولى على قانار.."

قال رادال مقطباً "أأنت جادة في هذا الأمر؟.. كيف لك أن تصدقي بإمكانية إحرازكم النصر بهجومٍ تم التخطيط له على عجالة؟.."

تنهدت جود، ثم قالت باستياء "ما الذي تريده مني يا رادال بالضبط؟"

قال بسرعة وحياد "أريدك أن تكفي عن هذا الجنون.."

صمتت ساهمة تراقب الرجال، ثم غمغمت "ألأنك قلقٌ عليّ؟.."

أجاب بسرعة "لأنني لن أجد من يعينني على العودة لشادين.. لا أكثر ولا أقل.."

لا يدري رادال لمَ أنكر هذا الأمر بهذه السرعة.. ألأنها كانت الحقيقة؟.. ألأنه حانقٌ لما تنوي فعله؟.. أم لأنه ينكر الأمر حتى أمام نفسه؟.. لا يدري.. كل ما يعلمه أن إجابته تلك قد استثارت غضب جود التي قالت بعد خيبتها لما سمعته "ولمَ عليّ أن أعبأ بما تقوله؟.. لست مجبرة على إطاعتك.. أأنت تهوى تجريدنا من أي حماس يدفعنا لتحقيق أي نصر على مملكة الضياء؟"

قال رادال بشدة "أي نصر؟.. فارق القوى مهولٌ بينكم وبين عدوكم.. حتى لو كان عدد الرجال يفوق

الجنود المتواجدين في تلك الثكنة، هذا لا يلغي أن قذيفة واحدة منهم يمكنها أن تهزمكم وتمحيكم من الوجود.. أهذا العناد لمجرد أن تثبتي لي، وللآخرين، أنك ستبذلين حياتك ذاتها في سبيل هذه البلاد؟.."

ارتفع صوت جود لشدة غضبها وهي تقول "أثبت لك؟.. ومن تكون أنت لأسعى لذلك؟.. أنا لا أعبأ لما تظنه بي، ولا أعبأ لنصائحك ولا طلباتك الأنانية تلك.. أنت تضع هدفك نصب عينيك، ولا يهمك ما يجري في أرضنا ولرجال بلادنا.. فلمَ لا ترحل وتتركنا في صراعنا الذي لا طائل منه كما تصفه؟.."

واستدارت مغادرة بحنق شديد تاركة رادال صامتاً بصدمة واستياء.. لم يكن هذا ما يريد قوله، ولم يكن هذا الشجار ما سعى إليه في هذه اللحظة.. ساءه الغضب الذي بدا على وجه جود وهي تغادر، وأدرك أنه حتى لو سعى خلفها فلن تطيعه ولن تستمع لكلمة يقولها لها.. فما الذي بيده فعله بعد ذلك؟.. كيف يمنعها من هذا الجنون؟..

رآها تتجاهله بشكل تام وهي تتناول أسلحتها البسيطة، وتنضمّ لدارو والفرقة الثالثة في سيرهم الحثيث مغادرين المدينة.. لاحظ كذلك النظرات الحانقة التي ألقاها بعض الرجال عليه بعد أن وصلهم جانبٌ من حديثهما واستاؤوا من نبرة رادال التي بدت لهم ساخرة من الصراع المصيري الذي يخوضونه..

زفر رادال بحدة وهو واقفٌ يراقب رحيلهم بصمت.. تلك الفتاة المجنونة تكاد تودي بنفسها لحتفها دون هوادة.. فما الذي بيده فعله؟.. ليس من عادته الجري وراء أحد، ولا من اهتماماته ملاحقة امرأة مهما كان الضيق المؤلم في صدره يدعوه لغير ذلك.. لذا، استدار بصمت عائداً للمنزل الذي استوطنه في الأيام الأخيرة..

فليجرِ ما جرى هذه الليلة.. ما شأنه هو بكل هذا؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

تلك الليلة، بدا القمر باهتاً لا يكاد يضيء صفحة السماء بحجمه المتقلص وضوئه الضعيف، مما جعلها ليلة مناسبة لمثل ذلك الهجوم الذي يعتمد على مفاجأة العدو والسيطرة عليه قبل أن يستعد للرد على المهاجمين..

كان رجال الفرقة الأولى يدركون أن اللحظات الأولى للهجوم هي ما سيحدد نهايته.. وأن مماطلتهم في

القضاء على الأعداء وإحكام السيطرة على الثكنة يعني أنهم سيواجهون هجوماً شرساً ورداً قوياً لا قِبَل لهم به.. وكما أوصاهم تادار، وحاكين من بعده، عليهم أن يستغلوا كل المهارات التي يملكونها لتثبيت أقدامهم في الثكنة والقضاء على كل مقاومة قبل أن يتمالك العدو نفسه..

لكن ساعة الصفر لم تحلّ بعد.. لذا، استقرت الفرق الثلاث في ثلاث اتجاهات حول القرية على بعدٍ مناسب لئلا يكشفهم الجنود في الثكنة قبل الأوان.. كانت الساعة تركض نحو منتصف الليل، وحماس الرجال مختلطاً بقلقهم وتوترهم يتضاعف مع كل دقيقة.. ورغم بعدهم النسبي عن القرية، واختبائهم خلف التلال بعيداً عن الطرق المؤدية إليها، إلا أن تلك القرية الصغيرة التي لا يتجاوز عدد منازلها عشرين منزلاً قد اكتسبت أهمية وثقلاً نفسياً في الحشود التي أحاطت بها..

وفي الجهة الغربية من القرية المطلة على النهر، ربضت جود قريبة من دارو تراقب القرية التي خفتت أضواؤها مع مضيّ ساعات تلك الليلة.. كان توتر دارو يفوق الحد، مما دفعها لتخاطبه بصوت خفيض "ما الذي جرى؟.. لم أرك قلقاً بهذه الصورة من قبل.."

صمت دارو وهو يراقب القرية، والفرقتان الأخريتان، بمنظارٍ مقرب قبل أن يقول "لست مرتاحاً لكل ما جرى.. يسودني شعورٌ أننا أغفلنا أمراً هاماً، أو أننا أخطأنا بالاستعجال في تنفيذ هذه العملية.. ولولا أمر تادار وحماس حاكين لرفضت قيامها في هذه الليلة ولا في الأسابيع القادمة بتاتاً.."

قالت جود باعتراض "أتفهم قلقك، لكن هذا لن يساعد الثوار في شيء.. لو تأخرنا، لفاتتنا فرصة ذهبية مثل هذه، ولندمنا أشد الندم على ضياعها.."

قال دارو بتوتر "أدرك ذلك قطعاً.. لكن أتمنى أن يكون ما أشعر به مجرد هواجس لا صحة لها.."

في الوقت ذاته، تململ تادار في جلوسه في المركبة عند أبعد جانب من فرقة الثوار الثالثة، ثم سأل الجندي المعاون له والذي يلازمه أغلب الأوقات بصوت خفيض حرص ألا يصل لبقية الرجال "أأنت متأكد أنك أرسلت إحداثيات موقعنا بدقة؟.. لا نريد أن نجد أنفسنا وسط المعمعة دون أن نملك الدفاع عن أنفسنا.."

قال المعاون متأملاً الساحة أمامه عبر شاشة الراصد الليلي "لا تقلق.. تأكدت أنهم حددوا موقعنا، وللتأكيد، سنبثّ حزاماً من الطاقة يحمينا من أي هجوم.. المركبة مزودة بهذه التقنية بالفعل.."

عاد تادار يتساءل "ماذا عن رجالنا في ميركان؟"

أجاب المعاون "سيبدؤون عملهم فور رؤيتهم للإشارة المتفق عليها.."

غمغم تادار "فلتنتهِ هذه الليلة على خير.."

قال المعاون باستياء لم يملكه "ما كان يجدر بك يا سيدي أن تصرّ على أن تكون في الصفوف الأمامية أمام الآخرين.. ماذا لو حمّلوك مسؤولية قرارك ذاك، وأصروا أن تنفذ وعدك لهم؟.."

قال تادار ملوحاً بيده "كان يجب أن أحصل على ثقتهم، وإلا ما أطاعوني في تنفيذ مخطط الليلة.."

ثم اعتدل وعيناه تلمعان مضيفاً بجذل "والذي سينتهي بأسرع مما يتمنونه.."

رفع المعاون بصره للأعلى، فلم يكن له ألا يلاحظ تلك الطلقة المحدودة التي أطلقت من وسط القرية وارتفعت في عرض السماء جاذبة أنظار كل الفرق التي تمركزت في مواقعها المحددة.. ولم تلبث تلك الطلقة أن انفجرت في السماء وضوءٌ قوي ينبعث منها خاطفاً أبصار المتواجدين في الموقع ومثيراً بلبلة في صفوفهم..

أضاء الضوء بقعة واسعة من ذلك السهل وما حوله.. وبالتالي، كشف الفرق الرابضة في قلبه حيث كانت تستتر بالظلام.. تبادل الرجال النظرات الذاهلة، فكان أول من تصرف إزاء هذا الحدث وتمالك صدمته بأسرع من البرق هو دارو الذي نهض واقفاً وسطهم يصيح "تراجعوا يا رجال.. هذا كمين.."

لم يكن دارو بحاجة لإبلاغهم بذلك، فهذا أوضح من الشمس في منتصف النهار.. لكن الصدمة أعجزت كثيراً منهم عن التصرف بالسرعة اللازمة حتى وجدوا دارو وقائد الفرقة يصيحان "تراجعوا يا رجال.. غادروا السهل بسرعة.. تراجعوا.."

انتفض الرجال من أماكنهم، وبدؤوا التراجع حسب الخطة السابقة، دون أن يتمكن أحدهم من السيطرة على بعض التخبط الذي سرى في صفوفهم.. حتى جاءت الضربة الأولى.. قذيفة ضوئية لم تكد تندلع من مصدرها وسط القرية، حتى وجدها الرجال تنفجر وسط أكبر الفرق المتمركزة في السهل..

دوّى صوت الانفجار عالياً مصحوباً بتصايح الرجال وصراخ بعضهم، وثارت سحابة قوية من الدخان والغبار والصخور على رقعة واسعة، قبل أن تنسحب قليلاً كاشفة عن كمية هائلة من الدماء والأشلاء.. تصايحت الفرق الأخرى بذعر وصدمة، فيما تساقطت بضع قذائف أخرى عليها بعد أن تبدو كمجرد

وميض محدود فوق أعلى مباني القرية..

ساد التخبط بين الرجال وهم يتراكضون دون تنظيم، وتراجع دارو بدوره هاتفاً لجود التي وقفت تراقب ما يجري مذهولة "غادروا يا جود.. ابتعدي عن هذا المكان.."

نظر حوله فوجد الكثير من الرجال مذهولين أكثر مما كانت عليه جود، بينما القذائف تتساقط عليهم وتقتل من تقتله وتصيب من تصيبه.. وجدت جود يداً تسحبها وتحثها على التحرك، فاستعادت إحساسها بما يجري وركضت بدورها وسط الرجال محاولة اتباع تعليمات القادة السابقة لهم في مثل هذه الحالة.. لكن أي تعليمات تفيد والقذائف القاتلة تتساقط عليهم بتتابع تطيح بمن تطيح به وتنثر أشلاء القتلى فوق رؤوس الأحياء منهم؟..

أي روعٍ انتاب الرجال والنصر تحول لهزيمة مرّة قبل بدء المعركة بالفعل؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

في هذه الليلة، ساد الصمت التام ذلك المنزل الذي آوى رادال والتوأمين في الأيام الماضية.. ورغم بقاء بارا مع رادال فيه، إلا أن أحدهما لم يتفوه بكلمة طوال الساعة الماضية وهمّ ما ينوي الثوار عمله قائمٌ في ذهنيهما..

تسلل نور القمر الفضي من النافذة المشرعة مضيئاً المدينة بضوئه الشحيح، بهيئة مخالفة لما عهدوه في العالم السفلي الذي تكسوه الغيوم بطبقة دائمة.. رغم اختلاف العالمين، لكن أحداً منهما لم يملك المزاج الرائق لمقارنة الفروق بينهما منذ وصولهم للعالم السامي.. فما هم مقدمون عليه في الأيام القادمة أكبر من أن يترك لهم مجالاً للتفكير في أوجه الاختلاف أو الانبهار بالتقدم الواضح للعالم السامي..

بعد صمت طويل، زفر بارا قائلاً "أأنت واثق أنهم سيمنحونا إحدى المركبات بعد نجاح عمليتهم هذه الليلة؟.."

أجاب رادال "هذا ما وعدني به ذلك المدعو دارو.. لكن قائدهم لا يستلطفني، لذا ربما يحاول معارضة ذلك بشدة.."

تساءل بارا "ما الذي سنفعله عندها؟.."

قال رادال بابتسامة جانبية "سنستولي على واحدة بالطبع.. لن ننتظر إذناً من ذلك الشخص لنعود لشادين.."

غمغم بارا "أيمكننا فعل ذلك؟.. نحن حتى لم نمد يد العون لهم في هذه الليلة.."

قال رادال بحزم "يكفي أننا بذلنا جهدنا لإيصال رسالة أميرهم رغم المخاطر التي واجهتنا.."

صمت بارا بحيرة، مما ستؤول إليه هذه الليلة، ومن توابعها عليهم.. هل يمكنهم التفاؤل حقاً؟..

فوجئ الإثنان في تلك اللحظة بسيرا تندفع للمنزل بعينين متسعتين بعد أن غابت لبعض الوقت.. فهبّ بارا واقفاً بتساؤل قلق "ما الذي جرى؟.."

بعد أن لمحته ورادال في المنزل، زفرت وهي تستعيد هدوءها قليلاً، ثم أزاحت شعرها للوراء قائلة "ظننت أنكما لحقتما ببقية أولئك المخابيل في عمليتهم الفاشلة.."

تساءل رادال "وما الذي سبب ذعرك بهذه الصورة؟.."

نظرت له قائلة بحزم "أنت تعلم السبب يا رادال.. لا أريد أن أفقدكما في مثل ذلك العمل الأحمق.."

علق بارا وهو يجلس "ألا يمكنك أن تكوني أقل هزءاً بالآخرين؟.. لِمَ يجب أن تسخري من جهود الثوار ودفاعهم عن وطنهم؟.."

هزت كتفيها ورمت نفسها على أحد الكراسي مجيبة "ليس ذلك مهماً.. فهي عملية فاشلة في كل الأحوال.."

تساءل بارا بدهشة "ماذا تعنين؟.."

أجابت "سمعت رجلين لم أعرفهما بشكل جيد يتهامسان في جانب الحي.. دهشت لوجودهما في هذا المكان بعد رحيل البقية، وتنصّتُ عليهما خشية أن ينتويا بنا شراً بعد رحيل الآخرين لسبب أو لآخر.. ربما انتقاماً منا لكوننا من مملكة الضياء.. فسمعت أحدهما يقول إن عليهم حراسة المدينة عند قيام القوات بقصف الثوار، تحسباً لعودة بعضهم إليها واختبائهم فيها.. وأن هذا أمرٌ مباشر من قائدهم الذي لا أعلم اسمه.."

نظر لها بارا ورادال بصدمة، وصاح بارا باستنكار "أتعنين أن هذه العملية مدبرة من جيش الضياء؟.. هل هناك خائنٌ بين صفوف الثوار؟.."

وتقدم منها قائلاً "لِمَ لَمْ تبلغينا ذلك في وقت أبكر؟.. علينا تحذيرهم.."

أدارت سيرا وجهها جانباً قائلة "لا يهمني أمرهم.. اذهب أنت لو أردت.."

استدار بارا خلفه هاتفاً بانزعاج "رادال....."

لكنه فوجئ باختفاء رادال بالفعل، وباب المنزل موارب يتحرك حركة خافتة.. نظر بارا بتوتر لسيرا، ثم سارع للحاق به لإنذار الثوار، ولإنقاذ من يمكن إنقاذه منهم قبل أن تقع عليهم قذائف العدو.. وبالطبع لحقته سيرا قائلة بحنق "لِمَ علينا أن نخاطر بأنفسنا لأجل هذه الشرذمة؟.."

صاح بها بارا بغضب "اصمتي.. فقط اصمتي ولا تتدخلي من الآن فصاعداً يا سيرا.."

واستدار مبتعداً بسرعة، فيما وقفت سيرا ترمقه باستنكار واضح.. كيف يجرؤ على مخاطبتها بهذه الصورة بعد أن أظهرت قلقها عليه سابقاً؟.. يا له من ناكر للجميل..

في الآن ذاته، كان رادال يقطع شوارع ميركان راكضاً دون توقف.. تباً.. لِمَ لا يملك وسيلة تواصل مع الثوار؟.. ولِمَ لا يملك دابة تنقله لموقعهم بسهولة وهو لا يعلم أين يختبئ الثوار الأحصنة التي يملكونها؟.. أكان لزاماً على الثوار استيطان وسط المدينة حيث عليه أن يقطع عدة أحياء قبل مغادرتها فعلياً؟.. وتلك الحمقاء جود، أكان لزاماً عليها أن تنضمّ إليهم هذه الليلة بالذات؟.. لِمَ لَمْ تستمع لنصحه وتبقى في المدينة ليطمئن لوجودها قربه؟.. ما هذا الذعر الوحشي الذي يعتصر أمعاءه؟..

وعندما انفجرت تلك الطلقة في عرض السماء ملقية بضوئها على مساحة واسعة من تلك الأرض، أدرك رادال أن أسوأ مخاوفه قد تحقق بالفعل.. بدأت القذائف بعدها تتساقط على تلك المنطقة التي تبعد أميالاً

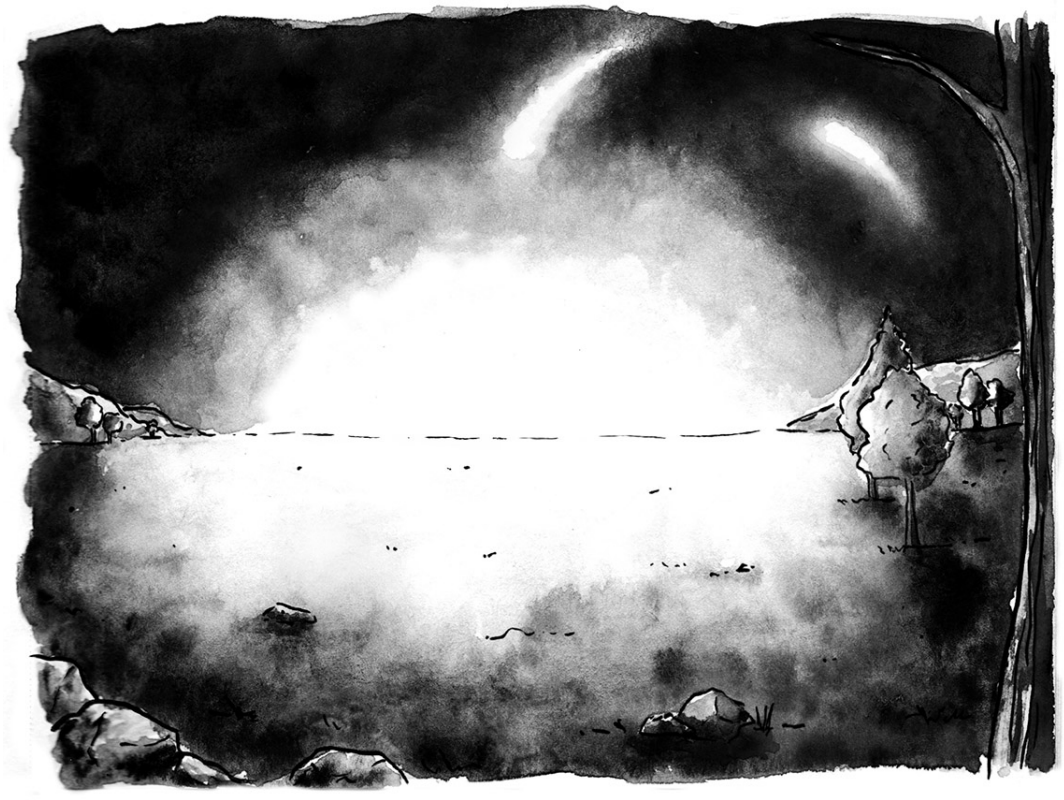

عن موقعه، وأصوات انفجارها المرعبة تصل لأذنيه قوية هادرة، حتى يكاد أن يسمع صراخ الرجال المتألم رغم بعد المسافة واستحالة ذلك فعلياً..

لم يتوقف رادال عن ركضه بقلبٍ واجف لكل ما يراه.. من يراقب الوضع من هذه المسافة يوقن أن تلك الأرض قد تم مسحها بالكامل وإعادة تشكيل تضاريسها من جديد لقوة التفجيرات وتتابعها لعدة دقائق.. من المستحيل أن ينجو أحد من هذا الهجوم.. هذه إبادة تامة لقوات وفرق عددها ليس بالهين، لكنها لا تملك حيلة ولا وسيلة للنفاذ من بين هذه القذائف المميتة التي تسقط على رؤوسهم دون تمييز..

لم يبعد رادال بصره عن ذلك الهجوم وتلك القذائف التي أضاءت الأفق رغم أنه اضطر للوقوف على مرتفع صخري يمنحه رؤية أفضل للمكان بعد مغادرته المدينة.. يا للسماء.. من يمكنه أن ينجو من هذا الهجوم؟.. وما الذي سيقدر على فعله حتى لو طار لذاك الموقع بمعجزة ما؟.. إنه عاجزٌ هنا كما سيكون عاجزاً هناك.. هل يمكنه أن يصمت دون أن يعلم مصير الثوار؟.. دون أن يعلم مصير جود رغم الألم الذي يباغت صدره كلما فكر بها؟..

زفر أنفاساً حارة ملأى بالصدمة والعجز.. لطالما كان مكابراً، وخاصة مع جود التي اكتسحت مشاعره بطريقة لم يتوقعها قط.. لكن كيف له ألا يندم على مكابرته في آخر لحظاتها معه، وربما آخر لحظاتها في هذه الحياة؟..

انتبه لخطوات بارا التي تقترب منه راكضة وخلفه سيرا، وسمعه يقول بانفعال "هناك مركبة بقيت في المدينة سابقاً.. ألا تذكر؟.. يمكننا استخدامها.."

كانت تلك معلومة جديدة عليه، وربما لم ينتبه لها بينما كان يراقب رحيل الثوار وبرفقتهم جود التي ظلت متجاهلة له حتى النهاية.. بينما اعترضت سيرا بصوت حانق "وما الداعي لذلك؟.. ها هي القذائف تسقط على رؤوسهم بالفعل.. ووجودنا لن....."

قطعت اعتراضها مع رؤية رادال الذي لم يتمهل للحظة وهو عائدٌ لأقرب حي من المدينة تابعاً بارا.. ومع اقترابهم، لم يكن لهم ألا ينتبهوا لذلك الصوت الذي تردد بإلحاح من الحي القريب منهم.. أدرك الثلاثة أن هناك من يتبادل إطلاق النار في هذا الوقت بالذات، في الحي الذي تمركز فيه بقية الثوار لحراسة المداخل من أي هجوم غير متوقع من مملكة الضياء.. وبدا لهم واضحاً أن أحد الطرفين هم الثوار بينما الطرف الثاني هم

الجواسيس الذين رأتهم سيرا في وقت سابق..

ورغم خطورة وجودهم في ذاك المكان، لم يتردد رادال وخلفه بارا وسيرا في التسلل بين الطرقات بحثاً عن المركبة وأعينهم تدور في الأزقة وأسطح المنازل القريبة خشية أن يداهمهم أحد الجواسيس أو يظنهم الثوار من الأعداء ويتخلصوا منهم قبل التأكد من هويتهم..

طال بحثهم عدة دقائق بدت لهم ثمينة، حتى جذب بارا ذراع رادال مشيراً بإصبعه ليلتزما الصمت، ثم أشار نحو أحد الأزقة القريبة حيث تبدو لهم أضواء كشافات المركبة واضحة من مكانهم هذا.. اقتربا بخطوات خافتة نحو رأس ذلك الزقاق حتى لمحا من زاوية أحد المنازل المركبة وقد توقفت وسط الزقاق ومحركها يدور دون توقف.. تبادل الثلاثة النظرات ورادال يتساءل "أهم من الثوار؟.. أم من الخونة؟"

قال بارا وهو يمسك خنجره بيده "لن نعرف حتى نقترب منهم.."

عاد رادال يراقب تلك المركبة والرجلين الذين جلسا في قلبها، ثم قال "كيف سنتمكن من قيادتها؟.."

أجاب بارا وهو يختبئ خلف زاوية منزل يخفيه عن أنظار أصحاب المركبة "سنجبر أحدهما على قيادتها بالقوة.."

كانت المركبة تحمل في قلبها رجلين، لم يتعرف عليهما بارا ورادال، ولم يدركا أنهما معاونا تادار اللذان وصلا للمدينة معه.. لم تكن هويتهم في هذه اللحظات مهمة.. المهم هو الحصول على المركبة بأسرع ما يمكن..

دار رادال حول المنزل القريب من الجهة اليسرى فيما تسلل بارا عبر المنزل من الجهة الأخرى متخفياً عن الأنظار ليباغت الرجل الآخر الذي جلس على يمين السائق.. أما سيرا فقد ظلت في مخبئها رغم أنها لا تفهم ما ينوي هذان الإثنان فعله حقاً.. لقد وقع الثوار في الكمين بالفعل، وتوقف الهجوم الذي تواصل لعدة دقائق.. هذا يعني أن الثوار قد قتلوا حتى آخر فرد منهم.. ومن نجا ربما يسقط في أيدي أي قوات للعدو تقترب من المكان.. ما الفائدة التي سيجنيها الثوار من قدوم بارا ورادال؟..

مع اقتراب رادال من المركبة عبر مدخل المنزل الذي يطلّ على الزقاق، متخفياً في الظلام وهو يرفع خنجره في يده، لم يكن له ألا يسمع الرجل الذي يجلس قرب سائق المركبة وهو يقول بتوتر بالغ "ماذا؟.. لم تصلنا أي أوامر بهذا يا سيدي.. لا من تادار ولا من قيادات جيش مملكة الضياء.."

لم يتمهل رادال وهو يقترب من المركبة متحفزاً بعد أن وصلته جملة الرجل واضحة بليغة تغنيه عن أي

سؤال.. فيما عقد الرجل حاجبيه ملقياً نظرة على زميله وهو يقول "بلى.. رأيناه عدة مرات في ميركان يا سيدي.. لكن لم نظن لوهلة أنه....."

صمت مستمعاً للحظة قبل أن يقول بنبرة احترام "حسناً يا سيدي.. أبلغ القيادة أننا....."

قطع حديثه عندما سمع شهقة رفيقه الخافتة قبل أن يتهاوى على وجهه على المقود، فبهت الرجل وهو يرى رادال يقفز قرب السائق الغائب عن الوعي بتحفز حاملاً خنجراً في يده.. فقال الرجل بسرعة عبر جهاز الاتصال "لا تقلق.. عثرنا عليه بالفعل.."

واستل مسدسه بسرعة مصوباً إياه نحو رادال، لكن ضربة قوية أخرى باغتته من الخلف حيث عاجله بارا بضربة من قبضتيه المضمومتين.. سارع بارا لإنزال الرجل أرضاً وسحبه بعيداً، بينما قام رادال بإمساك مسدسٍ استولى عليه من السائق، ورغم خبرته الضئيلة به، لكن موقفه لن يكون أضعف مع الخنجر الذي يحتفظ به بالإضافة لسيف طويل يتدلى من حزامه.. ضرب رادال وجه السائق الذي غاب عن الوعي عدة ضربات كافية لإيقاظه.. ولما فتح السائق عينيه مبهوتاً مشتت الفكر، لاحظ على الفور عينا رادال الحادتان وهما تحدقان به، وأمامه برزت فوهة المسدس الموجهة نحوه وهو يقول بحزم "قم بقيادة هذه المركبة نحو موقع الثوار.."

اعتدل السائق محاولاً البحث عن وسيلة للمقاومة، لكنه توقف لرؤية الخنجر المصوّب نحو عنقه من بارا الذي جلس خلفاً بصحبة سيرا.. بلع السائق ريقه للحظة قبل أن يقول "وما هدفكم من الذهاب هناك؟.. هل تنوون الانتحار؟"

قال رادال بصرامة "تحرك دون أي تحامقٍ منك.."

ولوّح بمسدسه بتهديد واضح.. نظر السائق بتوتر لجهاز الاتصال الملقى جانباً، والضوء الأخضر في جهاز التحكم الملحق بالمركبة يدله أن الاتصال مع القيادة لم ينقطع بعد.. لكن لم يبدُ أن أحد هؤلاء يعبأ لأمره، أو يدرك هويته في الواقع.. فاعتدل وبدأ تحريك المركبة بشيء من التمهل المتعمد مغادراً الزقاق وعبر الطريق الذي يقودهم خارج المدينة.. قلب بصره بين رادال الغاضب والأفق الذي لم يخفت الضوء منه رغم انطفاء تلك القذيفة المضيئة من السماء.. ثم قال بتوتر "أنت اسمك رادال.. أليس كذلك؟.. ألست من مملكة الضياء؟"

ضغط بارا بحد الخنجر على عنق السائق من الخلف وقال بحدة "أسرع يا هذا ولا تحاول خداعنا أو المماطلة بمثل هذا الحديث.. لسنا مغفلين لهذه الدرجة.."

وبصيحة منه، اضطر السائق لأن يزيد من سرعته شيئاً ما وهو يسلك طريقاً ترابياً يقوده لتلك القرية التي احتلتها قوات مملكة الضياء كثكنة مؤقتة لها، والتي تدور الأحداث الدامية في السهول القريبة منها..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما رأت جود القذائف تتهاوى، والصراخ يتعالى، والأشلاء تتطاير ناثرة الدماء على الأحياء منهم، شعرت بصدمة عنيفة أعجزتها عن التفكير وهي تركض بلا هوادة مبتعدة عن موقع القصف.. لم تكن مذعورة للمناظر التي رأتها بأكثر من ذعرها لمصير رفاقها وللهزيمة التي ذاقوها قبل أن يبدؤوا بالفعل..

ركضت والأجساد القريبة ترتطم بها وتكاد ترميها أرضاً.. ولو سقطت، فستدوسها الأقدام ولن تترفق بها وسط هذا الذعر الأهوج.. وبعد خطوات، فوجئت جود بقذيفة تصيب جانباً من الفرقة الهاربة فتقتل عدداً منهم وترمي الباقين بقوة انفجارها جانباً والصخور المتطايرة تصيب من تصيبه منهم بإصابات مختلفة..

نهضت جود بعد سقطتها العنيفة مضعضعة الأعضاء متجاهلة آلامها والدماء التي سالت على وجهها من جرحٍ لا تعرف حجمه ولا خطورته، وحاولت تفادي الرجال المتدافعين وهي تركض منضمّة إليهم في هروبهم الذي غدا بلا فائدة.. لم تكن التعليمات تفيدهم، ولا الأسلحة التي تساقط بعضها أرضاً وركلها الهاربون دون تمييز.. لم يكن ينفعهم في تلك اللحظات إلا الحظ الذي لا يعلم أحدهم من سيبتسم له ومن سيدير له ظهره..

لم يكن هناك منفذٌ للهرب ولا مخبأ يواريهم، فصاح بهم دارو الذي وقف جانباً يراقب تراجع الأحياء منهم "النهر.. اقفزوا في النهر وابتعدوا نحو الضفة المقابلة.."

أطاعت جود تعليماته وهي تركض نحو ضفة النهر القريبة، وفور وصولها إليه قفزت دون تردد في قلبه وآخر ما سمعته انفجارٌ جديد لقذيفة سقطت خلفها.. من الذي اغتالته هذه المرة؟.. هل نجا دارو الذي

وقف يراقب هروبهم ويعاون من يحتاج للعون من الرجال المصابين؟..

لم تملك جود ترف التفكير في أحد وهي تحاول الخروج لسطح المياه بعد سقوطها غير المتأني، ومع برودة المياه فإن رجفة شديدة سرَتْ في جسدها وهي تحاول السباحة للضفة الأخرى من النهر.. لكن المياه المندفعة كانت تجذبهم عنوة في مجراها الذي يقودهم نحو القرية القريبة مما يجعل موقفهم أسوأ من السابق..

جاهدت جود بشدة دون أن تتمكن من الوصول للضفة الأخرى، فاستعاضت عن تلك الفكرة بالعودة للضفة القريبة حتى شعرت بقدميها تلمسان الأرض الصخرية للنهر..عندها وقفت وجرّت خطواتها عكس المجرى القوي ورجفة جسدها تزداد أضعافاً للمجهود الذي تبذله..

رأت كثيراً من رفاقها يحاولون السباحة ضد التيار عبثاً، ومنهم من لم يتمكن من مقاومته وجرفته المياه بعيداً.. بينما عجز بعضهم عن السباحة مطلقاً والمياه تبتلع من تبتلعه منهم.. تهاوت مشاعر جود أكثر مع الصياح والانفجارات التي لم تكد تهدأ إلا قليلاً في جوانب هذا السهل.. من الذي بقي حياً؟.. أين هم؟.. ما الذي جرى لدارو؟.. وياسان؟.. هل قتل حاكين بدوره؟.. كم رجلاً قضى نحبه في هذا الكمين؟..

كلها أسئلة لا إجابات لها.. ومع خفوت الضوء الذي اندلع وسط السماء، والظلام الذي حلّ بقوة على النهر وما حواليه، خفتت أصوات الانفجارات وتوقفت القذائف فجأة دون أن تعلم جود السبب.. هل اكتفى العدو بالنصر الذي أحرزه؟.. أم أنه يستعد لجولة جديدة؟.. هل ستنطلق القذائف نحو من بقي منهم أم أن العدو سيرسل جنوده ليجهز على الأحياء ويتخلص منهم بشكل جذري؟.. استمرت جود في سيرها عكس تيار النهر بخطوات راجفة وهي تلمح بعض الأجساد التي تساقطت قرب الضفة ودماؤها تسيل لتمتزج بمياه النهر لتحيلها للون الأسود القاتم.. فيما امتلأ أنفها برائحة الدماء والأجساد المتفحمة والحريق الذي بدأ يشتعل في بعض الأشجار القريبة..

كيف لليلة مثل هذه أن تمحى من ذاكرة جود؟.. كيف للثوار أن تقوم لهم قائمة بعد هذه الهزيمة المنكرة؟..

سارت باذلة كل ما تملكه من جهد وهي تسمع تصايح بعض الرجال من مبعدة، وهم يولّون الأدبار هاربين من هذه المذبحة وما قد يتبعها من مواجهة لا يرغب أحدهم بها في هذه الليلة.. تهاوت جود أخيراً قرب الضفة مختبئة تحت صخرة بارزة وهي تلهث بشدة محاولة تمالك رجفة جسدها.. هي مدركة لخطر وجودها هنا، لكنها ستبقى للحظات فقط تستعيد فيها أنفاسها وتريح عضلاتها قبل أن تواصل المسير..

تناهى لسمعها صوت هدير مركبة، فانطوت أكثر على نفسها خشية أن يراها أصحابها وهي لا تعلم هويتها.. سارت المركبة بهدوء وسط السهل الدامي وأضواؤها تنير بقعة لا بأس بها من المكان.. ولما توقفت المركبة، وسمعت صوت حديث يصل لأذنيها باهتاً، تجرأت جود على النظر من خلف الصخرة التي تخفيها لرؤية ما يجري أمامها..

ووسط تلك البقعة التي احتلتها الأجساد الدامية والأشلاء المتناثرة، رأت المركبة التي وقفت بهدوء وبقلبها تادار ومعاونه قرب المقود، والذي رمق المنطقة بنظرة هادئة لا شبهة لأي صدمة أو استنكار فيها.. استنكرت جود ما تراه، وشعرت بقبضة قوية تعتصر فؤادها لهذا المنظر، فتحاملت على نفسها وتسللت مستعينة بالتضاريس التي تخفيها عن الأنظار خاصة بعد أن انطفأ ذلك الضوء اللعين في السماء..

كانت النسمة الهادئة التي أثارت رجفة في أوصالها قد حملت لها صوت تادار وهو يتحدث في جهاز الاتصال قائلاً "كل الأمور على ما يرام.. بقي قلة فقط تراجعوا لميركان.. وهناك، سيتولاهم بقية الرجال كما اتفقنا تماماً.."

استمع بصمت للحظات، ثم قال مقطباً "لم تصلني أوامر بهذا عندما أرسلت تقريري سابقاً.. لكن كل شيء يمكن تداركه.. لقد أرسلت لكم صورته في وقت سابق، ويمكن للجنود المعاونة في البحث عنه.. لحسن الحظ فإنه لم يشارك في هذه العملية، لذا سنجده في ميركان دون شك.."

وأنهى الاتصال مشيراً لمعاونه بيده ليتحرك بالمركبة.. تقدمت جود وقد تسارعت خطواتها مع النار التي اشتعلت في صدرها، وتناولت بندقية عثرت عليها بين الأشلاء فرفعتها وأطلقت طلقة بعد تصويب سريع.. فوجئ تادار بصوت الطلقة الآتي من الخلف، وصدم لرؤية الدماء التي انبثقت من رأس معاونه الذي سقط على المقود دون حراك..

استدار تادار بفزع مستلاً مسدسه بدوره، ليرى جود تتقدم منه وهي تصوب بندقيتها نحوه صائحة "ارمِ المسدس أرضاً.."

خفض تادار يده دون أن يتخلى عن المسدس قائلاً بصرامة "ما معنى هذا؟.. كيف تجرؤين على رفع سلاحك في وجه قائدك؟"

قالت بغضب "قائدي؟.. أتحاول إنكار خيانتك التي سمعتها بأذنيّ منذ لحظات؟.. أي قيادة تلك التي

رفعت تقريرك لها؟.. قيادة جيشنا في قانار التي لم يعد لها وجود؟.. أم قيادة جيش العدو التي أوقعت الثوار في كمين بعد إصرارك على قيامنا بهذه العملية؟"

رفع تادار مسدسه بسرعة محاولاً إصابتها، لكنها أطلقت طلقة أصابت كفّه وهشمته مما جعله يصرخ وهو يرمي المسدس جانباً.. أمسك يده المصابة بيده الأخرى وهو ينظر عابساً لجود التي تقدمت منه قائلة بغضب "أيها الخائن.. ما الجرم الذي ارتكبته بحق وطنك؟.. كيف لك أن ترجو المغفرة بعد كل الدماء التي لطخت بها يديك؟"

أطلق تادار ضحكة عصبية وهو يقول "أرجو المغفرة؟.. ممن؟.. من كلبة قاث؟.. هراء.."

ابتسمت جود ابتسامة عصبية مرتجفة وهي تقول بحزم "إنه لشرفٌ لي أن أكون كذلك.. فيما انحدرت أنت لتكون أحقر شأناً من الكلاب التي لا تخون من مد يده لها بمعروف قط.."

نظر لها تادار بحدة قائلاً "كان عليّ قتلك في تلك الليلة التي رأيتك تتسللين فيها خلف مكتب قاث بعد أن فرغت منه بالفعل.. لكن لا يبدو أن الأوان قد فات بعد.."

كانت عينا جود قد اتسعتا وهي تسمع قوله، محاولة استيعاب حقيقة ما سمعته.. ولم تستعد انتباهها إلا عندما رأته يرفع مسدساً سحبه من جثة معاونه.. لكن جود التي لم تفقد حذرها بعد أطلقت طلقة أخرى نحو يده الثانية، تبعتها بعدة طلقات أصابت أماكن متفرقة من جسده.. صاح تادار بألم وهو يتهاوى أرضاً مع الطلقات التي أصابت ذراعيه وساقيه وفخذه، مدركاً أن جود قد تفادت إصابته بإصابة قاتلة.. أكانت متعمدة أم أن الحظ قد خانها؟..

حاول أن يتجاوز آلامه ويعتدل بحثاً عن المسدس الذي سقط منه سابقاً، ليرى جود ترمي البندقية جانباً وتتقدم منه مستلة خنجراً من حزامها وعيناها تتوهجان بغضب واضح وقتامة وجهها تدلّان على ما تنوي فعله به.. زحف تادار للخلف وعيناه تبحثان عن المسدس بشكل محموم، لكن جود أوقفت زحفه وهي تدوس قدمه بقوة في موضع إصابته السابقة، وبقدمها الثانية ركلته في وجهه ركلة قوية ألقته خلفاً والدماء تتجمع في فمه لقوة الضربة.. اعتدل تادار بصعوبة وبصق الدماء، ثم نظر لها قائلاً بسخرية "أتنوين الانتقام مني؟.. يا لك من فتاة لطيفة.. عليك الانتقام من جيش مملكة الضياء كاملاً، ومن الملك سوريم الذي أرسل أوامره لي بقتل قاث.. إنما أنا شخصٌ ينفذ الأوامر، والانتقام مني لن يفيدك بشيء.."

ركلته من جديد ليسقط أرضاً، ثم عاجلته بضربة من خنجرها في كتفه قائلة بغلّ "الموت هو راحة لأمثالك.. لو كان الخيار لي، لاحتفظت بك أياماً عدة، وأطلت عذابك قدر استطاعتي.."

كتم تادار صيحة ألم وهي تطعنه طعنة أخرىٰ في جانب صدره بعيداً عن قلبه.. ولما استعاد أنفاسه، نظر لها بطرف عينه وقال بسخرية ولهاث متلاحق "قد أفلح قاث بتربية كلبة شرسة مثلك.. فولاؤك له لم يخفت رغم موته منذ أمدٍ طويل.."

اشتعل الغضب والغلّ أضعافاً في نفس جود وهي تهوي بالخنجر بكل ما تملك في موضع قلبه.. تأملت جسده المنتفض والدماء تنبثق بغزارة من جراحه العديدة، وسالت دموعها لتختلط بقطرات المياه التي تقاطرت من شعرها ممتزجة بدمائها من جرحها السابق.. أجهشت جود بالبكاء حسرة لكل ما جرىٰ.. لكل الأجساد التي رأتها صريعة.. لكل من فقدتهم، وفقدهم الوطن، في هذه الليلة الدامية وقبلها منذ بدأ الهجوم الغادر.. غامت الرؤية أمامها مع الدموع التي لا تكاد تتوقف عن الانهمار، فيما نهضت مترنحة وسارت بخطوات مرتجفة موجهة نفسها نحو الغرب.. نحو المدينة البعيدة، آملة أن تعثر علىٰ بعض رفاقها فيها.. بدت كالذاهلة في سيرها، حتىٰ إنها لم تنتبه للمركبة القريبة والتي لا يزال هدير محركها مسموعاً.. ولم تنتبه لإمكانية هربها بها بسرعة وسهولة.. كل ما فعلته هو أن سارت مترنحة وكأن جسدها يجرّ نفسه جراً بعيداً عن هذا المكان الذي يعبق برائحة الموت..

ترىٰ، بأي نظرة سيواجهها رادال؟.. لا بد أنه سيهزأ لما جرىٰ لهم.. ألم يقم بتحذيرها؟.. ألم يسخر من محاولتهم الفاشلة هذه؟.. يحق له الهزء بعد كل ما جرىٰ.. كل ما تأمله في تلك اللحظات أن يرق قلبه للحزن الجاثم علىٰ صدرها، وأن يواسيها بأي وسيلة كانت علّ الألم المسعور الذي يمرح في جسدها ونفسها أن يخفت ولو للحظات..

هل تنعىٰ الثوار الذين حملوا شعلة الثورة دفاعاً عن الوطن، أم تنعىٰ الوطن الذي لن تقوم له قائمة بعد أن خسر فرصته الوحيدة للنهوض من كبوته؟..

تعساً للأعداء.. كم امرأة ترملت وكم طفلاً يُتّم وكم أماً ثكلت بأبنائها في هذه الليلة؟.. كم دمعة ستسيل علىٰ ما جرىٰ لتمتزج بدماء من سقط صريعاً في هذا السهل الدامي؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما كفّت القذائف عن الانهمار فوق رؤوسهم، كان أفراد الفرقة الأولى، كباقي الفرق، قد تناثر رجالها في مساحة واسعة هرباً من الموت.. وأغلبهم لم ينجح في ذلك قط.. ظل ياسان ساقطاً في مكانه في جانب المكان لاهثاً يكاد يلتقط أنفاسه بالكاد، أذناه تطنّان بقوة، والألم ينبض بعنف في أجزاء جسده حتى ما عاد يعرف أي جزءٍ منها أصيب وأيها تلقى ضربة موجعة لا غير.. نظر حوله لرفاقه الذين كانت أعينهم تلتمع بالحماس واللهفة لهذا النصر المؤكد قبل لحظاتٍ من بدء الهجوم.. لمح حاكين ساقطاً في موقع قريب وقد تهشم جسده وأغرقت الدماء وجهه حتى بالكاد أمكنه التعرف عليه.. بموته، وموت قائد الفرقة الذي يعاونه، أصبح الرجال بلا قائد يلقي تعليماته إليهم.. لذا سادهم التخبط الشديد أثناء هروبهم وهم يتشتتون في السهل ويهربون في كافة الاتجاهات..

حاول ياسان تمالك رجفة ذراعيه مع تلك الإصابة القوية التي أصابت كتفه الأيمن، ومع الدماء التي نزفها بشدة طوال الدقائق الماضية.. ومن القرية القريبة، استطاع أن يلمح عدة مركبات تغادر محمّلة بالجنود المدججين بالسلاح وهدفهم واضحٌ لا يمكن لطفلٍ أن يجهله.. حاول ياسان النهوض مستنداً إلى شجرة قريبة مالت جانباً مع التفجير الأخير، وبالكاد تمكن من أن يحرك ساقاً واحدة بينما اندلع الألم شديداً في الأخرى قبل أن يقوم بتحريكها بالفعل..

كتم ياسان ألمه الشديد، وفكر بعجز بكيفية هربه من تلك المركبات التي تقترب منه وبعضها ينفصل متوجهاً نحو مواقع الفرق الأخرى لإكمال ما بدأته القذائف المميتة.. وقبل أن يستسلم ويقبع في موقعه بانتظار موته المحتم، شعر بذراعين ترفعانه وتعينانه على الوقوف حتى كاد يطلق صيحة ألمٍ عندما ترنح في وقوفه وضغط على ساقه المصابة.. نظر ياسان لمن وقف قربه يسنده، فلمح شاباً ضخم الجسد ينظر له بتوتر قائلاً "تحمل قليلاً.. علينا الرحيل قبل قدومهم.."

نظر ياسان للجرح في ساقه بسبب شظية حادة لا يعلم من أين تطايرت وجرحته ذلك الجرح البليغ، ثم قال بأسى "غادر أنت.. لن يمكنني الهرب بهذه الحالة.. أنا مقضيّ عليّ في كل الأحوال.."

قال الشاب بصرامة "محال.. أغلب الرجال قد هربوا، ولن تجد من يعينك لو هربت أنا.. وأنا لن أقدر على

تجاهلك مهما كانت إصابتك ملحة.."

ووضع ذراع ياسان على كتفه قائلاً بحزم "اعتمد على ساقك السليمة واقفز تابعاً خطواتي.. سنهرب معاً.."

كان صوت المركبات يصل لسمعه بوضوح، فقال ياسان بشيء من السخط "موت فرد واحد خيرٌ من موت اثنين.. اهرب يا هذا ولا داعي لهذه التضحية التي لا معنى لها.."

لم يجبه الشاب وهو يكاد يحمل ياسان بقوته ويجرّه جراً بعيداً عن طريق المركبات.. فلم يملك ياسان إلا أن يجاريه في خطواته بألمٍ شديد والعرق ينضح غزيراً على جبينه.. لم يكن سيره بهذه الطريقة أسهل ولا أيسر بالنسبة له والألم ينبض بشدة في رأسه بشكل يعجزه عن التفكير في أي أمرٍ آخر..

توقف الشاب ينظر حوله بحيرة وقلق متزايد.. هدير المركبات يتعالى، وهما عاجزان عن العثور على مكانٍ ملائم للاختباء.. نظر للأجساد الدامية أمامه وقال "ربما خير وسيلة نملكها أن ننطرح أرضاً ونتظاهر بأننا قتلى كالبقية.."

عبس ياسان متحاملاً على ألمه وقال "لا.. تلك فكرة سيئة.. قد نصبح موتى مثلهم بالفعل.."

غمغم الشاب "ولكن.. ما من وسيلة أخرى للهرب.."

هز ياسان رأسه برفض شديد، واستجابةً له بدأ الشاب يجذبه معه مبتعدين عن طريق المركبة التي اقتربت منهم بشيء من السرعة، ولم يبقَ إلا لحظات وتسقط أضواؤها عليهما فينكشف أمرهما على الفور.. دار الشاب ببصره حوله بيأس شديد، وهو يشعر أن حياته اختزلت في اللحظات التي تفصل بينه وبين عثور الجنود عليه.. قبل تلك اللحظة هو حيٌّ طليق.. وبعدها هو جثة كباقي الجثث التي لا ملامح لها..

رأى حقلاً قريباً من حقول سكان القرية التي تحتل جانباً من ذلك السهل، وقد طالها بعض ما طال هذا المكان من هجوم القذائف.. عندها جذب ياسان دون أن يقبل بأي اعتراضٍ منه، وسار به حتى أصبحا في قلب الحقل الذي تمّ حصاده قبل فترة وجمع أصحابه القش في أكوامٍ عالية تبدو كأشباحٍ سوداء في هذا الليل.. تجاوز الشاب أكوام القش القريبة وتخيّر أبعد واحدٍ منها، وهناك دفع ياسان بقلبها بشيء من الحذر لئلا تتهاوى أرضاً فيبدو اختلافها واضحاً للناظر إليها.. ثم كوّم جانباً منها عليه مفسحاً جزءاً ضئيلاً فقط ليراقب منها ما يدور حوله..

لحظاتٍ فقط ووصلت مركبة الجنود إلى البقعة التي غادرها ياسان بصحبة الشاب للتو، ووقفت وسط

الجثث والجنود فوقها يتأملون الخسائر البشرية التي ألحقوها بصفوف الأعداء.. همس الشاب وهو يتأمل ما يجري بحذر "لو أننا اختبأنا بين الجثث، لكانت نجاتنا مؤكدة.."

كان باستطاعته أن يسمع تنفس ياسان الثقيل وهو بالكاد يجذب أنفاساً متلاحقة لشدة ألمه، عندما راعته تلك الطلقات التي تعالت في الليل الصامت.. نظر الشاب مذعوراً لذلك المكان، فرأى الجند يطلقون نيرانهم بغزارة نحو الجثث الملقاة أرضاً ليتأكدوا من موت الجميع بالفعل.. وفور أن فرغوا من جريمتهم البشعة، تعالت سخرية البعض وضحكاتهم وهم يقودون المركبة ملاحقين الأحياء من الثوار لإنهاء هذه الليلة الدامية بفوزٍ ساحق لهم دون أن يغفلوا عن الدوران حول الحقول القريبة بحثاً عمّن يختبئ في قلبها..

نظر الشاب بعينين متسعتين للمركبة التي اقتربت منهما في دورانها، لكنها لحسن الحظ غادرت دون أن تحاول إطلاق رصاصها عشوائياً وسط أكوام القش هذه..

بعد أن رحلت المركبة ببعض الوقت وخفت صوتها بشكل تام، تجرأ الشاب لمغادرة موقعه وسحب ياسان بدوره حتى أراحه أرضاً مستنداً على تلك الكومة الجافة.. زفر الشاب متخلصاً من توتره الدائم بعد أن تأكد أنهما في أمانٍ جزئي، ونظر لياسان ولجراحه التي لم تكفّ عن نزف الدم طوال الوقت.. فغمغم وهو يقترب منه "يجب أن نضمّد جراحك هذه قبل فوات الأوان.."

انشغل بتضميد جراح ياسان كيفما اتفق وبأجزاء من قميصه أو من قميص ياسان.. كان الشاب مصاباً بجروح طفيفة لم تصل لمرحلة الخطر، لذا أولى اهتمامه لياسان بالدرجة الأولى والأخير يعبس بشدة ويئن للألم القوي فيما ينتزع الشاب الشظية البارزة من ساقه.. كان ذلك الجرح هو الأعمق، والأكثر سوءاً.. ولشدة ألمه، شعر بخدرٍ شديد في تلك الساق حتى شك لوهلة أنه قد يفقد سيطرته عليها تماماً..

بعد أن انتهى الشاب من عمله، قال بأسف "لا نملك وسيلة لتعقيم الجروح ولا لخياطتها.. عليك الاعتناء بها بشكل جيد فور عودتنا.."

غمغم ياسان بسخرية "عودتنا لأين؟"

لم يعلق الشاب وهو ينهض مبتعداً، فيما لهث ياسان بمزيج التعب والألم وهو يرمق المكان حوله.. ثم نظر للشاب المرهق الذي تهاوى قريباً وسأله "ما الذي دعاك لتستميت في إنقاذي؟.. مع كل من قضى نحبه من الرجال، موت رجل آخر لا يعني شيئاً في هذه الحالة.."

قال الشاب وقد عاد له ارتباكه بعد أن تجاوزوا مرحلة الخطر "لا أظن ذلك صحيحاً مطلقاً.. كل حياة لها من الأهمية ما يجب أن نبذل الكثير لحمايتها.."

ثم نظر لياسان مضيفاً "هناك أمرٌ آخر.. لقد رأيتك عدة مرات تسير برفقة الأرضية....."

تدارك نفسه بسرعة وهو يقول "..... برفقة جود.. وعلمت أنك شخصٌ مقرب منها كثيراً.. لقد ساعدتني جود سابقاً في قانار، وساعدت فتاة مقربة مني عدة مرات.. فلا يمكنني أن أتغاضى عنك وأفجع جود بموتك.."

ظل ياسان ينظر له بحيرة، وتساءل "ومن هي تلك الفتاة؟"

أجاب الشاب "اسمها هيما...."

أضاء وجه ياسان على الفور وهو يقول "أأنت كابو؟..."

نظر له كابو بدهشة، فقال ياسان "لطالما تحدثت هيما عنك عندما كنا في أرض الهوام.. لم أتوقع للحظة أن تكون قد انضممت للثوار في ميركان.. أظن هيما ستكون سعيدة لو علمت بنجاتك.. سابقاً والآن.."

هز كابو رأسه بصمت وياسان يتساءل بحيرة "لكن ما الذي جاء بك لهذه الفرقة؟.. أغلب رجال الفرقة الأولى من الجنود، وأنت لست كذلك؟"

هز كابو كتفيه بحيرة قائلاً "أحد القادة ضمّني لهذه الفرقة مع عدد من الشباب لتعويض النقص بين الجنود.. ولا أدري إن كان هذا من سوء حظي أم ماذا.."

غمغم ياسان "بل هو من حسن حظي أنا.."

صمت كابو دون تعليق والوضع الذي هم فيه يطرح نفسه بشدة.. وحالهم بعد هذه الهزيمة المؤسية يصيبه بهمٍّ كبير وقلق أكبر.. عاد ببصره لياسان، وتساءل بتردد "ما الذي نفعله الآن؟.. هل نعود لميركان؟"

أجاب ياسان "لا أظن ذلك الخيار مطروحاً الآن.. لا بد أن قوات العدو ستداهم المدينة وتقضي على من بقي فيها من الأحياء.."

وغمغم بمرارة "تباً.. ليتنا نملك أجهزة اتصال لتحذير البقية وحثهم على الهرب قبل أن تصل القوات إليهم.."

لم يعلق كابو على ذلك وهو ينهض من جديد ويعاون ياسان على النهوض.. حريٌّ بهم الابتعاد قبل عودة

إحدىٰ تلك المركبات وقبل أن يفاجئهم جنود العدو ويتمّون ما عجزت القنابل عن إتمامه في هذه الليلة البائسة..

حريٌّ بهم الهرب من ليلة كهذه الليلة التي حلق الموت فيها في سمائهم واختطف من اختطفه منهم دون تمييز أو رحمة..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما اقترب رادال من موضع التفجيرات السابقة، تمكن من رؤية تلك الجماعة من الرجال الذين ركضوا محاولين العودة لميركان، وقد تدافعوا نحو المركبة فور أن خفف قائدها سيره بأمرٍ من رادال.. تساءل رادال بقلق "أأنتم الناجون الوحيدون من هذه الفرقة؟.. أين البقية؟"

هتف به أحدهم "لا نعلم.. معظمنا قفز في النهر، وهناك من انجرف معه.. أبعدنا عن هذا المكان بسرعة قبل قدوم الجنود.."

بدؤوا يتزاحمون في المركبة بشيء من الخشونة، بينما صاح بارا "مهلاً.. نحن لسنا عائدين لميركان.."

لكن فزع الثوار وصدمتهم لكل ما جرىٰ سابقاً لم تكن تسمح لهم بأي تعقل، فاضطر بارا للنزول وهو يجذب سيرا بعيداً عن اندفاعهم الأهوج، وسرعان ما تبعهم رادال بعد أن عجز عن الحصول علىٰ إجابة وافية لأسئلته.. وقبل أن تتحرك المركبة، جذب رادال السائق من عنق قميصه قائلاً "مهلاً.. إلىٰ أين تظن نفسك ذاهباً؟"

قال السائق بتوتر "ما الذي تريده مني بعد؟"

صمت رادال وهو يفتشه ليتأكد من خلوه من أي أسلحة، ثم دفعه للابتعاد قائلاً "لِمَ لا تعود لمن أصدر إليك أمره بخيانة رفاقك؟.. فلنرَ إن كانوا سيتقبلونك بصدرٍ رحب عندها.."

ولوح بمسدسه في وجهه ليجبره علىٰ الركض نحو السهل الذي توقف القصف عنه قبل وقت قصير والهواء مشبّعٌ برائحة الدخان والدماء.. تردد الرجل للحظة قبل أن يستسلم وهو يبتعد مسرعاً فيما لم يتوانَ البقية عن الرحيل بالمركبة عائدين بها لميركان.. تساءل بارا وهو يتبع رادال "ما الذي حداك لإرغام هذا

الخائن على الرحيل؟"

أجاب رادال "لأنه لن يتوانى عن الخلاص من هؤلاء الثوار كما تخلص رفاقه منهم في ميركان.."

غمغم بارا "أنت لا تفتأ تتدخل في أمور غيرك.."

لم يعلق رادال وهو يحث السير نحو النار التي رآها مشتعلة في الأشجار على مبعدة منه.. كان هذا هو أحد مواقع القصف السابقة وأقربها منهم، ورغم أنه لا يعلم إن كانت جود ضمن هذه الفرقة أو غيرها لكنه لم يتردد في الإسراع إليها وعيناه تدوران حوله بحثاً عن أي ناجٍ من هذا القصف.. كان المكان خالياً من أي روح، ما عدا الرجال الذين رآهم يغادرون السهل بعد استيلائهم على المركبة.. وكان هذا أقرب وصفٍ للواقع.. كان المكان خالياً من أي روح، رغم الأجساد التي تكوّمت في مساحة واسعة يصعب الإلمام بها..

وقفت سيرا بصدمة لم تستطع إخفاءها، رافضة أن تخوض في بحر الدماء والجثث هذا، وهي ترمق كل هذا الموت الذي تكدس أمام ناظريها..

لكن رادال لم يتوقف وهو يسير وسط الجثث يتأملها بصدمة رغم صمته التام.. وقف بارا بدوره قرب سيرا متأملاً الأجساد، وغمغم بأسى "كيف يمكن لأي امرئٍ أن يتعرف على هذه الأجساد؟.."

دمدمت سيرا بعصبية "وما الداعي لذلك حقاً؟"

لم يجبها بارا وهو ينظر في الأفق، ونحو النهر القريب، بحثاً عن أي مصابين أو أحياء.. لكن المكان كان خالياً بكل تأكيد.. ووسط تلك الساحة، انتبه الثلاثة لهدير المركبة التي وقفت بصمت في المكان.. بادر رادال للاقتراب منها، فيما تساءل بارا بدهشة "لمَ تركها الثوار هنا ورحلوا سيراً على الأقدام؟"

تأففت سيرا بصوت مسموع، بينما أسرع رادال للمركبة متفحصاً إياها لمعرفة سبب وقوفها بهذه الصورة.. كونها لا تزال تعمل، يعني أنها لم تنفجر بفعل إحدى القذائف، وبالفعل لم يكن له ألا يلاحظ رأس السائق الدامي.. وقائد الثوار الذي سقط أرضاً بعدة جروح لا يبدو أنها ناتجة عن إصابة قذيفة، وذلك الخنجر البارز من موضع قلبه يدلّه أن موته تمّ بصورة فردية لا كما جرى لبقية الثوار..

ورغم وجود المركبة، إلا أن بارا أدرك استحالة استخدامها لأن أحدهم لا يعرف الطريقة الصحيحة لذلك.. فتلفت حوله نحو الأفق، ثم قال "سأذهب لموقع الفرق الأخرى.. لربما أعثر على أحياء هناك.."

لم يجد تعليقاً من أحدهما، فاستدار وغادر بصمت بدوره ليبتلعه الظلام في لحظات معدودة.. ظل رادال

واقفاً وسط الجثث يرمقها بصمت وعبوس شديد، فيما تململت سيرا بضيق للرائحة القبيحة والمناظر البشعة قبل أن تتقدم من رادال قائلة بتقطيبة "حتى متى سنظل هنا؟.. ألا ترى أننا نعرض أنفسنا لخطرٍ كبير؟.. ولأجل من؟!.. لأجل ذلك التافه وتلك الحمقاء؟"

لم يجبها رادال وهو مستمرٌ بالصمت وكأنه قطعة جماد لا تفقه.. فتقدمت منه وقد تزايد غيظها من صمته ومن الأفكار التي تمرح في عقلها، وجذبته ليواجهها قائلة بحدة "لا تقل لي إنك مهتمٌ لأمر تلك المرأة؟!.. قل لي إن أوهامي مخطئة حتماً.."

قال رادال بجفاء "هي أوهامٌ بالفعل.."

وما الذي يمكنه قوله غير ذلك؟.. مشاعره المثقلة وهو يرى أعداد القتلى هؤلاء ويرى كمية الدماء المراقة لا يسمح له بالجدال مع سيرا التي تملك طاقة هائلة لذلك مهما كان الظرف أو الموقف الذي يمرون به.. ولا يزيده التفكير بمصير جود إلا همّاً ويأساً.. أتراها وسط تلك الجثث وهو لا يكاد يتعرفها للتشويه الذي أصاب جسدها؟.. غمرته تلك الفكرة بنفضة قوية جعلته يلقي بها جانباً قبل أن تتملّك مشاعره أكثر، ودار ببصره في الأفق مدمدماً "ربما علينا الرحيل خلف بارا.."

لم تعلق سيرا وهي تسمع من يصيح "ارفعا أيديكما عالياً.."

انتفضت سيرا بقوة وهي تستدير خلفاً ورادال يستدير بسرعة بدوره رافعاً مسدسه.. وأمامهما، وقف خمسة من الجنود لا يعلم رادال كيف اقتربوا منهما دون أن ينتبها للأمر.. وكانت البنادق مصوّبة لهما بتهديد واضح، فيما قال أحد الجنود بعبوس "أهذه مركبة تادار؟.. أين هو؟"

تراجع رادال خطوة ليقف بين الجنود وبين سيرا، دون أن يتخلى عن مسدسه.. فقال الجندي بصرامة أكبر وهو يتقدم عدة خطوات "من أنتما؟.. وأين تادار؟.. أجيبا عن السؤال قبل أن تلاقيا مصير البقية؟"

تجمد بعد عدة خطوات وهو يلمح تادار الذي سقط أرضاً والخنجر بارزٌ من صدره.. فاتسعت عيناه ودمدم باستنكار وهو يرفع بندقيته "أيها الوغد.. كيف نجوت من هذا الهجوم وبقيت حياً حتى الآن؟"

ظل رادال على صمته يراقب الجنود بحذر ويده تضغط على المسدس بقوة، فيما نظرت سيرا للمركبة القريبة بقلق بالغ وهي تتساءل إن كان بإمكانهما الاحتماء بها من طلقات البنادق.. وحتى متى سيتمكنان من الاختباء قبل أن يقعا في أيدي الجنود بالفعل..

قبل أن يتصرف رادال، أو يبادر الجندي بإطلاق رصاصة من بندقيته، وجد رجلاً يجذب يده قائلاً بانفعال "مهلاً.. لا تطلقوا النار عليه.. إنه هو من تبحثون عنه.."

نظر رادال للرجل بتقطيبة محاولاً فهم معنى هذا القول، ولاحظ عندها أن ذلك الرجل الذي حسبه جندياً في البدء هو ذات السائق الذي أجبره على قيادة المركبة من ميركان، والذي أطلقه بعدها ودفعه للرحيل وحيداً وسط السهول.. لكن لِمَ قد يبحث الجنود عنه بالذات؟..

ألقى رادال نظرة حذرة على سيرا المصدومة، ففهمت سيرا نظرته وتأهبت للحراك فور أن تتاح لها الفرصة..

نظر الجنود للرجل الواقف قربهم وأحدهم يسأل "أأنت واثق؟.. ألستَ واهماً؟.. الرجل الذي نبحث عنه في ميركان.."

أجاب الرجل بإصرار "بل هذا هو.. لقد أتيتُ به من ميركان، وكنت أنوي تسليمه للقائد تادار.. لكن الثوار استولوا....."

فوجئ بالطلقة التي أصابت كتف الجندي القريب منه ورمته للخلف، فتراجع الرجل بصدمة بينما حوّل رادال مسدسه نحو الجنود الباقين وأطلق طلقتين محاولاً الخلاص من أكبر عدد منهم قبل أن يتفرغ الباقون للرد عليه.. فنجح في إصابة أحدهم في ساقه، بينما تطايرت رصاصاته الأخرى في الفراغ..

وفي اللحظة ذاتها كانت سيرا قد انخفضت وارتمت خلف المركبة القريبة لتتخذها غطاءً ضد الرصاص المتطاير.. ولم يلبث رادال أن اندسّ قربها وهو يحاول إطلاق رصاصات مسدسه من خلف المركبة بحذر كبير.. ارتطمت بضع رصاصات بجانب المركبة المعدني مصدرة صوتاً عالياً، فيما صاح أحد الجنود "أأنتم حمقى؟.. ستقتلونه.. الأوامر هي أن نعيده حياً.."

غمغم رادال عندها وهو يتفحص الجثث القريبة بحثاً عن سلاح آخر "هذا من سوء حظكم بالتأكيد.."

كان مسدسه قد فرغ من الرصاص، فالتفت رادال إلى سيرا قائلاً بخفوت "سأشغلهم.. استغلي تلك الفرصة للهرب بعيداً.."

همست سيرا بانفعال "محال.. سأبقى معك.."

قال رادال باستياء "لم يتحدث أحدهم عن الحفاظ على حياة من معي.. ثم إنهم لا ينتوون قتلي.. ألا

يطمئنك هذا قليلاً؟"

قالت بإصرار "لا.."

نظر رادال من جانب العربة نحو الجنود الذين حاولوا التقدم منه وقال بعصبية "ارحلي إن كنتِ لا تريدين أن يقتلوك هذه اللحظة.."

ظلت سيرا تنظر له بعناد، فيما استخرج أحد خناجره بعد أن نفذت ذخيرة المسدس دون أن يملك المزيد منها أو يعثر على سلاحٍ آخر للدفاع عن نفسه.. نظر للخنجر في يده والسيف المعلق في حزامه، وتساءل في سره إن كان هذان السلاحان قادران على منحه بعض الوقت في مقاومة الجنود حتى يتمكن من الاستيلاء على أحد أسلحتهم ويتخلص منهم بشكل كامل..

سمع في تلك اللحظة شهقة سيرا، وقبل أن يستدير إليها وجد تلك الضربة القوية تصيبه على رأسه وتكاد تفقده الوعي.. حاول رادال تمالك نفسه رغم الدوار الذي أصابه، واستدار خلفاً مطوّحاً خنجره للرجل الذي باغته من الخلف بينما كان منشغلاً ببقية الجنود، لكن ذلك الرجل بادر لضرب يده وتجريده من الخنجر.. ثم جاءت الضربة من خلفه عندما تجرأ بقية الجنود على التقدم منه وأحدهم يضربه بعقب البندقية حتى سقط رادال على وجهه فاقداً وعيه..

شهقت سيرا بقوة وهي ترتمي على رادال، وقد خايلها أن أحدهم سيطلق رصاص بندقيته عليه، لكن أحد الجنود جذبها من ملابسها ورماها بعيداً موجهاً سلاحه نحوها.. فهبّت سيرا صائحة "لا تؤذوه....."

صاح بها الجندي بصرامة "ابتعدي خيراً لك ولا تتدخلي في ما يجري.. لا نريد إيذاءه لكننا لن نطلقه بالضرورة.."

رأت بقية الجنود يتحاملون لرفع رادال الأثقل وزناً، وقام أحدهم بإزاحة جثة السائق من المركبة القريبة مقررين استخدامها والعودة بها للثكنة.. نهضت سيرا مندفعة نحوه واستلّت الخنجر المخفي في ملابسها وهي تطوّحه نحو الجندي القريب محاولة تجاوزه.. لكنه ضرب الخنجر ببندقيته وعاد ليضربها في ظهرها ضربة عنيفة ألقتها أرضاً على الأرض.. حاولت سيرا النهوض، لكن ضربة جديدة أصابتها على رأسها لتفقد وعيها على الفور..

نظر الجندي لرفاقه ولسيرا بصمت، ثم رفع بندقيته نحوها مغمغماً "ربما كان من الخير لنا الخلاص منها..

بذا لن يعرف شخصٌ في هذا العالم مصير هذا الرجل.."

سمع صيحة من جهة رفاقه، فالتفت إليهم ليرى رادال الذي استعاد وعيه بأسرع مما توقع أحدهم قد ركل أقربهم إليه وحاول الخلاص من البقية.. تراجع الجندي على الفور وهو مدركٌ أن الالتزام بالخطة الأصلية وإحضار رادال لقادته يحتلّ الأهمية القصوى في هذه اللحظات.. غادر مخلّفاً جسد سيرا الساكن، وتعاون مع رفاقه لتقييد رادال وإجباره على صعود المركبة القريبة تحت تهديد السلاح.. ولم تلبث المركبة أن ابتعدت بركابها تاركة السهل الدامي خالياً من أي روح..

بعد وقتٍ لا يعلمه أحد، اعتدلت سيرا جالسة بسرعة بعد أن استعادت وعيها، وتلفتت حولها بحثاً عن رادال أو أثرٍ من الجنود.. لكن السهل الخالي دلّها أنها استيقظت متأخرة جداً.. فلم تلمح رادال، ولا المركبة القريبة في أي جزءٍ من الأرض المنبسطة حولها.. فصاحت وهي تحاول النهوض "رادال.. أعيدوا رادال إليّ.. أين أخذتموه؟.. ما الذي ستفعلون به؟.."

جاوبتها نسمة هادئة حركت الأشجار القريبة وحملت إليها رائحة الدماء الخانقة دون أن تسمع صوتاً آخر في المكان..

وقفت سيرا في مكانها ممتقعة الوجه متهاوية المشاعر.. كان كل شيء يتهاوى أمام عينيها.. رادال تم اختطافه، وبارا مختفٍ منذ مدة.. ما الذي ستفعله الآن؟.. لو لحقت بالجنود حتى الثكنة، ورأت جثة رادال بعد أن يتخلصوا منه، ما الذي ستفعله عندها؟.. لو لحقت بهم، ولم تعثر لرادال على أثر.. ما الذي ستفعله عندها؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل السابع)
مملكة الغمام : الشتات

طلعت شمس الصباح التالي بأسرع مما تمنى ياسان وهو يجاهد لقطع أكبر مسافة بعيداً عن تلك القرية والسهل المحيط بها بمعاونة كابو.. كانت شمس ذلك الصباح منيرة كعادتها بهيجة المنظر بصورة تسعد نفس أي شخص، لولا الليلة القاتمة الدامية التي سبقتها والتي ألقت ظلالها على هذا اليوم كأشباح تسري في تلك السهول الشاسعة..

بذل كابو جهده في معاونة ياسان الذي يمنعه الألم في ساقه من السير بصورة عادية، ورغم فترات الراحة القصيرة لكنها لم تكن كافية لإراحة جسده بعد كل ذلك المجهود خاصة مع غياب أي مصدرٍ للماء أو طعامٍ يقوّيهما بعد تلك الليلة..

كانت ميركان تقع غرباً في اتجاه لا يتقاطع مع سيرهما، ولم يكن ياسان مرحّباً بفكرة العودة إليها مع تلك المركبات التي خرجت في الليلة الماضية بحثاً عن فلول الثوار.. أليس من الطبيعي أن تبحث عنهم في الأطلال القريبة ما دامت ترمي للخلاص منهم بشكل نهائي؟..

ظل كابو يطيعه بصمت ودون تذمر، ويجلس قريباً بصبر أثناء جلوس ياسان للراحة لاهثاً بأطرافٍ ترتجف.. كانا قد اقتربا من تلّة مرتفعة تنبت الشجيرات الكثيفة أسفلها وعلى جوانب عديدة منها مع بعض الأشجار الطولية ذات الأوراق المتفرقة.. كانت هذه هي أسوأ فترة راحة لياسان، إذ شعر عندها أن طاقته قد فرغت بالفعل، وأنه لن يقدر على النهوض والسير مجدداً مهما حاول.. التفت إلى كابو متسائلاً "ألن تيأس مني وتغادر؟.. لقد نجونا بشكل جزئي، ومركبات العدو قد لا تمر من هذه الجهة اليوم.. لذا يمكنك الرحيل لو رغبت بذلك.."

هز كابو رأسه نفياً وقال "لستُ خسيساً لهذه الدرجة كي أتركك في هذا المكان وحيداً.."

غمغم ياسان بسخرية "إذن تفضّل الموت معي؟.. يا لنبل أخلاقك يا رجل.."

بدل التعليق على هذا، فوجئ به ياسان يقفز واقفاً بتحفز.. نظر له ياسان بدهشة، ثم نظر للجهة التي ينظر إليها وقد خايله أن مركبة تقترب منهم من ذاك الاتجاه.. لكن ما رآه كان رجلاً يقترب منهما بخطوات

حثيثة قادماً من تلك التلة وهو يتلفت حوله بتوتر ظاهر..

لم يبدُ أن ذلك الرجل من الجنود، لكن اقترابه منهما لم يكن أكثر طمأنة لهما مما لو كان كذلك.. شدّ كابو قبضة يده وهو يغمغم "إنه ليس مسلحاً.. لو حاول النيل منا فسأتولى أمره.. فلا تقلق.."

لكن الرجل الذي اقترب منهما قال بلهجة متوترة "ما الذي تفعلانه هنا؟.. ألستما من الثوار؟.. اتبعاني ولا تجلسا هنا فتلفتا الأنظار إلينا.."

تساءل ياسان بدهشة "إليكم؟.. كم أنتم؟"

تلفت الرجل حوله متفحصاً الأفق، ثم عاد لياسان ليعينه على النهوض قائلاً "عددنا ليس مهماً.. المهم أننا مختبئون عن الجنود حتى تحين الفرصة للرحيل من هذا المكان.."

سار ياسان معه وكابو يتبعهما متلفتاً بدوره، فاقترب الرجل بهما من التلة ونحو أجمة كثيفة من الشجيرات.. وقبل أن يصل إليها، فوجئ ياسان بخروج دارو من قلبها وهو يهتف "ياسان؟.. يا للسماء.. أأنت بخير؟"

دهش ياسان لرؤيته، ولم تغادره الدهشة حتى بعد أن عانقه دارو مربتاً على ظهره بقوة.. ثم نظر لوجهه والراحة تلوح في عينيه رغم القتامة التي تعلو وجهه ووجوه الرجال حوله، وقال "لم أتوقع قط أن تكون حياً.. وسط الهزيمة التي حاقت بجميع الفرق، والتخبط الذي ساد تراجع الرجال أو من بقي حياً منهم، لم أتمكن من معرفة من نجا ومن قضى نحبه في التفجيرات.."

غمغم ياسان بكدر "ربما نحن محظوظون فعلاً بنجاتنا.. وربما كان هذا أسوأ ما جرى لنا فعلاً.."

لم يعلق دارو على هذه الجملة، فمن قد يشعر بأي راحة لنجاته وهو يترك خلفه أكواماً من الجثث والأشلاء لا يعرف لها صاحب؟..

نفض ياسان مشاعره جانباً وتساءل "كيف نجوت من ذاك الهجوم؟.."

أجاب دارو وهو يقودهما قريباً من التلة الماثلة أمامهم "لقد قفزت في النهر في اللحظة الأخيرة قبل سقوط القنبلة في موقعي السابق تماماً.. لو بقيت هناك، لكانت أشلائي طعاماً للحيوانات في هذه اللحظة.."

تساءل ياسان بقلق "وجود....؟"

قال دارو قالباً كفيه "رأيتها تسقط في النهر قبلي، لكن لا أعلم ما حل بها بعد ذلك.. عندما غادرت النهر، بعد مسافة من القرية وبعد أن اطمأننت لابتعادي عن الجنود، لم أرَ إلا قلة من الرجال معي.. أتمنى فقط ألا

تكون قد وقعت بأيدي الجنود.."

زفر ياسان مغمغماً "يكاد عمري ينقص عدة سنوات في كل لحظة أقضيها مع تلك الفتاة.. أتمنى أن تكون بخيرٍ هذه المرة أيضاً.."

لم يملك دارو التعليق وهو يشعر بالقلق ذاته على جود كما شعر على ياسان.. لكنه صمت وهو يقترب من جانب تلك التلة نحو الأجمة الكثيفة ولا يتردد في اختراقها.. فتساءل كابو بدهشة "إلى أين نحن ذاهبون؟"

لم يجبه دارو وهو يمد يده نحو الصخور فيزيح بيده قماشاً مثبتاً عليه يباري الصخور في لونها ولا يبدو إلا لعين متفحصة عن قرب.. ويخفي خلفه باباً خشبياً متوسط الحجم بالكاد يكفي لدخول شخص منحني الظهر.. دخل دارو دون إبطاء، فتقدم ياسان منه بمعاونة كابو ليقف عند المدخل يرمق الدرجات الخشبية المنحدرة أمامه والتي تقوده لغرفة واسعة تحت تلك التلة جدرانها الخشبية تمنع التلة من التهاوي على رؤوس قاطنيها، فيما لاحظ كوّة متوسطة الحجم تخفيها الصخور وتمكّن مَن بالغرفة من مراقبة الوضع خارجاً.. وفي الغرفة التي رفع سقفها بدعائم خشبية، لاحظ بضع صناديق تبدو له فارغة وبعض البنادق القديمة وعلب كانت حاوية لذخائر مناسبة لتلك البنادق.. تساءل ياسان بدهشة وهو يهبط الدرج خطوة خطوة بحذر "ما هذا المكان؟"

أجاب دارو وهو ينتظره أسفل الدرج "هذه الغرفة أقامها الصيادون لمراقبة طرائدهم في الغابة القريبة وانتظارها دون كشف أمرهم.. هذا أمرٌ معتادٌ في هذه السهول، ولولا أن دلّنا عليها أحد أصحاب المزارع القريبة لما عرفنا بأمرها.. لذا يمكننا الوثوق أن العدو لن يلمحها من الخارج أبداً.. وهي ستكون مأوىً آمناً لنا حتى نتمكن من الرحيل.."

هبط ياسان أرضاً، فأغلق كابو الباب خلفه، وعمّ ظلامٌ خافت في المكان إلا من مصباحٍ زيتي أضاء جانباً من الغرفة.. كان الإنهاك البالغ يعتري وجوه الرجال حوله بالإضافة لشحوب المصابين منهم.. ورائحة الدماء تخنق الأنفاس، لكن لم يملك ياسان التذمر وهو يجلس جانباً بحثاً عن بعض الراحة بعد المجهود الذي بذله والدماء التي نزفها.. لكنه لم يكد يستقر حتى سمع طرقاً قوياً على الباب الخشبي أفزع الرجال وجعل بعضهم يستلون أسلحتهم بتوجس..

أسرع دارو إلى الكوّة الصغيرة فنظر عبرها بحذر لرؤية صاحب الطرقات.. لو كانوا من الجنود، فعليهم

مواجهتهم بكل ما يملكونه قبل أن يحضر المزيد منهم، وهذا يعني أن موقعهم هذا لم يعُد آمناً وعليهم مغادرته بأسرع ما يمكن.. لكن من رآه دارو خارجاً كان ذلك الشاب الذي حضر مع ياسان وجود لميركان، فأسرع يهبط من موقعه قائلاً "لا تقلقوا.. أنا أعرف الطارق.."

وبادر لفتح الباب بسرعة إنما بشيء من الحذر، فجذب بارا ليدخل قبل أن يغلق الباب من جديد.. وقف بارا لاهثاً ينظر فيمن حوله، وقال لدارو "رأيت الرجال وهم يدلفون لهذا المخبأ فأسرعت للحاق بهم.. لحسن الحظ لم أرَ مركبة من مركبات العدو قريبة وإلا افتضح أمركم بلا ريب.."

تساءل دارو بدهشة "ما الذي جاء بك لهذا المكان؟.. ألم تبقَ في ميركان مع رفيقيك؟"

هبط بارا الدرجات وهو يقول زافراً "رأينا الهجوم الذي باغتكم به العدو.. وفي الآن ذاته، فوجئنا بمن يهاجم رجالكم الذين بقوا في ميركان.. لذا كان رحيلنا وبقاؤنا في ميركان يعني الخطورة ذاتها.. ثم إن قلقنا على ما جرى للثوار دفعنا للحاق بكم.."

تبادل الرجال النظرات العابسة والمصدومة لهذا الخبر.. فيما قال دارو بأسى "أهذا يعني أن من تركناهم في ميركان قد قضوا نحبهم بالفعل؟"

علق بارا "ربما من الخير لكم ألا تعودوا إليها.. مركبات العدو تبحث عنكم، ولا بد أنها ستقوم بتفتيش ميركان بشكل دقيق بحثاً عنكم.."

واستدار إلى ياسان قائلاً "أأنت بخير؟.. رغم نجاتك من هذا الهجوم، لكن وجهك لا يوحي بأي راحة لذلك.."

غمغم ياسان "ومن يمكنه أن يشعر بالراحة بعد كل ما جرى؟"

تلفت بارا حوله، ثم انطلق مزيحاً الرجال من أمامه وعيناه تدوران ببحث قلق، ولم يلبث أن عاد إلى ياسان قائلاً بصدمة "أين سيرا ورادال؟"

قال ياسان بدهشة "وما أدراني؟.. تركناهما في المدينة معك.."

اعترض بارا بإلحاح "افترقنا بعد وصولنا لموقعٍ قريب من السهول.. بحثت طويلاً عن أحياء في المواقع الأخرى، حتى رأيت هؤلاء الثوار.. لذا لحقت بهم وقد ظننت أنني سأعثر عليهما هنا.."

ونظر حوله والقلق يفضح نفسه في عينيه مدمدماً بغير تصديق "أين اختفيا؟.. هل عادا لميركان؟!.."

ثم استدار ناوياً المغادرة، لكن ياسان تشبث به قائلاً "لا تفعل.. رحيلك سيوقعك في يد العدو، ولن يشكّوا للحظة أنك من الثوار مع ما تحمله من أسلحة.."

قال بارا باعتراض "لكني لا أعلم ما جرى لها.. لا يمكنني تركها وحيدة في هذه السهول بعد كل ما جرى.."

قال ياسان بإصرار "أليس رادال معها؟.. هو سيحميها مهما جرى.. أليس كذلك؟"

أضاف دارو "لا أظن رحيلك ووقوعك في قبضة الجنود سيكون لصالح أحد.."

ظل بارا واقفاً بتوتر، عاجزاً عن اتخاذ قرار.. سيرا لا تعبأ بالثوار، لذا لن تخاطر لأجلهم مهما جرى.. ورادال رغم كل ما جرى لن يخاطر بها مطلقاً وسيحميها بكل ما يملك.. هل له أن ينبذ القلق مع هذه الخواطر؟..

جذبه ياسان ليجلس وقال "اهدأ على الأقل حتى غروب الشمس.. عندها قد نجد وسيلة لمغادرة هذا المكان.. ربما يصل رادال وسيرا لموقعنا هذا بالفعل.."

استسلم له بارا وهو يجلس جانباً بصمت موازناً خياراته، فيما نظر ياسان حوله ملاحظاً اليأس والمرارة الواضحة على وجوه الرجال، ثم غمغم "والآن؟.."

صمت دارو دون إجابة، فقال ياسان "هل نعود لمير كان؟.. أم نرحل لقنار؟.. لا أظن لصراعنا هذا أي معنى قبل أن نلملم شتاتنا ونجمع الرجال حولنا.."

علق أحد الرجال بهزء "صراعنا؟.. أمازلت مؤمناً بأننا نقدر على ذلك؟.."

أجاب ياسان "وهل الاستسلام أفضل؟.."

هز الرجل رأسه معلقاً "الأفضل أن يعود كل فرد منا لبيته، ويلزم أهله.. سواء أكان حاكمنا هذا الملك أم ذاك، فالأمر سيّان.."

نهض رجلٌ آخر صائحاً بعصبية "أننسى كل من قتلوا وننسى وطننا لأن هزيمتنا مُرّةٌ ولا نتحملها؟.."

قال الأول بصرامة "أن ننسى خيرٌ من أن نُنسى.. أتتوقع أن أحداً سيذكرك بعد أن يواريك التراب بسبب قضية فشلت قبل أن تبدأ؟.. أليس الأفضل أن تلتفت لأهلك وتنشغل بهم وبحمايتهم بدل الركض خلف السراب؟.."

قال الثاني باحتقار "يا لك من جبان.."

ظهر الغضب واضحاً على ملامح الأول، فوقف دارو بينهما قائلاً "من يريد أن يرحل فليرحل.. حتى لو بقينا هنا، فلن نقوم بأي هجوم مضاد قبل وقت طويل.. الأهم ألا تنالوا من بعضكم البعض وتتناسوا عدوكم الذي يسخر منكم ويحتقركم.."

نهض الأول مبتعداً وهو يدمدم بحنق، فيما قال الثاني "هل ستستسلم حقاً يا دارو؟.."

هز دارو رأسه مجيباً "الاستسلام المؤقت لا يعني نسيان القضية.."

ونظر للخيبة التي تبدّت في عين الرجل مضيفاً "سأرحل نحو أقرب مدينة وأبحث عن بقية الجنود وأحاول جمع الثوار.. سأفعل هذا في أي مدينة أمر بها، لكن هذا سيستغرق وقتاً أطول مما قد تتوقعونه.."

صمت ياسان بحيرة مفكراً في المهمة التي حملها دارو على عاتقيه، والتي لا يبدو أن لها نهاية قد تلوح في الأفق.. ثم تنهد متأملاً جرحه البليغ، وقال "أنا سأعود لقانار.."

نظر له دارو وهو يضيف "لو أنني قتلت في هجوم الليلة الماضية، لفقدت فرصتي للعودة لعائلتي للأبد.. لقد نجوت من الموت عدة مرات.. لذا، الأفضل لي العودة للاطمئنان على عائلتي قبل أن أفشل في النجاة في المرة القادمة.."

علق دارو وهو يضغط على كتفه "ربما كان هذا أفضل ما تفعله.. غداً، عندما يخفت البحث عن الثوار، سأخرج وأحاول البحث عمن ينقلك لقانار.."

هز ياسان رأسه شاكراً، ثم التفت لبارا الجالس قربه عابساً والهم على ملامحه، فقال له "ألم تقُل إن رادال وسيرا خرجا بحثاً عن جود؟.. لو نجت جود، فأنا واثقٌ أنها سترحل لقانار.. ربما رحلا معها لقانار فعلاً.."

قال بارا باستياء "لا أتوقع ذلك.. رادال سيرحل لشادين فور أن يتمكن من ذلك.."

فقال ياسان "هل سترحل وحيداً خلفهما؟.."

هز بارا كتفيه بحيرة، عندها علق ياسان "فلنذهب معاً لقانار.. ولو لم تعثر عليهم، فقد تتمكن من العودة لشادين بصورة أسرع لو طلبت عون جنود مملكة الضياء، خاصة أنك منهم بالأساس.."

ظل بارا صامتاً باستياء.. هذا يبعده عن طريقه أكثر فأكثر.. هل يتبع نصيحة ياسان؟.. هل ينطلق وحيداً

بحثاً عن أثرٍ لسيرا؟.. هل يوجه نفسه لشادين متغاضياً عن كل هذا؟.. أين الصواب في كل هذه الخيارات؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

مرت ساعة بجود تلك الليلة وهي تهيم على وجهها في هذه السهول، متجنبة إحدى الغابات القريبة مع ما يختبئ في ثناياها من حيوانات ضارية تنشط في الليل للبحث عن طرائدها.. كانت في بعض الأحيان ترى ضوءاً من مبعدة، فتسارع للاختباء وتغيير طريقها خشية أن تقابل إحدى مركبات العدو.. ولم تطمئن لأي ضوء تراه مهما كان يحمل لها أملاً بالنجاة والهرب..

بعد سيرٍ طويل، لمحت ذلك البيت الريفي المنعزل في جانب السهل قرب غابة متفرقة الأشجار.. كان ذلك البيت ضمن مجموعة بيوت توزعت في أرجاء تلك البقعة، فلا هي اجتمعت لتكوّن قرية، ولا هي ابتعدت لينعزل كل بيت بمفرده.. سحبت جود نفسها سحباً حتى اقتربت من البيت الذي خفت الضوء في نوافذه، فتجاوزته والسور المحيط به بحثاً عن مكانٍ تلجأ إليه.. لمحت حظيرة للحيوانات وقربها مستودعٌ للغلال ولبعض المعدات الزراعية، وخلفها امتد حقلٌ متوسط الحجم تتحرك شجيراته المثمرة مع النسمة الهادئة التي هبت على المكان دون أن تتمكن رائحة أزهاره من إزالة زخم رائحة الدماء من أنف جود.. وجهت نفسها نحو المستودع القريب وقد خمّنت أنها تستطيع التواري فيه بشكل مؤقت حتى الصباح.. ترجو فقط ألا يكون جنود العدو بالحماس الكافي للبحث عن فلول الثوار في السهول الواسعة هذه كافة..

تسللت عبر إحدى النوافذ المنخفضة لتجد رائحة المحاصيل تغمر المكان بقوة، لكن لم تكن جود بالترف الكافي لتبحث لها عن مأوىً أنظف وأكثر راحة.. سارت بين الأجولة وبعض الصناديق والمعدات، ورمت جسدها في زاوية تخفيها الأجولة عن أي عينٍ قد تبحث عنها.. رفعت يديها ملاحظة الرجفة فيها، ومسحت الدماء عن وجهها والتي عادت تسيل بخفة رغم أنها غسلت ذلك الجرح سابقاً في النهر.. كانت لا تزال تخشى من الجنود، وربما من أصحاب المنزل الذين قد يظنوها لصة، أو ربما يسلموها لقوات العدو نأياً بأنفسهم عن أي مشاكل.. لكنها لم تدرك أن حذرها لم يكن كافياً ليمنع جسدها من الاستغراق في نوم

عميق وطويل بعد مجهود كبير كالذي بذلته.. ربما لم يكن مجهوداً بدنياً، وهم لم يجدوا الفرصة حتى لإطلاق طلقة واحدة.. لكن المجهود النفسي، والصدمة العصبية، كان أثرها على نفسها أكبر بكثير من أي مجهود آخر قد تبذله.. ولم تدرك أنها ستكون عرضة لأي شخص يدخل المستودع ونومها الثقيل لم يسمح لها بإدراك ما يدور حولها، حتى شعرت بتلك اليد التي هزتها بخفة.. استيقظت جود مفزوعة وذكرى تلك القنابل التي سقطت على رؤوسهم تعود لها بشدة، فانتفضت وهي تعتدل وتمسك بذراع ذلك الشخص وتلويها بقوة حتى قبل أن ترى ما أمامها.. سمعت شهقة ألم، ولاحظت الفتاة التي اضطرت للركوع أمامها مع الألم الذي سببته لها، فأفلتتها على الفور وهي تنظر لها بدهشة.. فيما لمّت الفتاة ذراعها لصدرها وهي تفركها وتقول بلهجة متوترة "أنا آسفة.. أأنت بخير؟.."

هدأت جود قليلاً، وقالت "من أنت؟.."

قالت الفتاة باهتمام "بل من أنت؟.. فوجئت بوجودك في المستودع عندما دخلت بحثاً عن إحدى المعدات، وكدت أصرخ ظناً أنك لص تسلل بغية سرقتنا.. لكن مرأى الدماء على وجهك والتعب البادي عليك دلّني أنك لست كذلك.."

انتبهت جود للنور الخافت الذي تسلل من النافذة، ولملامح الفتاة التي لا تتجاوز الرابعة عشر من عمرها، بملا بس بسيطة ملائمة للحقل ومتطلب العمل فيه.. فزفرت جود وهي تنهض قائلة " اعذريني لإخافتك.. سأرحل فوراً.."

تمسكت بها الفتاة بقوة قائلة "أأنت أحد الثوار الذين هاجمهم العدو ليلة البارحة؟.."

ترددت جود للحظة في الإجابة وهي بدهشة من معرفتهم بهذه التفاصيل، رغم أن أصوات التفجيرات التي هزت الليلة الماضية لا بد قد وصلت لأطراف هذه السهول مثيرة فزع المدنيين دون استثناء.. لما لاحظت الفتاة ترددها، قالت بانفعال "لقد استيقظنا البارحة على أصوات التفجير، وقد غادر أبي وشقيقاي على الفور لاستطلاع الأمر.. ثم عادوا بعد ساعة بخبر الثوار الذين حاولوا الهجوم على ثكنة خاصة بالأعداء، والذين فوجئوا بقصف أباد الكثيرين منهم دون رحمة.."

خفضت جود بصرها بمرارة، فيما قالت الفتاة "لقد خرج أبي مع عدد من جيراننا للبحث عن فلول الثوار وتهريبهم من أيدي الأعداء.. تعالي معي للمنزل، فأنتِ ستكونين بأمانٍ معنا.."

ترددت جود للحظة، ثم أدركت أن رحيلها بلا طائل.. الرجفة لم تغادر جسدها، ولا تظن أنها قادرة على الرحيل ولو لمسافة بسيطة.. ثم أين لها أن تذهب؟.. ميركان؟.. قانار؟.. عقلها المشوش لا يسمح لها بالتفكير في أي أمرٍ حالياً.. فتبعت الفتاة قابلة دعوتها بصمت.. وخارج المستودع، أدركت مدى الدهشة والذعر الذي أثاره منظرها في نفس المرأة التي كانت تعتني بالحيوانات في الحظيرة.. كان الضباب قد ساد هذه المنطقة مع طلوع شمس هذا اليوم بحيث بدت لها الموجودات، من مباني وأشجار وأشخاص، كأشباح تثير فزع كل من يراها.. ولا تعلم جود إن كان الضباب معتاداً في هذه المنطقة أم أن هجوم الليلة السابقة له يدٌ في هذا الأمر مع كل التفجيرات التي هزّت الأرض بقوة..

بشرحٍ بسيط من الفتاة، وجدت جود أن المرأة تجذبها من ذراعها وتقودها مسرعة للبيت القريب من بابه الخلفي.. وهناك دفعتها لإحدى الغرف قائلة بصوت متوتر "عليك إبدال هذه الملابس بسرعة.. الأعداء يبحثون عن فلول الثوار منذ البارحة، وقد يصلون لهذا البيت في أي لحظة.."

قالت جود بقلق وهي تطيعها "سيكون وجودي مغبّة عليكم، ربما من الخير لي الرحيل بأسرع ما يمكن.."

قالت المرأة بسرعة "لا عليك.. فقط أطيعيني فيما أطلبه.. زوجي وعدد من الرجال يسعون لحلّ هذه

المشكلة دون التورط في الأمر بشكل يفضحنا.."

لم تدرِ جود كيف يمكن الاحتياط لهذا الأمر.. لكنها أطاعت المرأة وهي تغسل وجهها وجسدها من الدماء، وترتدي ثياباً بسيطة لأحد ابني المرأة بعد أن رفضت رفضاً تاماً ارتداء ملابس المرأة الفضفاضة الواسعة التي لا تناسبها ولم تعتدْ عليها قط..

تولّت المرأة علاج جرح رأسها ومن ثم تغطيته بقبعة صوفية لئلا يبدو لمن ينظر لها للوهلة الأولى.. لحسن الحظ لم يكن الجرح عميقاً وخطيراً، ولم يكن بجسدها أي جراحٍ أخرى يجب علاجها..

لم تكد جود تغطي رأسها بالقبعة، وهي ترى المرأة تضع أمامها صحناً من الخبز وبعض البيض والخضار المقلية، حتى فوجئتا بالباب يفتح بقوة جعلتهما تلتفتان بقلوب واجفة.. وعند الباب، لمحت جود عدداً من الرجال يدخلون البيت دون تردد وبعضهم جراحه واضحة وأنينه يصل إليها خافتاً.. فيما عاون الأصحاء منهم المصابين، وتقدم أحدهم من المرأة قائلاً "عثرنا عليهم مختبئين في موقع قريب منا.."

قالت المرأة بقلق وهي تتفحصهم "ماذا عن الجنود؟"

أجاب الرجل وهو يعاون المصابين على الجلوس للعناية بجراحهم "تركت كيين وروتاس لمراقبة الطريق وإنذارنا قبل قدوم أي مركبة مشبوهة منا.."

نهضت جود بدورها للعناية بالمصابين، وهي تتعرف على عدد من الثوار الذين رأتهم في ميركان.. كان ما يملكه أصحاب البيت من عدة للإسعافات الأولية محدوداً، لكن الأهم الآن كان إيقاف النزف وتضميد الجروح قبل نقل المصابين لمدن أخرى حيث يتلقون العلاج الملائم..

تولّت جود ربط جرح أحد الرجال الذي فقد ذراعه وظل يئن متألماً مع كل لمسة من يدها.. ولما فرغت منه، وهو بالكاد يحتفظ بما بقي من وعيه، سارعت لمعاونة آخر تاركة المرأة تسقي المصابين منهم بعض الماء وتدسّ بعض الطعام في أفواههم..

توقفت جود عن عملها بعد بعض الوقت، وهي التي لم تذق لقمة ولا شربة ماء منذ مغيب شمس اليوم السابق.. تطلعت حولها تطمئن على أحوال الرجال، ثم سألت الرجل القريب منها بقلق "من أي فرقة أنتم؟"

أجاب الرجل بأسف "من الفرقة الأولى.. والتي لم يبقَ منها غيرنا كما يبدو.."

اتسعت عينا جود بصدمة وهي تقلب بصرها بين الرجال حولها.. كانت واثقة أن ياسان ليس بينهم، أهذا يعني أنه قتل؟.. تضخمت تلك الفكرة في ذهنها وهي تبحث عن وجهه يائسة بين الوجوه، فيما قال الرجل هازاً رأسه "عندما تساقطت القنابل على رؤوسنا، ضاعت منا كل التعليمات ومحيت الأفكار من عقولنا.. كان همّ كل فردٍ منا أن يهرب بجلده قبل أن تتطاير أشلاؤه في السهول.. لذا، لم نعرف من مات ومن بقي حياً، ومن تركناه مصاباً خلفنا.."

قال آخر بصوت ينتفض غضباً وحسرة "لا يمكن أن يكون الجنود في الثكنة قد عرفوا بوجودنا قبل أن نبدأ الهجوم.. لابد أن ذلك قد حدث بفعل فاعل.. فقط لو أعلم من هو سبب ذلك.. لو أعلم بالخائن الذي باع رفاقه للأعداء....."

قالت جود عابسة "كان ذلك تادار.."

التقت الأعين عندها بدهشة وصدمة، وصاح أحدهم "مستحيل...."

قالت جود بإصرار "بل كان هو.. سمعته بأذني وهو يخاطب قيادة العدو.. واعترف لي قبل موته بأنه كان المتسبب بمقتل قاث، وربما كان هو من قتل بقية القادة بالفعل.."

دمدم أحدهم ببغض "الخسيس.. هذا يفسرّ نجاته من ذلك الهجوم.."

فقالت جود "لم يكن موته ليخفف من غضبي وحقدي لما فعله.. لكنني قتلته قبل أن يسبب خسائر أخرى بين جنودنا.."

اعترض أحدهم قائلاً "لو أنك سلّمته لنا، لأريناه الجزاء الحق لكل ما فعله.. من كان يظن أن أحد قادتنا سيكون هو الخائن؟.. أنه هو من سلّم البلاد للعدو لسبب لا نعلمه حتى الآن؟"

علق آخر قائلاً "هو ليس الوحيد بالتأكيد.. هناك خونة في قانار، ولا نعلم كم عددهم حتى الآن.."

صمتت جود بغصة قوية في حلقها وقد تبادر لذهنها أنها ربما أخطأت بقتل تادار فوراً.. لو أنها قد قبضت عليه، لربما استطاع الرجال انتزاع بعض المعلومات منه بالقوة.. عن بقية الخونة.. وعن بعض المعلومات التي يملكها عن جيش العدو.. لكن لا.. مثله يستحق الموت ألف مرة.. وما كانت لتستبقيه وتمنحه فرصة الفرار من يدها من جديد..

بعد أن انتهى صاحب المنزل من علاج من يمكن علاجه بين الثوار، قام بمعاونة المرأة بإزاحة بعض

الأرائك وخزانة متوسطة الحجم ليكشف قبواً محدود الحجم حوى بضع صناديق لا غير وبدا لهم مهملاً..

نظر الرجال لصاحب المنزل بحيرة وصمت، فقال لهم "الأفضل اختباؤكم في هذا القبو حتى نستطيع ترحيلكم لقرى ومدن أبعد بحيث تنفذون من بحث العدو الحثيث عنكم.."

تبادل الرجال النظرات بصمت، فقال صاحب البيت بتأكيد "هذا هو خير مكان لكم حتى الغد.. ثقوا بي.."

نهض أحد الرجال بتردد قائلاً "عندما يلجأ العدو لتفتيش المنزل، لن يغفل عن هذا القبو.. ربما من الخير لنا الرحيل الآن.."

هز صاحب البيت رأسه قائلاً "التفتيش جارٍ على قدمٍ وساق بحثاً عنكم.. لقد لمحت ما يفعله العدو بالعربات التي يمر بها والبيوت الأقرب للثكنة.. رحيلكم الآن فيه مخاطرة كبيرة.. أرجو أن تكفوا عن التفكير في هذا الأمر اليوم فقط.."

لم يملك أغلب الرجال أي اعتراض على ما قيل.. ورويداً رويداً، بدؤوا في نزول الدرجات المؤدية للقبو المعتم الذي ليس فيه أي نوافذ إلا بضع فتحات للتهوية في أعلاه، في جانبٍ بعيد عن الناظر إليه من خارجه.. تبعتهم جود عدة خطوات، لكن الرجل استوقفها بنظرة وهزة من رأسه.. وفور أن اكتمل عدد الرجال في القبو، سارع الرجل لإحكام إغلاقه وإعادة الأثاث لما كان عليه، فيما علقت جود قائلة "ماذا عني؟ ألن يكون وجودي بينكم مشبوهاً؟"

أجاب الرجل وهو مستمرٌ بعمله "لا.. لن يشك العدو بوجود فتاة بين الثوار.. سيظنوك من سكان هذا البيت.. خاصة لو لم يروا أي جروحٍ ظاهرة عليك.."

صمتت عن التعليق وهي تغطي جرح رأسها بالقبعة السميكة دون أن يخفت قلقها.. لو جاء الجنود، فقد يفضحها انفعالها وقلقها، وغضبها، بشكل لن يجعلهم يشكون بهويتها.. فكيف لها أن تجابههم دون أن تغضب بعد المذبحة التي أقاموها للثوار بدمٍ بارد؟..

فوجئوا بباب البيت يفتح بقوة وأحد ابني صاحب البيت يدخل مندفعاً، بشكل جعل جود تقفز في مكانها بانتظار الخبر السيء، لكن الفتى هتف بانفعال "أبي.. جارنا كاداث قد أحضر مزيداً من الثوار.."

نظر الرجل لزوجته وابنته التي وقفت جانباً بقلق، فقالت المرأة بلهجة عملية "اذهب للاطمئنان عليهم..

سأبقى هنا تحسباً لأي طارئ فلا تقلق.."

هز الرجل رأسه موافقاً، فهبّت جود قائلة "سأذهب معك.."

فتح فمه ليعترض، لكنها قالت بإلحاح "سأذهب لأبحث عن رفاقي الذين فقدتهم.. لو لم أعثر عليهم، فهذا معناه المؤكد أنهم قد قتلوا ليلة البارحة.. ولا أريد أن أستسلم لليأس بعد.."

هز الرجل رأسه موافقاً أخيراً، وحمل بندقيته تحسباً لأي خطر وهو يلقي تعليماته لابنيه الواقفين قرب سور البيت كي يراقبوا الوضع بحذر وينذروه عند أي بادرة خطر.. امتطى الرجل حصانه الذي جلبه له ابنه، وأردف جود خلفه قبل أن يلكزه متجهاً نحو بيت يبدو لهم قرب تلة متوسطة الارتفاع تتكاثر الأشجار قربها بكثافة.. دارت جود ببصرها في السهل حولهما بحثاً عن أي أثر لمركبة من مركبات العدو.. ثم عادت للبيت الذي يقترب منهم بشيء من الأمل..

ولكم كانت خيبتها قوية وهي تبحث عن ياسان فلا ترى إلا الوجوه التعيسة للثوار الذين لا تعرف أسماءهم ولا يجمعها بهم إلا بضع أيامٍ قضتها معهم في ميركان.. وقفت جود بقلق تعيد النظر مرة بعد مرة، بينما التقى الرجل الذي جاء معها بصاحب هذا البيت يتحدث معه بخصوص هؤلاء الثوار وأنسب وسيلة لإخفائهم تمهيداً لنقلهم بعيداً عن قبضة جنود العدو.. تقدمت جود من أحد الثوار سائلة بتوتر "هل رأى أحدكم ياسان؟.. ألم يهرب معكم؟.."

تبادل الرجال نظرات الاستياء بصمت.. مع كل من قتلوا، كيف لها أن تقلق لأمر رجل واحد؟.. ومع إلحاحها، أجاب أحدهم زافراً بضيق "لا ندري ما حل به.. آخر ما رأيناه أنه كان مصاباً في موقع الفرقة السابق.. ولم نره بعدها.."

تجرأ آخر ليقول "أظنني رأيت أحد الرجال يعاونه على الهرب.. هذا آخر ما علمته.."

اعترض ثالث قائلاً "ألم تسمع إطلاق النار خلفنا بعد رحيلنا؟.. لقد وصل الجنود لمكانه وقد أطلقوا النيران على كل من بقي حياً هناك.. نجاته مستحيلة بعد كل هذا.."

قلبت جود بصرها بينهم وهي حائرة متسائلة "ما الذي جرى له حقاً؟.. ألا يملك أحدكم إجابتي على هذا السؤال؟"

سمعوا الباب يفتح، ورأوا رجلاً يدخل عبره قائلاً لصاحب المنزل "عثرت على المزيد منهم.."

دلف خلفه بضع رجال لا يزيد عددهم على خمسة، ولم تلحظ جود ياسان بينهم رغم لهفتها لذلك.. لكنها لحظَتْ بطرف عينها شعراً طويلاً برز من خلف الرجال.. ولم تلبث أن رأت سيرا التي كانت واجمة مطرقة وهي تتقدم من وسط المنزل مجبرة.. فهتفت جود "سيرا؟.. ما الذي تفعلينه هنا؟"

رفعت سيرا بصرها إليها متفاجئة، وظلت للحظة متجمدة في موقعها، قبل أن تندفع نحو جود.. وقفت جود بدهشة لرؤية سيرا في هذا المكان بعيداً عن ميركان، حتى وجدت قبضتها تصيبها بلكمة قوية في وجهها فتلقيها خلفاً.. اعتدلت جود على الفور صائحة باستنكار "ما بك يا فتاة؟"

عادت سيرا لتنقض عليها وتركلها بقوة في بطنها، ولما سقطت أرضاً جلست فوقها وبدأت تكيل لها اللكمات وتضربها كيفما اتفق ووجهها يعكس علامات بغض بالغة وهي تصيح "أنت السبب فيما جرى.. أنت السبب في المصيبة التي أصابتني.. لولاك، لما غادرنا ميركان.. لولاك....."

شعرت بيدي جود تمسكان ذراعيها وتجبرانها على التوقف، فيما سارع أحد الرجال لجذبها بعيداً عن جود التي اعتدلت فاركة موضع اللكمة من وجهها وهي تقول بحنق "هل يمكنك أن تشرحي لي ما جرى؟.."

تدافعت دموع سيرا وهي تتهانف أرضاً وتصيح "لقد قبضوا عليه.. رادال قد وقع في قبضة الجنود، وساقوه معهم للثكنة رغم مقاومته ورغم كل محاولاتي لإنقاذه.."

وأجهشت بالبكاء وسط النظرات التي أحاطت بها بدهشة دون أن يعلم أحدهم عمّن تتحدث.. بينما اقتربت منها جود التي ذهلت لما سمعته وقالت بصدمة "كيف حدث ذلك؟.. هل لحق الجنود بكم في ميركان؟"

هزت سيرا رأسها بقوة، ثم نظرت لجود بعينيها الدامعتين وغضب مشتعل وقالت بصوت يرتجف "لقد غادرنا ميركان فور إدراكنا للكمين الذي رتّبه الجنود لكم.. أصرّ رادال على اللحاق بكم، على اللحاق بك والبحث عنكِ.. رغم أنني عارضت الأمر، لكنه وبارا تجاهلاني بشكل تام.. وهناك، بعد أن توقف القصف، ورحل بارا بحثاً عن الأحياء من الثوار، فوجئنا بجماعة من الجنود يعترضون طريقنا ويختطفون رادال.."

عادت للبكاء من جديد بينما تساءلت جود بحيرة "لمَ اصطحبوه معهم ولم يقتلوه لو كانوا يحسبونه من الثوار؟"

صاحت سيرا "أكنتِ تفضّلين أن يقتلوه؟"

هزت جود رأسها نفياً وقالت "لا.. لكن احتجازهم له هو بالذات يعني أنهم يعرفون هويته.. أنهم يريدونه حياً، ولا ينتوون قتله.."

قالت سيرا بارتجافة "أهذا يجعل موقفه أفضل؟.. أتظنين أن سوريم سيعبأ بحياته مع التهديد الذي يمثّله له؟"

قالت جود بحزم "ربما لا.. لكن هذا يعني أننا نملك بعض الوقت لإنقاذه قبل أن يطاله سوريم بأي أذىً.."

نظرت لها سيرا وقد تجمدت الدموع في عينيها، فيما قال أحد الثوار بسخرية "أأنت مجنونة؟.. لم تتمكن تلك الحشود من الوقوف في وجه جنود الثكنة، بينما ستتمكن فتاتان يافعتان من تحقيق النصر الذي لم نتمكن من رؤية طيفه؟"

لم تعبأ جود بسخريته، لأنها لا تملك إلا أن تفعل ما تفعله.. نهضت واقتربت من رجال هذه البيوت الريفية، وقالت لأحدهم "أيمكنكم أن تمنحوني حصاناً لأرحل عليه؟.. ولو أمكنني الحصول على سلاحٍ فسيكون هذا أكثر من كافٍ.."

قال أحدهم بتقطيبة "هذا جنونٌ يا فتاة.. اصبري حتى نقوم بتهريبكم بعيداً.. هذا خيرٌ للموجودين هنا.."

قالت جود بإصرار "لكم أن تقبلوا أو ترفضوا طلبي هذا.. لكني راحلة في كلا الحالتين.."

تبادل الرجال النظرات بقلق واضح وأحدهم يقول "ماذا لو استدل الجنود على موقع الثوار عبركما؟.. هذه خطورة بالغة لن نقبل بها.."

أسرعت جود تقول "لن يدرك الجنود أي علاقة لنا بالثوار.. نحن مجرد فتاتين، وقد يظنوا أننا من سكان المنطقة.. فهل سيجرؤ من له علاقة بالثوار على الاقتراب من هذه السهول والتجوال فيها بكل حرية؟"

ظل الرجال ينظرون لها بغير اقتناع، فشدّت جسدها مضيفة "لا تقلقوا.. أفضّل الموت على أن أشي بأخبار الثوار للعدو.."

واستدارت مغادرة بعد أن يئست من استجابة أحدهم لها، فيما هبّت سيرا واقفة على الفور بلهفة، فقالت لها جود بحزم "هيا بنا.. علينا اللحاق برادال، والبحث عن بارا وياسان أيضاً.."

أسرعت سيرا تلحق بها هاتفة "نلحق رادال أولاً.."

هزت جود رأسها دون اعتراض وهي تغادر البيت وتقف عند باب السور متأملة المساحات الشاسعة أمامها.. كم ستستغرقان للوصول لتلك الثكنة سيراً على الأقدام؟..

سمعتا صوت حوافر واضحة خلفهما، فاستدارتا لتريا أحد الرجال وهو يقرّب حصاناً أشقر اللون منهما قائلاً "لا يمكنني تركهما ترحلان وحيدتين.. مع هذا الحصان، ربما تتزايد فرصتكما للفرار من العدو لو رآكما.. حاولا ألا تقعا في قبضة الجنود فنهايتكما لن تكون الموت فقط.."

هزت جود رأسها شاكرة له، وتناولت بندقية عتيقة أحضرها معه لها مع كمية محدودة من الذخيرة.. تفحصت البندقية بسرعة ونظرة خبيرة، ثم تناولت اللجام من يده قبل أن تمتطي ظهر الحصان وتربت على عنقه بألفة.. وأردفت سيرا خلفها قائلة "تشبثي جيداً يا فتاة.."

ولكزت الحصان منطلقة في تلك السهول السلسة وهي تشعر بالهواء يضرب وجهها بقوة، ومع بهاء المنظر أمامها، راودها خاطر أن يكون كل ما مرت به الليلة الماضية حلماً.. ماذا لو كان كذلك حقاً؟.. أي سعادة ستشعر بها لو استيقظت الآن وأدركت أي كابوس كانت تعيشه؟..

لكن كان صراع الليلة الماضية ما يزال قائماً حتى الآن.. ونجاتهم المؤقتة لا تعني أن ما سيواجهونه سيكون أقل خطورة.. وكما قال الثوار.... كيف لفتاتين يافعتين أن تواجها كتيبة كاملة من الجنود المدججين بالسلاح؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

وجد رادال نفسه يساق مرغماً بالمركبة إلى تلك الثكنة العسكرية الواقعة وسط القرية القريبة، مقيد اليدين بقيد حديدي وحشدٌ من الجنود قد أحاط بالمركبة فور وقوفها وسط الثكنة.. بنظرة سريعة حوله جعلته يدرك أن نجاته من هذا الوضع مستحيلة تماماً، وأن مقاومته لن تجدي نفعاً إلا في إيذائه هو نفسه.. ما الذي جرى لسيرا بعد فقدان وعيه؟..رغم أنه استعاد وعيه بسرعة بالغة، لكنه لم يملك ترف طرح الأسئلة والمركبة تنقله قسراً للقرية رغم كل مقاومته..

ظل يراقب ما حوله بحذرٍ شديد، متسائلاً في سره عن سبب اختطافه بتلك الصورة.. حتى لو شك الجنود بأنه من الثوار، لما اختطفوه وحافظوا على حياته حتى يصل لهذه الثكنة.. أم أنهم يطمعون أن يبوح لهم بأسرار الثوار التي لا يعلم عنها شيئاً؟..

اقترب منه أحد الجنود وسط تهديد البقية، فجذبه ليغادر المركبة ويقف وسط دائرة من هؤلاء الجنود في الساحة، ثم لاحظ تقدم أحد الضباط منه حاملاً لوحاً مضيئاً في يده.. وبلمحة سريعة، عندما استدار الضابط يحادث أحد جنوده، استطاع رادال أن يرى جانباً من الصورة المعروضة على ذلك اللوح.. كانت تلك صورته.. بالتحديد صورته عندما كان يقضي بضع ساعات يتدرب على استخدام المسدس مع ذاك المدعو حاكين.. من الذي تربص به وأرسل صورته لجنود مملكة الضياء ولأي هدف؟.. وما الذي يبغونه بتقييده بهذه الصورة وإحضاره لهذه الثكنة؟..

عندما تفحصه الضابط بتمعن مدققاً في ملامحه، قال رادال بصرامة "ما سبب ما تفعلونه؟.. أنا لستُ من الثوار.. فما سبب تقييدي بهذه الصورة واختطافي دون ذنب؟"

لم يجبه الضابط وهو يسأله بلهجة جافة "ما اسمك؟"

ظل رادال يحدق به مقطباً، فعاد الضابط يسأله وهو يرفع مسدسه في وجهه "ما اسمك يا هذا؟.. لو ترددت في الإجابة، فقد لا تشهد الثانية التالية من عمرك.."

شدّ رادال جسده رغم القيود وقال باقتضاب "رادال...."

حدق الضابط في وجهه، فيما تبادل الجنود القريبون النظرات الصامتة.. لم يحاول رادال الكذب، فهذا معناه أنهم قد يتخلصون منه دون تردد.. لو كانوا يسعون خلفه في هذه اللحظة، فليس من مصلحته إنكار هويته وتعريض نفسه للقتل كما حدث لبقية الثوار هذه الليلة..

لم يعلق الضابط بكلمة على هذا وهو يتفحص رادال ببصره من الأسفل للأعلى، ثم وجده يتقدم منه ويدور حوله مواصلاً تفحصه، حتى فوجئ به يجذب عنق قميصه من الخلف بحركة حادة كاشفاً أعلى ظهره.. وبين لوحي كتفيه، تحت العنق بالضبط، استطاع ذلك الضابط أن يرى وشماً صغيراً لا يكاد يتجاوز ظفر الإصبع في حجمه على شكل شمس مشعة يعلوها التاج.. كان هذا دليلاً لا يدحض، فتخلى عن القميص وهو يتراجع خطوات متأملاً رادال بنظرة جديدة.. أما صاحب الوشم، فقد أدرك من بحث الضابط عن

الوشم في هذا الموضع بالذات أنه يدرك ما يبحث عنه، وما يريد رؤيته.. وهذا دليلٌ أكبر أنه مرسلٌ للبحث عنه بالذات من شخصٍ يهمه العثور عليه في هذا العالم.. وهذا لا يشير إلا لشخصٍ واحد فقط يعرفه تمام المعرفة..

رأى الضابط يشير لجنوده دون تعليق لما رآه، فوجد أحدهم يقتاده بشدة ودون ترفق عبر تلك الساحة الصغيرة التي تتوسط الثكنة.. وأمامه، لاحظ تلك الطائرة التي لا تختلف كثيراً عن الطائرة التي أتوا بها من ساقا.. وقد فتحت بابها وربضت بصمت بانتظار ما جيء بها لأجله..

حاول رادال المقاومة بكل صورة ممكنة، ورغم أن الجندي تفاداه وثبّته مانعاً إياه من المقاومة، لكنه لم يلجأ لضربه أو إفقاده وعيه.. بل عاد لاقتياده بالقوة نحو الطائرة الساكنة وساقه عبر الممر نحو إحدى الغرف في قلبها مكتفياً بتقييد ذراعيه وساقيه بإحكام بقيود معدنية قبل أن يغلق الباب ليسود ظلامٌ شبه تام في المكان.. حاول رادال عبثاً التخلص من قيوده، وهو يشعر باهتزاز الطائرة بعد وقت وجيز بما يدله أنها قد بدأت التحليق في السماء في وجهة لا يعرف نهايتها..

كان الصمت التام حوله إلا من هدير محرك الطائرة يزيد من هواجسه التي دارت في عقله وتعاظمت حتى كادت تشغل كل خلية من خلايا عقله.. إنه سوريم.. هذا هو الجواب الوحيد لكل تلك الأسئلة.. كيف علم بوجوده؟.. هل ينوي جلبه لشادين؟.. وما الغرض من إحضاره للعاصمة بدلاً من القضاء عليه في التو واللحظة؟.. لا يمكن لسوريم أن يحمل أي نوايا حسنة تجاه أخيه الأكبر.. لا يمكن أن يأمل رادال أن يتمنى سوريم لقاءه.. لا بد أن في الأمر خدعة، أو مكيدة ما.. فكيف له أن يعرف والجنود قد تجاهلوه بشكل تام منذ لحظة القبض عليه؟..

لا يدري رادال كم ساعة لبثها في سجنه ذاك.. لم يعبأ أحدهم بما يشعر به، ولا لحاجته لأي طعامٍ أو شراب أو حتى لقضاء حاجة.. تركوه محتجزاً بحذر شديد، وكأنهم يخشون هربه فور أن يفتحوا باب الغرفة تلك.. حتى بدأ رادال يلاحظ اختلافاً في صوت الهدير عما اعتاد عليه في الساعات الماضية.. بدا له أن الطائرة قد خففت سرعتها، وهي تنخفض بيسر وسلاسة أرضاً.. ازداد عبوس رادال وتزايد قلقه رغماً عنه بانتظار تلك اللحظة المحتومة.. لحظة لقائه بسوريم.. ذلك اللقاء الذي تمناه طويلاً لكنه لم يتوقع حدوثه بهذه الصورة..

لاحظ اهتزازاً خفيفاً في الطائرة دليل هبوطها أرضاً والمحرك يهدأ رويداً رويداً حتى عمّ الصمت التام في المكان.. تململ رادال بعد أن شعر بخدرٍ شديد في ساقيه وذراعيه، وحاول الخلاص من قيوده من جديد دون فائدة تذكر.. لم يدرك الهدف من بقائه في الطائرة لهذه المدة الطويلة رغم هبوطها أرضاً.. ما الذي ينتويه سوريم حقاً بهذا التصرف؟..

سمع بعد ذلك الوقت عدة خطوات تقترب من الباب، وفتح فجأة بحركة حادة ليدخل النور المبهر منه مضيئاً الغرفة المظلمة بقوة.. أغمض رادال عينيه بقوة وهو يسمع صوتاً خافتاً يقول "أأنت متأكد أنه هو؟" لم يسمع رادال الإجابة بوضوح، وعندما رفع بصره أخيراً، وعيناه تعتادان على النور شيئاً فشيئاً، رأى ذلك الرجل الذي وقف أمامه بثقة تامة قائلاً بابتسامة جانبية "أهلاً بالأمير رادال.. مرحباً بك في مملكة الضياء المجيدة.."

ولم تكن كلمات محدثه سبباً لصدمة رادال أكثر من هيئته، وهو يرمق سجينه من علٍ بنظرة واثقة منتصرة..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الثامن)
مملكة القمة العالية : ذممٌ وضمائر

ظل الأمير سابار صامتاً وهو يجلس في إحدى الغرف الفاخرة في قصر الملكة هايانا، يتأمل السماء التي التمعت بنور الشفق الزاهي، ويده تحمل ورقة صغيرة خطّت عليها جملة مقتضبة لكنها تغني عن الكثير من الشرح.. زفر سابار بصدمة مريرة، فعلق هيرود الذي ظل واقفاً خلفه باحترام "أدرك أن هذا الخبر الذي جلبته لك صادمٌ ومرير.. لكنه يكشف بأكثر مما توحي تلك الجمل القصيرة.."

قال سابار بمرارة "بالطبع هي تكشف لي الكثير.. لقد فشلت الثورة في أولى عملياتها، تم قصفهم والقضاء عليهم لآخر رجل.. لا أدري إن نجا بعضهم أم أنهم قتلوا جميعاً، لكن لا أظن أنه ستقوم لهم قائمة بعد الآن.."

قال هيرود "ليس هذا ما عنيته يا سيدي.. هذا كان مجرد كمين، وهم للأسف سقطوا فيه جميعاً دون اتخاذ أي احتياطات.. فما الذي جرى؟.. كان هناك خائنٌ بينهم، ولم يكشف أمره أحد.."

ظل سابار مطرقاً بصمت وعبوس، فأضاف هيرود "قضيتك يا سيدي تشتّت بسبب هؤلاء الخونة.. سقوط الملك.. وسقوط القادة الخمس للجيش.. والآن سقوط الثوار.. كل هذا جرى على يد الخونة لا بيد جيش العدو.."

قال سابار بأسى "وما نهاية هذا كله؟.. كيف لي أن أعرف الخونة وأقتصّ منهم لأمكّن شعبي من استعادة أرضه؟"

أجاب هيرود "هناك عدة سبل لذلك.. علينا التخطيط للأمر بجدية وحذر حتى نصل إليهم، ونجتثّهم من جذورهم.. عندها سيكون أمر الثورة أسهل وأيسر بالتأكيد.. لو قطعت الرأس المدبر، لتهاوت كل القطع بالتبعية بسهولة.."

غمغم سابار ببغض "أناري.."

هز هيرود رأسه معلقاً "لا.. أناري جزء من المجموعة، وليس الرأس المدبر.. هناك من يجذب الخيوط كلها من مبعدة.. سواء أكان سوريم أم قادة جيشه.. أم كان شخصاً آخر.. عندما نعرفه ونتخلص منه، يغدو أمر

الخونة ميسراً أمامنا.."

تساءل سابار بحيرة "أتعلم هوية ذلك الرأس؟.. هل تخفي عني شيئاً لا أعلمه؟"

قال هيرود بثبات "حتى الآن، لا أعرف حقيقته.. لكني أتقصى الأمر عن كثب يا مولاي.."

ظل سابار صامتاً للحظة، ثم نهض واقفاً بحدة وقال "سأعود لأرض الوطن.. أبلغ الملكة هايانا أنني...."

قاطعه هيرود بشيء من الحزم متغاضياً عن فارق المكانة "محال..."

نظر له سابار باستنكار، فأضاف هيرود "لا بد أن الثوار قد يئسوا من المقاومة مع هزيمة نكراء كالتي شهدوها أو سمعوا بها.. فما الذي سيحدث لهم برأيك لو علموا أن الوريث الوحيد للعرش قد قتل بيد أعدائهم؟.. أتظن أن الثورة ستطرأ على أذهانهم بعدها قط؟"

صاح سابار باعتراض "كيف لي أن أقبع في هذا المنفى طائعاً خانعاً بانتظار أن يعيد لي الشعب حقي؟.. إن لم أسعَ إليه بنفسي، كيف لي أن أستحق ذلك العرش؟"

وأغمض عينيه بقوة مضيفاً بأسى "كيف لي أن أصمت وأنا أرى دماء الرجال تسيل وتغرق أرض الوطن بينما أنام أنا هانئاً وألتهم أطايب الطعام بانتظار فرجٍ من السماء؟.."

اقترب منه هيرود وضغط على كتفه قائلاً "لو استسلمت لشعورك بالخذلان والذنب، فلن تتقدم ولن تحرز هدفاً ضد أعدائك.. هذا الغضب، وهذه الخيارات التي تتخذها باستعجالٍ ودون تدبّر هي ما يريده منك الخونة.. أن تعود إليهم، وتكفيهم همّ البحث عنك ومحاولة الوصول إليك.."

وتراجع خطوة قائلاً "فلنراجع ما قمنا به حتى الآن، ولنبحث عن السبل الملائمة لتحويل مثل تلك الهزيمة لنصرٍ على المدى الطويل.. النصر لا يؤخذ غفلة.. لا بد من تخطيط.. ولا بد من التروّي.. الكثير منه في الواقع.."

زفر سابار وهو يتهاوى على الكرسي الوثير والذي بدا له ككرسي من المسامير الحادة لا يكاد يهدأ عليه ولا يجد أي راحة.. كان هيرود محقاً، كما هو دائماً في كل مرة.. لكن من أين لسابار التأني والتروّي ورجاله على قلّتهم يتهاوَون بنار الأعداء كالذباب؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم تكد ليلتان تمضيان على تلك الحادثة، عندما جابه سابار موقفاً جعله يراجع حساباته بشدة.. ففي تلك الليلة، بينما كان مسهداً جافاه النوم ودفعه للجلوس وحيداً في حديقة القصر، على أمل أن تتمكن النسمة الباردة والهادئة أن تساعده على الاسترخاء وطرد الهواجس الدائمة علّه يتمكن من النوم لساعة أو اثنتين قبل طلوع شمس اليوم التالي.. لكن الهواجس كانت أبعد من أن تفارقه والليل المظلم يهيّجها ويكسبها ضراوة أكبر وسابار جالسٌ بوجه شاحب وقبضتين مشدودتين يرمق الأشجار السوداء أمامه..

تذكر والده الملك، وما قد يشعر به لو رآه مستسلماً للأمن في حماية الملكة هايانا.. تذكر أمه الملكة، وما قد تشعر به وهي تراه يهرب من أمام الخونة دون أن ينتقم لهم.. ما الذي سيقوله معلمه الذي دأب على تدريبه القتال بالسيف عندما يراه وقد جبن عن مواجهة أعدائه وارتضى لنفسه الا نزواء في هذا الجحر المزخرف؟..

كان سابار عازماً في تلك اللحظة على مواجهة هايانا وهيرود في الصباح.. سيطلب منهما معاونته في العودة لقانار، أو يعود بنفسه دون عون أحد بأي وسيلة كانت.. استغرق تفكيره فيما سيقوله ويفعله، ولم ينتبه لتلك الخطوات التي اقتربت منه في هدأة الليل البهيم.. لم ينتبه لها حتى شعر بأن جسداً ما قد قطع عليه النسمة التي هبّت من خلفه، وأن المكان قد أصبح مكتوماً فجأة.. التفت سابار للحظة لرؤية ما يجري خلفه، عندما لمح التماعة ذلك النصل في نور القمر الضعيف وهو يهوي نحو عنقه.. قفز سابار بشكل لا إرادي للخلف، ولم يكن تراجعه سريعاً كفاية واليد التي تحمل الخنجر غريب الشكل تلطمه على فكه وترميه خلفاً والكرسي الذي جلس عليه يسقط بصوتٍ مسموع..

رفع سابار بصره للقادم إليه، ورأى رجلاً لم يتعرف عليه ولم يدرك هويته مع رداء الخدم الذي يرتديه والخاص بالقصر.. بينما تقدم الخادم نحوه بعينين تلتمعان إصراراً وهو يرفع الخنجر قصير النصل بثبات وتهديد واضح.. نهض سابار واقفاً بسرعة لكن الخادم طوّح الخنجر نحوه مجدداً منتوياً إصابة صدره بضربة غائرة، فتفاداها سابار بسرعة وتراجع خطوات تمنحه مسافة أمان وهو يسأل بعبوس "من أنت؟.. ومن الذي دفعك لمحاولة اغتيالي؟"

لم يجبه الخادم وهو يكرر محاولات قتل سابار عدة مرات بضربات سريعة.. كان الوقت يمر، وكل لحظة

تهدد بفشل هذه العملية وكشف هويته أكثر من السابق.. لكن الخادم لم يتراجع وضرباته تزداد حدة وسرعة وسابار يتفاداها بمهارة وحذر.. بعد غياب الصدمة الأولى، استعاد سابار سيطرته على الموقف، وسرعان ما تجاوز إحدى الضربات وهو يوجه ضربة سريعة براحة يده المفرودة ليد الخادم التي تحمل الخنجر قرب الرسغ.. كانت الضربة مؤلمة دفعت الرجل لإسقاط الخنجر تلقائياً، فبادر سابار لركله بقوة ليسقط على العشب بعيداً عن متناول يد صاحبه، فيما وجه سابار ركلة بقدمه نحو ركبة الخادم من الخلف أسقطته على ظهره فوق الأرض الحجرية القاسية..

تأوه الخادم متألماً، ليجد ركبة سابار تضغط على صدره ويده تقبض على عنقه وهو يقول بشدة "والآن.. هل ستجيب أسئلتي أم تضطرني لتصرف أكثر قسوة؟"

أجاب الخادم بسخرية "لا داعي للاستجواب.. فأناري أوصى بأن أرسل لك تحياته قبل أن تقضي نحبك بالفعل.."

قبل أن يفطن سابار للأمر كان الخادم قد قبض على يده بقوة ليمنعه من التراجع، واستخرج خنجراً آخر من كمّ يده اليسرى وسدّده بضربة قوية نحو صدر سابار.. لكن الجزء الوحيد الذي وصل لهدفه من تلك الضربة كان طرف الخنجر الحاد الذي أحدث جرحاً عارضاً في صدر الأمير من منتصف صدره حتى ذراعه.. أما الخنجر ذاته، فقد تحوّل مساره عندما ارتطمت تلك القدم بقبضة الخادم بقوة رامية الخنجر بعدها بعيداً لقوة الركلة..

رفع سابار بصره لمن وقف قربه، فلاحظ أحد الحرس يركع قربه بعد تلك الركلة ويسارع لتقييد حركة الخادم الذي زمجر بغيظ محاولاً الخلاص من قبضته.. تراجع سابار خطوات تاركاً أمر الخادم لذلك الحارس الذي أنهضه بقوة قائلاً بصرامة "كيف تجرؤ على عملٍ كهذا أيها الحقير؟.. من الذي أرسلك؟"

جاءه صوتٌ من خلفه قائلاً "لا داعي لطرح مثل ذلك التساؤل.. فالمحرك الرئيسي لهذا العمل معروف.."

اقترب هيرود ملقياً نظرة متمعنة في وجه الخادم، ثم التفت إلى سابار متسائلاً "أأنت بخير يا مولاي؟"

تلمّس سابار الجرح السطحي الذي مزق ملابسه وقال "لم تكن ضربة خطيرة بفضل تدخّل الحارس في اللحظة الأخيرة.."

علق هيرود "عليك أن تكون أكثر حذراً يا مولاي، ولا تتحرك دون حراسة مطلقاً.."

وأشار للحارس الذي اقتاد الخادم بعيداً تمهيداً لسجنه واستجوابه لمعرفة إن كان معه أي معاونين أو خونة آخرين في قصر الملكة.. فيما تساءل سابار فور رحيلهما "ما معنى هذا يا هيرود؟.. كيف وصل أناري لخادمٍ من خدم القصر؟"

أجاب هيرود بهدوء "هناك طرقٌ عديدة لشراء الذمم والضمائر ولو من مبعدة.. وإصرار أناري على الخلاص منك رغم بعد المسافة يدلّ على ما تمثله من تهديد له حتى لو كنت بعيداً عن قانار.."

ونظر لسابار مضيفاً بحزم "يمكنك أن تتخيل ما قد يحدث لك لو فكرت بالعودة لقانار في مثل هذه الحالة.. ستجد أن أقرب شخص منك قد صار عدوّك، وأنك لا تأمن نفسك مع أحدهم قط.. فكيف لك أن تحقق أي أمرٍ في هذه الحالة؟"

صمت سابار مقطباً باعتراض رغم اقتناعه بما قاله هيرود، فيما تعالى صوت الملكة هايانا يقول بصرامة "هذا خطأٌ لا يغتفر.. ماذا لو أصاب ضيفنا مكروه بغفلة منا؟"

تقدمت هايانا منهما مرتدية ملابس بسيطة مخالفة لزيّها الرسمي، وقد بدا أنها غادرت جناحها على عجالة لترى ما حلّ بضيفها هذه الليلة.. فقالت بسخط فور أن رأت الجرح في صدر سابار "هذا ما حذرتك منه دائماً يا هيرود.. كان عليك الاحتياط لمثل هذا الأمر قبل وقوعه.."

أجاب هيرود دون أن يتخلى عن هدوءه "كنت قد أوصيت الحراس بعدم مفارقة الأمير ليل نهار، والبقاء أمام باب جناحه لمنع أي شخص من التسلل إليه في أي لحظة.. لكن الأمير غادر جناحه بغفلة منهم، ولم يدرك أحدهم الأمر حتى رأوا ذلك الخادم الذي تسلل من خلفه بغية قتله.. ولولا سرعة تصرف الأمير، وملاحقة الحارس له لتخليصه من ذلك الخائن، لربما....."

قاطعته هايانا بصرامة "لن يتكرر أمرٌ كهذا يا هيرود.."

أحنى هيرود رأسه مجيباً "بالطبع يا مولاتي.."

وغادر لتنفيذ الأمر، ولمباشرة استجواب الخائن بنفسه، بينما اقتربت هايانا من سابار قائلة بإشفاق "لابد أن ذلك الجرح يؤلمك.. سأرسل طبيبي الخاص لعلاجك.. أرجو أن تعذرنا لما جرى يا سابار.."

قال سابار "ليس عليك الاعتذار يا مولاتي.. بل أنا من يعتذر لأنني أجرّكم لمشاكل وطني ومملكتي حتى في قصرك ذاته.. ولستُ أدري ما قد يجرّكم إليه عونكم لي في هذه الحرب.."

قالت هايانا بحزم وهي تشبك ذراعها بذراعه وتعود معه للقصر "هذا أقل ما يمكننا فعله رغم عجزي عن مواجهة سوريم حالياً.. لا أتخيل ما قد يحدث لنا لو واجهنا غزواً مماثلاً يهدّ أمن مملكتنا دون أن أجد من ألوذ به في تلك الأوقات.."

ونظرت في عينيه مضيفة "أتمنى فقط أن تثق بي وبهيرود.. لا نرجو أن توصف بالجبان، لكن ما تراه جبناً الآن هو خير ما تفعله في ظل وجود أولئك الخونة الذين لا نحصيهم.. عندما تستقر الأوضاع في قانار، وتعلو كلمة رجالك المخلصين، يمكنك عندها أن تعود برأسٍ مرفوع وثقة بمن حولك.. لا ترمي نفسك في الهلاك فقط خوفاً من أن توصف بصفة ذميمة.."

صمت سابار على مضض.. كان بالفعل يرى أن رأيهم واقعي أكثر من أحلامه التي قد تتهشم بأسرع مما يتمنى فور أن تطأ قدماه تراب الوطن.. لكن هل سيغفر له شعبه، والتاريخ من بعدهم، هذا القرار منه؟.. هل سيبقى هناك وطنٌ يعود إليه؟...

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل التاسع)
مملكة الغمام : مرتع الصبا

ساد الصمت والسكون شبه التامين تلك السهول في هذا اليوم بعد الليلة الدامية التي سبقته.. كانت الجثث لا تزال مرمية في جوانب عديدة منها حول القرية، وقد لزم القرويون منازلهم في هذا اليوم ولم يبادروا لدفن الجثث أو التخلص منها خوفاً من انتقام الجنود الذين نصبوا ثكنتهم العسكرية وسط القرية بتهديد واضح.. لذا بقيت الأجساد المكومة عرضة للطيور الجارحة ولبعض الحيوانات التي قد تجد فيها وجبة ملائمة تملأ فيها معدتها بعد ليل طويل..

انخفضت جود خلف ربوة تطل على القرية القريبة، متخيرّة موقعاً يبعد بها عن مواقع القصف التي حدثت الليلة الماضية وبعيداً عن الأشلاء ورائحة الدماء التي تزكم الأنوف.. ربضت في ذاك المكان وهي تمسك ذراع سيرا بالقوة فيما قالت سيرا بحدة وصوت خفيض "لمَ تمنعيني من الذهاب والبحث عن رادال؟.."

همست جود بحدة "أأنت حمقاء؟.. هل ستدخلين الثكنة بقدميك وتخرجينه منها على مرأى من الجنود؟.."

قالت سيرا بعصبية "فلنقترب على الأقل أكثر لنستطيع رؤية المكان بشكل واضح.. ما فائدة قدومنا لو كنا سنجبن عن دخول القرية والاقتراب من الثكنة؟.."

كمّمت جود فمها وهي تهمس "اخفضي صوتك ولا تلفتي لنا الأنظار.."

وتلفتت حولها بقلق بالغ خشية أن يسمعها أو يراهما أحد الجنود.. كانت الشمس قد ارتفعت وسط السماء.. ورغم أن المسافة بين منازل المزارعين والقرية هذه يمكن قطعها في أقل من ساعة، لكن جود اضطرت للمكوث في هذا المكان وانتظار الليل للتسلل للثكنة دون لفت الأنظار.. ورغم كل تذمرات سيرا واعتراضاتها الحانقة، لكن جود واثقة أن الجنود لن يلجؤوا لقتل رادال.. لو أرادوا ذلك لما تكبدوا مشقة إحضاره للثكنة، وبالمثل فإن إدراكهم هويته الحقيقية وبحثهم عنه يعني أنهم لن يمسّوه بسوء حتى يأخذوه للمثول أمام سوريم..

الأمر الأكثر إقلاقاً هو السبب الذي لأجله سعى سوريم خلفه.. ما الذي ينتوي فعله به في شادين؟.. مع هذه الحرب التي سعى لها سوريم بدمٍ بارد، لا يمكنها أن تأمل بأن يعامل من يهدد ملكه برقة أكبر..

بعد إلحاحٍ شديد من سيرا، اقتربت جود بحذر من القرية متخذة التلال المنخفضة وبعض جذوع الأشجار غطاءً عن أي عين قد تلمحهم.. وصلتا أخيراً إلى أقرب ربوةٍ تخفيهم خلفها، حيث أمكنهم رؤية البيوت القريبة للقرية والتي لاذ أهلها بها في هذا اليوم البائس.. وقرب أحد الطرقات المؤدي للقرية، رأتا جنديين وحيدين يقفان هناك يراقبان ما حول القرية وإن انشغلا أغلب الوقت بتبادل أحاديث لا تسمع وهما يقبضان على بندقيتين في أيديهما بتهديدٍ واضح..

قالت سيرا وهي تراقب الجنديين "علينا مباغتتهما، وبذا ندخل القرية دون أن نثير حذر الجنود فيها.."

قالت جود بتقطيبة "لا.. علينا الانتظار حتى يغادر أحدهما على الأقل.. أو علينا التسلل من جهة أخرى بعيداً عن الأعين.."

اعترضت سيرا قائلة "هذا سيستهلك المزيد من الوقت.. ولا طاقة لي للانتظار أكثر.. لا ندري ما الذي قد يفعلونه به في هذه اللحظات.."

قالت جود بضيق ظاهر "لستُ مستعدة للانجراف خلف آرائك المجنونة.. لن نفيد رادال بشيء لو قتلنا ها هنا.."

عبست سيرا بشدة وهي تراقب الجنديين، وتراقب حذر جود البالغ وهي تتفحص جميع الجهات في القرية الصغيرة الواضحة أمام عينيها.. ولما فاض بها الكيل، نهضت واقفة فجأة مدمدمة "لن ننجح بتحقيق أمر ونحن هنا.."

غادرت موقعها بخطوات سريعة قبل أن تتمكن جود من إيقافها، فنادتها بعصبية دون أن ترفع صوتها عالياً بشكل يفضحها، لكن سيرا تجاهلتها تماماً وهي تسير بخطوات حثيثة نحو الجنديين اللذين وقفا عند أطراف القرية يتحدثان.. زمّت جود شفتيها بغيظ ونهضت منحنية الظهر لتدور دورة واسعة حول المكان وتقترب من الجنديين دون أن تكشف نفسها لهما.. أما سيرا، فقد سارت متلاحقة الخطوات مثيرة انتباه الجنديين الذين راقباها بصمت وتحفز دون أن يبادر أحدهما لإطلاق الرصاص عليها.. كانت سيرا، بلباسها المكون من قميص وبنطال كتاني بلون رملي، تبدو أقرب لسكان المدن من القرى مما جعل وجودها غريباً في هذا المكان.. لكن سيرا لم تتردد في الاقتراب متجاهلة نظراتهما الحذرة حتى تهاوت على بعد أمتار منهما وهي تقول بأنفاس لاهثة "أرجوكم.. ساعدوني.. أكاد أموت عطشاً.."

اقترب الجنديان متجاهلان طلبها وأحدهما يتساءل "من أنت يا هذه؟.. وما الذي جاء بك لهذا المكان؟.."

قالت سيرا باضطراب واضح "لقد هاجم بعض المجرمين، وربما قطاع طرق، عربة كانت تنقلني أنا وعائلتي.. سرقوا كل ما نملك، واختطفوني من أهلي ورحلوا بي بعيداً عنهم.. أفلت من أيديهم بشق الأنفس، وأمضيت يوماً وليلة تائهة في هذه السهول.. وقد مضت عدة ساعات منذ آخر مرة لمحت فيها مصدر ماء.. حتى لمحت هذه القرية والنهر القريب منها.."

ثم تشبثت بساق الجندي القريب منها وهي تقول بضراعة "أرجوكم ساعدوني وأعيدوني لأهلي.. لا أدري ما جرى لهم، وأخشى من ملاحقة المجرمين لي لو رحلت وحيدة.. أرجوكم.."

انشغل الجنديان بتأمل ملامحها الجميلة بإعجاب وأحدهما يقول "لا عجب أن يختطفوا من كانت بملامحك هذه.. لكن اطمئني.. لابد أن القائد سيسرّه تقديم العون لفتاة جميلة وضعيفة مثلك.."

تغاضت سيرا عن نظراتهما الجائعة لملامحها، ونظرت لهما بعينيها الواسعتين قائلة بلهفة "حقاً سيفعل ذلك؟.."

فوجئ أحدهما بضربة على رأسه أسقطته أرضاً على وجهه، لتتبعها ضربة أخرى بعقب بندقية جود أفقدته وعيه.. لم يكد الجندي الثاني يلتفت لما جرى عندما وجد ساق سيرا الراكعة أمامه تركله من الخلف فتثني ركبتيه وتسقطه على ظهره.. عندها قفزت على صدره وأمسكت سلاحه لتمنعه من استخدامه فيما أسرعت جود لتضربه على رأسه.. لكنها هذه المرة لم تقدر على مغافلته وهو يرمي رأسه جانباً رغم تثبيت سيرا له لتصيب الضربة الأرض جوار أذنه تماماً.. تخلى عندها الجندي عن سلاحه محرراً يديه وهو يضرب بندقية جود القريبة من رأسه بحركة سريعة حتى دارت في يدها وأجبرتها على إفلاتها.. وبحركة قوية من ساقيه انقلب رامياً سيرا من على صدره لينقلب خلفاً ويعتدل بقفزة سريعة..

وجدت جود نفسها دون سلاح، فيما ظلت سيرا محتفظة بسلاح الجندي دون أن تعرف كيفية استخدامه.. لكنها لما رأته يرفع بندقيته في وجهها، لم تتوانَ عن فعل المثل وهي تلقي بنظرة سريعة على جود.. نقل الجندي بصره بين الفتاتين مولياً انتباهه على الأغلب لسيرا التي تهدده بالبندقية، وقال بصرامة "من أنتما؟.. وما الذي تبغيانه؟.."

قالت سيرا بصرامة "نريد بعض الأجوبة لا غير.. فأنزل سلاحك وأطِع ما نطلبه منك.."

علق الجندي ساخراً "حقاً؟"

تحركت جود حركة مفاجئة، فأدار سلاحه لها بسرعة خاطفة ليجدها تركل الأرض بقوة فتثير الرمل على وجهه وتعمي عينيه للحظات.. تراجع الجندي خطوات بألم دون أن يخفض سلاحه بتهديد محاولاً الخلاص مما يعشي عينيه، عندها تقدمت جود منه بخطوة سريعة وقبضت على بندقيته.. أطلق الجندي طلقة دون أن يرى ما يصوّب بندقيته عليه، لكن لحسن الحظ كانت جود قد دفعت فوهة البندقية للأعلى قبلها بثانية مما جعل الرصاصة تطيش في الهواء.. فيما أسرعت سيرا لتضرب الجندي على مؤخرة رأسه بعقب بندقيتها بأقوى ما تملك..

تهاوى الجندي فاقد الوعي في تلك اللحظة، فتلفتت جود حولها بقلق شديد، وقالت لسيرا متوترة "علينا سحبه بعيداً.. صوت الطلقة سيلفت الأنظار إلينا خلال لحظات.."

تساءلت سيرا بحيرة "ما الذي سنفعله به؟"

قالت جود وهي تمسك إحدى ذراعيه "سنحصل على الأجوبة التي نبحث عنها.."

تعاونت سيرا معها لتجذبانه من ذراعيه بعيداً وكل منهما تحمل بندقية من البنادق على كتفها.. سحبتاه بأسرع ما تقدران رغم ثقل وزنه، حتى وصلتا إلى الموضع الذي ربطتا فيه الحصان.. عندها وبجهد جهيد وضعتاه على ظهر الحصان قبل أن تجذب سيرا اللجام وتبتعد به بأسرع ما تقدر.. أما جود فقد حملت بندقيتها بتأهب وهي تراقب ما حولهم ملاحظة بعض الجنود الذين برزوا من القرية نحو رفيقهم الآخر فاقد الوعي.. ولحسن الحظ كانت تلك الربوة التي اختبئتا خلفها سابقاً تخفيهم عن الأنظار بشكل جزئي الآن..

أسرعت جود لاحقة بسيرا وقالت لها "علينا الإسراع بالرحيل قبل لحاقهم بنا.. فلنتوغل في الغابة القريبة بعيداً عن الأعين قبل أن يستيقظ هذا الجندي ويثير بعض المشاكل.."

لم تعارضها سيرا وخطواتها تتسارع قدر استطاعتها مبتعدين عن القرية والثكنة التي بدأ جنودها التصرف بتحفز وعدوانية مستنكرين ذلك الاعتداء على أحد جنودهم واختطاف آخر دون أن يدور بخلدهم السبب الذي تم اختطافه لأجله..

عندما استعاد الجندي وعيه، وجد نفسه وسط غابة مظلمة شيئاً ما رغم نور الشمس الذي يتسلل عبر

أشجارها، يداه مقيدتان خلف ظهر حول جذع شجرة متوسط الحجم، والفتاتان الغريبتان تقفان أمامه وكل منهما تحمل بندقية في يدها.. تساءل الجندي فور أن استعاد وعيه وخفت الصداع الذي ينبض في رأسه "ما هدف هذا كله؟.. أنتما لا تسعيان خلف انتقامٍ ما.. أليس كذلك؟"

قالت جود بحزم "كما قلنا لك.. نريد بعض الأجوبة لا غير.."

قطب الجندي قائلاً بصرامة "ألا تعلمان أن هذا العمل أسوأ لأي جندي من تسليم سلاحه لعدوه؟"

ضغطت جود على عنقه بعقب البندقية بقوة أورثته آلاماً شديدة وهي تسأله بصرامة "عليك أن تجيب أسئلتي دون مراء.. ودون أي تلاعب.. أين ذلك الرجل الذي أخذه الجنود الليلة الماضية؟"

نظر لها الجندي عابساً بشدة، فقالت جود بلهجة حادة "أين هو؟.. لا تحاول التذاكي وإنكار معرفتك بهذا الأمر.. فقد تلقى الجنود أمراً بالبحث عنه، هذا ما سمعته هذه الفتاة بوضوح قبل أن تقبضوا عليه بالفعل.."

قال الجندي بابتسامة جانبية "وتظنين أنني سأجيب بكل بساطة؟"

فاجأته ضربة قوية على رأسه من البندقية، دون أن تكون بالقوة الكافية لإسقاطه في غيبوبة.. سال خيط من الدماء من أنف الجندي الذي رمق جود بغضب، فقالت محتدة "لا نريد منك تسليمنا إياه، ولا خيانة قادتك.. إنما هو جوابٌ لا يقدم ولا يؤخر أمراً في هذه الحرب.. فلا تجعلنا نرتكب ما لا نريده.."

ورفعت البندقية أمامه مضيفة "حتى لو لم نرغب بقتلك، لكن يمكننا أن نصيبك بعدة طلقات في ذراعيك وساقيك لإيصال الفكرة إليك بشكل واضح عن جدّيتنا فيما يخص هذا الأمر.."

عندها قال الجندي ساخراً "حتى لو علمتما مكانه، ما الذي تستطيعان فعله له الآن؟.. إنه مطلوبٌ للمثول في شادين بطلب شخصي من الملك.. لا أدري الجرم الذي ارتكبه، لكن يبدو أنه لن يفلت بسهولة.."

قالت جود بحزم صارم "وأين هو الآن؟.. في أي أجزاء الثكنة تحتفظون به؟"

أطلق الجندي ضحكة قصيرة، ثم علق قائلاً "الثكنة؟.. لقد حلقت به طائرة كانت بانتظاره فور أن وضع قدمه في الثكنة بعد القبض عليه.. وفق تقديراتي، فإنه الآن في قلب شادين دون شك.."

اتسعت عينا سيرا وهي تديرها بين جود وبين الجندي بارتياع لهذا الخبر، فيما بادرت جود لضرب الجندي ضربة قوية بالبندقية على جانب رأسه أفقدته الوعي.. عندها فكت رباط يديه وتركته ملقىً في مكانه وسط

الغابة ونهضت ناظرة نحو سيرا بشيء من الأسى.. لو اقتيد رادال لشادين، فهذا يعني أنه سيواجه غريمه الأوحد.. هل سيحافظ سوريم على حياة أخيه؟.. أم سيزيل ذلك التهديد دون تردد؟..

شعرت جود بيأسٍ من اللحاق برادال والعثور عليه، وضاعت الأفكار منها في هذه اللحظة وهي لا تدري ما عليها فعله.. نظرت لها سيرا مقطبة وتساءلت "ماذا الآن؟"

غمغمت جود بأسى "وما الذي يمكننا فعله؟.. لقد انتهى الأمر.."

قالت سيرا وهي تقف بعصبية "انتهى الأمر بالنسبة لك.. أنا سأتبعه.. أرشديني للطريق المؤدي لشادين وسأذهب خلفه على الفور.."

غمغمت جود بضيق "وما الفائدة؟.. حتى لو رحلتِ على ظهر هذا الحصان، فستستغرقين أياماً طويلة لتجاوز السلسلة الجبلية والوصول لشادين.. هذا لو تمكنتِ من عبور الحدود بين المملكتين.."

قالت سيرا بغضب "لستُ خانعة مثلك.. سأذهب خلفه.. وسأستعيده رغم أنف من يقف في طريقي.."

حسدتها جود على إصرارها وعنادها وقوة مشاعرها.. حتى لو كانت جود تشعر ببعض الانجذاب نحو رادال، فهي قد يئست فور أن أدركت أن الطريق إليه مستحيل.. بينما سيرا أكثر ثباتاً في قراراتها وتجاهلاً لكل العراقيل التي تقف بينها وبينه.. استماتتها في سبيل الشخص الذي تحبه قد جعلت جود تشعر بضآلة ما تحس به.. لابد أن رادال يغبط نفسه على مشاعر سيرا الموجهة نحوه وحده من بين جميع الخلائق..

وجود، رغم كل ضيقها من تصرفات سيرا، لا تستطيع لومها على تعلقها الكبير برادال واستماتتها في الحصول على اعترافه بها.. ألم تفعل هي الأمر ذاته مع قاث، وهو أول من رأته من هذا العالم؟.. هما متشابهتان في هذا الأمر، وهذا أدهش جود كثيراً عندما أدركته في تلك اللحظات..

وبغضّ النظر عن الحال الذي قد يجدون عليه رادال بعد رحلتهم التي لا يعلم أحد كم ستستغرق، لكن جود قالت أخيراً وهي تزفر "لا يمكنني تركك ترحلين وحيدة.."

هزت سيرا رأسها باعتراض، لكن جود قالت "سأذهب معك.. ولنرجو أن يظل حياً حتى نصل إليه.."

رفعت سيرا رأسها بتصميم دون أن يبدو السرور على وجهها لرأي جود، بينما أسرعت جود تمتطي ظهر الحصان وتردف سيرا خلفها، وبعد أن لكزت الحصان ليبدأ هذه الرحلة الطويلة غمغمت زافرة "فلنرجو أن نصل نحن إليه أحياء....."

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما غابت شمس ذلك النهار الطويل والمليء بالقلق والترقب، وبعد ليلة عصيبة دامية، وقف بارا أعلى التلة يرقب السهول المنبسطة حولهم بصمت وقلق وكثير من الحيرة.. أين اختفى رادال؟.. وأين اختفت سيرا؟.. لقد عاد عددٌ من الثوار بعد جولة سريعة في المكان مؤكدين خلوّ السهول من أي مركبات للجنود، وخلوّها من أي ثوارٍ كذلك.. عثروا على جماعة منهم بإصاباتٍ بالغة أعجزتهم عن الرحيل وقد لجؤوا لبعض بيوت المزارعين شرق هذه السهول في أقرب موقعٍ من ميركان، لكن لم تكن بينهم أي فتاة أو امرأة كما أكّدوا له.. أين سيرا وجود؟..

وقف بحيرة من أمره وهو يقبض بقوة على سيفه المعلق بحزامه، ولم يتحرك من موقعه حتى سمع ياسان يناديه من أسفل التلة قرب باب ذلك المخبأ الضيق الذي أمضوا فيه ساعات النهار الماضية.. هبط بارا بعد شيء من التردد، واقترب من ياسان وكابو اللذان وقفا بانتظاره، وبادره ياسان قائلاً "علينا الرحيل.. أغلب الثوار قد ابتعدوا، ولم يبقَ إلا القليل منهم.. لا أريد أن نجد أنفسنا وحيدين في هذه السهول بعد حلول الليل.."

صمت بارا وهو يدير بصره فيما حوله من جديد، بينما تساءل كابو بقلق "أتظن أننا قد نواجه حيواناتٍ ضارية مع حلول الليل؟.."

أجاب ياسان "لا أدري.. ولا أريد أن أنتظر لأعرف الجواب.. سنرحل نحو أقرب قرية أو مدينة، ومن هناك سنستأجر عربة أو مركبة تأخذنا لقانار.."

زفر بارا متمتماً "وما فائدة رحيلي معكم؟"

تساءل ياسان "هل ستبقى في هذا المكان تبحث عن شقيقتك؟.. ماذا لو كانت قد رحلت إلى شادين مع رادال؟.. وربما تبعت رادال وجود نحو قانار.. لن نعرف الجواب مطلقاً، فكم يوماً ستمضيه في هذا البحث قبل أن تسقط في أيدي العدو؟"

جاءهم الجواب على هيئة فتى راكض نحو ذلك المخبأ ساحباً معه حماراً حمل على ظهره بعض الأجولة

القماشية.. وقف دارو بانتظاره وقد تعرّف فيه على ابن صاحب أحد هذه المزارع والذي دلّه على هذا المخبأ في الليلة السابقة.. اقترب الفتى منهم متسائلاً "هل رحل الباقون؟.. خسارة أنني لم ألحق بهم.. لقد أرسلني أبي لأحمل لكم بعض الزاد والماء ليعينكم على هذه الرحلة التي أنتم مقبلون عليها.."

بدأ توزيع محتوى الأجولة على الباقين من الثوار ودارو يقول "نحن شاكرون لكم وممتنّون لكل ما فعلتموه لنا رغم الخطر الذي يحيق بكم.."

قال الفتى بلهجة فخورة "لنا الشرف بخدمة الثوار الذين يسعون لتحرير هذه البلاد.. لو كنتُ أكبر سناً لانضممت لكم دون تردد.."

ابتسم دارو معلقاً "وجودك بعيداً لا يقل من أهمية ما تقدمه لنا.. ولن ننسى أن نجاتنا وكل رجل من بقية الثوار كان بفضل حسن تصرف أصحاب هذه السهول ونجدتهم لنا.."

وقف الفتى بابتسامة فخورة على فمه يراقب رحيل من رحل فيما وجه ياسان سؤاله لبارا "ماذا قررت؟.. هل سترحل معنا أم أنك ستبقى هنا تجوب هذه السهول دون هدف؟"

قال بارا بوجوم "لو كنت أعلم الجواب لما استغرقت كل هذا الوقت لاختياره.. لو كنت أستطيع الوصول لتلك الفتاة، لما أعجزني اتخاذ القرار الآن.."

تدخل الفتى في الحديث قائلاً "فتاة؟.. هل تقصدون إحدى الفتاتين اللتين كانتا مع الثوار في بيت جيراننا؟"

التقت الأعين عنده باهتمام ودارو يتساءل "هل كانتا فتاتان؟.. أين ذهبتا؟.. صفهما لنا رجاءً.."

قال الفتى باهتمام "أجل، كانت هناك فتاتان بصحبتهما.. إحداهما قصيرة الشعر بلون أسود، والأخرى بشعر طويل أفتح لوناً جميلة الهيئة.."

علق دارو وهو ينظر لياسان "أتظن أن إحداهما كانت جود؟.. ليتها كانت كذلك بالفعل.."

تقدم بارا بانفعال متسائلاً "هل رحلتا مع الثوار؟.. أين ذهبتا؟"

أجاب الفتى حاكاً رأسه "أظن توجهتا نحو قنار، كما قرر أغلب أولئك الثوار الذين استضافهم أبي وجيراننا.. للأسف لم أشهد رحيلهم بنفسي فقد انشغلت بالعناية بالمصابين منهم أغلب الوقت.."

ونظر لبارا الذي يستمع له باهتمام قائلاً "ربما كانت الفتاتان في الطريق إلى قنار فعلاً في هذه اللحظة.."

نظر بارا بصمت لياسان الذي بادر ليقول بابتسامة "هذا يحسم الأمر إذاً.. أنت آتٍ معنا إلى قانار.."

سلّم بارا بالأمر أخيراً.. وتمتم مديراً بصره فيما حوله " هي قانار إذاً.. هذا يبعدنا أكثر فأكثر من شادين....!"

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما بدت لهم قانار من بين أشجار الغابة المحيطة بها، بعد أيامٍ طويلة قضاها الثلاثة في العراء يتنقلون من قرية لقرية بعيداً عن أعين الغزاة وعن سيطرتهم الكاملة لتلك المناطق، بدا الانفعال والسرور واضحان على وجه ياسان وعيناه تكادا تدمعان لشدة سعادته بعودته بعد طول غياب وهو يهمس "وأخيراً تمكنت من العودة.. أخيراً.. من كان يصدق؟.."

قال كابو وهو ينهض "سأذهب لأتفحص المدخل وأطمئن أنه ليس محمياً بقوات العدو.."

لم يعلق بارا وهو يتأمل المدينة ويسمع تمتمات ياسان السعيدة، ولم يملك أن يقول "أنت مدركٌ أن المدينة لم تعد كما كانت.. قوات أعدائكم تحتلها، ولا ندري أي خطورة سنواجهها في طرقاتها.."

انقلب سرور ياسان استياءً وهو يقول "أدرك ذلك.. ألا بد أن تعكر مزاجي وسعادتي؟.."

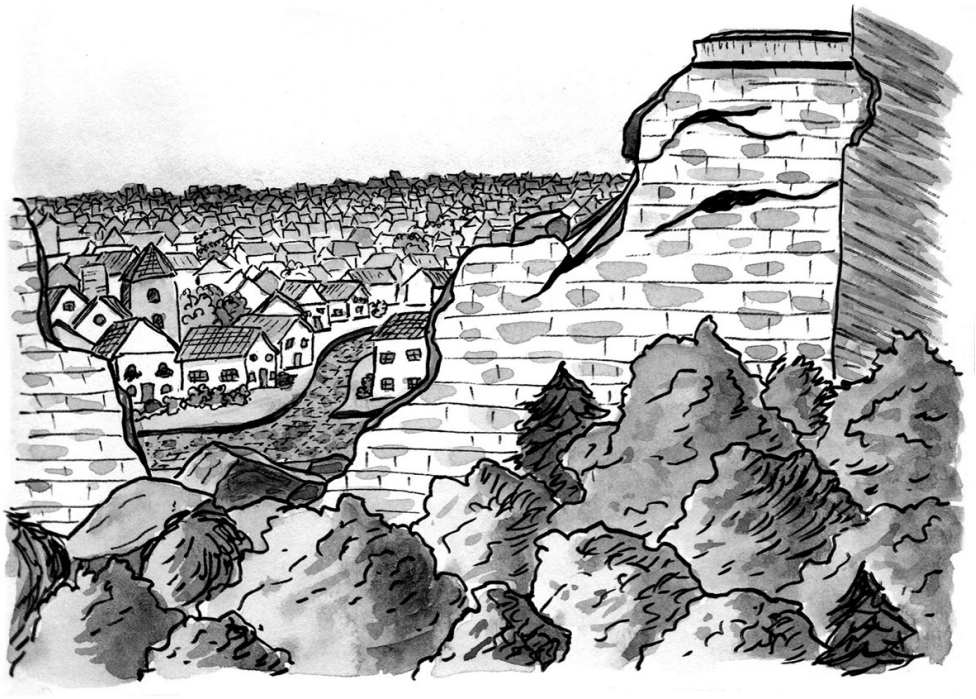

غمغم بارا "لا تدري حتى إن كنت ستجد منزلك قائماً حتى الآن.."

كان استياء ياسان في تلك اللحظة جدياً ووجهه يعبس بضيق شديد.. أدرك بارا سوء ما قاله، فربت على كتف ياسان قائلاً "لم أقصد تعكير مزاجك.. لا تقلق ستكون كل الأمور على ما يرام.."

لاحظا كابو الذي اقترب منهما بخطوات خافتة، وقال لهم "البوابة عليها عدد من الجنود، ولا أظننا سنمر دون مساءلة.."

قال ياسان بقلق "كيف سنمر إذاً؟.."

أجاب كابو "السور الخارجي مدمر في أكثر من موضع، لكن لا يوجد من يحرس تلك الثغرات.. سنتسلل عبر أحدها.."

وساعد ياسان ليقف، واضعاً ذراعه على كتفه، وسار معه متجاوزاً المسافة القصيرة الفاصلة بينهما وبين المدينة، وبارا يتقدمهم بتحفز ملقياً نظرة متوترة على ما حولهم.. كان السور بالفعل يحوي عدداً من الثغرات في أكثر من موضع، وكل ثغرة تبيح لقافلة كبيرة الحجم الدخول للمدينة دون مشاكل.. فلمَ تغاضى عنها العدو؟.. لم يكن ذلك وقت تساؤلات، وهم لا يعلمون أين يتمركز العدو ولا متى سيداهمهم ويحتجزهم أو يقتلهم لأي سبب من الأسباب..

تجاوز ياسان الحجارة التي سقطت من السور المتهدم بصعوبة، مع الآلام التي لا تنفك تنبض من جرح ساقه الذي لم يلقَ العلاج الملائم.. رغم أن النزف قد توقف تماماً والجرح كاد يبرأ بعد مرور كل ذلك الوقت، لكن المجهود الذي بذله وقلة العناية به تجعله يسوء مع كل لحظة تمضي عما كان عليه قبلها..

خلف سور قانار، سارع الثلاثة للاندساس بين منازل ذلك الحي والسير في الطرق الفرعية متفادين الشوارع الرئيسية بعيداً عن أعين الجنود والدوريات التي قد تشتبه بأمرهم مع حالهم البائس وآثار الترحال البادية عليهم.. كان منزل ياسان يبعد عنهم عدة أحياء نحو شمال المدينة.. ورغم التعب البالغ الذي حل بياسان، وكابو الذي يعتمد عليه للسير بشيء من السلاسة، إلا أنه لم يحاول الركون للراحة وأصرّ إصراراً شديداً على المواصلة حتى يصل لمنزله.. حيث تنتظره عائلته.. أمه وأخته اللتان بقيتا طوال الشهر الماضي وحيدتين في هذه الأوقات العصيبة.. ترى ما حلّ بهما؟.. ماذا أصابهما؟.. هل سيجدهما بانتظاره أم يجد من ينعاهما له؟.. انقبض قلبه بشدة لتلك الأفكار ودمدم بضيق "تباً لهذه الحرب.."

سأله كابو "أأنت على ما يرام؟.."

أجاب ياسان زافراً "أجل.. لا تقلق.."

لابد أن يرمي تلك الأفكار خلف ظهره.. لحظاتٌ فقط ويصل لمنزله، ويعلم على اليقين ما جرى خلال فترة غيابه الطويلة..

بعد سيرٍ طويل وبطيء نسبياً، وصل الثلاثة لأطراف الحي الذي يسكن فيه ياسان، وقادهم الطريق للمنزل الذي كان في جانب ذلك الحي النظيف والذي يتسم باتساع طرقاته ونظافته وبيوته الرحبة رغم أنها لا تختلف كثيراً عن منازل باقي المدينة، لكنها أفضل حالاً من الأحياء الشعبية بالتأكيد.. لاحظ ياسان عدداً من المنازل التي تهدمت أو احترقت في هجوم اليوم الأول على قانار، فسحب أنفاساً مثقلة وهو يضغط على نفسه ليواصل سيره حتى وقع بصره على المنزل القائم في نهاية ذلك الطريق، والذي كان كأغلب البيوت بلون أبيض يعلوه قرميد أحمر اللون، ونوافذ ملونة الإطارات بالعديد من الأزهار والشجيرات الصغيرة التي تدلّت بأحواضها من تلك النوافذ.. وبجانب المنزل، امتدت حديقة متوسطة الحجم بسور خشبي منخفض فيها شجرة كبيرة ألقت بظلالها على الحديقة وعلى جدار المنزل القريب، والهواء يعبث بها ويموّج أفرعها المثقلة بالأوراق الخضراء وبعض الأزهار.. كما تناثرت عدد من الشجيرات المزهرة في جوانب تلك الحديقة بشكل بهيج.. وقرب الباب الخشبي الثقيل للمنزل الذي زيّنته بعض النقوش الناعمة والأحجار الملونة، وضع كرسي حجري ثقيل يتسع لثلاثة أشخاص، بلون رخامي أبيض يلمع تحت أشعة الشمس الزاهية..

عندها تنهد ياسان بصوت مسموع وهو يقول "المنزل لم يصب بسوء.. هذا خبرٌ جيد حتى الآن.."

كان كابو وبارا مدركان للقلق الذي يعتري ياسان، لكنهما لم يملكا أي كلمة للتخفيف عنه أو لتهدئة قلقه طوال الساعات الماضية.. ومع مرأى ذلك الرأس بالشعر العسلي الذي انحنى جانباً في الحديقة منشغلاً بعمل ما، تسارعت دقات قلب ياسان أكثر وبدأت خطواته تصبح أكثر خفة وهو يتخلى عن كتف كابو، وتقدم من المنزل عارجاً مقاوماً آلامه وهو ينادي الفتاة بلهفة.. استدارت الفتاة بدهشة حقيقية خلفها، سرعان ما تحولت لذهول وصدمة كبيرين.. رمت تلك الفتاة كل ما بيديها غير عابئة بالآنية التي تحطمت أرضاً تحت قدميها، وركضت نحو ياسان هاتفة باسمه لترمي نفسها عليه.. تلقاها ياسان وضمّها بقوة وهو

يقول "أأنت بخير يا مانا؟.. هل أمي بخير؟.. ما الذي جرىٰ لكم في غيابي؟.."

لم تجبه مانا وهي تدفن رأسها في صدره وتجهش في بكاءٍ مرير.. ظل ياسان واقفاً للحظة وهو يربت علىٰ رأس شقيقته الصغيرة ويحاول تهدئتها، ثم جذبها معه عائداً للمنزل بوجه قلق.. للحظة خايله أن بكاء مانا سببه أمرٌ ما قد جرىٰ لأمهما، وفور دخوله المنزل دار بعينيه بلهفة حتىٰ لمح تلك المرأة التي انشغلت بعملها في جانب المنزل ساهمة.. ناداها ياسان وهو يهرع إليها، فتجمدت الأم للحظة وهي تلمحه قادماً نحوها صحيحاً معافىٰ.. ترىٰ، كم يوماً بكت فيه تلك المرأتان ظناً أن ياسان قد قضىٰ نحبه في الهجوم الأول علىٰ قيادة الجيش؟.. أحاطت الأم وجهه بيديها وهي تقول بلهفة وصوت متهدج "أأنت حيٌّ حقاً يا ياسان؟.. أأنت بخير يا بني؟.. ألم تصب بأي مكروه؟.."

قبّل ياسان جبينها ويديها وهو يقول بانفعالات حاشدة "أنا بخير يا أماه.. واكتملت سعادتي برؤيتكما بخير.."

احتضنته الأم ودموعها تنهمر بانفعال، وسرعان ما انضمّت إليهما مانا دون أن تتوقف إحداهما عن البكاء..

في الآن ذاته، خارج المنزل، تبادل كابو وبارا النظرات الصامتة.. ثم خفض كابو قبعته قائلاً "عليّ الذهاب.. يجب أن أعود لعائلتي واطمئنها عليّ.. لابد أن أخبار ما جرىٰ في ميركان قد وصلت إليهم.."

أحنىٰ رأسه بخفة، فبادله بارا التحية ورمق رحيله الصامت، ثم عاد ببصره لياسان الذي غاب في منزله.. لم يكن بارا يملك ما يفعله في قانار، ولا يعرف لمن يلجأ فيها.. لذا استسلم واقترب من المنزل ليقف قرب بابه يتأمل انفعالات عائلة ياسان الحاشدة.. لا يدري بارا كم ظل واقفاً قرب الباب يتأمل بكاء المرأتين وانفعال ياسان.. وغمغم لنفسه "أليست انفعالاتهم مبالغٌ فيها قليلاً؟.. لِمَ كل هذا البكاء؟.."

لم يكن ما يراه طبيعياً.. الطبيعي هو ما يعهده ويراه طوال حياته السابقة علىٰ أرض الهوام.. جفاف وعدم اهتمام من سيرا.. قسوة وشدة من رادال.. وتنائي من أهل القرية، أو أغلبهم، وهما الغريبان اللذان ظهرا من العدم ورفضا الرحيل كما فعل غيرهم..

رغم أنه يعلم أن ياسان هو العائل الوحيد والمسؤول الأوحد عن هذه العائلة، لكنه في تلك اللحظات بدا مدللاً بشكل لم يشهده بارا قط.. وربما لهذا السبب، ولهذه التنشئة التي يراها بارا غريبة، كانت شخصية

ياسان باللطف والطيبة المشهودان عنه.. وهو أمرٌ لا ينكره رغم معرفته التي لا تتجاوز فترة قصيرة في أرض الهوام وعلى هذه الأرض..

ظل بارا يراقب ما يجري بصمت.. مع كل الغضب الذي اعتمر قلبه لسنوات بغضاً بكهنة الشمس، فإن والديه لم يحتلا إلا جزءاً ضئيلاً من اهتمامه.. لا يزال يذكر عويل أمه وبكاؤها عندما فارقاها، لكن ذلك كل ما يذكره.. وهو لم يرغب بالعودة للعالم السامي إلا للانتقام.. فهل له أن يتوقع أن يقابله أبواه بالدموع بعد هذه السنوات؟.. هل سيعرفانه أم ينكرانه ويتهمانه بالكذب؟..

تنحّى بارا وجلس قرب باب المنزل خارجاً على الكرسي الحجري.. شعر أن وجوده في المنزل في تلك اللحظات تلصّصٌ على خصوصيات أصحابه، وهو في النهاية مجرد غريب شاءت الصدف أن يكون مع ياسان عند عودته لقانار..

بعد وقت قصير، لمح شقيقة ياسان تخرج من المنزل متلفتة حولها بقلق، ولما لاحظت وجوده تنهدت وهي تقترب منه قائلة "أنت ضيف ياسان.. ألست كذلك؟.. خشيتُ للحظة أن تكون قد غادرت بغفلة منا.."

وأحنت رأسها بخفة مضيفة "اعذرنا على سوء ضيافتنا لك.. كان من المفترض أن نعتني بك لا أن نتناسى وجودك بهذه الصورة.."

غمغم بارا بكلمات مبهمة، ونهض ليتبعها عائداً للمنزل.. وهناك، وجد الأم تقترب منه بابتسامة صافية وتمسك يده بيديها قائلة " سعيدة بوجودك معنا أيها الشاب.. أأنت أحد أصدقاء ياسان أم رفيقه في الجيش؟.."

تردد بارا في الصفة التي يصف بها علاقته بياسان.. فهو ليس من رفاقه في الجيش، ولا يمكنه مطلقاً أن يعتبر نفسه صديقاً له.. لكن ياسان اقترب منه وربت على كتفه قائلاً "بل هو صديقٌ لي ولجود.. كان عوناً كبيراً لنا في الأيام الماضية.."

صمت بارا بمزيج الدهشة والحرج.. لا يدري إن كان ياسان جاداً في قوله ذاك، أم أنه مجرد تبرير لوجوده في منزله معهم.. جلسوا جميعاً في جانب المكان واهتمام المرأتين منصبّاً على ياسان والأم تسأله بإشفاق "أين كنت في الأيام الماضية يا بني؟.. طال غيابك مع ذلك الهجوم الذي جرى لقيادة الجيش.. ومع تدميره بالكامل فقدنا الأمل من نجاتك.."

ارتجفت شفتا مانا وهي تقاوم نفسها لئلا تعاود البكاء من جديد بتأثر، بينما قال ياسان زافراً "ما جرىٰ ذلك اليوم لم أكن أحلم به في أبشع كوابيسي.."

ونظر لعائلته التي ترمقه بقلق مترقب، فأضاف بلهجة درامية "بسبب ذلك الهجوم المباغت علىٰ قيادة الجيش، سقطنا أنا وجود لأرض الهوام.."

شهقت مانا والأم تنظر له بارتياع، فأضاف ياسان "وكدنا نتهشم لسقوطنا من ذلك الارتفاع المهول، لكننا نجونا بأعجوبة.. لكن لم تكن أيامنا التالية في تلك الأرض الوحشية أكثر سهولة ورحمة بنا من ذلك السقوط.. ورغم ذلك، نجونا.. وعدنا.. وها نحن هنا.."

بدا لبارا أن ياسان فخورٌ بتجربته الفريدة تلك مع أرض الهوام، وهو أمرٌ يعتبره بارا عادياً ولا يستدعي الدهشة.. لكن انفعالات المرأتين الغامرة ودهشتهما الواضحة جعلته يدرك تأثير كلمات ياسان عليهما..

طالت أحاديث الثلاثة وياسان يستأثر بأغلب الحوار واصفاً كل ما جرىٰ له في أرض الهوام، ومكرراً بعض الأحداث عدة مرات دون أن يصيب المرأتين الملل من الاستماع إليه.. وفي تلك الليلة، بعد أن حظي بارا بحمامٍ طويل لم يعهد مثله في العالم السفلي، وبعد أن ارتدىٰ ملابس نظيفة من ملابس ياسان، وتناول وجبة دسمة أشبعته حتىٰ التخمة، جلس خارج المنزل نائياً بنفسه عن الحديث الذي لم يكد ينقطع منذ وصولهم..

تأمل قانار الساكنة، وحاول أن يتذكر مدينته شادين التي تركها منذ طفولته.. حاول أن يتذكر ملامح منزله أو والديه دون أن ينجح في ذلك.. فغمره بعض الندم لأنه غيّبهما عامداً عن ذكرياته وتفكيره منصبّ علىٰ كهنة الشمس والانتقام الذي ينوي القيام به..

تنهد وهو يتأمل السماء الصافية والقمر واضحاً فيها يرسل ضوءه الهادىء ليغمر الأسطح والأشجار بلمعة ظاهرة.. لمح يداً تمتد نحوه بكوبٍ خزفي مزخرف يحمل شاياً دافئاً، فلم يتردد في قبوله وهو يرىٰ ياسان يجلس قربه متسائلاً "ما الذي دفعك للخروج وحيداً؟.. هل ضِقت بأحاديثي الشيقة؟"

غمغم بارا "ربما.."

ثم نظر له متسائلاً "هل عائلتك بهذه الصورة الانفعالية دائماً؟.. رغم أنك المسؤول الأوحد عنهم، لكن بدا لي أنهما تعاملانك بتدليلٍ لا يناسب تلك المسؤولية.."

ضحك ياسان معلقاً "لا يمكن لأحدٍ إنكار ذلك.. أنا بالفعل المسؤول الوحيد عن هذه الأسرة، وقد حملت

هذه المسؤولية منذ تجاوزت العاشرة بقليل، وأثبتّ أنني قادرٌ على حملها وحيداً.. لهذا السبب دفعت بي أمي إلى قاث، قائد الجيش، لأتدرب تحته مباشرة وأنضمّ للجيش فور بلوغي السن الملائمة.. كانت ترى أن هذا العمل أكثر استقراراً من غيره، وكانت تثق بقاث الذي يعرف أبي الراحل معرفة شخصية.."

ونظر لبارا مضيفاً "لكن هذا لا يستدعي هذه الدهشة منك.. ألا تذكر شيئاً عن عائلتك؟.. ألم تكن تعاملك بالطريقة ذاتها قبل أن تفارقها؟"

صمت بارا للحظة مفكراً في عائلته، ثم قال "ربما.. أمي كانت امرأة طيبة وحنونة.. أبي كان فخوراً بي، لكنه كثير الانشغال بأعماله ولا نراه إلا نادراً.. ورغم أن من تولى تربيتي حقاً هي إحدى المربيات، كما يحدث في الأسر النبيلة في شادين، إلا أن ذلك لا يلغي الدور الذي عاشته أمي معنا ورعايتها لنا في كل كبيرة وصغيرة.."

ونظر لسطح الشاي الأحمر بصمت قبل أن يقول بخفوت "لو لم نسقط، لكانت حياتنا مختلفة هنا بكل تأكيد.. أكاد أجزم أن سيرا ستكون مختلفة.. كانت في البدء تلوم والدينا لأنهما لم يحاولا إنقاذنا، رغم أن ذلك مستحيلٌ عملياً.. فمن يقف في وجه كهنة الشمس ويعارض اختيار قرابينهم، تكون نهايته سيئة بالفعل.. لكن مع شعور سيرا بالنبذ، وبأن والدينا تخليا عنا، فإنها كرهت هذا العالم وركزت تفكيرها على أول ما رأته من ذاك العالم.. وكان ذلك رادال.."

صمت ياسان وهو ينظر للسماء وتساءل "ألستَ قلقاً عليها؟"

ظل بارا يدير كوبه متأملاً الشاي الذي يميل فيه للحظات، ثم قال زافراً "بالطبع أنا كذلك.. ما يريحني أنها مع رادال.. وهو سيتحمل مسؤوليتها ولن يخذلها مطلقاً.."

تساءل ياسان بفضول أكبر "لقد لاحظت أنك كارهٌ لتلك العلاقة بينهما، فما السبب؟.. هل تكره رادال؟.. أم أنك لا تثق به؟"

أجاب بارا باستياء "لا.. لستُ أكرهه وليس الأمر متعلقاً بالثقة كذلك.. لكني أرى أن سيرا تستحق الأفضل.. تمنيتُ أن تجد استقراراً في هذا العالم عندما نعود إليه، بينما كان تشبثها برادال يدفعها للتشبث بالعالم الدنيّ أكثر فأكثر.. ثم إن رادال رفضها منذ البدء.. وغاظني أنها لم تستسلم قط رغم هذا.."

ابتسم ياسان معلقاً "أتعلمان أنكما متشابهان في هذا الأمر؟.. عندما يضع أحدكما هدفاً أمامه، فإنه يستميت

فيه رغم كل العوائق.. ألا ترى ذلك؟.."

أدار بارا الكوب في يده بشيء من العصبية.. هو أمرٌ لا يعترف به، ولا ينكره كذلك.. لذا فضّل الصمت دون تعليق هذه المرة..

بعد لحظات، أتتهم مانا قائلة بشيء من الارتباك "الأفضل أن تعودا للمنزل.. حظر التجول يبدأ بعد لحظات، ولا نريد أن يراكم الجنود بعد أن يبدأ بالفعل.."

دمدم ياسان بشيء من الحنق وهو يعود أدراجه للمنزل، وقد غاظه ما آلت إليه الأمور في قنار تحت سيطرة جيش العدو.. بينما وقفت مانا بتوتر للحظة قبل أن تسأل بارا بقلق "أأنت بخير؟.. تبدو واجماً بشدة.. أهناك ما يضايقك بوجودك في منزلنا؟"

هز بارا رأسه نفياً وقال "مطلقاً.. أنتم تعاملونني بأفضل مما توقعت.."

ابتسمت مانا ابتسامة مرتبكة غزاها الخجل، ثم استدارت مغادرة خلف شقيقها وشعرها الناعم العسلي يتطاير خلفها، فيما ظل بارا يرمقها للحظات بصمت.. لشدّ ما يرى الاختلاف كبيراً بينها وبين سيرا، رغم أن فارق العمر بينهما لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة.. سيرا أثبتت له مرة بعد مرة أنها أنانية، لا تهتم إلا بنفسها ورغباتها، ولا تعبأ لأمر شخص مهما كان قربه منها.. لم تقلق يوماً لأمره ولم تسأله عما يقلقه أو يهمّه.. ولا يظنها قد فكرت ولو للحظة بالبحث عنه أو اللحاق به بعد افتراقهما.. حتى رادال، لا يظنها تعبأ لأمره إلا لأنها تريده أن يمنحها السعادة التي تظن نفسها تستحقها.. خلاف ذلك، لا أهمية لرادال ولا لما قد يسبب له الضيق أو الانزعاج..

خفض بصره بصمت رافضاً هذه المقارنة التي لن تكون في صالح شقيقته بأي حال.. لأن هذا حريٌّ به أن يتعسه أكثر وهو يتمنى لو عاملته سيرا في لحظة من لحظاتها بمثل هذه العاطفة التي رآها من مانا تجاه ياسان..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

سار الحصان براكبتيه شوطاً كبيراً من تلك السهول الشاسعة التي لا يحدها جنوباً إلا النهر العريض الذي

يصبّ في قلب قانار، ومن الغرب هناك السلسلة الفاصلة بين حدود المملكتين.. قطع هذه السهول هو أسهل جزءٍ في هذه الرحلة، فالسلسلة الجبلية تحفّ بمخاطر يستحيل الاستهانة بها، ومن بعدها الحدود التي أصبحت مغلقة في وجه أي رحّالة قادم من الشرق.. فخطر الثوار الغاضبين يجعل جيش مملكة الضياء يتخذ احتياطاته بأن لا يسمح لرجلٍ بعبور الحدود نحو مملكتهم ما دامت هذه الأرض تعجّ بالثورات المتفرقة ولا تكاد تهدأ والنيران المستعرّة تموج تحت الأقدام..

كانت جود تعرف الطريق المؤدي لحدود مملكة الضياء، رغم أنها لم تسلكه قط.. لكنها سارت في ذلك الاتجاه وهي موقنة أن طريقهم لن يمتد بهم طويلاً.. ستضطران للوقوف في نقطة ما والعودة أو فقدان حياتيهما لو وجدهما الجنود قرب الحدود تهديداً للمملكة.. فكيف لها أن تقنع سيرا بعبث ما تفعلانه؟.. وكيف لها أن تجد وسيلة للحاق برادال دون أن تفقدا حياتيهما، أو تضمنا أنه لم يفقد حياته بعد حتى اللحظة؟.. كل الخيارات المطروحة أمامهم عسيرة، وتدعو لليأس.. لكن جود لم تصرّح بأي من أفكارها تلك وهي تسلك الطريق أمامها بصمت..

طال بهما السير دون وقوف إلا لإراحة الحصان وللحصول على أقل القليل من الطعام من أي بيت أو كوخ تمرّان به دون الإفصاح عن وجهتهما الحقيقية.. كان حظهما كبيراً عندما لم يتقاطع طريقيهما مع أي من فرق جيش العدو، لكن ذلك الحظ لم يطُل بهما وهما تريان في وقت مبكر من تلك الليلة رتلاً من الشاحنات الضخمة الخاصة بجيش مملكة الضياء متوقفة في الطريق الذي يقود لقلب السلسلة الجبلية تلك، وعلى قارعة الطريق توزع عددٌ من الجنود يحرسونها من أي هجوم متوقع..

ظلتا تراقبان الوضع لبعض الوقت من جانب مرتفع من الأرض يخفيهما عن الأعين، ثم غمغمت سيرا وهي تتراجع "فلنرحل.. لا فائدة من انتظار رحيلهم.."

أمسكت جود ذراعها قبل أن تبتعد قائلة "مهلاً.. لن نستطيع تجاوزهم دون كشف أنفسنا.. ولن نستطيع المرور عبر الحدود المغلقة بين المملكتين.."

قالت سيرا بعناد "لكننا لن نقف هنا، ولن نطيل انتظارنا حتى رحيلهم ونحن لا نعلم ما يواجهه رادال في هذه اللحظات.."

أسرعت جود تقول "نحن لم نتوغل في السلسلة الجبلية بعد، أتعلمين كم نحتاج لاجتيازها؟.. ما قطعناه

من هذه السهول في يوم وليلة لا يعادل ما سنقطعه من تلك السلسلة في أسبوع لو حاولنا تفادي هذا الطريق الذي يقودنا عبرها.. هذا لو سلّمنا بأننا سنتجاوز الحامية قرب الحدود قبل أن يطلقوا نيرانهم علينا.."

وقبل أن تعترض سيرا أشارت للشاحنات قائلة "أترين آخر واحدة منهم؟.. تلك تبدو شاحنة معدات، ولا أرى أي جنود يحرسونها.. سنراقبهم حتى نتأكد أنها لن تحمل أحداً من الجنود في جزئها الخلفي، وبعد أن تبدأ سيرها وتخفت الحراسة حولها، سنستغل الظلام لنقفز فيها ونختبئ وسط ما تحمله حتى تتجاوز بنا الحدود.."

قالت سيرا مقطبة "كيف نصعد إليها بعد أن تبدأ السير بالفعل؟"

قالت جود وهي تنهض وتتراجع "اتركي هذا الأمر لي.. فلنأمل فقط ألا تقوم تلك الحامية بتفتيش شاحنات جيشهم قرب الحدود، وإلا انتهى أمرنا.."

لم يمضِ وقتٌ طويل قبل أن تبدأ أولى تلك الشاحنات بالسير بتباطؤ قبل أن تتسارع إطاراتها وهي تسلك ذلك الطريق.. كان أغلب الجنود قد عادوا للشاحنات الأخرى، وبدأت كل واحدة على حدة بالسير تابعة ما سبقها مع مسافة محدودة بينهم.. سارت الشاحنة الأخيرة بسرعة محدودة تابعة البقية وأنوارها تضيء جزءاً محدوداً من الشارع أمامها، وسائقها يقول للجندي الجالس جواره "لِمَ علينا أن ننقل هذه الآليات كل هذه المسافة حتى شادين؟.. ألم يكن الأفضل أن نستبدلها بأخرى صالحة من مخلفات جيش قانار؟"

أجاب الجندي "القادة يخشون أن تحمل أجهزة جيش قانار وآلياته شفرة لا نعرفها تمكنهم من السيطرة عليها رغماً عنا.. تخيّل ما سيحدث لو سيطروا على أسطول طائراتنا بغفلة منا وأسقطوها دون أن نملك ردعهم من ذلك.. ما الذي سيبقى بعدها ليقضوا علينا نهائياً؟"

قال السائق باستخفاف "وهل بقي من جيش قانار أحد ليمارس هذه الخدعة؟.. لم يبقَ منهم، ولا من أجهزتهم، ما يقدرون على مقاومتنا به.."

سمع في تلك اللحظة صوتاً عالياً إثر ارتطام شيء ما بجانب جسد الشاحنة، فنظر من النافذة الجانبية بحيرة إذ لم يكن من الغريب أن ترتطم بهم الصخور المندفعة من إطارات الشاحنة الأمامية.. لكن وجودها في الجانب كان أمراً أثار حيرته للحظات.. ولما عاد ببصره فوجئ بذلك الجسد الذي مرق من خلف الشاحنة

التي سبقته وكاد يعترض طريقه.. ضغط السائق المكابح بقوة كبيرة فيما ارتفع ذلك الجسد واقفاً بحجمه الكبير وهو يسمع صهيلاً من بين الصرير الذي أصدرته الإطارات أثناء وقوفها المفاجئ.. كان وزن الشاحنة الثقيل يمنعها من الوقوف بسرعة، وكادت ترتطم بالحصان الذي اعترض طريقهم، لكنه مرق بسرعة قبل أن تصل إليه الشاحنة وغاب وسط التلال الصخرية القريبة التي تشكل بداية السلسلة الجبلية التي تسدّ الأفق..

ظل محرك الشاحنة دائراً بعد توقفها المفاجئ وهو الصوت الوحيد الذي يسمعه السائق والجندي وهما يراقبان الموضع الذي غاب عنده الحصان، ثم تساءل السائق "ما كان ذلك؟.. لِمَ اعترض هذا الحصان طريقنا دون سبب مفهوم؟"

علق الجندي "يبدو حصاناً برياً.. لم أرَ أي سرج أو لجام عليه.."

قال السائق بحيرة "لكن هذا أمرٌ غير معتاد.. عادة تتفادى تلك الحيوانات الاقتراب منا مع صوت محرك الشاحنة العالي.. هذا غريب.."

مدّ عنقه يمسح المنطقة بعينيه، ثم نظر من مرايا الشاحنة الجانبية والجندي يستحثّه قائلاً "لنذهب.. لقد انفصلنا عن البقية، ولا أريد البقاء هنا وحيداً بشكل قد يغري أهالي هذه المنطقة بالهجوم علينا.."

عاد السائق للحركة بشاحنته وهو يقول "لن يجرؤ أحدهم على ذلك.. خاصة بعدما جرى في ميركان مع الثوار الذين حاولوا مهاجمتنا.. بعد الآن، لن تقوم للثورة أي قائمة.."

صمت الجندي بدون تعليق وهو ينظر للأرض السوداء التي يمرون بها ونور الكشافات لا يطالها ولا يزيل وحشتها.. وبدا له أن المكان يعج بالأجسام السوداء التي قد تهجم عليهم في أي لحظة وتتخلص منهم دون رحمة.. وفي المؤخرة، كانت جود وسيرا قد تمكنتا من صعود الشاحنة بخفة أثناء وقوفها المفاجئ بعد أن دفعت جود الحصان ليقطع الطريق أمامها ويرغمها على الوقوف.. كانت الشاحنة التي يغطيها قماشٌ سميك بني اللون تحوي في قلبها بعض الآليات المعطلة وأجزاء من محركات لم تفهم هويتها أو أهميتها، لكن سيرا لم تعبأ لأمرها وهي تندسّ في فراغٍ بين تلك الآليات وتضمّ ساقيها لصدرها بصمت.. وفعلت جود الأمر ذاته وهي تهمس "علينا أن نلتزم الصمت لئلا نجذب إلينا الأنظار.."

هزت سيرا رأسها إيجاباً، فأضافت جود "يمكنك أن تنامي قليلاً لو كنت متعبة.. سأبقى لمراقبة الوضع

ولنهرب لو كاد أمرنا ينكشف.."

لم ترد عليها سيرا ملتزمة الصمت ومستسلمة لاهتزازات الشاحنة والتي جعلت تعبها مضاعفاً ورأسها يدور بقوة.. فيما بقيت جود جالسة في موقعها تصيخ السمع وتراقب مقدمة الشاحنة عبر فرجة محدودة بين القماش وبين جسد الشاحنة.. كانت خطتهما هذه تنطوي على مخاطر عديدة، لكنها كانت الوسيلة الوحيدة لتجاوز هذه السلسلة الجبلية بسرعة والمرور عبر الحدود دون مشاكل..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

في اليوم التالي، استيقظ ياسان بوجهٍ منشرح وملامح طلقة وهو يقضي أغلب ساعات ذلك الصباح مع أمه في حديث لا يكاد ينقطع.. جاء أحد الأطباء بتوصية ملحّة من مانا لرؤية جراحه وعلاجها قبل أن تستفحل أكثر، وليطمئن الأم التي لم تكد تهدأ بالاً منذ رأتها في الليلة الماضية.. أما بارا، فقد ارتقى سطح المنزل منذ الصباح يلقي نظرة على قانار وعلى الأحياء حولهما.. كان وجوده في ذلك المكان لا معنى له، فحتى لو أمضى الساعات يراقب الطرقات القريبة فلا يبدو أنه سيستدل على مكان سيرا ورادال بهذه الطريقة.. لكنها كانت الوسيلة الوحيدة التي يملكها، خاصة أن مغادرته منزل ياسان لن تخلو من خطر بوجود العديد من دوريات للأعداء تجوب الطرقات في أغلب أوقات النهار، ناهيك عن استحالة عودته للمنزل لو غادره وحيداً وهو لا يعرف المدينة ولا طرقاتها..

بعد أن لاحظ ياسان توتره أغلب الوقت، قال له "لا أدري أين يمكن أن تختفي الفتاتان في قانار.. فجود لا تملك منزلاً ولا عائلة تعود إليها، إلا قاعدة الجيش التي دمرت تدميراً كاملاً كما سمعت.. أو ربما منزل قاث الذي لا أدري ما حل به بعد موت صاحبه.."

علقت الأم بقلق "ربما حدث لهما شيء في الطريق للمدينة.. كيف لنا أن نعرف مصير جود بعد كل ما جرى؟"

نهض بارا من مجلسه في صدر الدار، وقال لياسان "دلّني على أي موقع قد تذهب له جود.. ربما أعثر عليها وعلى سيرا معها لو ذهبت هناك.."

نظر ياسان لساقه التي لم تبرأ من جرحها بعد، عندها هبّت مانا واقفة قائلة "لا تتعب نفسك يا أخي.. سأقوده أنا لحيث يريد.."

قال ياسان عاقداً حاجبيه "لا يمكنني أن أرسلك خارجاً في وجود دوريات العدو.."

قالت مانا بابتسامة محدودة "أنا أفعل ذلك كل يوم منذ وقع الهجوم.. ولن يختلف هذا اليوم عن أي يومٍ آخر.."

ونظرت بتردد لبارا لترى إن كان يوافق على عرضها ذاك، فقال بارا "لا تقلق يا ياسان.. لن أسمح لأحدٍ أن يصيبها بمكروه حتى نعود.."

صمت ياسان بضيق وهو يتمنى لو يطالب بارا بتناسي الأمر كله في هذه اللحظات، فيما سارعت مانا للاستعداد للخروج.. فوضعت على كتفيها معطفاً قاتماً إتقاءً للجو الذي لا يخلو من برودة تثير قشعريرة في الجسد في هذا الصباح.. ثم حملت سلة قماشية تستخدمها عادة عند خروجها للتسوق، وقالت معلقة على نظرات بارا المتعجبة "لا نريد أن يتساءل جنود العدو عن سبب تجوالنا في طرقات قانار.. صحيح أن حظر التجول يبدأ ليلاً فقط، لكن مع غياب الحركة المعتادة للسكان وانزوائهم في منازلهم أغلب الأوقات، فإن خروج اثنين دون هدفٍ محدد سيجذب الأنظار دون شك.."

لم يعلق بارا وهو يتبعها مغادراً بصمت مغلقاً باب المنزل خلفه.. نظرت الأم لياسان الذي كان يبدو بالغ الاستياء لخروج مانا، ودمدم وهو يدلّك ساقه "هذه آخر مرة أسمح لها بذلك.."

تساءلت الأم بقلق "ألا تثق بذلك الشاب؟"

أجاب ياسان مضطراً "بل أثق به بالطبع.. وإلا ما سمحت له بالبقاء في منزلنا.."

عندها عادت الأم لأعمالها قائلة "إذن لا تقلق.. فلنأمل أن يعودا دون أن يعترض الجنود طريقهما.."

تساءل ياسان بضيق وقلق "هل هي معتادة على مغادرة المنزل مع وجود تلك الدوريات؟.. ماذا لو لم تعُد؟.. أين ستبحثين عنها وكيف يمكنك الوصول إليها مع هذا الحصار؟"

قالت الأم وهي تنشغل بأعمالها "بعد اختفائك، اضطررتُ للاعتماد عليها في بعض الأحيان لقضاء أمورنا.. لا يمكننا البقاء في المنزل للأبد وإلا متنا جوعاً.. لذا كان لابد من اعتمادي عليها ولو في أضيق نطاق.."

وجم ياسان وغمغم "لو لم يجرِ ما جرى.. ولو لم أغادر قانار مجبراً، لما احتاجت إحداكما لمواجهة الجنود وحيدة.."

نظرت له الأم وقالت مبتسمة "لكنك هنا الآن.. لذا، يمكننا أن نطمئن ويهدأ بالنا عما كنا عليه سابقاً.."

صمت ياسان مدركاً عجزه عن إفادتهم بأي صورة.. لا يمكنه القيام بأي عمل بساقه المجروحة، ولا يمكنه حمايتهما وحيداً لو هاجم الجنود منزلهما لأي سبب..

لو أن رفاقه الجنود في المدينة اجتمعوا وحاولوا استعادتها من جديد، لما تردد في الانضمام إليهم مرة أخرى حتى بعد الهزيمة التي حاقت بهم في ميركان.. لكن هل يبقى هذا حلماً يحلم به دون أن يجد أرضاً صلبة ينهض عليها؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

مقارنة بيانا التي سارت عابرة ذلك الطريق بملامح هادئة، فإن بارا سار بتوتر واضح وهو يدير وجهه لكل الاتجاهات لأقل حركة يشعر بها.. بعد مسافة معقولة، قالت مانا بهدوء "أرجو أن تكفّ عن حركاتك العصبية هذه.. فهذا يجذب لنا الأنظار ويثير الشبهات.."

تمتم بارا بأسف وهو يحاول الالتزام بما قالته.. لكن من يمكنه لومه؟.. بعد ما شهده في سهول ميركان.. وبعد الأشلاء التي رآها ملقاة أمامه.. كيف له ألا يصاب بالذعر لمجرد رؤية ظل جندي؟.. ولم يكن ذعره ذاك على نفسه.. بل على الفتاة المرهفة الرقيقة التي تسير قربه بثقة وكأنها لا تخشى من أمر هذه الدنيا شيئاً..

رغم أنه لاحظ رجفة خفيفة في يديها عندما لمحت مركبة للجنود تمرّ في طريق قريب، لكنها احتفظت بملامحها ساكنة هادئة وكأنها لا تهتم لكل هذا..

حاول بارا تقليل تحركاته، لكنه ظل يتلفت حوله بين وقت وآخر أثناء سيرهما في ذلك الطريق الذي يقطع بضع أحياء من قانار نحو الشمال.. مما علمه، فإن مركز جيش قانار ليس بعيداً عن منزل ياسان، وليس عليهما إلا اجتياز عدة أحياء للوصول إليه.. لكن المسافة مع هذا القلق الذي يشعر به كانت تبدو أطول من المتوقع.. ومع كل ذلك القلق الذي يشعر به، والتوتر الذي يبدو على وجه مانا، فإن بارا تصرّف تلقائياً فور

أن رأى دورية لجيش العدو تمر في عرض الطريق الذي يسلكانه.. دفع بارا مانا في الزقاق القريب وهو يقول بتوتر "لنغيرّ طريقنا في الوقت الحالي.."

مرقت الدورية خلفهم متجاوزة ذلك الطريق، فيما همست مانا باعتراض "هذه التصرفات ستلفت لنا الأنظار أكثر.. لسنا بحاجة لتغيير طريقنا كلما مرت دورية منهم فنحن لا نفعل ما نخشى منه.."

علق بارا بضيق "أدرك ذلك.. لكني لا أريد مواجهة أحد منهم في هذا الوقت.."

سمعا صيحة من الخلف، وعند استدارتهما نحو الصوت رأيا جندياً من جنود مملكة الضياء يقترب منهما بنظراتٍ تشي بالريبة.. وقال فور اقترابه منهما "ما الذي تفعلانه هنا؟.. ولِمَ اندسستما في هذا الزقاق لرؤية تلك الدورية؟"

دفع بارا مانا خلفه، لكنها تمسكت به قبل أن يقوم بأي تصرف وقالت بارتباك "نحن لا نندسّ من أحد.. هذا الزقاق يقودنا لوجهتنا بصورة أسرع.."

قال الجندي بشك "لكني سمعتكما بوضوح.. أنتما مختبئان من أمرٍ ما.. ما الذي فعلتماه؟"

قال بارا مقطباً "نحن لم نفعل شيئاً.. خرجنا لابتياع حاجاتنا من السوق.. فهل أصبح هذا جريمة؟"

علق الجندي وهو يمسك ذراع بارا بقوة "أو أن هذا ما تحاولان إيهامنا إياه.. أأنتم من تلك الفرقة التي تسمّي نفسها بالثوار؟"

رفع بارا حاجبيه بدهشة لهذا التساؤل.. أكان يعني ثوار ميركان؟.. أم أن هناك غيرهم؟.. حاول بارا دفع يد الجندي عنه وهو يقول بغضب "اتركني.. أنا لا أنتمي لأي فرقة.. هل وقوفي في هذا الزقاق يثير الشبهات حولي بتلك الصورة؟"

قال الجندي وهو يرفع جهاز اتصال في يده "سنرى بشأن حقيقتك هذه.."

لا يظن بارا أن الدورية التي مرقت في ذلك الطريق بعيدة، ولو عادت لهم فسيغدو وضعهم أكثر سوءاً وهربهم منهم مستحيلاً.. لذا تصرف بسرعة ودون تفكير وهو يرفع قدمه بضربة قوية في بطن الجندي ألقته خلفاً، لكن الجندي اعتدل بسرعة وهو يرفع بندقيته صائحاً "أيها الخسيس.. شكوكي بك كانت صحيحة إذاً.."

فاجأته ضربة قوية على رأسه من الخلف تهاوى على إثرها أرضاً، قبل أن يقوم صاحب تلك الضربة بإغماد

خنجره في عنق الجندي بقوة أردته قتيلاً على الفور.. وقف بارا الذي حمى مانا بجسده يراقب ما جرى بدهشة، ويتأمل الرجل الذي ظهر من العدم وأنقذهما دون سابق معرفة.. كان الرجل عادي الملامح والهيئة، يبدو كباقي سكان قانار، مما أدهش بارا لتجرئه على الجنود بهذه الصورة ودون وجل..

تلفت الرجل حوله بتوتر كبير، ثم أطلق صفيراً محدوداً يسمع بالكاد.. عندها لاحظ بارا المتحفز رجلاً آخر أتى راكضاً من مكان قريب.. فتعاون الإثنان على سحب الجندي الصريع بعيداً عن ذلك الزقاق وعن الأنظار.. غمغمت مانا بقلق وهي تتلفت حولها "علينا الرحيل قبل أن يدرك أحد الجنود ما حدث، ونقع تحت طائلة ذلك.."

رأيا ذلك الرجل يعود إليهما متعجلاً، فأمسك بذراع بارا قبل أن يتراجع وقال له بانفعال "تعاليا معي.. سيحضر الجنود خلال لحظات.. وسيمسحون هذا الحي مسحاً ويقبضوا على كل من يتواجد فيه.."

رغم استنكار بارا لهذا الأمر، لكن لم يسعه إلا إطاعته.. خاصة أن الرجل قد ساعدهما رغم خطورة ذلك عليه.. لذا لا مجال للشك فيه الآن واعتراض طلبه وهو يجهل تبعات ذلك.. نظر لمانا بقلق، فهزت رأسها موافقة على اللحاق بهذا الرجل.. سار الإثنان خلفه، عابرين عدة أزقة بعيداً عن الطرقات الرئيسية المكشوفة أكثر للعدو، ثم سمع بارا الرجل يقول بصوت خفيض وهو يتلفت حوله "حاولا عدم الاشتباك مع أي جندي، فهم مخوّلون بقتل سكان المدينة كائناً من كانوا ولأي سبب.. ولو تمكنت من الخلاص من الجندي وتركته مكانه، فما يحمله من أجهزة يمكّن رفاقه من استعادة آخر حوار دار مع قاتله بالصوت والصورة، وبذا لن يمكنك الفرار منهم بعدها مطلقاً.."

تساءل بارا وقد ازداد قلقه "وما الذي فعلتموه بذلك الجندي؟"

نظر له الرجل قائلاً "لحسن حظك كنتُ قريباً من المكان وجذبتني أصواتكم العالية.. لدينا من الخبرة ما يكفي للقضاء على أي دليل قد يدلّ عليك أو علينا.. وفوق ذلك سيقوم الرفاق بالخلاص من الجثة دون أن يعثر له الأعداء على أثر.."

سار بهم متجاوزاً ذلك الحي والحي الذي يليه، ثم وقف بهم في أحد الأزقة المطلّ على شارع به عددٌ من المارة يمكنهم الاندساس بينهم، ثم أشار لهما ليرحلا بصمت دون أن يلفتا الأنظار إليهما.. لكن بارا تساءل قبل أن يغادر "هل يمكنك أن تدلنا على مركز قيادة الجيش في قانار؟.."

نظر له الرجل بريبة، وتساءل "وما الذي تبغيه من ذلك المكان؟.. لقد أصبح الموقع خاوياً بعد الدمار الذي حاق به من هجوم الأعداء عليه.. فما سبب سعيك إليه؟"

أجاب بارا "أبحث عن فتاة.. عن فتاتين وصلتا لقانار خلال الأيام الماضية.. إحداهما كانت جندية سابقة في قانار، لذا ظننت أنهما ربما توجهتا لمركز الجيش فهي لا تملك مكاناً آخر تلجأ إليه.."

قال الرجل "لن تجدهما هناك.. لك كلمتي بذلك.."

قطب بارا قائلاً "لكن يجب أن أتأكد بنفسي.. لقد افترقنا في مير كان، وأغلب الظن أنهما أتتا لقانار بعد....."

كان الرجل ينظر في وجهه باهتمام في تلك اللحظات.. ثم أمسك كتفه بقوة قائلاً "أأنت من ثوار ميركان؟"

لم يكن ذلك هو واقع ما جرى، لكن بارا لم ينفِ الأمر بشكل كلي وهو يتساءل "وماذا في ذلك؟"

ابتسم الرجل عندها قائلاً "مرحباً بك في قانار إذاً.. سآخذك للرفاق، فلا بد أن يسعدهم وجود شخص مثلك خاصة مع الأسئلة التي تناثرت بيننا بخصوص حقيقة ما جرى في ميركان تلك الليلة.."

ونظر حوله بحذر للحظات، ثم قال "اتبعاني.."

ابتلع بارا أسئلته العديدة وهو يرمق مانا، لكنها بإشارة من رأسها أخبرته أنها ذاهبة معه حتى نهاية هذا الطريق، وحتى تعود به للمنزل.. غيّر الرجل وجهته وهو يسلك طريقاً جديداً ملتوياً بحيث لا يعترضه أي من الجنود أو الدوريات، فتبعه بارا ممسكاً يد مانا لئلا تفترق عنه مع سيرهما السريع ذاك.. بعد أن تجاوزا الأحياء القريبة، استطاع بارا أن يلمح ذلك السور العالي بأبراج المراقبة الواضحة مما دلّه أن ذلك هو مركز الجيش في قانار.. ورغم ثبات سوره في أغلب الأجزاء، لكن الناظر إليه لا يمكن أن يغفل عن الدمار الذي طال بعض جوانبه، وفور تجاوز السور يمكن رؤية أشكال الدمار والخراب الذي طال معظم أبنية القيادة وجعلها كومة من الحجارة والحديد لا غير..

بدت خطوات الرجل أكثر ثقة وهدوءاً فور تجاوزهم السور وسيرهم وسط الساحة وبين المباني المتهدمة.. حتى وصل الثلاثة إلى جانب من المكان ضمّ مستودعاتٍ واسعة عالية السقف، كانت تستخدم لحفظ المركبات والطائرات ومختلف الأسلحة والمعدات الضرورية للجيش.. ومن الأبواب المشرعة، بدا أن المكان قد أصبح خاوياً لا يرتجى منه أي خير.. لكن في أحد تلك المستودعات، لاحظ بارا أن الباب فتح

بشكل جزئي فور اقترابهم منه، فخرج منه عدد من الرجال وهم ينظرون له ولمانا بدهشة سائلين الرجل "من هما هذان يا هوتار؟.. كيف تحضرهما لهذا المكان؟"

ابتسم الرجل المصاحب لهما وهو يضع يده على كتف بارا قائلاً "أحضرت لكم أحد الناجين من مذبحة ميركان.."

التقت الأبصار ببارا بدهشة عميقة، فيما صمت بارا دون أن يتمكن من إنكار الأمر الآن أكثر مما مضى.. عندها قال أحد الرجال وهو يشير للمستودع خلفهم "تفضّلا بالدخول.. إنها لمعجزة أن تمكنا من رؤية أحد ثوار ميركان بعد كل ما سمعناه مما جرى هناك.. الكثير منا يحمل أسئلة لا تحصى بخصوص تلك الليلة.."

تقدم الرجال للمستودع، فتبعهم بارا ليلقي نظرة على المكان، حيث وجد أن المستودع الواسع عالي السقف قد تحول لمأوىً بسيط لعشرات الرجال، ولم يكن له ألا يلاحظ الأسلحة التي وضعت في جانب المكان بحرص.. تساءل بارا رافعاً حاجبيه بعجب لما يراه "من أنتم؟.. وما الذي تفعلونه هنا؟"

ابتسم هوتار قائلاً "وماذا ظننت؟.. نحن جنود قانار.. واجتمعنا هنا للثورة على العدو بالطبع.."

اتسعت عينا بارا بدهشة.. ما الذي سيقوله ياسان عن هذا الخبر وهو الذي لطالما صرّح برغبته في الانضمام للمقاومة بأي شكل من الأشكال رغم كل ما واجهه في ميركان ورغم إصابته الحالية؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم تدرِ جود متى أغمضت عينيها وغفت في جلوسها المتحفز ذاك في شاحنة الأعداء.. كل ما شعرت به هو تلك اليد التي هزتها بقوة لتنتفض جالسة وهي تمسك بندقيتها بشكل لا إرادي.. فرأت سيرا قربها وهي تهمس "لقد خففت الشاحنة سيرها.. أمامنا عددٌ من الجنود يقومون بتفتيش الشاحنات الأخرى، وقد يكتشفون أمرنا.."

هبّت جود لتنظر من الفرجة الصغيرة التي تتيح لها رؤية ما أمام الشاحنة دون أن تكشف نفسها.. كان البرد في هذه الأنحاء قارساً مقارنة بما كانوا فيه قبل أن تغرق في النوم.. وأدركت أنهم على ارتفاعٍ كبير فالثلوج

تتكاثف في زوايا الجبال وثناياها، والهواء الذي يخرج من فمها يتكاثف أمامها بسرعة لا تصدق.. وأمام رتل الشاحنات، رأت طرف مبنى حجري مرتفع يسمح لقاطنيه بمراقبة الطريق من الجهتين.. وسورٌ حديدي يقطع أي محاولة قد يلجأ إليها أي شخص للمرور نحو الجهة الأخرى..

كانت تلك الحدود بين المملكتين بالفعل، ونزول الجنود من شاحناتهم دليلٌ على خضوع الشاحنات للتفتيش وربما خضع الجنود لذلك أيضاً.. رأت سيرا تتراجع للخلف هامسة "علينا أن نغادر.."

أمسكت جود ذراعها بقوة قائلة بخفوت "لا.. سيقتلوننا قبل أن نبتعد خطوات.. فلنصبر ونرَ ما سيجري.. ربما لا يلجأ الجنود لتفتيش هذه الشاحنة لأنها لا تحتوي إلا على المعدات.."

وجذبت سيرا لتدفعها بين بعض المعدات التي تخفيها عن الأعين، وسحبت غطاءً كان يغطي محركاً وضع على أحد الصناديق، فرمته على سيرا لتخفيها متغاضية عن رائحته القوية ومظهره القذر.. وهمست لها "سأراقب الوضع.. ولو اقترب منا أحد، فسنغادر بالقوة ونشق طريقنا بينهم بأسلحتنا.. لكن حتى ذلك الوقت، لا أريد المغامرة بالقيام بهذا التصرف قبل الأوان، وقبل أن نتجاوز الحدود بالفعل.."

انزوت بدورها في أبعد زاوية من الشاحنة وأمسكت بندقيتها بقوة وهي تتأكد مما تحويه من الذخيرة.. كانوا في موقفٍ لا يحسدهما أحد عليه.. ورغم أن جود كانت تتوقع أمراً كهذا، لكنها ظنت أن الشاحنات لن تخضع للتفتيش لأنها تنتمي للجيش، وليس بها ما يثير شك الجنود على حدود المملكة..

بدأت بعض الشاحنات تواصل سيرها بعد أن انتهى تفتيشها، وعاد إليها الجنود لتتجاوز البوابة التي تغلق هذا الطريق وتمنع أياً كان من تجاوزه دون إذن.. وخلال وقت قصير لاحظت من الفرجة الضيقة اقتراب اثنين من الجنود يحملان بنادقهما على كتفيهما، وثالثٌ يتبعهما قائلاً "لا أدري ما الداعي لتفتيش هذه الشاحنة.. إنها لا تحوي إلا بعض المعدات.. لا أظنكم تشكون بأنني أحمل ثائراً من ثوار مملكة الغمام مندسّاً بينها.."

قطبت جود وهي تسمع هذا القول، وهو ما قد يثير شك الجنود أكثر ويدفعهم لتفتيش الشاحنة بالفعل.. بدأت تتحفز أكثر وهي تقبض على بندقيتها وتضع إصبعها على الزناد بانتظار اللحظة التي ينكشف فيها أمرها.. سحبت ساقيها أكثر نحو جسدها خوفاً من أن يلمحها أحدهم، وأنصتت للأصوات التي تقترب من مؤخرة الشاحنة، قبل أن تسمع الغطاء الذي يغطي تلك الجهة من الشاحنة يرتفع، وصوت قدمين

تسيران عدة خطوات بين تلك الآليات.. عندها تعالى صوت الجندي الثالث متذمراً "هل لك أن تسرع؟.. لدينا أوامر صارمة من القيادة أن نحضر هذه الآليات لاستبدالها والعودة بالجديدة منها بسرعة خلال وقت زمني محدود.. لن يتفهم أحدهم التأخير الذي سيحصل بسبب هذا التفتيش المطوّل.."

قال الجندي الأقرب إليهما بحزم "وأوامرنا أيضاً لا تقبل الاستثناءات من أي أحد.. لذا ستصمت وتدعنا نقوم بعملنا وإلا طال انتظارك أكثر.."

تقدمت خطواته أكثر، وتأهبت جود أكثر وهي تلقي بنظرة صامتة على سيرا المندسّة، وتساءلت في سرّها إن كان يجب أن تندفع الآن وتحاول إسقاط الجنود الثلاثة قبل أن يراها أحدهم ويأخذ حذره.. تقدمت الخطوات حتى وقفت على بعد متر أو أكثر قليلاً من موضع جود، وتمكنت من رؤية طرف خوذة ذلك الجندي وهو يتفحص جانباً من المكان مولياً إياها ظهره.. تحفزت جود بشدة وهي تثني ساقيها على أهبة الاستعداد للقفز في وجه ذلك الجندي، وقبل أن تفعل تعالى ذلك الصياح من أمام الشاحنة وأحد الجنود يقترب منهم بسرعة قائلاً لرفاقه "وصلنا اتصالٌ من القيادة في شادين.. يبدو أن الضابط الذي يرافق هذه الشاحنات قد أبلغ بالتأخير الحاصل قرب الحدود.. وهم يأمروننا بإطلاق الشاحنات دون أي تفتيش.."

كتمت جود أنفاسها بقوة، وسرعان ما سمعت الخطوات تتراجع وأحدهم يقول بضيق "لقد أخبرتكم.."

أرخى أحد الجنود الغطاء على الشاحنة وقال "نحن لم نكن ننفذ إلا الأوامر التي أصدرت إلينا.. فلا يحق لك أن تتذمر.."

سمعت صوت باب الشاحنة في المقدمة يفتح ويغلق، ثم بدأت الشاحنة بالتحرك ببطء حتى تجاوزت البوابة المعدنية قبل أن تتسارع في سيرها وهي تسلك ذلك الطريق المعبد مخترقة الجبال التي اكتست قممها بالثلج.. أخيراً، تجرأت جود لتطلق أنفاسها بتنهيدة مكتومة، ثم أرخت يدها المتشنجة عن البندقية، فيما دفعت سيرا الغطاء عن رأسها مشمئزة وهي تهمس "كاد ينكشف أمرنا.."

غمغمت جود "لكن ذلك لم يحدث.."

ونظرت عبر الفرجة للطريق الذي يتلوى أمامها عابراً الجبال التي امتدت حتى الأفق.. ترى كم ساعة ستمر قبل أن يتجاوزوا هذه الجبال؟.. لحسن الحظ، التوتر الذي شعرت به سابقاً قد أزال البرودة التي كانت تعتريها، لكن هذا لم يجعل موقفهما أسهل.. خاصة مع الجوع الذي يعتصر بطنها، وعدم قدرتها على

مغادرة الشاحنة لأي سبب حتى تصل لوجهتها مهما كانت تلك الوجهة..

كانت الشمس قد ارتفعت في السماء متجاوزة قمم الجبال القريبة، وبدأت تلقي نورها على المكان والثلوج تبدأ بإرسال أمواجٍ خفيفة من البخار مع تعرضها لحرارة الشمس التي لم تفلح في إذابتها كلياً.. الآن، بعد الحدث الذي وتر أعصابهما بشدة، طار النعاس من عيني جود وسيرا وهما ترمقان البلاد التي لا تختلف كثيراً عن الأرض التي غادرتاها قبل قليل.. تفكران في حال الرجل الذي تسعيان خلفه.. وما آل إليه أمره في الأيام القليلة الماضية.. وتتساءلان إن كان لكل الجهود التي يبذلانها للحاق به أي معنى..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل العاشر)
مملكة الضياء : الأمير الغائب

لما تمكن رادال من تمييز ما يراه، واعتادت عيناه على الضوء المفاجئ بعد أن سجنه مختطفوه في تلك الغرفة المظلمة من الطائرة مقيد اليدين والقدمين، ظل يرمق الرجل الواقف أمامه بشيء من التحفز والتوتر ودهشة لا يمكن إنكارها.. كان يدرك أن اختطافه بواسطة جنود مملكة الضياء يعني أن سوريم قد عرف بوجوده وأدرك نواياه.. ما يدهشه أنه لم يأمر بقتله فوراً.. وما يدهشه أكثر أن من رآه الآن لم يكن سوريم، بل كان رجلاً أكبر عمراً، قصيراً شيئاً ما واضح السمنة بكرش متمدد، وإن كانت ملابسه الغالية الفخمة تدل أنه ليس مجرد وزير أو معاون للملك.. والخواتم الذهبية بالإضافة للقبعة الصغيرة بالريشة الناعمة البارزة منها أيضاً دليل آخر أن من يقف أمامه شخصٌ مهم وذو نسبٍ، أو مالٍ، يعتدّ به..

لم ينتظر الرجل تعليقاً من رادال حال رؤيته، بل فرقع إصبعين من أصابعه نحو جندي وقف خلفاً، فبادر الأخير للاقتراب من رادال المتحفز وقام بفك قيوده بسرعة بينما قال الرجل "لا تكن متوجساً بهذه الصورة أيها الأمير.. فنحن لا نريد بك شراً.."

واتسعت ابتسامته مضيفاً "بالعكس.. ربما يطيب لك البقاء معنا وتجد لدينا ما يسرك.."

لم يتمكن رادال من فهم مغزى هذا الحديث، فقال وهو يقف نافضاً يديه بعد القيد القوي الذي جمّد الدم فيهما "ما معنى كل هذا؟.. هل أرسلك سوريم لاختطافي؟.. وهل كان الجاسوس هو من أبلغه بهويتي وبوجودي مع الثوار؟"

قال الرجل وهو يتقدم منه "بالفعل، الجاسوس هو من أبلغني بذلك.. لكنه ليس جاسوس سوريم، بل جاسوسي أنا.."

وانحنى انحناءة خفيفة مضيفاً "دعني أقدم نفسي لك.. أنا ترياش، والي مدينة باتير، وأحد أثرى رجالها وسليل أنبل عائلاتها.."

وتقدم من رادال قائلاً وهو يمد يده "لم أتمكن من الصمت عندما علمت بوجودك، وعلمت بنوايا سوريم من اختطافك.. لذا، كان لابد أن أتدخل بأي صورة.. وأن أحضرك إليّ قبل أن تصل إليك يد سوريم.."

لم يتمكن رادال من رفض يد ترياش الممدودة، فصافحه وترياش يقول بتأكيد "أنت أصبحت بأمانٍ هنا أيها الأمير.. ثق أنني سأسعى بكل ما أملك لحمايتك وللحفاظ عليك.."

لم يقدر رادال على الشك بنوايا ترياش، وقد أدرك من حديثه أنه معارضٌ لما يفعله سوريم، ومن تحدثه عن سوريم دون ألقاب أنه يرى نفسه نداً له لا مجرد نائب أو معاون له.. مهما كان هدف هذه المعارضة، فليس من مصلحة رادال في تلك اللحظات أن يرفض ما يقدم إليه.. خاصة بعد أن علم سوريم بوجوده وبدأ السعي خلفه..

تقدم رادال تابعاً إشارة ترياش، وسار في ممر الطائرة ملاحظاً وقوف الجنود جانباً باحترام واضح ووقفة مميزة ضامّين أذرعهم لصدورهم بأيدي مفرودة.. لم يعلق رادال وهو يسير جنباً لجنب مع ترياش الذي أشار لرجلٍ وقف خارج الطائرة بانتظاره "أحضر لي العربة الملكية.. وأبلغ القصر بقدومنا بعد لحظات، ليستعدوا بلجنة الترحيب بضيفنا العزيز.."

سرعان ما رأى رادال تلك العربة الملكية ذات الزخارف والزينة المبالغ بها، والتي يجرها حصانان أبيضا اللون، كسيا بقماشٍ حريري لا يحلم العامة برؤيته ناهيك عن لمسه، والشمس تعكس نورها على تطريزاته الفضية والأحجار المنثورة بينها.. وفي قلب العربة، لم يكن الأمر أقل فخامة وبذخاً، وإن لم يذهل ما رآه رادال الذي كانت هذه الفخامة آخر همّه ومطلبه..

فور استقرارهما في العربة التي بدأت الحركة بسلاسة، تساءل رادال وهو يريح جسده على المقعد الوثير بعد ليلة طويلة قضاها مقيداً "لو كنت تعلم من أنا، لمَ احتفظ بي الجندي التابع لك مقيداً طوال هذه المدة؟"

أجاب ترياش بسرعة "لقد خشينا من مقاومتك، ومحاولتك التخلص من الجندي أو الهرب عند أدنى فرصة.. لا أظنك كنت ستصدقه لو أخبرك أنه قد جاء لإنقاذك، خاصة أن تلك الطائرة قد جاءت للقبض عليك واصطحابك لشادين بالأساس.."

عاد رادال يتساءل "لكن كيف تمكنت من تحويل مسار الطائرة من شادين إلى باتير؟.. ألن يشتبه سوريم بالأمر؟.."

قال ترياش بثقة "هذه الطائرة قد أرسلها سوريم بشكل مخصوص لاصطحابك، وعليها أحد أخلص جنوده.. لكنه لم يعلم بأن ذلك الجندي كان يأتمر بأمري، وقد قام بالتخلص من بقية الجنود المرافقين له لئلا

يفضحوا أمره، وفور تجاوزه حدود المملكة قاد الطائرة مباشرة لباتير.."

قطب رادال شيئاً ما، وهو عاجزٌ عن معرفة عواقب مثل هذا العمل.. ألن يدرك سوريم الأمر مع غياب الطائرة؟.. وكأن ترياش سمع أسئلته، فقد أجاب بسرعة "بالطبع، لا بد من تقديم طعمٍ مناسب لسوريم كي لا يشك بأمرنا.. لذا قمت بإسقاط طائرة مشابهة للتي جاءت بك في قلب السلسلة الجبلية التي تفصل بين حدود المملكتين.. ووضعنا فيها جثث الجنود الذين تخلصنا منهم ثم أحرقناها بشكل كامل كي لا يتعرف أحد على هوياتهم.. وبذا، سيظن سوريم أن طائرته قد سقطت لسبب أو لآخر، وأنك قد قضيت نحبك فيها وتخلص منك للأبد.."

تساءل رادال بحيرة وتوجس "وما هدفك من هذا كله؟"

أحنى ترياش رأسه قائلاً بلهجة مداهنة "أنا لا أستطيع التغاضي عما يجري للملك الحقيقي لهذه البلاد.. سأكون معك، وسأساندك في كل ما تطلبه حتى تجلس على عرش المملكة بالفعل.."

اعتدل رادال دون أن تخدعه تلك الكلمات وقال بتقطيبة "لو لم تخبرني بحقيقة الأمر، فلن أقبل عرضك هذا.. ما حقيقة غرضك من تأليب الملك ضدك وخسارة كل الأموال التي ستدفعها في سبيل مساندتي؟"

ظل ترياش يرمقه بابتسامة للحظات، ثم نظر للطريق الذي تسير عليه العربة قائلاً "سأخبرك بكل ما تحبه يا مولاي.. علينا أولاً أن نعتني بك ونعيد لك صحتك ونشاطك.. اليوم، ستصبح شخصاً آخر مع كل الترف الذي ستجده في قصري وفي مدينتي.."

لم يعلق رادال بالرفض أو الإيجاب.. لم يأتِ لهذا العالم للحصول على بعض الترف، ولم يكن يبحث عما يريحه ويسعده.. لكن قبول عرض ترياش هو الحل الأمثل في هذا اليوم.. هذه هدية من السماء جاءته لتنقله من حالٍ لحال.. وهو خير من يستغل مثل هذه الفرصة ويتماشى معها قبل أن تتسلل من بين أصابعه..

رمق رادال المدينة الغريبة التي تتمايل أمام عينيه مع تمايل العربة.. لقد ترك خلفه ما لن يتمكن من نسيانه قط.. لوهلة، طغى قلقه لما سيجري له عما جرى بالفعل في الليلة الماضية.. لكنه كلما التزم الصمت، عادت له تلك المناظر القاسية للقذائف التي تتساقط كحبات مطرٍ هائلة الحجم وضياؤها ينير الأفق بضوءٍ أحمر يثير الوحشة في قلب من يراه..

ربما كان من رحمة السماء به أنه لم يبقَ في ذلك المكان يرمق الأشلاء المتناثرة أمامه لوقت طويل.. لو ظل في

ذلك المكان، وخيالاته تهيئ له ما لم يره بعد، فلا أقل من أن يحنّ جزعاً لما جرى.. أو يحنّ فَرَقاً للأيام التي ستأتي وهو يتجرع مرارة ذكراها وفقدها قبل أن تبدأ حكايتهما بالفعل.. لم يتوقع رادال أن يشعر بالأسى والصدمة لفكرة موت جود.. ولم يظن لوهلة أن تلك الفتاة ستحظى بأهمية لديه توازي أهمية الهدف الذي يسعى إليه، وفي بعض اللحظات تفوقت عليه في ذلك.. لكن ما الفائدة من اجترار تلك الذكرى؟.. لقد أصبحت من ماضيه بأسرع مما توقع أو تمنى.. والتفكير فيها لن يجلب له إلا المرارة والحزن في وقت لا يتحمل منه تلك الانفعالات الحاشدة وتبعاتها.. فهل يمكنه أن ينسى؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

بعد يومٍ قضاه رادال في القصر بصمت والخدم يقفون عند رأسه بانتظار أي إشارة منه أو طلب يطلبه.. وبعد ليلة قضاها في فراشٍ وثير في أفخم أجنحة القصر، رغم أنه لم يذُق لحظة نومٍ أو راحة عليه.. التقى بترياش في اليوم التالي وقد استعاد بعضاً من حيويته ونشاطه وبدأ يومه بعزمٍ وإرادة قوية للمضيّ قدماً مهما جرى، وسيجري في أيامه القادمة..

وقف في أعلى شرفات القصر يراقب مدينة باتير الجميلة التي تقع عند سفح تلك السلسلة الجبلية المهولة التي تمتد كحدٍّ فاصل بين الممالك الأربع.. كانت النسائم محمّلة برائحة الجبال باردة، رغم الشمس المضيئة، وبدت له المدينة ترفل بالنور كما لم يعتدْ قط في أرض الهوام.. بدت له البيوت التي غلب عليها اللون الأزرق كامتدادٍ للسماء الصافية، أو كبحرٍ يموج بمن فيه من البشر..

سمع صوت مضيفه يعلق وهو يقترب من خلفه "ألا تبهرك هذه المدينة؟.. عندما توليت حكمها، بأمر من أبيك توريك، كانت مجرد مدينة تعيسة أهملها أصحابها وغادر الكثير منهم للعاصمة بحثاً عن حياة أفضل.. لكني سعيت وبذلت ما لديّ من وقت وجهد ومال للنهوض بها، ولرفعها في مصاف أفضل المدن في مملكتنا.. وها هي، باتير الوجهة السياحية الأولى للمملكة وللأغنياء منهم.. وكل فرد يتنافس للحصول على قصرٍ فيها والهروب إليها عندما تضيق به الحياة في شادين.."

تساءل رادال "وما الذي حداك للقيام بكل هذا المجهود؟"

أجاب ترياش باعتداد "لأنني لا أرضى بأن أعيش في مدينة عادية مهملة.. ما دامت هذه ستكون مأواي لما بقي من عمري، فعليها أن تستحق ذلك.."

كانت كلماته تدل رادال على فخر ترياش بنفسه واعتداده بها، لكنه لم يميّز حتى الآن أي غرور أو تكبر.. أو أن مضيفه حرص على إخفاء هذه الخصلة عمن سيكون ملكه المستقبلي بالفعل..

تراجع ليجلس على كرسي وثير قرب طاولة تتوسط الشرفة وتظللها مظلة منقوشة بهيجة الألوان.. ولما استقر ترياش أمامه سأله رادال "والآن، بعيداً عن كل المهاترات والكذب الذي يجيده أمثالك، أخبرني بالسبب الحقيقي الذي يدعوك للوقوف معي ضد الملك الذي تدين بالولاء له.."

تغاضى ترياش عن الإهانة غير المباشرة التي وجهها له رادال، وقال بحزم "ولائي للملك مرتهنٌ بكرامتي.. ولا ولاء لمن يحطّ بها بأي شكل من الأشكال.."

تساءل رادال بدهشة "هل أهانك سوريم بصورة ما؟"

أجاب ترياش بإباء "الإهانة في شخصي قد تكون مقبولة، في حالاتٍ خاصة، وقد أقبلها من الملك كما لا أقبلها من غيره.. لكن إهانة أقرب الناس إليّ، هذا ما لا أرضاه من أي شخص في هذا العالم.."

ظل رادال ينظر له بدهشة واهتمام، متسائلاً في نفسه عن الإهانة التي قد تدفع رجلاً مثل ترياش للمغامرة بمنصبه ومكانته وربما حياته لقلب الحكم ضد من أهانه.. فقال ترياش وابتسامته الدائمة تزول والجهامة تعلو ملامحه "لقد قبلتُ دعوة من الملكتين، أمك وجدتك، لتكون ابنتي الوحيدة باناس زوجة ثانية للملك سوريم.. كان عرض الملكة الكبرى مغرياً، أن تصبح ابنتي زوجة الملك وملكة البلاد إن تمكنت من إنجاب وريث للعرش.. هذه أفضل مكانة قد تستحقها جميلتي الوحيدة.. لكن سوريم طردها من القصر، أمام الملكتين وأمام الخدم كلهم.. بل وأخبرها أن تبلغني أنني مقالٌ من منصبي ومن جميع ألقابي.."

وأطلق ضحكة عصبية مضيفاً "وكأنني سأترك كل هذا بنفسٍ راضية.. لذا كان غضبي شديداً وأنا أرى دموع ابنتي للإهانة التي لحقتها في شادين.. ولذا قضيت الأيام مسهداً لا أكاد أذوق نوماً وأنا أفكر بطريقة لأرد لابنتي كرامتها أمام الجميع كما أهينت أمامهم.."

ثم قال وهو ينظر لرادال بهدوء "لو لم تأتِ أنت، لوجدت وسيلة أخرى للإطاحة بسوريم.. فأنا لا أبتلع الإهانة راضياً مطلقاً.."

تساءل رادال بدهشة "ألا تخشى على ابنتك لو طالك غضب سوريم؟.. لو قام سوريم بقتلك انتقاماً لمحاولتك الإطاحة به، لربما كانت نهاية ابنتك مشابهة، أو ربما أسوأ.."

أجاب ترياش بثقة "لن يحدث ذلك.. قبل الكشف عن أنفسنا، سأرسل باناس لمملكة النبع المقدس، عند أحد أعز أصدقائي والذي سيرعاها ويحميها حتى تستقر الأمور لنا.. وسأبقي لها جزءاً كبيراً من أموالي لديه تحسباً لفشلنا في هذا الأمر.."

ثم مال تجاه رادال واضعاً راحة يده على الطاولة أمامه، وقال بحزم "لكني لا أنوي الفشل.. ضع في ذهنك أنني لم أبدأ إلا وأنا واثقٌ من النجاح، ولن أرضى بغيره مطلقاً..... يا مولاي.."

ثم استرخى في كرسيه من جديد والابتسامة تعود لشفتيه، ولم يكن رادال مرتاحاً لها هذه المرة بشكل كلي.. هذا الرجل لا يردعه شيء، وربما لن يقدر رادال أن يثق به ثقة كاملة ويثق بولائه المطلق.. لكنه مجرد أداة، ووسيلة في الوقت الحالي للوصول للعرش.. ورادال، الذي لا يملك من هذه الدنيا شيئاً، لا يمانع المقامرة بحياته ذاتها ليصل لهدفه الذي لم يعُدْ بعيد المنال كما كان قبل عدة أيام..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

جلس سوريم قرب طاولة دائرية عريضة تتوسط قاعة جانبية من قاعات القصر مخصصة لاجتماعاته بوزرائه ورجالات مملكته بعيداً عن العرش.. ظل سوريم يجذب بضع شعرات من لحيته بتفكير وتقطيبة ظاهرة ورئيس جيوشه بيزاراك يجلس على كرسي قريب قائلاً "عثرنا عليها وسط الجبال، بعد أن تجاوزت حدود مملكتنا بالفعل.. كانت متفحمة بشكل كامل، لكننا تيقّنا أنها طائرتنا وتأكدنا أن أحداً من ركابها لم ينجُ من هذا السقوط.. فبقايا أجسادهم لا تزال في حطامها دون أن تمتدّ إليها يد عابث.."

قال سوريم بتقطيبة "مادامت متفحمة، كيف عرفتم أنها الطائرة المنشودة؟"

أجاب بيزاراك بسرعة "لأننا توثقنا أنها إحدى طائراتنا، ولم يكن مخططاً مرور إحداها في ذلك المسار ذاك اليوم إلا هذه الطائرة.. ثم إن عدد القتلى داخلها يتطابق مع عدد ركاب طائرتنا المنشودة.. خمس جنود، ورجلٌ واحد.."

فقال سوريم بحدة "هذا ليس كافياً.. أريد أن تتأكد لي بشكلٍ قطعي أنها هي المنشودة.."

تساءل بيزاراك بضيق "وما الداعي لذلك يا مولاي؟.. مع احترامي لرغباتك، إلا أن إصرارك الشديد لإحضار ذلك الرجل من ميركان يثير الدهشة.. ألا يكفي أنه مات؟"

أجاب سوريم بصرامة "وما أدرانا أنه مات بالفعل؟.. لن أركن للراحة قبل أن أتأكد من ذلك بما لا يقبل الشك.. ألم تقل لي إن الجنود قد تأكدوا من هويته بالفعل؟.."

غمغم بيزاراك "بلى.. لقد رأوا الشعار واضحاً أسفل عنقه.. لكن من الاستحالة الاستيثاق من ذلك مع الأجساد المتفحمة التي عثرنا عليها.. ولولا الخوذات التي يرتديها جنودنا لما تمكنا من التفريق بينهم وبينه.."

فقال سوريم بحزم "إذن لو اتضح أنه لم يكن في الطائرة، ولم يمت، هل ستتحمل تبعات مثل هذا الإهمال؟.."

خفض بيزاراك رأسه بصمت للحظة، ثم قال "سأرسل من يتفحص حطام الطائرة من جديد.. هناك رقمٌ تسلسلي محفوظ في طائراتنا كلها.. وهو محفورٌ في أحد جوانبها الداخلية بعيداً عن أي دمارٍ أو تحطيم يطال الطائرة.. بواسطته، سنعرف إن كانت تلك هي ذات الطائرة التي غادرت الثكنة قرب ميركان أم أننا تعرضنا لخدعة ما.."

ثم نظر للملك قبل أن يجرؤ على طرح سؤاله "أتظن أن شخصاً ما في مملكتنا له مصلحةٌ في خداعنا بهذه الصورة؟.. ما الذي قد يستفيده أي شخصٍ من تهديد أمن المملكة برعاية مثل ذلك الرجل ونحن نجابه هذه الحرب التي لم تستقرّ بعد؟.."

قال سوريم عابساً "لا أدري حتى الآن، لكني سأعرف ذلك قريباً دون شك.. ومهما كانت هويته، وصفته، فسيلقى الجزاء الرادع على ذلك دون شك.."

حنى بيزاراك رأسه دون تعليق، ثم نهض وغادر بخطوات حازمة سريعة.. فيما ظل سوريم يجذب شعر لحيته بعصبية أكبر وهو يدمدم ببغض "إنه حي.. فلتقطع عنقي لو لم يكن كذلك.. لو لم يمت بعد سقوطه نحو أرض الهوام، كيف لسقوط طائرة أن يقتله؟!.."

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم تمضِ ساعتان هادئتان على جود وسيرا منذ دخولهما مملكة الضياء على ظهر تلك الشاحنة التي تنتمي لجيش العدو.. بعد تلك الساعتين، وكلتاهما تتجاهل الجوع والعطش الذي ألمّ بهما رغم ما أحضرتاه معهما من زاد قليل، بدأت الجبال تنحسر عن تلال عالية وتشكيلات صخرية عظيمة تبدو بهيئتها كأنها أجساد بشرية لعمالقة متحجرة.. كانت هيئتها غريبة، وجذبت انتباه الفتاتين وهما تلاحظان إحدى المدن التي تبدو على مبعدة والطريق يقود إليها مباشرة..

بدأت الشاحنات تتباعد أكثر فأكثر بعد انحسار الجبال وسلاسة الطريق أمامها، فتزايدت سرعاتها وأفرادها مطمئنون أنهم لن يواجهوا ما يعكر صفو رحلتهم هذه حتى يصلوا نهايتها.. لكن هل هي متجهة إلى شادين؟.. أم إلى مدينة أخرى؟.. هل ستتوقف الشاحنة في المدينة الماثلة أمامهم؟.. فكرت جود بأنه يجدر بهما الهرب قبل وصول الشاحنة للمدينة، فلا تدري متى تجدان نفسيهما وسط فرقة كاملة من الجنود دون أن تجدا وسيلة للهرب..

نقلت أفكارها هذه لسيرا، فعلقت سيرا قائلة "أنا مع هذا الرأي.."

وأشارت بذقنها للمدينة التي تقترب منهم مضيفة "هناك بعض الأحياء الفقيرة حول هذه المدينة، ويمكننا رؤيتها بوضوح.. ربما لو هربنا أثناء مرور الشاحنة بها، فستتجاوز أي مخاطر قد تنطوي على اكتشاف أمرنا من قبل الجنود.. وربما نحصل على بعض الطعام كذلك.."

استقرتا على هذا الرأي، واستعدتا للنزول فور أن تخفف الشاحنة سيرها قرب تلك الأحياء كثيفة السكان.. كانت الأحياء التي تحيط بالمدينة ذاتها فقيرة بشكل فاحش، يسكنها من لم يجد لنفسه مكاناً لسكنى الأحياء الأنظف والأرقى من المدينة، مستخدمين أي خردة لبناء مساكن بدائية بائسة المنظر.. بالنسبة لجود، كانت تلك الأحياء أسوأ حالاً مما رأت عليه القرية في أرض الهوام.. ولم يكن ذلك المنظر معهوداً بالنسبة لها وقانار تتحلى بأجمل وأنظف الأحياء في العالم السامي كله..

سارت بهم الشاحنة متجاوزة أطراف تلك المدينة، والأنظار تتابعها من سكان تلك المناطق دون اهتمام حقيقي.. حتى وجدت جود أن الشاحنة تسلك طريقاً يعبر تلك الأحياء ويبتعد بها عن المدينة دون الولوج

بقلبها، وهذا دليلٌ أنها ستواصل سيرها نحو وجهة أخرىٰ لا تعلمها..

كان الوقت يمضي والشاحنة تكاد تغادر تلك المناطق السكنية المزدحمة، لتعود لسيرها وسط السهول حيث الهرب أصعب وأكثر خطورة.. عندها قامت بأول تصرف طرأ لذهنها، وهي توجه مؤخرة بندقيتها بضربة قوية نحو مقدمة الشاحنة التي يجلس فيها السائق وأحد الجنود..

كانت الضربة مفاجئة للسائق، وموقعها القادم من الجزء الخلفي من الشاحنة مشبوهاً مما دعاه ليدوس المكابح بقوة حتىٰ جعلها تتوقف وإطاراتها تصدر صريراً واضحاً لعدة أمتار قبل أن تتوقف تماماً.. نظر لرفيقه قائلاً "استطلع سبب هذا الصوت الغريب.."

دمدم الجندي وهو يفتح باب الشاحنة "لا بد أنه أحد الصبية الحمقراء رمىٰ بصخرة أو ما شابه علىٰ الشاحنة.."

لكنه فور أن وضع قدميه علىٰ الأرض، لاحظ جسدين يغادران الشاحنة قفزاً ويندسّا بين الجموع التي وقفت علىٰ جانبي الطريق تراقب ما يجري.. صاح الجندي بصدمة وأسرع يرفع سلاحه مندفعاً في الاتجاه ذاته، لكن جود وسيرا كانتا قد تغلغلتا بين العامة وتجاوزتا أقرب المساكن دون تريث..

نزل سائق الشاحنة ينظر لما يجري، وتفحص العربة الخلفية بدهشة، حتىٰ عاد له الجندي قائلاً باستياء "هذان الوغدان.. لا أدري ما الذي حاولا فعله في الشاحنة.. هل كانا مندسّان بقلبها؟"

أجاب السائق وهو يرخي الغطاء الذي يغطي مؤخرة الشاحنة "يبدو كذلك.. لكن ما الهدف؟.. لا يبدو أن الآليات قد تم المساس بها إطلاقاً.."

قال الجندي عابساً "علينا أن نطلب من رجال الصيانة الحذر عند التعامل مع هذه الشحنة.. من يدري ما الذي ارتكبه أولئك الأوغاد فيها.. ربما كانوا من الثوار بالفعل.. علينا رفع تقرير....."

قال السائق بسرعة "إياك.. ستتعرض للمساءلة دون سبب حقيقي.. لم يتهاون أحدنا في عمله، ورغم ذلك، لا يمكننا إثبات خلوّنا من مسؤولية ما جرى.."

وعاد لمقدمة الشاحنة مضيفاً "لا تجعل الأمر أكثر سوءاً مما نحن عليه.. فلنعد لطريقنا ولنتاسى كل ما جرى الآن.."

عبس الجندي بصمت وعدم اقتناع، لكنه لم يعترض وهو يصعد للشاحنة بدوره لينطلق بها سائقها وهو يطلق التنبيه العالي مراراً ليجبر العامة على الابتعاد عن طريقه بعد أن تكاثفوا حول الشاحنة..

في تلك الأثناء، توقفت جود وسيرا عن الركض أخيراً قرب أطراف ذلك الحي، وبينما لهثت سيرا بتعب، فإن جود تأملت الموقع حولهما بحذر خشية لحاق الجندي بهما.. ثم قالت وهي تبعد خصلات شعرها القصير عن وجهها "لنذهب.. ما يزال الطريق أمامنا طويلاً لشادين.."

اعتدلت سيرا وهي تتأمل المساكن البائسة حولهما والأعين الفضولية التي ترمقهما، ثم قالت "وكيف سنرحل إليها؟"

أجابت جود وهي تكمل سيرها "سنتدبر أمرنا.. علينا أولاً الخلاص من هذه البنادق فهي ستثير التساؤلات حول هويتنا.. خاصة لو كان بها ما يدل على انتمائها لجيش المملكة.."

قالت سيرا باستنكار "وهل نبقى مجردتين دون أسلحة؟"

أجابت جود "بل سنقايض هذه البنادق ببعض الخناجر أو ما شابه.. هذا أفضل من بندقية لا يمكنك استخدامها.."

دمدمت سيرا بغيظ "أتهزئين بي؟"

لم تعلق جود وهي تعاود مسح الموقع بنظرات حذرة.. عليهما ألا تلفتا الأنظار إليهما طوال الطريق إلى شادين.. لا تعلم كم سيطول بهما السير إليها.. لكن هل تملكان حلاً آخر؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

بعد أيامٍ قليلة من وجوده في هذا القصر، قَبِل رادال دعوة ترياش للقاء ضيفة هامة وصلت في هذا اليوم

لباتير.. لم يكن من عادة رادال الإلحاح للحصول على أجوبة وهو لا يعلم هوية تلك الضيفة ولا أهميتها، فالتزم الصمت سائراً عبر ممرات القصر برفقة ترياش مستمعاً لأحاديثه المتحمسة بصمت كعادته.. كانت الأمور التي تشغل ذهنه في تلك اللحظات أكثر من أن يستطيع التعبير عنها ببضع كلمات.. لكن أفضل حل هو في دفعها كلها جانباً وانتقاء الأهم والأكثر إلحاحاً وحلّ الإشكال حوله قبل المضيّ نحو أمرٍ آخر..

لم يستوعب الكثير مما سرده عليه ترياش في سيرهما ذاك، حتى رآه يقوده نحو غرفة واسعة فخمة بنافذة عالية تطل على الحدائق البهيجة والسلسلة الجبلية الشاهقة خلفها.. لاحظ رادال على الفور تلك المرأة التي جلست على كرسي وسط الغرفة بصمت فاردة ظهرها والهدوء يلفّها موجهة وجهها للنافذة المقابلة.. ولولا الخصلة الرمادية التي تتخلل سواد شعرها لظنّها ابنة ترياش المذكورة سابقاً..

لم يعلق رادال على ما يراه وهو يتقدم برفقة ترياش الذي ازداد حماسه وهو يقول "مولاي.. اسمح لي بأن أعرفك بضيفتنا الهامة.."

وتقدمه بخطوات سريعة حتى وقف أمام المرأة منحنياً لها باحترام بالغ قائلاً "مولاتي.. ها هو الضيف الذي وعدتك بلقائه.. وإنه من دواعي سروري أن أكون السبب في هذا اللقاء المجيد.."

قالت المرأة بصوتٍ يظهر لا مبالاتها "أرجو أن يكون الأمر يستحق العناء.. أنا لم أكد أستقر في كيينا عندما وصلني اتصالك.."

وأدارت رأسها بخفة ملقية نظرة على القادم خلف ترياش.. وفور أن لمحت رادال، أجفلت شيئاً ما لرؤيته، بحجمه وطوله وهيئته الحادة التي لم تعتدها بين الرجال في مملكة الضياء.. ورغم أن رادال عرفها على الفور، فملامحها وملامح أبيه لم تكن مما قدر على نسيانه بسهولة، إلا أنه تجمد بشكل تام وهو يرمقها غير مدركٍ لما عليه فعله..

إنها أمه.. وللأم مكانة في قلب أي طفل، أو رجل، مهما فرّقت بينهما السنوات.. لكن كل ما يذكره رادال منها وجهها الشغوف وهي تراقب خطوات إعداده كقربانٍ للشمس المجيدة.. ومن بعدها حماسها وتصفيقها الحار ورادال يقف عند حافة الأرض يرمق الغيوم بذعر وينظر لأمه بيأسٍ..

اقترب ترياش من الملكة الأم مهدئاً وقال بابتسامة واسعة "مولاتي الملكة.. أيمكن أن تجهلي هوية هذا الرجل الماثل أمامك؟.. ألا يدلّك حدسك بحقيقته ويكشف لك سرّ جمعي بينكما في هذا الوقت؟.."

ظلت الملكة حائرة تقلب بصرها بينهما، دون أن يخطر لها على بال هويته الحقيقية.. طبعاً، فهي من راقب التضحية برادال بنفسها قبل عقدين من الزمان.. فكيف لها أن تتخيل، ولو للحظة، أنه قد يعود ويقف أمامها بصحة وافرة؟..

قال رادال باستياء "ما معنى هذا؟"

بدا القلق أكثر على وجه الملكة الأم لصوته العميق، رغم أن مكانتها لا تجعل أي شخصٍ في هذا العالم يفكر في إيذائها أو لمس طرف ثوبها دون إذن.. لكن ترياش لم يستسلم لعدم الفهم السائد بينهما، بل قال بحماس "مولاتي.. أقدم لك الشخص الذي لا بد أنك تتوقين لرؤيته منذ زمن طويل.. الرجل الذي جار عليه الكهنة وجردوه من منصبه ورموه من العالم السامي.."

خفق قلب الملكة للحظة وهي تحاول استيعاب ما تسمعه، وترياش يضيف "أقدم لك يا مولاتي..... الأمير رادال.."

شهقت الملكة وهي تقف بحركة حادة وترمق رادال بصدمة، فيما تجمد رادال للحظة وهو يرى انفعالها البالغ قبل أن يلاحظ الدموع التي تجمعت في عينيها.. فرآها تقترب منه خطوة قائلة بصوت متهدج "رادال؟.. أأنت رادال حقاً؟.. ألست كاذباً؟"

قال رادال باستياء "ومن المجنون الذي يمكنه أن يعرّض نفسه لغضبة سوريم بكذبة كهذه؟"

التفتت الملكة لترياش صائحة "قل لي إنك كاذب.. أن هذا الرجل ليس رادال حقيقة.. رادال قد....."

انحنى ترياش قائلاً "حاشاك أن أكذب عليك يا مولاتي.. فليقطع لساني لو كان الرجل الماثل أمامك ليس الأمير رادال، والوشم على ظهره يدلّ على هويته.. لقد نجا الأمير بمعجزة، وإن دلّ هذا على أمر، فهو على محاباة شمسنا المجيدة له.."

استدارت الملكة نحو رادال مبهوتة والدموع تسيل على خديها.. لا يدري رادال أهي مصدومة لرؤيته بعد غياب، أم مصدومة لعودته التي لا تتمناها بعد التضحية به؟.. لكنه رآها تتقدم منه وتمد يداً مرتجفة تتلمس وجهه وهي تقول بدموع غزيرة "أأنت رادال حقاً؟.. كيف يمكنني أن أصدق بعد أن أيقنت بموتك منذ عشرين سنة؟.. كيف يمكنني أن أصدق وأنا أراك أمامي موفور الصحة بجسدٍ يضج حيوية بعد هزالك وضعفك السابقين؟"

قال رادال بامتعاض "صدقي ما تريدين تصديقه.. أنا رادال، ولا يجرؤ شخصٌ على إنكار ذلك.."

ابتسمت الملكة ابتسامة مرتجفة، وعانقته رغماً عنه مجبرة إياه على الانحناء وهي تهمس "الشكر للشمس المجيدة التي أعادتك إليّ.."

ظلت تلهج بالشكر بدموعٍ وافرة بحيث عجز رادال عن إبعادها والهزء بمشاعرها بعد أن تخلّت عنه في وقت حاجته لها.. حيّره ما رآه منها، وما يذكره سابقاً.. أين هي الحقيقة؟.. أي مشاعر هي الحقيقية بينها؟.. أكان حماسها السابق عند اختياره كقربانٍ مجرد تمثيل وادعاء؟.. أكانت تجبر نفسها على إظهار حماسها بقرار كهنة الشمس التضحية بابنها الأكبر كي لا تجرّ على نفسها غضب توریاك الذي يعهده رادال قاسياً وشديداً في التعامل مع من يخالفه؟..

ما عاد رادال يفهم ما يجري أمامه، وليست له القدرة على الخوض في هذا الأمر.. لذا التزم الصمت مرغماً وهي تبعده خطوة وتتلمس وجهه متأملة ملامحه وتهذي بكلمات لا يفهمها.. ما الذي تريده منه؟.. أتتوقع أن يرتمي في حضنها ويبكي حسرة على الأيام التي فرقتهما لسنوات وعقود؟.. طبعاً لن يفعل ذلك، وهي الآن لا تعدو بالنسبة له امرأة غريبة لا يقدر على تجاهلها ولا على دفعها بعيداً بغلظة كما قد يفعل في المعتاد..

لاحظ صمت الملكة المفاجئ وهي تتأمل ملامحه قبل أن تنفض يديها منه وتبتعد بخطوة حادة.. ورغم ضيقه من انفعالاتها وعاطفتها التي لم يستسغها، إلا أنه تساءل باستياء "ما الأمر؟"

ظلت تحدق في وجهه مبهوتة للحظة، ثم همست "النبوءة.."

لم يفهم ما تعنيه، لكنه لاحظ الرجفة التي اعترت يديها وهي تتراجع أكثر قائلة بصوت متهدج "النبوءة.. لقد تحققت.. يا للشمس المجيدة.. لقد ضعنا.."

تدخل توریاش على الفور قائلاً بابتسامة "مولاتي.. لا يجب أن تصدقي ذاك الهراء.."

هتفت الملكة "لكن النبوءة تقول....."

اعترض توریاش قائلاً "النبوءة التي أطلقها الكاهن إينار.. لكننا في مملكة الضياء لا ندين بدين إينار.. بل بدين الشمس المجيدة.. فكيف لنا أن نصدق كلمات رجلٍ لا يعني لنا شيئاً؟"

صمتت الملكة وهي تقلب بصرها بين توریاش الواثق وبين رادال الذي عكست ملامحه حيرة واضحة، فيما أضاف توریاش واضعاً يده على ذراع رادال "ثم إن مولاي رادال ليس من أرض الهوام.. أم أنكِ نسيتِ

ذلك؟"

ضمّت الملكة قبضتيها لصدرها وهي تغمغم "أرجو أن تكون صادقاً.."

تمالكت انفعالها بلحظة، ومسحت دموعها مستعيدة هيئتها السابقة، ثم نظرت لترياش بانفعال قائلة "هل أعددت حفلة بهذه المناسبة؟.. لابد أن تكون حفلة رائعة مبهرة من كل النواحي.."

عبس رادال قائلاً "محال.. لم آتِ لأحضر أي احتفالات فارغة.."

قالت الملكة بحماس "لكننا لا يجب أن نغفل عن هذا الأمر.. علينا الاحتفاء بك، وبعودتك للمملكة.. يجب أن نقوم بتعريفك للشعب ولأكبر رجالات المملكة.."

ورفعت حاجبيها مضيفة وقد استدركت أمراً "سوريم.. ألم يعرف بوجودك بعد؟.. لا بد أن هذا الأمر سيذهله.."

نظر رادال بحدة لترياش ليتدخل في الأمر، فتقدم الأخير من الملكة قائلاً "مولاتي.. يمكنني إعداد أي احتفال يروق لك بالهيئة التي ترغبين بها.. لكن لنترك الأمير رادال بعيداً عن هذا الأمر.."

وإزاء نظراتها المستفهمة، قال "في الواقع.. الملك سوريم يعلم بوجود رادال منذ فترة، ولم يكن راضياً عن وجوده بتاتاً.."

هتفت الملكة "كيف يكون ذلك؟.. إنه لم يخبرني بذلك قط.."

قال ترياش متظاهراً بالحرج "لا أودّ التدخل في هذا الشأن.. لكن مولاي سوريم يخشى من رادال، لسبب لا نعلمه بعد.. لذا، أود الاحتفاظ بوجود الأمير في هذه المدينة سراً كي لا يطالنا غضب الملك سوريم.."

صاحت الملكة بانفعال "لكن سوريم لن يضيق بأخيه الذي طال غيابه.. أليس كذلك؟.. هذا التفكير يتجاوز الحدود.."

فقال ترياش "ربما لا.. لكن مما تناهى لعلمي أن الملك يعلم بوجود رادال منذ عودته.. وإخفاؤه الأمر عنك مدعاة للريبة دون شك.. لذا ترين يا مولاتي أهمية الحفاظ على هذا الخبر سراً أطول وقت ممكن حتى نعرف الوسيلة المثلى للتوفيق بين الشقيقين.."

هزت الملكة رأسها باهتمام بالغ، ثم قالت بابتسامة "لكن هذا لا يعني أننا لن نحتفل بعودة رادال إلينا.."

وانطلقت مسرعة بادية الانشراح بهذا الأمر الذي سيشغلها لأيامٍ عدة.. فيما فرقع ترياش إصبعين من

أصابعه لأحد الخدم القريبين، وقال له "اجعل إحدى الوصيفات تلازم الملكة الأم في كل الأوقات.. وامنعها من إجراء اتصال بأي أحد مهما كانت الأسباب دون أن تهينها أو تسبب لها أي ضيق.."

انحنى الخادم قبل أن يغادر لتنفيذ أمره بالسرعة اللازمة.. فيما تساءل رادال باستياء بعد رحيلها "ما الذي دعاك لإحضار هذه المرأة وجمعي بها؟.. لو أنك سألتني، لعارضت هذا الأمر ورفضته رفضاً تاماً.."

دعاه ترياش ليجلس على أحد الأرائك الوثيرة، وأجاب فور استقرارهما عليه "مولاي.. أنا أفكر في صالحك بالأساس، ولستُ من هواة الفرجة على الآخرين.. الملكة الأم مهمة جداً في المرحلة القادمة، ووجودها جوارك سيعزز من مكانتك وسيقلب رأي الشعب نحوك بغمضة عين.."

قطب رادال معلقاً "وكيف تأكدت أنها ستكون في صفي ضد سوريم؟.. فهو ابنها كذلك.."

استرخى ترياش قائلاً "لقد دفعها سوريم للرحيل من شادين نحو كيينا بدعوى قضاء بعض الوقت في تلك المدينة الجبلية بعيداً عن شادين ومسؤولياتها، وذلك قبل أن يأمر بإحضارك مباشرة.. خايلني عندها أنه يخشى أن تنحاز الملكة الأم لصفك، وتعينك على استعادة العرش من قبضة ابنها.."

ومال تجاه رادال مضيفاً "خاصة أن سوريم لم يرزق بوريث حتى الآن، وهذا أقلق الملكة لشهور طويلة وجعلها تبحث له عن بدائل لينجب من امرأة أخرى أو ليستبدل زوجته الحالية.. لكن رفض سوريم وإصراره قد جعل قلق الملكة يتعاظم كثيراً في الآونة الأخيرة.."

تجاوز رادال عن هذا الأمر وهو يتساءل بحنق "بمَ كانت تهذي تلك المرأة؟.. عن أي نبوءة تتحدث؟"

ابتسم ترياش مجيباً "لا عليك.. تلك فكرة يحلو للنسوة والعجائز ترديدها بين وقتٍ وآخر.."

قال رادال "لا أريد أن أكون جاهلاً أمام الآخرين.. أخبرني بفحوى تلك النبوءة.."

فقال ترياش وهو يعبث بالكوب الذهبي أمامه "رجلٌ دنيّ.. من العالم الدنيّ..... رجلٌ واحد سيصل للعالم السامي.. ورجلٌ واحد سيسقطه.. "

ونظر لرادال مضيفاً "تلك الكلمات البسيطة هي ما تحمل شعوبنا السامية على اختلافها همّها.. وكأنها واجبة التنفيذ.. لكن كما قلت، نحن لا نعترف بالكاهن إينار، وأنت لست من العالم الدنيّ.. أنت من العالم السامي، وصاحب الحق الوحيد في عرش المملكة الأعظم بين الممالك.. فممّ أنت قلق؟"

قال رادال بتقطيبة "لست أحمل همّ مثل تلك الكلمات.. بل هم مواجهتي القادمة مع سوريم.. شقيقي

الوحيد، وغريمي الأوحد كذلك.."

ثم تساءل بحيرة "كيف تضمن بقاءنا في المدينة دون تدخل من سوريم حتى نتمكن من التخطيط للمرحلة القادمة بإحكام؟.. أنت كما أخبرتني مطرود من مصبك، والمفترض أن تخشى غضبة سوريم لو رفضت إطاعة أمره ذاك.."

قال ترياش بثقة "لا تخشَ شيئاً.. لن يحدث ذلك.."

عقد رادال حاجبيه وتساءل "كيف تثق بذلك؟"

ابتسم ترياش قائلاً "أنا أحتل هذا المنصب منذ ما يزيد على ثلاثين سنة.. وأملك مالاً غفيراً يمكنني أن أصرف منه دون انقطاع لقرون طويلة.. ومنذ استلمت هذا المنصب، الذي لا يستحقه شخصٌ غيري، حرصت على لملمة الجنود وقادتهم في المدينة حولي.. سواءً برشوة أو زلّة أو جميلٍ يحملونه لي.. اختلفت الهيئات والنتيجة واحدة.. جنود باتير ولاؤهم الأوحد لي، وأنا بالنسبة لهم مولاهم الأوحد ولا طاعة لغيره.."

وأطلق ضحكة صغيرة مضيفاً "على سوريم أن يسيرّ جيوشه ليطيح بي.. ولكي يفعل ذلك، عليه أن يسحب تلك الجيوش من مملكة الغمام، وهو أمرٌ مستحيلٌ حالياً.. لذا ليس عليك أن تقلق من هذا الأمر.."

قال رادال وهو يحك لحيته الخفيفة "ورغم ذلك، هذا لن يكون مطمئناً بشكل تام.."

هز ترياش رأسه معلقاً "لقد اتخذت احتياطاتي بالفعل.. فور وصولك، أعلنت حالة الطوارئ في المدينة، وأمرت بإغلاق أبوابها ومنع أي كائن حي من دخولها بأي وسيلة كانت.. طبعاً لم أوضح للعامة السبب الرئيسي، بل أوهمتهم أن الأمر يتعلق بالحرب القائمة في مملكة الغمام، خاصة أننا أقرب ما نكون للحدود بين المملكتين.."

ومال ناحية رادال مضيفاً "طبعاً لن يطول الأمر قبل أن نخبرهم بالسبب الحقيقي، وبوجودك في المدينة وكونك الملك الحقيقي للبلاد.. وصدقني، سكان المدينة ولاؤهم لي منقطع النظير، بعد أن غيرّت حياتهم من حالٍ لحال، فيما لم يعبأ ملك المملكة بأمرهم قط.. لذا لك أن تثق بولائهم التام منذ اللحظة.."

صمت رادال متأملاً المدينة الممتدة عند قدمي القصر الفاخر، والتي بدت له ضخمة وواسعة اتساعاً ربما يوازي شادين.. طبعاً هو لا يذكر شادين إلا كلمحات يغلفها الضباب، لكنه في الوقت الحالي يرى أن

وجوده في هذه المدينة وجوار أقوىٰ رجلٍ فيها ربما يكون من حسن طالعه بالفعل.. وما عاد له أن يقلق لما قد يجري له في الأيام القادمة..

أدار بصره لترياش الذي يترقب تعليقه، فسأله باهتمام وحزم "ماذا عن المدن الأخرىٰ في المملكة؟.. ألا تعرف من فيها قد يدين بالولاء لي ومن سيبقىٰ علىٰ ولائه لسوريم؟"

تساءل ترياش ببساطة "وما حاجتنا لهم؟"

رفع رادال حاجبيه بدهشة للحظة، ثم قال بضيق "كيف لك أن تقول هذا؟.. يجب أن نحشد الحشود، ونكوّن جيشاً يعينني علىٰ استعادة العرش وإزالة سوريم منه ومن شادين كلها.. كيف لك أن تتوقع أن نفعل ذلك بما تملكه هذه المدينة من جنود فقط؟"

فوجئ بالضحكة القصيرة التي أطلقها ترياش، قبل أن يتدارك نفسه قائلاً بابتسامة متسعة "اعذرني يا مولاي.. الخطأ خطئي لأنني لم أشرح لك الأمر بالطريقة الملائمة.."

لم يتبخر ضيق رادال مع إحساسه بأنه لا يفهم ما يدور حوله، ولا ما يرمي إليه ترياش.. لكنه استمع له بصمت وترياش يقول بجدية "مولاي.. بجنود باتير، وربما بأي جنود قد تمنحها لنا مدنٌ أخرىٰ في المملكة، لن نقدر علىٰ التصدي لسوريم بشكل مؤكد.. سنخوض حرباً لا طائل منها، وبدل أن نواجه سوريم وحده، سنواجهه مع جنوده، ونواجه أغلب الشعب الذي يدين بالولاء لسوريم ويمثل له رمزاً لا يمكن الحطّ منه.. خاصة أن هذا الشعب لا يملك ما يتأكد به أنك رادال.."

وأضاف ملاحظاً تزايد انزعاج رادال "الأمر الأهم أن كهنة الشمس سيؤلبون العامة، وكثيرٌ من الجند، ضدنا.. سينذرون الناس أن عودة أحد القرابين علامة سيئة، ونذير شؤم علىٰ البلاد خاصة مع هذه الحرب التي يخشىٰ العامة من عواقبها عليهم.. سيقنعونهم أن الخلاص من هذا القربان أفضل حلٍّ لإبعاد الشؤم عن المملكة، وأن جلوسك علىٰ العرش هو أكبر خطأ قد يرتكبه المرء.."

انعقد حاجبا رادال بشدة وترياش يقول "الكهنة لهم أساليبهم الناجحة في إقناع من يريدون إقناعه بمنطقهم.. لذا ليس من مصلحتنا أن نؤلب العامة والكهنة خاصة ضدنا قبل أن نحرز نصراً مباشراً علىٰ سوريم.."

ضرب رادال الطاولة قائلاً بحنق "أتفقه ما تقوله يا هذا؟.. كيف سنحرز نصراً دون أن نتحرك بأي وسيلة

كانت؟.."

بادر ترياش لتهدئته قائلاً "ربما لو نظرت للأمر من زاوية أخرى، لبدا الأمر لك أكثر منطقية وعقلانية من هذه الفكرة التي لا ترى غيرها حالياً.."

وإزاء نظرات رادال المدهوشة بعجبٍ بالغ، مال ترياش نحوه قائلاً "سنقودك لشادين، وللعرش، مباشرة دون الخوض في كل تلك الحروب التي لا طائل منها.. لو وصلت للعرش بقتل مئات وآلاف من شعبك، سيكون وجودك موازياً للسخط الذي يشعرون به لفقد أحبائهم وأبنائهم، ولن يطول بك المكث على ذلك الكرسي طويلاً.. ثق بي.. أنا أدرك المسار الصحيح الذي عليك اتباعه، وقد قضيت ليالي طويلة أدرس ذلك الأمر منذ سمعت بخبر وجودك في ميركان.."

تراجع رادال في كرسيه صامتاً للحظات، ثم تساءل "ما هدفك الحقيقي من كل هذا يا ترياش؟.. الانتقام؟.. من العسير أن أصدق ذلك فقط لأن سوريم قد طرد ابنتك من شادين ومن قصره.."

ظل ترياش يرمقه بابتسامة واسعة، مما حدا برادال أن يفكر بأن مضيفه يوازن خياراته في طرح الأمر أو حجبه عنه.. لكن ترياش استقر على رأي أخيراً وقال "أنت الملك يا مولاي، وأنا أدين لك بكل الولاء الذي تتوقعه مني مهما كانت الظروف.."

صمت للحظة، فقال رادال بحزم "وماذا بعد؟"

اتسعت ابتسامة ترياش مضيفاً "لديّ عرضٌ صغير لك.. لا أظنه يقابل بالرفض من جهتك.. ابنتي باناس قد أهينت، وحطّ سوريم من قدرها أمام سكان قصره وأمام المملكة كاملة.. ولن أرضى بأقل من إعادة بعض الكرامة لها أمام الجميع.. فهي ابنتي الغالية، ولا أرضى بشوكة تجرحها دون أن أنتقم لها.."

علق رادال بعجب "أتريد مني أن أمنحها الفرصة للانتقام من سوريم؟.. أظن أن ذلك مبالغٌ به بعض الشيء.."

هز ترياش رأسه قائلاً "لا.. مطلقاً يا مولاي.. ليس هذا ما أسعى إليه.."

وثبت بصره على رادال مستطرداً "لن يعيد الكرامة لابنتي، إلا عندما تقبلها زوجة لك وتجعلها الملكة الأولى في المملكة.. بهذه الوسيلة فقط يمكنني أن أطمئن ويهدأ قلبي بعد أن حطم سوريم قلبها دون مراعاة.."

صمت رادال محاولاً ألا يبدو الرفض في ملامحه.. لقد وضعه ترياش في موقفٍ محرج، فرفضه قد يجرّده من العون الذي يتمناه.. وموافقته ستجعله مقيداً بفتاة لا يعرفها ولا يحبها، وهو الذي لطالما رفض أمراً كهذا.. كما أنه لا يستطيع العبث بمشاعر فتاة قد لا يعبأ لأمرها حتى لو تزوجها بالفعل..

كان يدرك أنه لا يستطيع التنصل من هذا الأمر لو وافق عليه، ولا التغافل عنه الآن والرد على مضيفه بشكل ملائم.. تراجع رادال في جلسته قائلاً بهدوء "لو كان لابنتك أن تنتقم ممن أهانها، فحريٌّ بها أن تنتقم من أبيها.."

نظر له ترياش باستنكار واضح، ثم قال باستياء "ماذا تعني؟"

أجاب رادال بحزم "ألا ترى أن في عرض ابنتك على هذا الرجل وذاك، مهما كان منصبه، إهانة للفتاة؟.. ألا يشعرها هذا أنها مجرد سلعة تباع وتشترى لتحقيق مصالح لا شأن لها بها؟.. هل اتخذتَ قرار إرسالها لسوريم وحدك وأجبرتها على إطاعته، أم أن رأيها كان مشابهاً لرأيك؟"

صمت ترياش بضيق، مما دلّ رادال أن الفتاة لم تعارض هذا الأمر لكنها لم تكن متحمسة له.. ربما انجرفت مع حماس أبيها، وربما أرادت كسب رضاه عن زواجها.. لكن اللعب على هذا الوتر الهام لدى مضيفه قد يمكنه من التملص من هكذا زيجة دون أن يخسر الفرصة المتاحة له للاستفادة من ولاء ترياش..

زفر ترياش وهو مقطبٌ بشدة، ثم قال أخيراً "أنا رجلٌ واقعي.. لا أقدر على إجبارك الزواج من ابنتي، ولا أقدر على إجبارها لو رفضت هي ذلك.. لكن تمنيت لها الأفضل.. تمنيت أن تصبح سيدة هذه البلاد كاملة، وأن تنال احترام مملكة الضياء وشعبها.."

ابتسم رادال معلقاً "لم أرَ من يهتم لأمر ابنته ويفكر في صالحها بهذه الصورة.. يبدو أنك تحبها جداً.. لكن خانك التصرف في المرة السابقة.."

هز ترياش رأسه دون أن ينكر ذلك، ثم قال معتدلاً في جلسته "أنا شاكرٌ لك لأنك نبهتني لهذه الحقيقة.. لن أكررها في المستقبل بالطبع، ولن أتوانى عن تحقيق هدفك بالوصول للعرش.. فهذا أفضل لي قطعاً من مواجهة غضب سوريم وحيداً لو أدرك أنني لم أغادر منصبي والمدينة بعد.."

ثم أضاف بابتسامة مرحة "لكن من يدري؟.. ربما عندما ترى باناس وتتعرف عليها جدياً، قد تروق لك وتلحّ للزواج بها.. فلا يمكن لشخصٍ ألا يعجب بفتاتي الجميلة.."

ابتسم رادال بتهذيب دون أن يعلق على هذا الأمر.. ومن قد يفكر بأمر فتاة بعد ما جرى، وسيجري، في الأيام القادمة؟..

طيف جود الماثل أمام عينيه لم يتبخر بعد، فكيف له أن يرى غيرها؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

جلس رادال في ذلك المساء الهادئ بعد يومين بجمود وصمت يخفي استياءه العارم على كرسي عريض توسط إحدى حدائق قصر الوالي.. وأمامه، وسط حلقة مكونة من كراسي مشابهة، أقيمت مدفأة حجرية دائرية الشكل ذات فتحة علوية والنار فيها تلتهم الحطب مرسلة دفئها على مساحة محدودة حولها تكاد تكفي بالكاد لتخفيف برد الجبال القريبة القارس، فيما نسمة هادئة مرت به محركة اللهب بحركة جنونية قصيرة، ومميلة فرع الأشجار القريبة لتهتز الأوراق مصدرة حفيفاً هادئاً يناسب هذه الليلة الهادئة..

كان رادال مستاءً لاضطراره الجلوس في مكان واحد مع الملكة الأم، التي جلست قريبة منه وهي تتحدث بانفعال كعادتها وعيناها تلمعان وهي تصف ما جرى في الحفلة الهائلة التي أقامتها في قصر والي باتير، وأساها لأنها لم تتمكن من الإعلان عن وجوده ومشاركته في ذلك الاحتفال بطلبٍ من ترياش وإلحاح منه بكتمان الأمر.. كان رادال متشاغلاً عن حديثها الممل بتأمل الحديقة القريبة، متسائلاً في سرّه لو أنه لم يسقط للعالم الأرضي هل كان سيشعر بالمشاعر ذاتها حيال أمه كما يفعل الآن؟.. هل ستكون صلته بها أقوى؟.. هل سيعاملها بحب ويحرص على رضاها وراحتها؟.. عسيرٌ عليه أن يعرف الجواب الآن بعد تلك السنوات التي جعلتها تبدو له كامرأة غريبة لا يعبأ لشأنها ولا يهتم به..

قطع صمته مع يدها التي أمسكت يده برفق وهي تقول له بلطف "ما الذي يشغل بالك يا بني؟.. ألا تشتاق للجلوس معي كما أفعل أنا؟.. ألا تريد تعويض كل السنوات التي افترقنا فيها؟"

علق رادال ساخراً "افترقنا بموافقتك وتأييدك التام للأمر يا جلالة الملكة.."

وجمت الملكة وهي تخفض وجهها، ثم قالت مديرة بصرها جانباً "لم تكن لي قدرة على مواجهة توريالك.. أبوك كان صعباً وقاسياً مع كل من يخالفه.. لطالما اتهمني أنني سبب الضعف الذي كنت فيه، وأنني قد

أفسدتك بمعاملتي اللينة حتى صرت غير مؤهلٍ لقيادة المملكة من بعده.. لم تفلح كل محاولاتي لإقناعه أنك مجرد صبي في العاشرة، وأن حالك سيختلف بعد أن تشبّ وتصبح رجلاً.. لكنه كان عجولاً، وكان ينتظر منك المعجزات في وقت قصير، ولم يتوانى سوريم عن منحه كل ما تمناه وطلبه.."

وزفرت وهي تنظر له مضيفة "صعقت عندما علمت بأمر اختيارك كقربان، قبل الإعلان عنه للعامة بالفعل.. لكن نظرة التهديد في عيني توريالك ألجمتني حتى عن الاعتراض.. ورغم كل توسلاتي وبكائي، رفض توريالك إعفاءك من هذا، وأخبرني أن كثيراً من الأمهات قد فقدن أبناءهن كقرابين في المرات السابقة، فلمَ عليّ أن أكون مختلفة عنهن وأرفض هذا الأمر؟.. أخبرني أنني، كامرأة مؤمنة وكقدوة للنساء في المملكة، عليّ أن أرضى بهذا الأمر وأن أباركه كذلك.."

ونظرت نحو رادال الذي استمع إليها صامتاً دون انفعالات واضحة على وجهه، فأضافت برجاء "ألن تغفر لي ذلك؟.. كنت أقضي ليالي باكية كلما فكرت بالأمر.. لكن بعد الإعلان عن اختيارك كقربان، لم أقدر على البكاء ولو للحظة مطلقاً.. شعرت أن بكائي قد يتعسك أكثر.. تجمدت مشاعري، ومضت الأيام كأنها حلمٌ وليس واقعاً يحدث لي.. وربما لم أستيقظ من هذا الحلم حتى رأيتك أمامي الآن.."

وضغطت على يده متوسلة "لم يكن لي، ولا لأبيك، أي صلة بما جرى.. أفلن تغفر وتنسى؟"

نظر لها رادال بنظرة قاسية قائلاً "مما أعلمه، فإن اختياري كقربان كان بطلب وتوصية خاصة من أبي لكهنة الشمس.. هذا ما أنا أكيد منه.."

هتفت الملكة الأم "محال...."

قال رادال بتأكيد "بل كان بأمرٍ منه.. لقد سمعت أحاديث متفرقة بهذا الشأن، ولا يخفى عليك سبب ذلك دون شك.."

ظلت الملكة تنظر له مبهوتة بصدمة واضحة وارتياع شديد.. طال صمتها أمداً طويلاً مما دلّ رادال على كونها تجهل حقيقة الأمر بالفعل.. وأخيراً، تمالكت ذهولها وهي تخفض بصرها دون أن تزول الصدمة عن ملامحها مغمغمة "ذاك ليس غريباً على توريالك بتاتاً.."

ونظرت لرادال للحظات بصمت قبل أن تهمس "ألهذا السبب تكرهني؟.. أظننت أنني دبرت الأمر مع توريالك للخلاص منك؟"

أجاب رادال بتقطيبة "ربما كنت مخطئاً باعتقادي ذاك.. لكن ذلك لا يعني أنني أغفر لك انهزامك وأنك لم تقاتلي لأجلي.. لو كنت وحيدك، ولا تملكين ابناً غيري، لما رضيت بالتضحية بي إطلاقاً.."

هتفت الملكة بانفعال "إطلاقاً.. لم يكن صمتي لأنني أملك ابناً آخر.. أنت وسوريم كلاكما ابناي، ولا أحد يعوّضني عن الآخر.. كيف لي أن أقنعك بذلك الآن؟.. ألا تصدقني بعد كل ما قلته؟"

نظر رادال في عينيها قائلاً بحزم "لست بحاجة لإقناعي.. ما أريد معرفته ما تنوين فعله لأجلي.. أنت مدركة أنني عائدٌ لأستعيد حقوقي، ولأحصل على تعويضٍ شامل لكل ما قاسيته طوال عقدين كاملين من عمري.. أنا عائدٌ لاستعادة العرش.. فهل ستكونين معي أم ستبقين ضدي للنهاية؟"

سحبت يدها من فوق يده وهي تدير بصرها جانباً بهروبٍ واضح وصمتها يخيِّل له أنها سترفض الأمر بإصرار.. لو رفضت، فهذا يعني أن ترياش سيضطر لاحتجازها في قصره حتى تنقضي معركتهم لاستعادة العرش من سوريم.. وهو أمرٌ لا يحبذ كلاهما القيام به كثيراً..

تنهدت الملكة بعد صمت طويل، ورادال ينتظر جوابها بصبر وشيء من التهيّب.. أخيراً، نظرت له دون انفعال وقالت "لو قام توريك بتنحيتك من وراثة العرش، واستبدالك بسوريم دون أن يتحايل على هذا الأمر بتلك الطريقة.. لما ساندتك فيما تنوي فعله مطلقاً.. فتوريك، كملك للمملكة، له الحق في اختيار وريث عرشه من أبنائه أو حتى من غيرهم.. أما والحال كما جرى، والظلم الذي وقع عليك من أقرب الناس إليك مما لا يمكن اغتفاره، فلا يمكنني أن أعارض عودتك للعرش الذي سُلب منك عنوة.. لم يكن توريك منصفاً معك قط.. ومما يبدو لي فأنت لست بالضعف الذي كنت عليه.."

ابتسم رادال شيئاً ما وقال "جيد.. خشيت للحظة أن تنحازي لصف سوريم كالعادة.."

امتقع وجه الملكة الأم وهمست "أهذا ما ظننته فيّ طوال تلك السنوات؟"

أجاب رادال "ليس هذا ما يهم الآن.. الأهم من كل هذا هو التخطيط لما ننوي فعله بمعاونتك، لاستعادة العرش، وتنصيبي ملكاً على المملكة.."

نظرت الملكة في عينيه وكأنها تحاول استقراء ما ينوي فعله، ثم سألته بحذر "ما الذي تنوي فعله بسوريم؟.. لا تقل لي إنك تنوي قتل أخيك انتقاماً مما جرى لك!.."

أجاب رادال بحزم "لا يمكنني أن أظلم أخي بعد أن ذقت الظلم بنفسي.. سأزيحه من طريقي، لكني لن

أقتله ولن أؤذيه بأي حال.."

تنهدت الملكة بارتياح، وقالت "لا يمكنني أن أقنع برؤية الأذىٰ يصيب أيّكما.. فأنتما ابناي، ولكما المكانة ذاتها في قلبي.. كما أن سوريم ملكٌ بارع وقد أثبت نفسه في السنة التي حكم فيها المملكة.. وهذه الحرب هي أكبر دليل علىٰ....."

قطعت قولها وهي تستدير نحو رادال بجسدها متسائلة بما يشبه الهتاف "ماذا عن هذه الحرب؟.. لقد عمل تورياك طويلاً لتحقيق هذا الحلم.. أنت تعلم أن هذه هي إحدىٰ وصايا الملك الأول مؤسس المملكة لورثته، أن يتم توسعة رقعة مملكة الضياء بكل وسيلة ممكنة.. فما الذي تنوي فعله عندما تملك المملكة وجيوشها؟"

ابتسم رادال ابتسامة واسعة قائلاً "بعد أن أنال العرش، ما الذي يمنع أن أستمر في هذا الأمر؟.."

عندها ابتسمت الملكة وهي تربت علىٰ كتفه بسعادة واضحة، ونظرت للنار القريبة هامسة "إذن، فلتسعَ خلف عرشك محروساً بعين شمسنا التي لا يعكر صفوها أمرٌ يا رادال.. يا ملك مملكة الضياء المجيدة.."

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الحادي عشر)
مملكة الغمام : بداية جديدة

قضت مانا ساعة كاملة من نهار ذلك اليوم تستمع بصمت وتهيّب لحديث بارا عن تلك المذبحة التي أقامها العدو لثوار ميركان.. رغم أن ياسان قد أخبرهم تفاصيل كل ما جرىٰ له منذ افتراقه عنهم، لكن من الجليّ أنه قد اختصر موضوع تلك الليلة ببضع كلمات مقتضبة دون أن تفوتها مرارته الواضحة عندما يرد ذكر ما حدث وقتها.. والآن، ها هي تسمع التفاصيل كاملة.. وجسدها يرتجف بقوة وهي تتخيل ما جرىٰ.. ضمّت ذراعيها حول جسدها لتوقف رجفته، وهي تخفض بصرها وتحدق بالأرض العارية من أي غطاء أو زينة.. ماذا لو سقطت إحدىٰ تلك القذائف علىٰ رأس ياسان بالفعل؟.. ماذا لو فقدتاه حقاً؟.. ماذا لو قضتا أيامهما تتساءلان عما جرىٰ له؟.. ذلك التفكير كان يزيد رجفتها، رغم أنه لا يحمل أي معنىٰ الآن بعد أن عاد إليهما ياسان دون أن يصيبه سوءٌ يذكر..

دارت ببصرها في هذا المستودع الذي اجتمع فيه بارا مع جنود قانار، وجلست هي فيه جانباً بانتظار انتهاء بارا من اجتماعه بهم ليتمكنا من العودة للمنزل قبل بدء حظر التجول.. ترىٰ، لو علم ياسان بأمر هؤلاء الجنود، وأغلبهم رفاقه في الماضي، هل سيحاول الانضمام إليهم من جديد؟.. ألن يكف عن هذه الأفعال التي لا تؤتي أي ثمار ولا فائدة منها إلا في قتل المزيد من شباب هذه الأرض دون نتيجة؟..

زفرت بأسىٰ وهي تفكر فيما قد تفعله لمنع ياسان من ذلك، فلاحظ بارا ذلك وظنها قد سئمت من البقاء هنا أو استاءت لما سمعته.. لذا نهض واقفاً بعد أن فرغ من قصّ ما شاهده وما سمعه من الثوار عن أحداث تلك الليلة، وقال لهوتار "أأنت واثقٌ أن أحداً ممن نجا من ثوار ميركان لم يصل للمدينة؟"

أجاب هوتار "لم نعرف عن أحدهم قط.. لذا ترىٰ أننا نجهل كل ما جرىٰ لهم إلا بضع أحاديث وصلت إلينا عن إبادتهم بشكل شامل.."

صمت بارا متسائلاً بحيرة عن اختفاء جود وسيرا بعد رحيلهما من تلك السهول.. حتىٰ لو كان سيرهما أبطأ، فلا بد أن يصلا لقانار خلال هذه الأيام.. إلا لو اعترض طريقهما أمرٌ منعهما من العودة.. أو أن طريقهما كان يأخذهما لاتجاهٍ آخر.. وما الذي حلّ برادال؟..

سمع أحد الرجال يقول "أأنت تقول إن فتاتين كانتا ضمن ثوار ميركان؟.. لم أسمع بهذا قط.."

أجاب بارا "أخبرتكم أن إحداهما كانت جندية.. لو عثرتم على أي أثر من ثوار ميركان، فاسألوهم عنهما.. قد يعرف أحدهم لهما طريقاً يدلني به عليه.."

قال هوتار "سنفعل ذلك.. سنحاول جهدنا هذين اليومين لتقصيّ الأمر والبحث عنهما.. وسنرسل من يخبرك بنتيجة بحثنا بعدها بالتأكيد.."

شكرهم بارا بكلمات مقتضبة، ثم استدار مغادراً مرافقاً مانا خارج المستودع وخرائب قاعدة جيش قانار.. الآن على الأقل يملك أكثر من وسيلة لتوسيع بحثه في قانار، ووجود هؤلاء الجنود سيعينه على ذلك دون شك.. لمح توتراً واضحاً في عيني مانا وهي ترمقه بين وقت وآخر.. فتساءل "ما الأمر؟.. هل أزعجك ما سمعته هناك؟"

فركت كفيها للحظة، ثم ضمّتهما أمام وجهها وهي تقول بقلق "بل أخشى مما قد يفعله ياسان لو عرف بأمر هؤلاء الجنود.. قد يحاول الانضمام إليهم.. قد لا ينجو هذه المرة لو شاركهم بأي عمليات ضد جيش العدو.. فما الذي أقدر على فعله لمنعه من ذلك؟"

علق بارا مبتسماً "أنتِ تحبين شقيقك بدرجة كبيرة لتساورك هذه المخاوف قبل أن يحدث شيء بالفعل.."

نظرت له قائلة "ألستَ تخشى على شقيقتك بالقدر ذاته؟.."

غابت الابتسامة عن وجه بارا وغمغم "هذا أمرٌ آخر تماماً.."

رفعت مانا حاجبيها متسائلة "كيف يكون ذلك؟.. لا أظنك ستقضي ليلك ونهارك بحثاً عنها لو لم تكن قلقاً عليها وتسعى للقائها.."

صمت بارا للحظة متأملاً الطريق الذي سلكاه بعد خروجهما من تلك الخرائب، ثم قال مطرقاً "علاقتي بشقيقتي ليست مما يدفعني للبحث عنها باستماتة.. أحياناً أشعر أننا مجرد غرباء أجبرنا على العيش معاً بسبب الرابط الذي يربطنا.. هي لا تهتم بي، وأشعر أحياناً أنني لا أعبأ لأمرها حقاً.. لكني ملزمٌ بفعل ما أفعله.. منذ صغري، كانت أمي دائماً ما توصيني على شقيقتي في كل مرة نغادر فيها المنزل.. كانت وصاياها ترنّ في أذني لوقت طويل، وأسعى جاهداً لتطبيقها رغم أني لم أكن أكبرها في العمر.. وربما لا تزال تلك الوصايا تتردد في ذهني بعد كل ذلك الوقت.. أو ربما كنت أخشى من العودة لوالديّ دون أن تكون

معي.."

ابتسمت مانا معلقة "هذا يدل على أنك شابٌ طيب.. فكيف لا تقلق لأمر شقيقتك وأنت قلقٌ من مخالفتك أمر أمك رغم بعد المسافة بينك وبينها؟.."

ونظرت للأمام مضيفة " أنا واثقة أن علاقة الأخوّة أقوى مما تتخيل، لكن مثل تلك المشاعر لا تبدو بوضوح في الأحوال العادية.. فقط عندما يغيب أحد طرفيها، أو يتعرض للخطر، يدرك الطرف الآخر كم كان ذلك الشخص مهماً بالنسبة له.."

ربما كان ذلك صحيحاً، لو أن سيرا أظهرت بعض العاطفة نحوه خلال سنواتهما الطويلة معاً.. لو لم تكن بالأنانية للتفكير في نفسها فقط.. لكن تلك الأمور لا تشغل بارا الآن بقدر ما يشغله التفكير بما آلت إليه في الأيام الماضية.. وإن كان سيعثر عليها أم أن انتظاره سيطول دون أن يجد لها أثراً في هذا العالم..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

في الأيام القليلة التالية، لم يكن لأم ياسان ألا تلاحظ الاستلطاف الواضح بين بارا ومانا.. رغم أن أحدهما لم يحاول أن يجعل ذلك واضحاً، لا للطرف الآخر ولا لمن قد يشهد ذلك، لكنها كانت قادرة على تلمّس ذلك الاستلطاف بوضوح.. في البدء كانت النظرات المسترقة، والابتسامات المهذبة التي تخفي خلفها أكثر مما تظهر.. ثم طالت النظرات وحملت معاني شتى، وإن حرص كل منهما على إخفائها عن الأعين.. هي واثقة أن ذلك الفتى يستلطف ابنتها، لكنه لا يعلم مطلقاً أنها تبادله ذلك الشعور.. فما نهاية هذا كله؟..

بعد أحاديث مطولة مع ياسان، عرفت أن الفتى عائدٌ لمدينته التي لم يفصح عنها ياسان.. لديه أمرٌ مهم يقوم به، وهو يبحث عن شقيقته التوأم في قانار.. فلو لم يعثر عليها هنا فسيرحل بعدها للبحث عنها في مدن أخرى.. فمن العبث عندها أن تبارك مثل هذه العلاقة التي لا يبدو لها أي مستقبل واضح وصريح..

كل تلك الأمور تجعل الأم تراقبهما بحذر وصمت.. ورغم جهل ياسان بما يدور، إلا أن الأم واثقة من أنه سيثور غاضباً لو لمح الأمر بالفعل.. لم يكن ذلك كرهاً في بارا، أو كرهاً في العلاقة التي نشأت بينهما.. لكن حرصه الشديد على شقيقته الوحيدة وشعوره أنها من مسؤولياته وعليه حمايتها من كل سوء يجعله يعاملها

كما يعامل المرء كنزاً ثميناً يجب حمايته من الأعين بأي ثمن.. لكن الأم واثقة أن ذلك سيتهاوى عند أول تمرد تبديه مانا على حصاره الشديد عليها.. ومما يبدو لها فإن ذلك سيكون أقرب له مما يتوقع..

كان بارا يبدو لعينيها قلقاً.. مهموم الفكر أغلب الأوقات، رغم أن همّه كان يتوارى عندما تحادثه مانا بحجة أو بأخرى، فينسى كل ذلك ويضيء وجهه وهو ينشغل بها عن كل أمرٍ آخر..

تساءلت الأم ذات مرة بلهجة عادية عندما خلا البيت بها وبياسان "أين منزل هذا الشاب؟.. وأين تعيش عائلته؟.. ألا يظن أن شقيقته قد تكون عادت لعائلتها دون انتظاره؟"

زفر ياسان مجيباً "لا أظن ذلك.. العودة لمدينتهما صعب والمسافة بعيدة.. لا أظن أن أحدهما يمكن أن يتحمل مشاق هذا السفر وحيداً.."

سألت الأم من جديد بإصرار "ومن أي مدينة هم؟"

هرب ياسان من عينيها بنظراته وهو يقول "أظنها من مدن الجنوب، الأقرب من حدودنا مع مملكة القمة العالية.. لكني لا أذكر اسمها الآن.."

كان من الصعوبة عليه بمكان أن يشير لشادين بقريب أو بعيد.. فمع الأحوال الراهنة، قد تغضب أمه لو علمت أن بارا من مملكة الضياء، وقد تصرّ على خروجه من هذا المنزل.. وياسان لا يقدر على طرده وتركه وحيداً في مدينة لا يعرفها..

لاحظ صمت أمه التام وانشغال أفكارها، ثم سمعها تعلق "ألا تظن، بعد أن تستقر أحوال المملكة ويغادر المعتدي، قد يفضّل بارا البقاء في قانار بدل العودة لتلك المدينة البعيدة؟"

علق ياسان بابتسامة "أنت متفائلة جداً يا أماه.. أتظنين أن العدو سيرحل بين ليلة وضحاها؟"

هزت الأم كتفيها دون أن تجيب.. في منزلها هذا، يغدو التفكير في أمر ابنيها أهم وأكثر إلحاحاً من التفكير في المملكة التي لا تملك من أمرها شيئاً.. في هذه اللحظة، تراودها أفكارٌ عدة عن الحديث مع مانا ومنعها من الخوض في علاقة مجهولة مع هذا الشاب.. هي لا تقدر على فراقها، ولن تصبر على رحيل مانا من قانار مع احتمال ألا تراها مرة أخرى.. وطبعاً، علاقة لا تنتهي بالزواج هي أمرٌ مرفوض بالنسبة لها ولياسان.. فهل ستملك الجرأة للحديث مع مانا بهذا الخصوص؟.. هل يمكنها أن تكسر قلب ابنتها قبل الأوان؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

بعد أن شفيت ساق ياسان، كان أول ما فعله هو الذهاب لمركز قيادة الجيش والالتقاء بالجنود.. رغم اعتراضات مانا وتوسلاتها، لكن ياسان لم يتراجع عن قرار الانضمام إليهم في مواجهة العدو الذي احتل موطنهم.. كل ما كان يملك أن يعدها به ألا يشارك في أي مهمات خطرة، وأن يكتفي بالعمل في الخطوط الخلفية قدر ما يستطيع..

تعددت اجتماعات الجنود، وتبادل ياسان معهم كل ما يعرفه منذ عودته للعالم السامي.. أخبرهم بأمر الأمير سابار، وبوجوده في قصر الملكة هايانا.. وسمع منهم عن إنجازاتهم البسيطة في الشهر الماضي، والتي لا تتعدى الخلاص من الجنود بشكل فردي ومتفرق، وتدمير كل ما تطاله أيديهم من مركبات الجنود والاستيلاء على أسلحتهم.. كان الطريق طويلاً أمامهم لتحرير قانار، وهذه المعارك الصغيرة ناجحة في استنزاف العدو لكنها لا تحقق أكثر من ذلك..

أمضى ياسان مع الجنود عدة أيام، يرافقه بارا في كثير من الأحيان أملاً في العثور على خبر من شقيقته أو العثور عليها لو وصلت قانار متأخرة.. وفي صباح أحد الأيام، فور وصول بارا وياسان لذلك المستودع ورؤية بقية الرجال، بادره هوتار قائلاً "لديّ بعض الأخبار لك.. لكن لا يمكن أن نسميها أخباراً جيدة.."

غاص قلب بارا في صدره وهو يتساءل "هل عرفتم عن شقيقتي أي خبر؟"

أجاب هوتار "عثرنا على بعض الثوار الذين جاؤوا من ميركان.. أغلبهم كان مصاباً إصاباتٍ متفرقة، لذا تأخر قدومهم لقانار بعض الشيء.. سألتهم عن الفتاتين وإن رآهما أحدهم أثناء قدومهم لقانار، فأخبرني أحد الرجال أمراً غريباً.."

ونظر لبارا المتوجس مضيفاً "كانت الفتاتان تبحثان عن رجل ما.. ويبدو أن ذلك الرجل قد اختطفه الجنود لسببٍ لا يعرفه أحدهم.. وقد غادرتا المزرعة التي لجأ إليها الثوار بحثاً عنه رغم تحذير الرجال لهما.. ورغم خطورة البحث عنه في ثكنة الجنود التي اقتيد إليها.. فمن كان ذلك الرجل؟.. ولِمَ قد تخاطر الفتاتان بحياتيهما للعثور عليه؟"

أطرق بارا بصمت وتقطيبة وياسان يجيب "لابد أن ذلك كان رادال.. لكن لِمَ اختطفه الجنود؟.."

قطع حديثه وهو يتذكر هوية رادال الحقيقية التي كشفها لهم في ساڤا.. أيمكن أن يكون الجنود قد أدركوا هويته واختطفوه لأخذه لشادين؟.. أهذا خبرٌ جيد أم سيئ؟.. وهل تبعته الفتاتان إلى شادين؟..

قفز بارا واقفاً في تلك اللحظة، ونظر لياسان بتوتر قبل أن يقول "أنا راحل.."

تساءل ياسان بدهشة "أستذهب بحثاً عنها حقاً؟"

هز بارا رأسه مجيباً "يجب أن أفعل ذلك.."

صمت ياسان وتعجبه يزداد وهو يرى إصرار بارا وقلقه الواضح على شقيقته، ثم قال بشيء من الأسف "من المؤسي حقاً رؤية ما تبذله للبحث عن تلك الفتاة، رغم أنها لم تكلّف نفسها الاطمئنان عليك.. وها هي تتبع رادال كعادتها دون أن تعبأ لأمرك ولما جرى لك.."

لم يكن قوله يخالف الواقع، لكن بارا قال بإصرار "لكني ذاهبٌ إليها رغم ذلك.."

تساءل ياسان "وكيف ستفعل ذلك؟.. هل ستذهب سيراً على الأقدام؟"

أجاب بارا هازاً كتفيه "لا أعرف.. لكني لن أدع هذا الأمر يعيقني.. لذا، سأتدبر أمري جيداً فلا تقلق.."

وقف ياسان وربت على كتفه قائلاً "كن بخير يا فتى.. ولا تقحم نفسك في أي مشاكل مع الجنود.."

أحنى بارا رأسه له شاكراً، ثم استدار مغادراً بصمت وخطوات متلاحقة عائداً لمنزل ياسان.. لا بد أن الجنود قد أخذوا رادال لشادين، ولابد أن سيرا قد لحقت به بأي طريقة كانت.. فهل سيعثر عليها لو ذهب

لشادين رأساً؟.. هذه وسيلته الوحيدة للعثور عليها.. ولو لم تكن في شادين، فلا يعلم أين يمكنه البحث عنها في هذا العالم.. فهل سييأس عندها؟..

فور وصوله إلى المنزل، اندفع للغرفة التي خصصت له لتناول أغراضه القليلة وهي لا تزيد عن الأسلحة التي جلبها معه وأخفاها تحت الفراش الذي ينام عليه منذ وصوله قانار.. وبعد أن فرغ من ذلك، خرج من تلك الغرفة لتلاقيه عينا مانا المتسائلتان حيث وقفت في جانب الدار وقد أدهشها دخوله العاصف.. ولم تكن الأم القريبة أقل دهشة منها وهي تترك ما بيدها وتقترب منه متسائلة "ما الذي جرى يا بني؟.. هل حلّ أمرٌ بكم؟"

هز بارا رأسه نفياً وهو لا يدري ما يقول.. لم يكن في الواقع يملك الجرأة لقول أي شيء مما يعتمل في صدره، لذا اكتفى بأن أحنى رأسه للأم بشكر عميق وهو يقول "آسف لكل ما سببته لكم من إزعاج، وأنا شاكرٌ لما غمرتموني به من عطف ورعاية طوال الأيام الماضية.."

تساءلت الأم بدهشة "أأنت راحل؟"

هز بارا رأسه بالإيجاب قائلاً "أظنني استدللت على موقع شقيقتي.. ولا يمكنني المكوث هنا للحظة واحدة.. يجب أن ألحق بها في الحال، وأطمئن لما جرى لها في الأيام السابقة.."

كان يتفادى النظر نحو مانا لئلا يرى ما لا يريد رؤيته في عينيها.. لو رآها غير مبالية برحيله، فقد يؤلمه هذا بشدة.. ولو رآها مرتاعة لذلك، فقد يدفعه هذا لإلغاء فكرة الرحيل كلياً.. لذا ثبّت عينيه في وجه الأم، دون أن يغفل عن النظرة السريعة التي ألقتها على مانا، قبل أن تقول "لا يمكننا منعك من ذلك.. أرجو أن تلاقي أختك وتطمئن عليها بأسرع ما يمكن.."

أحنى بارا رأسه لها، ثم بادر بالمغادرة بصمت محاولاً بكل ما يملك ألا يلتفت إلى مانا.. لقد أتى قانار بحثاً عن سيرا التي اختفت منذ تلك الليلة الدامية في سهول ميركان.. ولولا الأخبار المتفرقة التي تصل إليه عنها ليئس من بقائها على قيد الحياة أو العثور عليها إطلاقاً.. والآن، بعد أن عرف أنها تسعى كدأبها خلف رادال، وأنها على الأغلب قد عادت لشادين، لا يمكنه إطلاقاً أن يتناسى أمرها دون أن يعود إليها..

في الآن ذاته، كانت مانا واقفة وسط المنزل ترمق الباب المفتوح بشيء من الشحوب والارتباك واضحٌ في حركة يديها العصبية.. زفرت الأم وقد أشفقت لرؤية ملامح ابنتها بتلك الصورة، وقالت برفق "لن

تلحقي به لو لم تغادري على الفور.."

نظرت لها مانا بدهشة وقد أدركت أن أمرها بدا مفضوحاً أكثر من اللازم.. لكن لم يكن الوقت ملائمٌ لأي شرح، بل اندفعت مغادرة المنزل وعبر الطريق الذي رأت بارا يسلكه مبتعداً دون أن ينظر خلفه ولو لمرة واحدة.. هتفت مانا تناديه قبل ابتعاده، ولما التفت بصمت ينظر إليها اقتربت منه راكضة، وقالت بانفعال "أأنت راحلٌ حقاً؟.."

أجاب بالإيجاب وهو يدير بصره جانباً نائياً بنفسه عن الانفعال الذي لمحه في صوتها وفي عينيها، ففركت مانا كفيها وهي تقول بارتباك "أنا أفهم مدى إصرارك للحاق بأختك.. لا بد أنك قلقٌ عليها.. لكن..... أترحل دون وداع؟"

نظر إليها بارا أخيراً وهو لا يدري ما يقوله.. لاحظ ارتباكها وعيناها اللتان ترمقانه بخيبة واضحة.. ولاحظ يداها اللتان تمسكان طرفي ثوبها لتخفي بتلك الحركة توترها.. تردد بارا قبل أن يمد يده ويمسك يدها برقة، ملاحظاً رجفة صغيرة اعترتها عندما لامستها أصابعه.. نظر لعينيها العسليتين اللتان تتوهجان بنور الشمس وهي ترمقه بصمت لم يتمكن من إخفاء انفعالها.. فقال بارا بصوت خفيض "عندما وطئت أرض قانار، لم أظن للحظة أنني سأكره مغادرتها في يومٍ ما.."

اختلج قلب مانا لقوله وهي تحاول إيجاد تفسيرٍ لتلك الكلمات.. فثبت بارا عيناه في عينيها قائلاً "ربما لا أعود في يوم من الأيام لهذه المدينة.. لكن لو تسنّى لي العودة، فسأفعل ذلك دون إبطاء.. وعندما أعود، أتظنين أنني أستطيع لقاءك عندها؟"

هتفت مانا بانفعال "سأنتظرك....."

تراجعت للحظة مأخوذة بما قالته، ثم خفضت بصرها ووجهها يتخضّب بشدة وهي تقول بارتباك "سأنتظرك، وكذلك ستفعل أمي وياسان بالطبع.. أرجو ألا يكون هذا لقاؤنا الأخير.."

نظر لها بارا رافعاً حاجبيه، ثم قال بلهفة "ستنتظرينني حقاً يا مانا؟"

وأمسك يديها بيديه شادّاً عليهما وهو يقول بعطفٍ بالغ "ألن تملّي من انتظاري؟.. ألن تنسينني؟"

هزت رأسها بقوة وخصلاتها الناعمة تتطاير مع حركتها تلك، قبل أن تخفض بصرها متفادية نظراته تلك وهمست "لن أملّ ذلك قطعاً.. إن وعدتني أنك ستعود بالفعل.."

سمعا هتافاً من خلفهما في تلك اللحظة ينادي مانا، فانتفضت الفتاة بشدة وهي تقفز خلفاً وعيناها تتسعان بقلق بالغ.. دهش بارا للفزع الذي تبدّى في عينيها، رغم أنه عرف هوية صاحب ذلك الصوت وياسان يقترب منهما باستنكار بالغ.. وقد قال فور اقترابه "ما الذي تفعله يا بارا هنا؟"

قال بارا بعجب "أهناك ما يغضبك في تبادلي الحديث مع مانا؟.."

قلّب ياسان بصره بينهما بضيق بالغ، بينما سارعت مانا التي احتشدت الدماء في وجهها حتى الأذنين لتقول "كان... كان ذلك مجرد حديث عادي.. بارا أخبرني أنه سيعود، ويتساءل إن كان يستطيع العودة إلينا بعدها.. وأنا....."

قال ياسان بضيق ولهجة هجومية "وما الداعي لمثل ذلك السؤال؟"

تزايد قلق مانا وذعرها وهي تتراجع خطوات وكأن وقوفها جوار بارا شبهة في حد ذاتها، بينما قال بارا بدهشة أكبر "ما سبب غضبك من كل هذا؟"

جذب ياسان شقيقته محيطاً إياها بذراعيه وهو يقول باستياء "ابتعد عن شقيقتي يا بارا رجاءً.. لا يعجبني حديثكما معاً منفردين هكذا.."

ثم ابتعد بها قائلاً لها بضيق "كيف تسمحين له بأن يمسك يدك يا مانا؟"

خفضت مانا بصرها بارتباك أكبر، لكن بارا جذب ذراعه واستوقفه بضيق واضح قائلاً "ما سبب تدخلك بهذه الصورة وهذه العدائية؟.. وما سبب منعك لي من الاقتراب منها؟.."

قال ياسان بحدة وهو يخفي مانا خلفه "لأنني مسؤولٍ عن هذه الطفلة.. ولا أرضى بأن يطالها عبث أي عابثٍ.."

قال بارا محتداً "لكنها ليست طفلة.. ثم إنني لا أنوي العبث ولن تجد من هو أكثر جدية مني.. أنا أحبها.."

اتسعت عينا ياسان بصدمة، بينما تزايد احمرار وجه مانا بمزيج الخجل والتوتر من ردة فعل ياسان، وسارعت لإخفاء وجهها خلف يديها وهي تستدير وتغادر راكضة.. أما ياسان، فقد تمالك صدمته وهو يقول بلهجة منذرة "ابتعد عن شقيقتي يا هذا خيراً لك.."

وغادر خلفها بخطوات سريعة، فيما وقف بارا بعدم فهم وهو يقول "ما الذي يجري لهذه العائلة الغريبة؟"

شعر بتربيتة على كتفه وصوت الأم الباسم يقول "لا عليك.. ياسان يبالغ في ردة فعله، فهو مسؤولٌ عن

الفتاة ويبالغ في حمايتها وكأنها لا تزال طفلة.."

قال بارا بسخط "وكم سيدوم ذلك؟.. عشرون سنة من عمرها؟.."

نظرت الأم لبارا مضيفة بابتسامة واسعة "لا يهم رأي ياسان.. فلو كانت مانا تبادلك ذات الشعور، فلن يقدر ياسان على الوقوف بوجهها.. ومما رأيته في الأيام الماضية، فهي تستلطفك بطريقة تختلف عن الآخرين.. لذا اطمئن بالاً في الوقت الحالي.."

صمت بارا مضطراً وهو لا يقدر على التعبير عن مشاعره أمام الأم.. ذلك الأحمق ياسان لم يسمح له بوداعها بشكلٍ كافٍ، ولا لمعرفة رد فعلها على اعترافه ذاك..

قالت له الأم برفق واهتمام صادقين "اهتم بنفسك يا فتى.. وعُد لنا متى ما أنجزت ما أنت ذاهبٌ لأجله.."

صمت بارا للحظة وهو يشعر أنه خدع هذه العائلة الطيبة التي احتضنته لأيام عدة.. عندها تجرأ لينظر للأم ويجابه عينيها الحانيتين قائلاً بجدية "أنا بالفعل عائدٌ لوطني الذي فارقته زمناً طويلاً.. أنا عائدٌ لشادين..."

كانت عينا الأم المتسعتين والخطوة التي خطتها للخلف أكبر دليل على صدمتها لما قاله.. وبينما غالبت ترددها وحيرتها لئلا تظهر البغض الذي تشعر له لكل ما يحمل اسم تلك المملكة، قال بارا مقاطعاً أفكارها "أنا من مملكة الضياء، لكني لم أضع قدماً في أرضها منذ اثنتي عشرة سنة.. عندما كنت في العاشرة، اختارني كهنة الشمس مع شقيقتي التوأم كقربان لمعبودتهم الشمس، وتم رمينا من العالم السامي بكل قسوة.. ولولا إنقاذ رادال لنا والذي أعتبره أكبر معجزة حدثت لي في حياتي، لكنا موتى ضحية المعتقدات البالية القاسية لأولئك الكهنة.."

بدا الإشفاق محل الصدمة في عيني الأم وهي تتمتم "يا للسماء.. هذا قاسٍ جداً.."

قال بارا بحزم "لم أذكر ما ذكرته لك لأنال شفقتك.. أنا عائدٌ لشادين لا حباً في تلك الأرض.. أنا عائدٌ حقاً بحثاً عن شقيقتي.. ولكن الهدف الأهم بالنسبة لي أن أنتقم من أولئك الكهنة على كل ما اقترفوه في حق الصبية على مدى عقود طويلة.. هذا هو الهدف الوحيد الذي يدفعني للعودة بإصرار لمملكة الضياء.."

تنهدت الأم وهي تفرك يديها بتفكير وتردد، ثم قالت مديرة وجهها جانباً "هذا صعبٌ جداً على شاب مثلك.. كيف لك أن تعد الفتاة بعودتك مع ما أنت مقدمٌ عليه؟.. هذا أشد قسوة عليها مما لو رحلت دون أي وعود.."

قال بارا بإصرار "لكني سأعود.. سأعود مادمت حياً دون شك.."

نظرت له الأم دون أن يزول القلق من عينيها، ثم قالت بإشفاق "أأنت واثقٌ مما تسعى إليه؟.. أتظن أنك تستطيع الانتقام بضميرٍ مستريح وعقلٍ راضٍ عما فعلته؟.."

قال بارا بسرعة "بلى، لأنني مقتنعٌ أن أولئك القساة يستحقون ما هو أكثر.."

زفرت الأم ونظرت للبيوت حولها، ثم غمغمت "لكني أرى أن ذلك صعبٌ على من هو مثلك.. وأكثر صعوبة مع سنك الصغيرة والتي لا تسمح لك بمثل تلك القسوة التي تحاول إظهارها في نفسك عند الحديث عن أولئك الكهنة.. الانتقام من الآخرين مهما أساؤوا إليك لن يجعلك تنام هانئ البال كل ليلة كما تظن.. وقد يكون أثقل وأشد وطأة عليك مما تتخيل.."

وعادت ببصرها لبارا مضيفة "عليك أن تستوثق مما تنوي فعله قبل أن ترتكب جريمة تندم عليها لما بقي من عمرك.."

لكن نظرات بارا المصرّة إصراراً شديداً على ما ينوي القيام به لا يوحي بأنه سيتمهل ولو للحظة للتفكير في ذلك.. فربتت على كتفه قائلة "لو عدت، فلا تحمل همّ ياسان.. لا يمكنني ألا أوافق على انضمام شخص مثلك لعائلتنا، مع ما رأيته من خوفك على شقيقتك وسعيك خلفها، ومع ما عرفته من طيب أخلاقك في الأيام القليلة الماضية.. ولا أظن ياسان يملك الاعتراض بعدها مطلقاً.."

وشدّت على كتفه مضيفة "فقط تأكد أنك لا تخاطر بحياتك، وعد إلينا سالماً متى ما استطعت.."

ابتسم بارا بدوره بشيء من الراحة، ثم أحنى لها رأسه بشكر عميق، قبل أن يستدير ويغادر سالكاً الطريق الذي لطالما اشتاق لسلكه.. طريق الانتقام الذي لا يدري كم سيمتد به.. لكنه لن يتوانى عن السير فيه للنهاية..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الثاني عشر)
مملكة الضياء : مدينة النور

بعد أيام قليلة على وصول خبر سقوط طائرة رادال وسط الجبال، سار سوريم عبر أحد الممرات في قصره الملكي الواسع ووزيره الأول قيرام يتبعه بعجلة قائلاً "مولاي.. ما زلنا بحاجة لرأي سموّك بخصوص التعزيزات الغذائية التي نرسلها لجيشنا في مملكة الغمام.."

قاطعه سوريم بحزم "لم يعد لمملكة الغمام أي وجود.."

احتار قيرام في الصفة التي يمكن إطلاقها على ذلك الجزء من العالم السامي، فاستعاض عن ذلك قائلاً "أمر ذلك التموين الذي نرسله لجنودنا يسبب لنا أزمة محدودة في البلاد وفي السوق، وقد ارتفعت الأسعار بشكل جليّ منذ بدء الحرب.. بدأ الشعب يضجّ لهذا الأمر، وعلينا التصرف بقوانين تراعي الحال الذي تمر به البلاد وتجبر التجار على خفض أسعارهم.."

قال سوريم "وما الذي يمنع أن يكتفي الجنود بموارد المدن والقرى القريبة منهم؟.."

أجاب قيرام "مع كل الدمار الذي طال العديد من المزارع والقرى في تلك المناطق، أصبحت الموارد شحيحة حتى لمنتجيها، ناهيك عن سكان المدن والقرى.. فكيف لها أن تمدّ جيشنا بالموارد اللازمة طوال بقائهم هناك؟.."

قطع الوزير قيرام حديثه لرؤية بيزاراك يقترب منهما بخطوات واسعة مهرولة، وسوريم يولي اهتمامه لقائد جيوشه متناسياً أمر الوزير القريب منه.. أسرع بيزاراك ينحني للملك فور اقترابه ثم اعتدل قائلاً "مولاي.. وصلني تقرير الفرقة التي أرسلتها لتفحص الطائرة المفقودة مؤخراً.."

قال سوريم بانعدام صبر "وما كانت النتيجة؟"

خفض بيزاراك رأسه للحظة مما أكد لسوريم الإجابة قبل أن ينطق بها "بالفعل، لم تكن تلك الطائرة المنشودة.. كانت طائرة أخرى من طائراتنا ولا نعلم سبب وقوعها في ذلك المكان.. أما أجساد الجنود، فمن المحال التأكد من هوية أصحابها بشكل قاطع مع تعرضهم لذلك الحريق الهائل وتفحم أجسادهم.."

كان تغيرّ لون وجه سوريم يدلّ على الغيظ الذي شعر به، مع تأكد شكوكه وحدسه بخصوص موت

رادال.. ظل صامتاً لبعض الوقت وبيزاراك يتوقع منه أن ينفجر غاضباً كما يفعل في المعتاد، لكن سوريم ضغط على أسنانه بقوة قبل أن يواصل سيره في ذلك الممر قائلاً بصرامة "ما هي أقرب مدينة من حطام الطائرة؟"

أجاب بيزاراك بحيرة من هذا السؤال "لا توجد أي مدن في مسار تلك الطائرة أو قريباً منها، إلا بعض القرى الزراعية المتفرقة.."

قال سوريم بصرامة "ما هي أقرب مدينة؟.. أنا لم أسألك عن مسار الطائرة بالتحديد يا هذا.."

صمت بيزاراك قليلاً قبل أن يقول "أظن أن مدينة باتير هي الأقرب.. وكذلك مدينة (ساساب)"

جمد سوريم في مكانه على الفور وهو يحدق بقائد جيوشه بصمت طال.. لا يدري لمَ شعر بشيء من التوجس لهذا الخبر.. فالتفت إلى وزيره قيرام سائلاً "من هو والي باتير الآن؟"

صمت قيرام للحظة موازناً قوله، ثم أجاب "مولاي لم يحدد والياً جديداً للمدينة.. ورغم أمرك بخلع الوالي السابق، تراياش، لكنه لا يقدر على مغادرة منصبه قبل أن يسلّمه للوالي الجديد.."

هدر سوريم بغضب صائحاً "لا يقدر؟!.. أو لا يريد؟"

انبرى قيرام قائلاً "مولاي.. لقد عرضت عليك هذا الأمر عدة مرات سابقاً.. لكنك كنت ترجئه لأن أمر الحرب أهم من أمر هذا الوالي.."

صاح سوريم "كان عليك تنبيهي أن ذلك المأفون لن يغادر منصبه قبل حضور الوالي الجديد.."

تدخل بيزاراك قائلاً "مولاي.. ما أهمية وجود هذا الوالي أو ذاك في المدينة؟.. أتشك أن يكون هو المسؤول عما جرى؟"

قال سوريم عابساً "لا أشك.. بل أخشى....."

واستمر في سيره الغاضب وقد انتفخت أوداجه لكل تلك الأخبار التي عكرت يومه وأفسدت مزاجه.. فلحقه قيرام قائلاً باعتراض باهت "ما مصلحة تراياش من هذا التصرف؟.. وجود ذلك الشخص معه لن يكون مكسباً كبيراً له في مجابهة ملك البلاد.."

لم يخفت غضب سوريم وهو يصيح بقائد جيشه "أريد فرقة من جنودك تجلب لي ذلك المأفون مكبلاً لشادين.. أريد أن أعرف أي حججٍ سيسوقها لعصيان أمري.. أم أن كبرياءه لم يسمح له بمغادرة منصبه

رغم ذلك؟"

قال بيزاراك "مولاي.. أما يجب لنا أن نلتفت للأمر الأكثر أهمية من أمر ترياش؟"

أجاب سوريم بشدة "لن يطمئن بالي حتى أرى ترياش أمامي وأتأكد بنفسي أنه لم يكن له يدٌ فيما جرى.. قبل ذلك، لا تحاول مخالفتي في هذا الأمر إن لم ترغب باللحاق به.."

أدرك بيزاراك أن اعتراضاته قد تجلب عليه عواقب لا يرغب بها، فقال بسرعة "أمرك مولاي.. غداً قبل انتصاف النهار ستجد ترياش أمامك بالأغلال في يديه.."

وانحنى انحناءة سريعة قبل أن يغادر لتنفيذ هذا الأمر، ولير سل المزيد من الجنود بحثاً عن الطائرة المختفية.. فيما أكمل سوريم سيره للقاعة وهو يزفر بسخط واضح واستياء باديينٌ.. ولم يكن استياءه ليقلّ برؤية مجلس الكهنة الذي انتظره في القاعة في تلك اللحظة لمحادثته بهذا الشأن أو ذاك.. لم يكن سوريم يستلطف كهنة الشمس مطلقاً، لكنه لا يجرؤ على طردهم رغم مكانته.. فهذا معناه أنهم سيجعلونه عدوهم الأوحد، وسيؤلبون رأي العامة ضده ليل نهار..

سار سوريم نحو العرش متجاهلاً انحناءة الكهنة نحوه، وفور أن جلس، رأى رئيس مجلس الكهنة يتقدم منه قائلاً "دامت شمسك المجيدة يا مولاي.."

قاطعه سوريم بضجر "اختصر في حديثك ولا داعي لهذه المقدمات.."

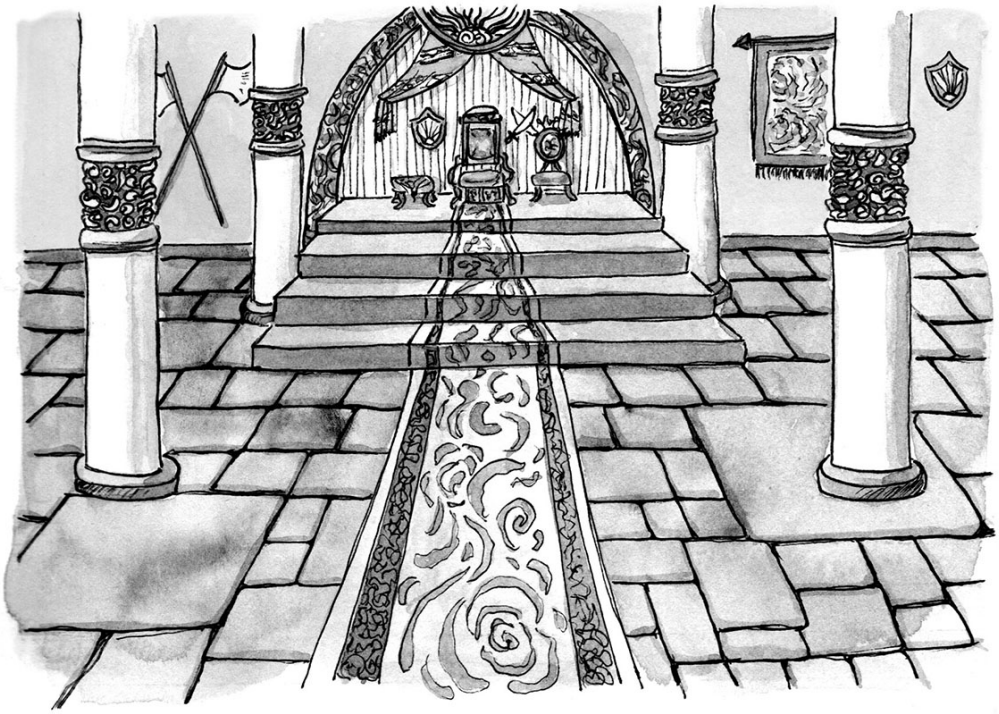

تنحنح الكاهن للحظة، ثم نظر بحذر للملك قائلاً "في الواقع، صعقتني بعض الأخبار التي تناهت لأسماعنا هذه الأيام.. أصحيحٌ ما قيل عن عودة شقيق سموّك الأكبر من أرض الهوام؟"

قال سوريم بجفاء "كيف وصل ذلك الخبر إليك؟"

أجاب الكاهن بسرعة "تناقل الخدم والوصيفات هذا الخبر، ووصل لسمع الكهنة عبرهم.."

علق سوريم ساخراً "حقاً.. وكأنكم لا تملكون وسيلة للتجسس علىّ قصري.."

هتف الكاهن "حاشاك يا مولاي أن نتجسس عليك.."

تجاوز سوريم عن هذه النقطة متسائلاً بصرامة "ما الذي تبغونه مني الآن؟"

أسرع الكاهن يقول "مولاي.. أنت مدركٌ لحساسية هذا الموضوع بالنسبة لنا، كما هو بالنسبة لك.. وجود رادال فيه تهديدٌ لأمن المملكة لو سعى للعرش.. وهو أيضاً تهديدٌ لديننا بعودته بعد أن كان قرباناً من قرابين الشمس.. عودته سالماً دون أذىً قد يثير تساؤلاتٍ عديدة بين أفراد الشعب حول الطقوس التي نقوم بها وأهميتها.. أنت تعلم أن شريحة عريضة منهم تعارض اختيارنا للقرابين وتضحيتنا بها لأ جل المملكة.. دون أن يقدّر أحدهم الجهود التي نبذلها لصالح الجميع.."

علق سوريم بسخرية "لصالح الجميع؟.. هذه نكتة أضحكتني في هذا اليوم البائس.. لكن قل لي، ما الذي تبغيه بالضبط؟"

أجاب الكاهن بسرعة "إعادته من حيث أتى.. القيام بالطقوس ذاتها معه من جديد، ورميه من العالم السامي كما حدث سابقاً.. بهذه الطريقة، نحن نضمن أن الأمن والأمان لن يختلاّ في مملكتنا المجيدة.."

قال سوريم "هذا أمره سهل.. ولو كنت أفضّل رؤيته مقتولاً أمام عينيّ لأتأكد أنه لن يعود مجدداً كما يفعل في كل مرة.."

فتح باب القاعة في تلك اللحظة، ورأى سوريم أحد معاوني الوزير الأول يقترب منه راكضاً وانحنى يهمس في أذنه للحظات طالت، فاعتدل سوريم في عرشه وهو يقول باستياء "من غير اللائق التهامس في حضرة الملك يا قيرام.. ألم تعلّم معاونيك هذا قط؟"

تراجع المعاون خطوة وهو ينحني باعتذار للملك، فيما قال قيرام "مولاي.. لقد جاء معاوني بخبرٍ أظن قد يهمك في هذه اللحظة.."

وأضاف مع نظرات سوريم المتسائلة "مولاتي الملكة الأم قد عادت لشادين في هذه اللحظات.."

قلب الكاهن بصره بين قيرام وبين الملك متسائلاً عن أهمية مثل هذا الخبر في هذه اللحظات، لكن سوريم الذي اعتدل بحدة في كرسيه وهو يحدق في قيرام بصمت دفع الكاهن لشحذ حواسه باهتمام لما سيقال..

لكن سوريم سرعان ما استعاد هدوءه وقال "مرحىٰ.. هذا خبرٌ جميلٌ بالفعل.. يبدو أن الملكة لم تستطِب المقام في كيينا في هذا الوقت من السنة.."

علق الكاهن بشيء من التردد "مولاي.. ماذا بشأن الأمر الذي حدثتك به؟"

أجاب سوريم بحزم "سأنفذ ما يروق لي.. لا يحق للكهنة ولا لأي شخص في هذا العالم فرض أمره عليّ.. ألا ترىٰ ذلك قداستك؟"

بدا الضيق واضحاً من انعقاد حاجبي الكاهن رغم أنه انحنىٰ مجيباً "طبعاً يا مولاي.. وإن كنت أتمنىٰ أن تنظر لطلبنا هذا بعين الاعتبار.."

لم يرد سوريم علىٰ قوله وهو مقطب ويجذب شعر لحيته بصمت، مما يدل علىٰ انشغال فكره بأمر، أو عدة أمور، واستيائه منها.. مما دفع الحضور في قاعة العرش للصمت أو الانسحاب دون أن يجرؤ أحدهم علىٰ التفوه بكلمة أخرىٰ..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما هبطت الطائرة الملكية في مهبط خاص في أعلىٰ جزء من القصر الملكي في شادين، تراكض عددٌ من الحرس والخدم لاستقبال الوافدة حال نزولها من الطائرة.. وقبل أن تفتح الطائرة أبوابها بالفعل، نهضت الملكة الأم قائلة للواقف أمامها بتوتر لم تملكه "أأنت واثق من صحّة هذا القرار؟"

وقف رادال أمامها مرتدياً لباس الحرس المعتاد في القصور الملكية، وقال بحزم "هذه أقصر وأسهل وسيلة كما تعلمين.. لقد اتفقنا علىٰ كل الأمور سابقاً، فلمَ التردد الآن؟"

قالت بعصبية لم تملكها "الآن أصبح الأمر واقعاً ملموساً لا مجرد خطط وأحلام.. وأخشىٰ مما قد يحدث فور أن تفتح الطائرة أبوابها.."

تساءل رادال متفحصاً ملامحها المرتبكة "أأنت خائفة من سقوطك معي لو سقطت؟"

رفعت وجهها له قائلة بانفعال "بل أخشى عليك.. سوريم أقسى مما قد تتخيله، ولن يتردد في الخلاص منك في اللحظة التي سيدرك فيها هويتك.."

قال رادال وهو يتراجع خطوة مزيحاً لها الطريق "لن أمنحه تلك الفرصة.."

زفرت الملكة الأم متوترة، وعدّلت هيئتها المعتادة قبل أن تسلك طريقها نحو باب الطائرة الذي فتح بهدوء.. وخلفها، سار رادال يتبعه عددٌ من الجنود الذين عيّنهم له ترياش من أخلص جنوده متخفّين في هيئة حرس الملكة الأم.. كان عدد تلك الفرقة، مع رادال، لا يتجاوز سبع رجال.. وهو أقصى عدد يمكن رؤيته خلف الملكة الأم في رحلة عودتها دون أن يثير الشكوك وارتياب من يرى المنظر.. ولو كان الأمر بيد ترياش، لأرسل رجالاً لا يقل عددهم عن خمسين جندياً لحلّ هذه القضية بأسهل وأسرع ما يمكن قبل أن يفطن سوريم للتهديد الذي يجابهه..

هبطت الملكة الأم الدرجات القليلة وسارت على المهبط الحجري متجاهلة انحناء الحرس والخدم لها وترحيبهم بها.. فسارت فاردة ظهرها دون أن تتخلى عن وقارها المعتاد الذي حاولت به التغطية على بعض العصبية التي انتابتها.. ألقت نظرة سريعة على من حولها لترى إن فطن أحدهم لأي أمرٍ غريب متعلق بالحرس المصاحبين لها.. المشكلة أن رادال طويل الجسد ويلفت الأنظار بين البقية بسهولة.. فماذا سيحدث لو ارتاب أحدهم بأمره وأخبر سوريم أو قائد جيوشه بوجوده في القصر؟.. تلك الفكرة تزيدها عصبية بحيث تكاد تفضح نفسها بهذا الانفعال..

لم تتخيل قط أن تكون مشاركة في مخطط للإطاحة بابنها سوريم بعد سنة واحدة فقط من توليه العرش.. لكن رؤية رادال التي فاجأتها وأثارت انفعالات عديدة ومشاعر جياشة في صدرها قد جعلتها تتحمس للأمر بشدة، خاصة أن رادال قد وعدها أنه لا ينتوي إيذاء سوريم بأي صورة.. لكنها الآن، بعد أن صار الأمر واقعاً ملموساً أمامها، بدأت تشعر بشيء من الندم يقرص ضميرها.. هل يحق لها القيام بهذه الخطة مع ما قد يتبع ذلك من فوضى في القصر وربما في شادين والمملكة كاملة؟.. أما كان الأجدر بها الوقوف في وجه رادال وترياش مطالبة إياهما بالاستماع للعقل والرضوخ للوضع الحالي دون القيام بمغامرة مجنونة كهذه؟..

لكنها في الآن ذاته لا تقدر على التنصل من هذا الأمر.. فلو أبلغت سوريم بوجود رادال في القصر، فلا تشك أن قسوة سوريم ستخوّله قتل أخاه الأكبر دون تردد.. فكيف لها أن تخون رادال بعد أن خذلته في المرة السابقة؟..

زفرت وهي تسير متجاوزة الباب الزجاجي الذي يقودها لقلب القصر، وأشارت بإصبعها للفرقة المصاحبة لها من الحرس لتتبعها رغم أن الأصول تقضي أن تتراجع عن ذلك تاركة للوصيفات اللحاق بها حتى جناحها..

ومع إشارتها تلك، لم يكن لأي حارس من حرس القصر الوقوف بوجه تلك الفرقة التي تبعت الملكة عبر الباب الزجاجي والممر الواسع الذي يقود إليه.. قلّب رادال بصره فيما حوله وهو لا يعرف بأي مشاعر يمكنه أن يقابل عودته لشادين ولقصر أبيه.. منذ وقعت عيناه على شادين من نافذة الطائرة، شعر بتهاوٍ في أعماقه وكأنه عاد الصبي الذي لا يتجاوز العاشرة من عمره، والذي رمق الغيوم تتراكض تحت قدميه وشعبه خلف ظهره يصيح مسروراً بانتظار لحظة سقوطه في هاوية لا قرار لها..

التزم رادال الصمت دون تعليق حتى مع هبوط الطائرة وخروجه برفقة الملكة الأم إلى المهبط حيث القصر الماثل أمام عينيه مبهرٌ شامخٌ كما كان يذكره دائماً.. لكن للدهشة لم يكن ذلك القصر يملك الثقل النفسي السابق، ولا الرهبة التي لطالما شعر بها رادال في زواياه أثناء طفولته.. هل كان لغياب توريالك من القصر السبب الأكبر لنزع الهيبة والرهبة منه بحيث بدا كمجرد قصر عادي لا يختلف عن الذي يملكه ترياش أو أي قصر آخر من قصور العالم السامي؟.. ما يعلمه رادال أن التهيّب الذي شعر به لعودته للقصر، رغم سعيه خلف ذلك بكل إصرار، قد زال بلمحة خاطفة دون أثر في نفسه فور أن سقطت عيناه عليه..

بعد مرورهم في ممرات القصر جاذبين الانتباه، وقفت الملكة الأم أمام جناحها والتفتت لأحد الحرس قائلة بأمر "خذ هؤلاء الحرس واعتنِ بهم.. لقد أرسلهم والي مدينة ساساب لحمايتي، وسيبقون معي لفترة من الوقت.. فاعتنِ بهم بأفضل صورة، ولا يجرؤ شخص على أن يأمرهم بأمر فهم لا يخضعون إلا لي.."

خفض الحارس رأسه موافقاً رغم استغرابه الشديد لهذا الأمر.. لم يكن هذا التصرف معتاداً من الملكة الأم التي لا تحتفظ حولها إلا ببعض الوصيفات والخدم، خلافاً لما تفعله الملكة الكبرى التي تملك فرقة خاصة من الجنود لا يطيعون شخصاً غيرها في هذا القصر.. لكنه لم يتساءل عن سبب هذا التغيير وهو يشير لرادال

ورفاقه ليتبعوه بعيداً عن جناح الملكة الأم..

تبعته تلك الفرقة دون تردد ورادال يرخي القبعة التي يرتديها لتلقي ظلالها على وجهه.. مع صورته التي رآها في اللوح الذي يحمله الجند في الثكنة، قد يتعرف عليه أحدهم في القصر فتنتهي خطته قبل أن يبدأ بها.. كل ما عليه فعله هو الصبر والتزام الحذر.. وإن هي إلا ساعاتٌ معدودة ويبدأ فيها كل شيء.. ساعاتٌ قليلة هي ما يفصله عن العرش.. وعن سوريم..

مرّ أثناء سيرهم بفرقة صغيرة من الحرس لا تتجاوز ثلاثة حراس، تتقدمهم امرأة متقدمة في العمر أدرك رادال فور رؤيتها أنها جدته، الملكة الكبرى.. لم تكن علاقته بجدته جيدة في صغره، ولم يذكر منها إلا صرامة مشابهة لما تحلى بها أبوه.. لذا لم يكن رادال مرحّباً برؤيتها في هذه اللحظات، فأرخى قبعته أكثر وهو يسير بصمت خلف بقية الحرس.. لكن لم يكن له ألا يلاحظ ملامح الملكة الكبرى التي بعد أن ألقت نظرة سريعة عليه عادت تثبت نظراتها بصمت وتقطيبة.. ظلت عيناها الحادتان تتبعانه مع اقترابه منها، مما جعل توجس رادال يزداد وهو يشعر باستياء لكونه الأطول والأكثر بروزاً بين فرقة الحرس تلك.. لم يدرِ ما جذب نظرات الملكة الكبرى إليه، أهي تشك بهويته؟.. أم أنها متعجبة من مظهره؟..

قبل أن يتقاطع طريقاهما، أشار لهم الحارس المرافق بأن يتنحوا جانباً، فأطاعه البقية وهم ينحنون باحترام للملكة التي اقتربت منهم.. حاذى رادال البقية وانحنى بشكل مبالغ فيه للمارة أمامهم راجياً أن يخفي ملامحه بانحناءته، لكن لم تلبث خطوات الملكة الكبرى أن تباطأت وهي تقترب منهم حتى وقفت أمامه آمرة "ارفع رأسك.. من تكون أنت؟.. لم أرك سابقاً في هذا القصر.."

أدرك رادال أنها قد شكت به، أيمكن أن ترى في ملامحه ما يذكرها بصباه أو ما يذكرها بتورياك وهو الأكثر شبهاً به بين الشقيقين؟.. لم يملك رادال إلا إطاعة الأمر لئلا يلفت الأنظار، فرفع رأسه ببطء بينما تقدم الحارس المرافق لهم متطوعاً بالإجابة "مولاتي.. هذه فرقة من الحرس مرسلون من والي مدينة ساساب.."

نظرت له الملكة الكبرى باستغراب متسائلة "والي ساساب؟.. ولِمَ قد يفعل ذلك؟"

أجاب الحارس "لقد أرسلهم لمرافقة الملكة الأم أثناء عودتها للعاصمة.. وقد أمرت الملكة الأم بالاعتناء بهم حتى تطلبهم.."

تزايد استنكار الملكة الكبرى وهي تقول "ساساب؟.. ما الذي ذهب بتلك الحمقاء هناك؟.."

وسألته باستياء "هل عادت الملكة الأم؟"

أجاب الحارس فوراً "بلى يا مولاتي.. عادت قبل قليل مع هذه الفرقة.."

عبست الملكة الكبرى بشدة وهي تدمدم "تلك البلهاء لا تنوي الكف عن إذهالي بمستوى حماقتها.. هل قررت أخيراً أن تحتفظ بفرقة حرس خاصة بها؟.."

واستدارت مبتعدة دون أن تزول التقطيبة عن وجهها.. متناسية أمر رادال والبقية بعد أن شغلها أمر الملكة الأم وعودتها الفجائية لشادين.. نظر رادال للحرس المرافقين له ملاحظاً ملامح الراحة على وجوههم بعد أن كاد أمره يفتضح أسرع مما ظنوا، بينما أشار لهم الحارس المرافق ليتبعوه دون أن يلمح على وجوههم ما يجعله يشك بأمرهم..

كان ذلك بالفعل وشيكاً.. والملكة الكبرى، عكس ما تتحلى به الملكة الأم من سذاجة، أكثر نباهة وأصوب حدساً مما توقع منها رادال.. لذا عليه التزام الحذر بشكل أكبر.. ولو أرسلت في طلبه، لو زاد شكها به، فعليه أن يجد العذر الملائم لئلا يستجيب لذلك الطلب.. وإلا افتضح أمره ووجد نفسه بين براثن سوريم قبل أن تبدأ خطته بالفعل..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

زفرت جود بقوة وهي تنحني مسندة يديها لركبتيها بتعب بالغ، ثم رفعت رأسها قائلة وهي ترمق المدينة الماثلة أمامها "أخيراً.. هذه شادين كما يبدو.."

كانتا قد اضطرتا لقضاء بضع أيامٍ في تنقلات لا تنتهي في جوانب مملكة الضياء، باستخدام أي مركبة أو عربة أو خيل يمكنهما استخدامه بشتى الحجج والذرائع.. لم يشك أحدهم بكونهما ليستا من مملكة الضياء، رغم اختلاف اللهجة قليلاً.. لذا سار طريقهما بهما بسلا سة شيئاً ما إلا بعض المصاعب القليلة لكونهما فتاتين وحيدتين قد تغريا أنواعاً عديدة من البشر لاستغلالهما أو الاحتيال عليهما بأي صورة كانت..

وقفت سيرا قربها ترمق المدينة صامتة.. إنها لا تشعر بأي انفعال لعودتها لمسقط رأسها.. ولا تشعر بأي سرور لذلك.. لم تكن تلك المدينة البارزة أمامها تمثّل لها إلا النبذ والبغض الذي شعرت به عندما سقطت

منها بجريرة لم ترتكبها.. رمت شعرها خلف ظهرها وهي تقول بحزم "بقي القليل فقط.. ونصل إليه.."

تساءلت جود بقلق لم تملكه "أتظنين أن سوريم لم يقتله بالفعل فور القبض عليه؟"

نظرت لها سيرا عابسة وقالت "هلا كففت عن هذا التشاؤم؟.. أحب أن أحتفظ ببعض الأمل بأنه لا يزال حياً .. وأننا سنعثر عليه في شادين.."

علقت جود وهي تتقدم خطوات "لا أظن دخولنا المدينة قد يثير شبهة أحد، لكن دخول قصر الملك أو قاعدة الجيش حيث يفترض برادال أن يكون هو أمرٌ آخر دون تأكيد.."

تقدمتها سيرا دون تردد بخطوات واثقة وهي تتأمل شادين بصمت، فأضافت جود وهي تتبعها "أتمنى أن أرى النظرة التي ستبدو على وجه رادال عندما يرانا.. لابد أنه سيدهش للحاقنا به هذه المسافة كلها.."

لاحظت أن سيرا قد وقفت بعد عدة خطوات لدى سماعها تلك الجملة، ثم استدارت وعادت أدراجها بتردد واضح.. رفعت بصرها ونظرت لجود بجدية غريبة عليها، مما أدهش جود وجعلها تقف صامتة بانتظار ما ستقوله سيرا في مثل هذه اللحظات.. بعد صمتٍ طويل وتردد بالغ من سيرا، قالت بارتباك لم تعهده منها قط "أنا أعلم أنك بذلتِ الكثير لمعاونتي في اللحاق برادال، وأنك مثلي ترغبين في إنقاذه من المصير الذي سيق إليه.. لكن لي رجاءٌ وحيدٌ أريدك أن تقبلي به.."

كان هذا مثار دهشة جود العارمة خاصة أن سيرا لم تعاملها بأي لطف طوال الأيام التي قضتاها معاً وحيدتين.. فتساءلت بعجب "لا أمانع ذلك.. لكن ما هو؟"

قالت سيرا بارتباك أكبر "عندما نصل لرادال.. وعندما نعثر عليه.. أريدك أن تتركيه لي.."

نظرت لها جود بدهشة، ثم قالت بحيرة "ماذا تعنين؟"

أجابت سيرا بشيء من العصبية "أنت تفهمينني تماماً.. أريدك أن تبتعدي عن رادال.. أن تتركيه، فهو لي.. منذ البداية كان لي، ولم يكن ليحطم هذه العلاقة إلا وجودك.."

قطبت جود معلقة "بمَ تهذين؟.. لا يمكنني أن أقف حائلاً بينك وبين رادال.. أنا....."

لم تستمع سيرا لاعتراضاتها، بل قالت بتوسل "أرجوك.. اتركيه لي.. رادال ملكي.. إنه ليس كذلك فقط.. إنه حياتي ذاتها.."

وتهدج صوتها مضيفة "بدونه، لا يمكنني أن أعيش.. بدونه، موتي وحياتي سيكونان سواء.. أما أنتِ،

فالأمر ليس كذلك بالنسبة لك قطعاً.."

وجمت جود وهي ترىٰ الدموع التي ترقرقت في عيني سيرا وهي ترتقب جوابها بشيء من الوجل.. كانت سيرا في تلك اللحظات، بتوسلاتها وضعفها ودموعها، أكثر مما يمكن لجود احتماله.. كانت بالفعل لا تحمل ذات المشاعر لرادال كما تفعل سيرا.. بل وربما ليست واثقة من حقيقة مشاعرها مطلقاً.. فكيف لها أن تحطم سيرا لأجل مشاعر مبهمة؟.. لأجل مشاعر قد تنقلب من النقيض للنقيض في لحظة واحدة؟.. بينما حب سيرا الذي مرت عليه سنوات طوال أكثر ثباتاً ومتانة مما تشعر هي به..

عندها زفرت جود وقالت مديرة وجهها جانباً "لا تقلقي.. لستُ أسعىٰ خلف رادال كما يدور في ذهنك.. أنا أريد معاونته، لكني لا أبغي أكثر من ذلك.."

وكانت كاذبة في ذلك.. لكن لا يمكنها أن تعدَ بما لا تفي به.. وبوعدها هذا، فإن علىٰ جود إلغاء مشاعرها التي تبرعمت نحو رادال خلال وقت قصير نسبياً.. عليها أن لا تراه إلا كرفيق في هذه المحنة، وكرجل تدين له بالكثير.. لا أكثر ولا أقل..

خفضت سيرا وجهها دون أن يبدو السرور علىٰ ملامحها، ثم قالت "ماذا عن رادال؟"

ونظرت نحو جود الحيرىٰ مضيفة بصوت متهدج "ماذا لو كان رادال هو من يسعىٰ إليك؟.. هل سترفضينه لأجلي أيضاً؟"

قالت جود بسرعة "رادال لا يحمل نحوي هذه المشاعر كما قد تظنين.. أنا واثقة أنه....."

قاطعتها سيرا ودموعها تسيل علىٰ خديها "لكني واثقة من ذلك.. رادال سيحاول الوصول إليك.. منذ مجيئك، ورادال يرمقك بنظرات مختلفة عما أراها في عينيه في المعتاد.. يهتم بك اهتماماً مختلفاً عن بقية النساء في حياته.. ويحاول إبقاءك قريبة منه بشتىٰ الحجج.. لم أره يفعل ذلك، لا معي ولا مع أي امرأة أخرىٰ قط.."

وتهاوت علىٰ جذع شجرة قريب مخفية وجهها خلف كفيها وهي تضيف بهمس باكٍ "إنه يريدك.. وهذا ما يتعسني أكثر من أي شيء آخر.. لم يرني رادال قط كما أردته أن يفعل، ولم يمنحني ذات الابتسامة التي يمنحها لك.."

ونظرت لجود المبهوتة وهي تقول باكية "لكني سأموت لو تخلىٰ عني.. ولو حاول الوصول إليك، فهل

ستقومين بصدّه؟.. هل سترفضينه وتتركينه لي؟"

لم تدرِ جود لمَ تسارعت دقات قلبها للحظات وهي تستمع لحديث سيرا.. وكأنها تستمع لاعتراف رادال بحبه لها، رغم أن ذلك محال، ولم تكن تلك إلا تهيؤات سيرا كما توقن جود.. لذا قالت زافرة "أنت كثيرة الخيال يا فتاة، وغيرتك عليه تهيئ لك أموراً لم توجد قط.. لا أظن رادال يهتم بي كما تقولين.. ولا يمكنني أن أقبل بذلك بدوري.. لذا عليك أن تهدئي وتكفي عن هذه الوساوس.."

واقتربت منها مربتة على كتفها مضيفة "لن أسلبه منك مطلقاً.. لك أن تثقي بذلك.. علينا فقط أن نأمل بلقائه وألا تفشل مساعينا هذه وتطير أدراج الرياح.."

وسارت متخذة طريقها نحو المدينة القريبة.. فحاولت سيرا تمالك نفسها ومسحت دموعها قبل أن تلحق جود بخطوات سريعة.. كانت تلك وسيلتها الوحيدة، رغم المهانة التي شعرت بها وهي تتذلل أمام جود.. لكن لو لم تتمكن من تغيير شعور رادال نحوها، فعلى الأقل تقدر على التأثير على جود وجعلها ترفض رادال رأفة بها.. عندها، عندما ييأس رادال من جود ومن حبه لها، لن يجد أمامه غيرها لمواساته.. مسحت سيرا وجهها وابتسمت ابتسامة جانبية وهي تسير خلف جود بصمت..

لابد أن تؤتي خطتها تلك ثمارها، مهما كانت النتائج..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

اندفع أحد معاوني ترياش وحامل أسراره للقاعة الرئيسية في القصر بحثاً عن الوالي، لكنه لم يعثر له على أثر.. عندها انطلق لغرفة جانبية ملحقة بالقاعة تحتوي على أرفف عالية ملئت ملفاتٍ وسجلات لا يصل إليها إلا الملك أو أحد معاونيه ووزرائه بأمرٍ خاص منه.. كان ترياش في وسط تلك الغرفة ينقب في بعض السجلات بحيرة كبيرة، ولما لمح معاونه بادره قائلاً "هل تعرف أين نحتفظ بأسماء جميع معاونينا في شادين وبالتحديد في قصر الملك؟.. أريد القائمة كاملة الآن، فلا وقت لدينا نضيّعه.."

قال المعاون دون أن يبادر بمعاونة الوالي "لا وقت نملكه بالفعل يا مولاي.. لقد ورد إليّ خبرٌ هام من شادين.. وارتأيت أن أبلغك به فوراً.."

علق تـرياش دون أن يـزيح عينيه عن الأوراق أمامه "كل الأخبار من شادين مهمة ولا يجوز تأجيلها كما تعلم.. فما هو هذا الخبر الآن؟"

فرك المعاون يديه قائلاً بتوتر لا محدود "الملك سوريم قد أمر باستدعائك إلى شادين.."

تجمدت يدا ترياش وهو يرفع بصره للمعاون، ثم مالت شفتاه في ابتسامة جانبية وهو يغمغم "إذن قد آن الأوان بالفعل.."

قال المعاون قلقاً "مولاي.. ما العمل الآن؟.. لو ذهبت للقاء الملك، فقد لا يسمح لك بالعودة لباتير مطلقاً.. ما الذي سنفعله نحن لو قام بتعيين والٍ جديد علينا؟"

قال ترياش بحزم "لن يحدث ذلك.. حتى لو قام بتعيين شخص جديد، وهو لابد فاعل، فلن يطول الوقت قبل أن أعود لمنصبي.. كن على ثقة بهذا.."

وحمل ورقة عثر عليها بين مجموعة هائلة من الأوراق، فبادر لمغادرة الغرفة مضيفاً "أهم ما يجب عليك فعله أن تغلق باب هذه الغرفة وتخفيه عن عيني الوالي الجديد.. إن هي إلا مدة قصيرة وتعود الأمور لسالف عهدها من جديد.."

وقف المعاون بارتباك أكبر متسائلاً "ماذا لو قرر الوالي استجوابنا أو معاقبتنا لمعاونتنا لك في السنوات الماضية؟.. ما الذي سنفعله عندها؟"

وقف ترياش ضاغطاً على كتف المعاون قائلاً بحزم "لن يحدث يا كيربات.. عليك أن تثق بما أقوله.. هل خذلتك يوماً؟"

خفض كيربات عينيه وقال "لا.. مطلقاً يا مولاي.."

هز ترياش رأسه راضياً، وغادر الغرفة يتبعه كيربات الذي حرص على إغلاق بابها ومن ثم إزاحة إحدى الخزائن الثقيلة التي تزيّن جدار القاعة بضغطة زر مخفي في تشكيل من تشكيلات الجدار.. وفور أن اختفى باب الغرفة كلياً عن الأنظار، التفت كيربات إلى ترياش الذي تأمل الورقة أمام عينيه ملياً وكأنه يسعى لحفظ الأسماء الواردة فيها اسماً اسماً قبل أن يتخلص منها.. أخيراً، نظر إلى معاونه قائلاً "هل تذكر الخطوات التي خططنا لها قبل أيام قليلة يا كيربات؟.."

هز كيربات رأسه إيجاباً، فجلس ترياش جانباً وقال "اسرد عليّ الخطة كاملة دون أن تغفل منها حرفاً..

سأعتمد عليك اعتماداً كبيراً في الأيام القليلة القادمة للتنسيق بين رجالنا.. ولو أخفقت في تنفيذ ما طلبته، سيطير عنقك بعد عنقي مباشرة.. لذا عليك أن تتدبر أمورك جيداً كما علمتك سابقاً.."

أومأ كيربات موافقاً من جديد، وبدأ يتلو على ترياش تفاصيل الخطة التي حفظها عن ظهر قلب موضحاً كل جوانبها وخطواتها ومواعيد تنفيذها.. بدءاً من مواجهة الملك مواجهة مباشرة والسيطرة على قاعة العرش وهي حجر الأساس في هذه الخطة، مروراً بالسيطرة على القصر ذاته ومحاولة تأليب الحرس ضد ملكهم وجذبهم لرادال، والقيام بالأمر ذاته في شادين وأحيائها قبل أن يتمكن الجيش من دخول القصر وسحق منفذي هذه العملية دون رحمة.. وليس انتهاءٍ بتقليد رادال الحكم وجلوسه على العرش..

تقلّب ذهن ترياش بين الانتباه لما يقوله معاونه، وبين التفكير في المخاطر التي تحيق به منذ اللحظة وحتى انتهاء هذا الأمر، بالنجاح أو الفشل.. عاد ذهنه لابنته الوحيدة والأثيرة باناس، والمصير الذي ينتظرها لو انتهى أمره بالفشل.. هذا أكثر ما يعذّب فكره في الأيام القليلة الفائتة، ورغم ذلك كان موقناً أن ما يفعله خيرٌ لها من الصمت والرضى بطرد الملك له وخلع جميع المناصب والألقاب التي يملكها.. فهذا لا يلحقه بإهانة ووصمة عار فقط، لكنه يجعله ينحدر عدة درجات في المجتمع الذي يعيش فيه.. وما يترتب على هذا الأمر قد يكون أقسى مما يتخيله أي شخص قريب منه..

بعد أن أنهى ترياش اجتماعه الطويل بمعاونه مدققاً في كل تفاصيله، غادر تلك القاعة مسرعاً عبر ممرات القصر حتى وصل إلى أحد الأجنحة الواسعة، والذي ينقسم لغرفة نوم مريحة بالإضافة لغرفة جلوس ذات أرائك وثيرة وطاولات مزخرفة مع العديد من الزهريّات الموزعة في أرجاء المكان والحاملة لأنواعٍ من الزهور العابقة بالعطر.. ووسط غرفة الجلوس، رأى عدداً من الفتيات من أنبل عائلات باتير يجتمعن بابنته باناس التي جلست وسطهن بعينين لامعتين وحديث لا ينتهي وجمالها الواضح يبزّ الباقيات ويتوهج كلما التقت بهنّ.. اقترب ترياش منهن وقد صمتن لرؤيته قبل أن تسارع الفتيات للوقوف لتحيته وهو يبتسم لهن ابتسامته الأبوية الدائمة قائلاً "أتمنى أن تكنّ قد استمتعن بأوقاتكن مع جميلتي باناس.. لكن أستميحكن عذراً في سرقتها منكن للحظات لن تطول.."

نهضت باناس واقتربت منه بتساؤل، فجذبها ترياش برفق معه نحو غرفتها ليحادثها بعيداً عن الآذان.. وهناك، بعد أن أغلق الباب عليهما، أجلسها على كرسي وأمسك كتفيها بشيء من القوة قائلاً "ابنتي

العزيزة.. أتذكرين لما حدثتك عن تلك الرحلة الممتعة التي أنوي إرسالك فيها لمدينة (جيرا) لقضاء بعض الوقت؟.. حسناً، لقد آن أوانها، وقد قمت بكافة الترتيبات المطلوبة.. عليك أن تحزمي أمتعتك لأن الطائرة ستحملك فجر الغد دون إبطاء.."

تساءلت باناس بقلق "ما الداعي لهذه العجلة يا أبي؟"

ابتسم ترياش مجيباً "ما من عجلة في الأمر.. أنا ذاهبٌ في شأنٍ لي إلى شادين، ويسوؤني بقاؤك هنا وحيدة مستسلمة لأفكارك السلبية والقتامة تعلو محيّاك الجميل.. هذه الرحلة كفيلة بأن تعيد بعض الحيوية إلى عينيك يا عزيزتي.."

قالت باناس بشيء من التردد "لكني لا أريد الرحيل حالياً.. فلنؤجل الأمر....."

قال ترياش بحدة "لا.."

نظرت له باناس بدهشة لحدته التي لم تعهدها منه قط، ولمحت في عينيه ما زاد قلقها وتوترها.. لقد رأت القلق في عينيه.. رأت ذعراً متوارياً في سوادهما، وهي لا ترى مثل هذا الأمر إلا إن كان الأمر خطيراً ومتعلقاً بها خاصة.. ما الذي يدور في ذهن أبيها في هذه اللحظات؟..

خفضت رأسها للحظة وترياش يتنهد ويقول بلهجة ألطف "عزيزتي.. هل تريدين أن تزيدي همّي؟.. كيف لي أن أذهب لشادين وأنا قلقٌ لأمرك ولما قد تمرّين به وحيدة هنا؟.. لو كانت لك أمٌ حية، لما قلقت لهذا القدر.. فلا تتعسيني أكثر من هذا.."

رفعت باناس بصرها إليه متسائلة "ما الذي يدور حقاً يا أبي؟.."

قال ترياش بابتسامة "وما الذي قد يدور حقاً يا فتاتي؟.. إنما هي أمور الحكم كما تعهدينها.."

خفضت باناس وجهها قائلة "منذ عودتي من شادين، وأنت مضطرب ومهمومٌ بشكل لا يمكنني إغفاله.. ألم يطلب منا الملك الرحيل من هذا القصر؟.. لمَ لا نزال هنا؟.."

سمعته يقول بلهجة شديدة "تقصدين منذ طردنا من هذا القصر....."

رفعت باناس بصرها له بتوجس، فرأت ذات النظرة التي رأتها في عينيه عندما عادت باكية من شادين.. ذات النظرة المرعبة، التي تتوقد حقداً وغضباً لا يعرف الهوادة.. ولكم ندمت يومها أنها عادت إليه بتلك الصورة.. لكم ندمت أنها لم توفّق في ما أرسلها فيه، ولم تنلْ إعجاب الملك إطلاقاً.. ولا يبدو أن أباها قد

تناسى الأمر لوهلة منذ ذلك الوقت..

نهضت باناس واقفة وأمسكت ذراعه قائلة بتهيّب "ما الذي تنوي فعله يا أبي؟.. أنت لن ترسلني إلى جيرا إلا لأمرٍ كبير يوشك أن يحدث في باتير، وربما شادين.. ما الذي سيجري يا أبي وتحاول إخفاءه عني؟"

ابتسم ترياش مستعيداً هدوءه، وقال بلهجة مترفقة "لا تحملي همّاً يا طفلتي، لن يحدث إلا ما يطيب لك.. ارحلي ولا تعارضي أمري هذا إطلاقاً.. والأفضل أن لا تبلغي أحداً من صويحباتك بهذا الأمر بتاتاً اليوم.."

لم تملك باناس إلا أن تهز رأسها مرغمة وتصمت أمام ما رأته منه قبل لحظات.. إنها تثق به، وتدرك أن أباها لا يتقدم خطوة دون أن يكون قد خطط لها تخطيطاً كاملاً.. فما الذي ينتوي فعله هذه المرة؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما دخلت الملكة الكبرى جناح الملكة الأم، فيما كانت الأخيرة تتأهب لتغيير ملابسها والاستحمام بعد رحلة طويلة كالتي قامت بها، فإنها قالت دون أن تتلطف بأي تحية كالمعتاد "ما الذي عاد بك قبل الأوان؟.. ألم يكن من المفترض أن تقضي شهراً أو شهرين في كيينا؟"

قالت الملكة الأم ببساطة والوصيفة تنزع زينة شعرها "هل تسوؤك رؤيتي يا حماتي؟.. ألم تشتاقي لي؟"

جلست الملكة الكبرى على أحد الأرائك قائلة بحزم "هذا لا يجيب أي أسئلة.. ما الذي عاد بك؟.."

أجابت الملكة الأم بريبة "ما هذا الإصرار الغريب على إبعادي عن شادين في هذا الوقت بالذات؟.. إصرار سوريم سابقاً لذهابي بدعوى أنني متعبة وبحاجة لبعض الراحة.. والآن تساؤلاتك الغريبة هذه عن سبب عودتي.. وهل يجب أن يملك الشخص سبباً ليعود لبيته؟"

قالت الملكة الكبرى بلهجة اتهام "ليس عندما يختفي المرء من محل إقامته دون إنذار أو سبب واضح.. أين كنتِ؟.. لقد أبلغنا رجالنا في كيينا أنك لم تكوني موجودة في قصرك منذ بضع أيام، وأنك غادرته دون إبلاغ أحد.. وبعدها علمت أنك كنت في ساساب.. فما هو تفسير هذا التصرف الغريب؟"

تمالكت الملكة الأم انفعالها بصعوبة لئلا يبدو لعيني حماتها الفاحصتين، وقالت بلهجة عادية مديرة وجهها

للمرآة الماثلة أمامها "كان الوضع في كيينا مملاً.. أغلب العوائل النبيلة قد غادرتها هرباً من جوها البارد في مثل هذا الوقت من السنة.. لذا قررت الذهاب لساساب بحثاً عن بعض المرح.."

قطبت الملكة الكبرى معلقة "كان عليك إبلاغ الملك بذلك على الأقل.."

ألقت الملكة الأم نظرة باردة على محدثتها وهي تقول "وهل يجب عليّ أن أقدم تقريراً لابني؟.. أنا لي مكانتي في هذه المملكة، ولستُ أخضع لأحد حتى لسوريم.. لكن ما يجدر بي قوله فعلاً هو السبب الذي دعا ابني العزيز وحماتي الغالية لمراقبة تحركاتي في هذا الوقت بالذات بل ومحاسبتي عليها.. فأي عذرٍ قد تملكانه على هذا؟"

تعالى صوت سوريم يقول بلهجة ظاهرها المرح وبسمة جافة "وهل يجب أن نملك سبباً للقلق على أم ملك البلاد؟.. هل أصبحت حمايتك والاطمئنان عليك شبهة الآن؟"

نظرت له الملكة الأم بهدوء لتلاحظ ميام التي دلفت خلف الملك، وسارعت للانحناء للملكة الأم وهي تلهج بالحمد للشمس المجيدة على عودتها سالمة لشادين.. تجاهلتها الملكة بشكل تام وهي تسأل سوريم باستياء " ما معنى هذا؟.. ألا يمكنني الحصول على بعض الراحة بعد رحلتي هذه دون الخضوع لاستجوابكم الجاف هذا؟.."

وقف سوريم في صدر الغرفة بثقة بالغة وهو يتفحص ملامح أمه التي لا تعرف كيف تخفي انفعالاتها واضطرابها في المعتاد.. لو كان لغيابها المفاجئ علاقة باختفاء رادال، أو جثته، من الطائرة.. فلابد أن يبدو ذلك بوضوح في عينيها.. لكنها هذه المرة لم تكن تبدو له كذلك.. كانت متمالكة نفسها تنظر له ولجدته بشيء من الضيق المعتاد، وتتأفف بوضوح لمقاطعتهم فترة راحتها بعد رحلتها السابقة..

في الواقع، احتاجت الملكة الأم لإرادة أقوى مما تبديه في المعتاد ولعزيمة هائلة لئلا تفضح نفسها أمام هذين الإثنين وهي التي تبدو أمامهما ككتابٍ مفتوح في المعتاد.. كان أكبر دافعٍ لها للثبات أمام استجوابهما هو رادال نفسه.. كانت تخشى عليه، ولا تشك أن جدته الملكة الكبرى ستكون قاسية معه كما هو سوريم.. لذا تحلّت الملكة الأم بكل ضيق نفس وضجر يمكنها أن تبدو به على أمل أن يتركوها هذا اليوم وحيدة، متعذّرة بأنها متعبة بعد رحلتها التي لا تستغرق إلا ساعات معدودة بالطائرة الملكية الفاخرة..

في تلك الليلة، بعد أن أوى أغلب من في القصر، أرسلت الملكة الأم وصيفتها التي تهيؤها للنوم عادة

لاستدعاء فرقة الحرس المصاحبة لها متعللة بأنها بحاجة لمن يحرس جناحها ليلاً.. بعد قليل، جاء رادال مع اثنين من الحرس اللذين اكتفيا بالوقوف عند باب الجناح يحرسان الملكة الأم ظاهرياً ولحراسة رادال ومنع أي شخص من اكتشاف وجوده في الجناح هذه الليلة..

وقف رادال يقلب بصره في جناح الملكة الأم الذي يذكر بعض تفاصيله صغيراً وهو الذي لطالما لجأ لها كلما ساءه موقفٌ أو تصرفٌ من أبيه أو من سوريم وأحياناً من جدته.. كان كثير البكاء في صغره، يسكب عواطفه البائسة أمامها كلما اختبأ في هذا الجناح هرباً من الآخرين.. وهي رغم محاولاتها لتهدئته وتطييب خاطره لكنها دائمة الترديد بأنه رجل، وعليه أن يثبت نفسه للملك وللآخرين بأي صورة كانت..

تجاوز رادال عن ذكرياته تلك وهو يرى أمه تدور في الجناح قلقة بشدة، وتسارع للنوافذ القريبة فتسدل ستائرها التي تظل مفتوحة طوال الليل في العادة.. كانت تخشى أن يرى شخصٌ ما رادال معها في الجناح، لا خوفاً على ما قد يطالها من حديث لكن خوفاً من أن يصل الأمر لسوريم ويكتشف وجود رادال في القصر..

جلس رادال على إحدى الأرائك متسائلاً "حتى متى ستظلين خائفة؟.. الأمور سارت على خير ما يرام ولم يشك أحدٌ بي اليوم.. لابد أن سوريم يظنني ميتاً، لذا لن يتوقع وجودي بتاتاً.."

زفرت الملكة الأم بتوتر كبير، ثم نظرت له متسائلة "ما الذي تنوي فعله الآن؟"

اعتدل رادال مجيباً "الخطة التي اتفقتُ عليها مع ترياش أن يخاطب بعض رجاله المتواجدين في القصر بالفعل.. غداً صباحاً، قبل فتح أبواب القصر للنبلاء حيث يرتفع تحفز الحرس في القصر وفي قاعة العرش بشكل خاص، سأذهب معك لمواجهة سوريم في القاعة.. بوجودك، لن يجرؤ شخص ما على تفتيشي.. وهناك سأواجه سوريم، وبمعاونة رجال ترياش وهذه الفرقة الصغيرة من الجنود سأجبره على التنازل عن العرش حفاظاً على حياته.."

قالت الملكة الأم باعتراض كبير "هذه خطة بسيطة جداً مقارنة بحجم التهديد الذي ستلاقونه في القصر.. إن وافق سوريم على طلبك، وهو أمرٌ مستحيل، فلن يرضخ قائد جيوشه وبقية الجند بالأمر.. وإن وافق قائد الجيوش فلن يرضخ الشعب لذلك ولا الولاة أيضاً.. أي شيءٍ ترجو تحقيقه من خطة عائمة لا رأس لها ولا ذيل.."

قطب رادال قائلاً "لا أظن الوقت ملائمٌ لهذه النبرة وهذا الاعتراض.. لن يجرؤ الجيش، ولا الشعب، على القيام بأي تصرف مادام سوريم تحت رحمتنا.. ونحن سنحمي أنفسنا في قاعة العرش وهي كما تعلمين، وكما علمت من ترياش، حصينة ضد أي هجوم خارجي.."

ثم مال نحوها مضيفاً "وهنا يأتي دورك أنت.. عليك مخاطبة الشعب بأي وسيلة كانت، ومخاطبة الجنود على الأخص.. أخبريهم أنني أنا ولي العهد الحقيقي لهذا العرش، وأنني الأحق بالجلوس عليه من سوريم.. أخبريهم أنني لن أصيب سوريم بأي أذىً ما لم يعصوا طلبي ويحاولوا مقاومتي.."

قالت الملكة الأم بتوتر "ماذا عن الكهنة؟.. لن يرضخوا لهذا الأمر مهما حاولنا.."

قال رادال باستخفاف "لا يهمني أمرهم.. يمكنني أن أقوم باستبدال كهنة المعبد جميعهم إن لم أحصل على ولائهم الكامل.."

فوجئ الإثنان في تلك اللحظة بطرقة خافتة على باب الجناح، وقفت الملكة الأم على الفور بذعر فيما تساءل رادال بخفوت "من يكون هذا؟.. الحراس ما كانوا ليسمحوا لشخص بالاقتراب من الجناح دون إذن مني.."

هزت الملكة الأم كتفيها بحيرة قلقة، وأشارت لغرفتها الجانبية فأسرع رادال يختبئ خلف بابها بصمت.. عندها سمحت الملكة للطارق بالدخول بنبرة حاولت ألا تكشف الارتباك فيها.. وعندما رأت أحد الحرس الخاصين بترياش يدخل الجناح، أطلقت زفرة راحة وهي تستعيد ثباتها لتقول بأمر "ما الذي جرى؟"

أغلق الحارس الباب خلفه، ورادال يغادر مخبأه منضماً إليهما.. فاقترب الحارس منحنياً للملكة ولرادال قائلاً "وصلني اتصالٌ عاجل من سيدي ترياش عبر وسيلة اتصال خاصة.. ومعه رسالة لمولاي رادال طلب مني إيصالها لك دون تأخير.."

تبادل رادال والملكة الأم نظرات التعجب، والحارس يضيف "إن سيدي ترياش يطلب منك الانتظار وتأخير موعد العملية المنتظر يوماً واحداً.. إنه يصرّ على عدم تنفيذها غداً صباحاً كما هو متفق عليه.."

تساءل رادال باستياء "لماذا؟.. كل يوم نتأخر فيه يعرضنا لكشف أمرنا أكثر لسوريم وجنوده.."

أجاب الحارس بسرعة "لقد أرسل الملك فرقة لاصطحاب سيدي ترياش للمثول بين يديه غداً.. وهو

يؤكد أن بدء العملية بوجوده أفضل كي يتمكن من التنسيق مع رجاله المتواجدين في هذا القصر بنفسه.."

نظرت الملكة الأم لرادال معلقة "ربما كان ذلك أفضل بالفعل.."

قطب رادال بصمت للحظات.. كان هذا الخبر يسوؤه أكثر، خشية أن يفتضح أمرهم في القصر وتفشل الخطة قبل أن يبدؤوا بها فعلاً.. لكنه يثق بترياش وبخططه.. لذا، قرر أن يصبر يوماً واحداً فقط.. عندها قد يصبح إنجاز هذه العملية بوجود ترياش أسهل وأيسر بالفعل..

نظر رادال للملكة الأم التي ترمقه بقلق كعادتها بانتظار رأيه.. فتنهد قائلاً "لا مناص من ذلك.. سنؤخر بدء العملية حتى يصل ترياش وأقوم بتنسيق الأمر معه ومع رجاله.."

هز الحارس رأسه موافقاً وغادر بصمت، فالتفت رادال لأمه مضيفاً "خذي قسطاً من الراحة وانسي قلقك هذا ولو لليلة واحدة.. كلما تعاظم القلق في نفسك، أصبح الأمر مفضوحاً أكثر في ملامحك.."

وغادر بصمت بدوره، فيما تنهدت الملكة الأم بدورها وهي تنسحب لفراشها فاركة كفيها.. ربما كان هذا التأخير في صالح الجميع بالفعل.. هذا يزيح ثقلاً كبيراً من صدرها ويجعل رئتيها أوسع وأكثر راحة مما كانتا عليه سابقاً..

ستنام هذه الليلة.. وربما تغدو الأمور أسهل وأيسر عليها غداً صباحاً بعد راحة طويلة خالية من الهواجس والقلق..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، هبطت تلك الطائرة في مهبط الطائرات التابع لقصر الوالي في باتير، وفتح بابها ليهبط منه أحد معاوني بيزاراك مع ثلة من جنوده.. لم يكد المعاون يضع قدماً على أرض المهبط حتى لاحظ الوالي السابق ترياش واقفاً مع عدد من معاونيه ووزرائه وجنوده قرب المهبط بانتظاره.. كان ترياش يقف بابتسامة واسعة شاداً جسده وواضعاً يديه خلف ظهره بصمت.. اقترب معاون بيزاراك المدعو فيرد من ترياش فتلقاه الأخير قائلاً بلهجة مرحة "ما الداعي للوصول لباتير بصمت وسرية؟.. لو أنكم أعلمتموني بقدومكم، لجهّزت لكم احتفالاً يليق بمعاون قائد جيوش مملكتنا المجيدة.."

قال فيرد وهو يقترب "ومن أبلغك بقدومنا بالفعل؟"

أجاب ترياش "ألم يفعل قائد الطائرة قبل وصولكم باتير؟.. أنا واثقٌ أنه فعل.."

كان فيرد متأكداً أن قائد الطائرة لم يقم بتصرفٍ مثل هذا دون أمر منه، لكن مما بدا واضحاً في وجه ترياش أنه كان يعلم بقدومهم تمام العلم، وربما يعرف السبب الذي لأجله جاءت هذه الفرقة من الجيش بقيادة معاون بيزاراك.. اقترب فيرد من ترياش منتوياً الانتهاء من هذه المهمة بشكل مباشر دون أي ألعاب لفظية، فقال بصرامة "ترياش.. بأمر من الملك سوريم، ومن قائد الجيش بيزاراك، عليك....."

قاطعه ترياش قائلاً بهدوء "أنت تريد أخذي إلى شادين.. أليس كذلك؟.."

نظر له فيرد بصمت مقطب الجبين، فقال ترياش وهو يلوّح بإصبعه لأحد رجاله "وأنا متأهبٌ لذلك منذ الصباح.. هيا بنا ولا داعي للتأخير.."

اقترب أحد رجال ترياش حاملاً حقيبة قماشية عريضة مقفلة بشرائط جلدية وسار بها نحو الطائرة، لكن فيرد استوقفه قائلاً "مهلاً.. ما هذا الذي تنوي أخذه؟"

قال ترياش بتعجب "وهل هناك ما يمنع أن آخذ حقيبة ملابسي معي؟.. أنت لا تتوقع مني أن أمثُل أمام الملك المبجل بملابسي هذه بعد رحلة طويلة كالتي ننوي القيام بها..!"

وتقدم نحو الطائرة بدوره بصمت فارداً جسده بثقة وأريحية تامة، مما زاد تقطيبة فيرد الذي تبعه دون اعتراض هذه المرة وهو يشير لرجاله بالعودة للطائرة.. المفترض أن يكبّل ترياش ويسوقه مرغماً لشادين كما تملي عليه الأوامر من قائده بيزاراك، لكن ما دام الرجل قد رافقهم دون اعتراض، فما الداعي لتكبيله بالفعل؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الثالث عشر)
مملكة النبع المقدس: أب وابن

رفع الصبي الذي لم يجاوز السابعة عينان قلقتان عندما سمع ذلك السعال الذي جاهد صاحبه ليجعله خافتاً.. تأمل الرجل الذي جلس غير بعيد عنه على طاولة خشبية مزخرفة بزخارف ملونة زاهية، وأرجل معدنية سميكة، وتقع وسط قاعة واسعة مرتفعة السقف بعوارض خشبية متينة..

توقف الصبي عن قراءة الكتاب المفتوح أمامه، وتأمل الرجل الذي يقارب الأربعين من عمره والذي غطى فمه بمنديل حريري مقاوماً نوبات السعال، قبل أن يطوي المنديل بإحكام ثم يناوله لخادمٍ قريب ويعود لقراءة كتاب ضخم مفتوح أمامه باهتمام واضح..

لم يستطع الصبي العودة لكتابه، بل قال بقلق شديد "سيدي الكاهن الأعلى.. أأنت بخير؟.. يبدو لي أنك لازلت مريضاً.."

قال الكاهن الأعلى دون أن يرفع رأسه عن الكتاب "أتمّ قراءة كتابك يا صابا.. ما يزال أمامك خمسة فصول قبل أن تنتهي من قراءة الكمية المحددة لك هذا اليوم.."

قال صابا باعتراض "ولكني قلق على صحتك.. لقد انتصف النهار.. لمَ لا تذهب لتنيل بعض الراحة؟"

لم يجبه الكاهن الأعلى وهو يقلب صفحات الكتاب، فقال صابا باستعطاف "أبي....."

رفع الكاهن الأعلى بصره نحو صابا بنظرة جامدة باردة، وقال "أنت لست مخوّلاً بالحديث عن صحتي، ولا فرض أوامرك عليّ.. الأفضل لك أن تقوم بما يملى عليك قبل أن تثير استيائي.."

صمت صابا مجبراً وهو يخفض بصره، ثم سمع الكاهن الأعلى يقول بلا انفعال "ومن الخير لك ألا تحاول مناداتي بهذا اللقب مطلقاً.. هذه نصيحة صادقة أوجهها لك.."

دفن صابا وجهه في كتابه بصمت وعيناه لا تكادان تريان الحروف أمامه.. شعر بوهج قوي في خديه وصل لأذنيه وألهب مؤخرة عنقه.. لا بد أن الدماء قد جعلته يبدو بمظهر مضحك للخادم الذي وقف قريباً بسكون بانتظار أي أوامر من الكاهن الأعلى.. حاول صابا تجاوز ذلك الإحراج وابتلاع حزنه لمعاملة أبيه الجافة.. وبدأ التركيز على الكلمات التي أخذت تتراقص أمامه.. ربما لو أنهى المقرر لهذا اليوم بسرعة،

سيتمكن الكاهن الأعلى من مغادرة القاعة والحصول على بعض الراحة..

بلى.. تلك ستكون محاولة مثمرة، وهذه الفكرة زادته لهفة لا ستكمال قراءاته بسرعة وحماس أكبر من السابق..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم يكن يوم صابا كيوم أي صبي آخر في عمره، لا في المملكة ولا في العالم السامي كله.. فأبوه هو الكاهن الأعلى وحاكم مملكة النبع المقدس، فاجتمعت مسؤولياته كحاكم بمسؤوليات كاهن المملكة الأعلى.. ورغم أن صابا، ابنه الوحيد، ليس وريثاً لعرش المملكة إلا أن هذا لم يعفِه من مسؤولياته العديدة كما فرض عليه الكاهن الأعلى منذ صغره..

اختلفت ولاية العرش في هذه المملكة عن باقي الممالك بأنها لا تورّث.. بل يتم انتخاب الملك بين الكهنة الأكفأ ممن جاوزوا الثلاثين من العمر، بغضّ النظر عن هويته وعائلته وأي اعتبارٍ آخر.. كانت تلك القوانين التي أسّسها الكاهن الأول عند إنشاء المملكة قد حرصت على إلغاء نظام الملك العادي وتحجيم سلطة العوائل ذات النفوذ في العاصمة جيرا وإعلاء المعبد وكهنته فوق أي نظام..

لم يكن صابا يهتم بأمور العرش وحكم المملكة، رغم أن أبوه الكاهن الأعلى كاتيرد قد ذكر أكثر من مرة أمامه أنه يقوم بتأهيله للحكم عندما يبلغ السن المناسبة، لكن ذلك كان آخر همّ الصبي الذي يكبح جماح حيويته طوال النهار وهو ملتزمٌ بالتعليمات والأوامر التي تطلب منه.. كل ما يسعى إليه أن لا يرى خيبة الأمل في عيني أبيه، وأن يبتسم له بفخر واضح.. لذا استحق مديح بقية الكهنة في المعبد على حسن تصرفه بشكل يخالف بقية الصبية في عمره..

اللحظات الوحيدة التي تمكّن صابا من الانطلاق على سجيته، كانت في الساعات التي ينشغل فيها الكهنة مع الكاهن الأعلى في اجتماعهم اليومي.. عندها كان صابا، الذي ينتظر أباه بصبرٍ كالعادة، يطلق لنفسه العنان وهو يركض ملاحقاً بعض اليعاسيب في الحديقة القريبة من موقع الاجتماع.. أو رمي الحصى في النبع الصغير الذي يزخر ببعض الأسماك زاهية الألوان، خلسة بعيداً عن أعين أي كهنة أو خدم يمرون

به.. وأحياناً يتسلى بتنفيذ بعض المقالب بالخدم وربما الحرس القريبين دون أن يظهر لهم نفسه خشية أن يشكوه أحدهم للكاهن الأعلى..

وفور أن يرى ظل الكاهن الأعلى يتقدم بقية الكهنة خارجين من غرفة الاجتماع، يسارع صابا للوقوف جانباً خافضاً لهم رأسه باحترام، ومستعيداً رصانته التي تفوق من هم أكبر عمراً منه.. وفي ذلك اليوم، لاحظ اقتراب أحد الكهنة الأقل مرتبة في المعبد من الكاهن الأعلى بسرعة فور فراغه من ذلك الاجتماع، وحنى رأسه له قائلاً "سيدي كاتيرد.. تلقينا اتصالاً مهماً ومستعجلاً من خارج المملكة.. وقد طلب صاحبه محادثتك على وجه السرعة.."

بدت المفاجأة واضحة على وجه الكاهن الأعلى ممزوجة ببعض التوتر، لكنه استعاد رصانته بسرعة وهو يسأل بهدوء "ومن هو صاحب ذلك الاتصال؟"

أجاب الكاهن "إنه شخصٌ من مملكة الضياء.. يقول إنه....."

لم يتبين صابا بقية الحديث والكاهن الأعلى يشير له ليتبعه، فتبعه صابا كعادته بصمت.. ما زال اليوم في بداياته، وما تزال أمامه الكثير من المهام، مع الكاهن الأعلى ولاحقاً مع بقية الكهنة، قبل أن ينتهي يومه بعودته للبيت المتواضع الذي يؤويه مع أبيه في المعبد الرئيسي في جيرا..

كان البيت المخصص للكاهن الأعلى وحاكم هذه البلاد يقع في جانب المعبد الرئيسي، يتوسط عدداً من المنازل التي يشغلها كبار الكهنة.. وهو مكون من طابق واحد، بثلاث غرف ومجلس يتوسط تلك الغرف، بالإضافة لحمام واحد فقط.. ويخلو من أي جزءٍ يمكن أن يطلق عليه اسم (مطبخ).. فالمطبخ الرئيسي للمعبد يوفر الطعام للكهنة، وهو لا يكاد يتنوع ويخلو من أي لذة أو جمال لكنه ذا فائدة عالية للجسد..

في تلك الليلة، نهض صابا مفزوعاً من نومه في الغرفة التي خصصت له وحده.. كان قد حلم حلماً مريعاً لا يذكر أي تفصيلةٍ منه الآن، لكنه لا يزال يشعر بالذعر الذي يعبث بأعصابه ويلسع قلبه بشدة.. نهض كعادته عندما تباغته تلك الأحلام، وغادر الغرفة متوجهاً لغرفة أبيه المجاورة، بحثاً عن بعض الأمان بوجوده رغم أن الأب يرفض السماح له بالنوم معه في المعتاد.. لكن بضع كلمات من الأب لطمأنته كانت تكفيه في كل مرة ليعود لفراشه راضياً وينام حتى الصباح.. لم يكن صابا يعرف له أماً، ولم يسأل قط عن أمه.. كل ما يعرفه أن معبد الكهنة لا تعمل فيه النساء.. وأن حاله لا يختلف عن حال الكثير من الصبية فيه

الذين ينضمّون للمعبد في سنٍّ صغيرة جداً.. وبينما سكن أولئك الصبية في مبنىً مخصص لهم، تميّز صابا وحده بالعيش مع الكاهن الأعلى في هذا المنزل..

عندما فتح صابا باب غرفة كاتيرد، بهدوء ودون إصدار صوت، لاحظ من الإضاءة الخفيفة الموضوعة جوار الفراش أن أباه لم يكن في الغرفة كلها.. لم يكن ذلك أمراً معتاداً، لكنه لم يكن غريباً كذلك.. سار صابا في المنزل نحو الغرفة الأخيرة التي يستعملها كاتيرد كمكتبٍ لأوراقه وكتبه، بالإضافة لبعض الأجهزة التي وضعها جانباً والتي لا يستخدمها أحدٌ غيره.. وعند اقترابه، استطاع أن يسمع أطراف ذلك الحديث الخافت الذي يدور في الغرفة.. اقترب صابا بهدوء، ونظر عبر الباب خشية إزعاج أبيه والضيف الذي ربما زاره في هذا الوقت المتأخر.. لكنه للدهشة لم يرَ شخصاً جوار كاتيرد الذي جلس على كرسيٍ خشبي وأمامه أحد الأجهزة ذو الأزرار العديدة التي لا يعلم صابا ماهيّتها.. لكنه أدرك أن الصوت الذي يحادث أباه كان يخرج من ذلك الجهاز بالذات مما دلّه أنه جهاز اتصالاتٍ محدود الحجم..

سمع كاتيرد يقول عبر جزءٍ منفصل من الجهاز يمسكه بيده "هذا خبرٌ غريبٌ لم أتوقع سماعه قط، خاصة في مثل هذا الوقت الحساس في ممالك العالم السامي.."

أتاه صوت رجلٍ عبر الجهاز يقول باستياء "أنت أيضاً؟.. يبدو أن أخبار قصري مشاعة لكل من شاء التجسس عليه في هذا العالم.."

علق كاتيرد "ليس المهم كيف وصلتنا هذه الأخبار.. المهم ما ستفعله بشأنها.. ألا ترىٰ أن هذا يمكن أن يضرّ بخطتك الأصلية ويحيد بها عن طريقها؟.. خاصة لو وصل هذا الأمر لشادين ذاتها.."

قال الرجل بإباء "لقد اتخذت احتياطاتي بالفعل، وسينقضي الأمر بأسرع مما تتوقع.. فلا تُقلق نفسك بهذا الأمر.."

ثم أضاف بحزم "المهم أن توفي بوعدك وتلتزم بجانبك من الاتفاق عندما يستلزم الأمر.. أنت مدرك أن هايانا لن تصمت طويلاً ولابد أنها تعدّ عدتها للمواجهة.. لذا عليك أن تكون مستعداً.."

فقال كاتيرد "أنا ملتزمٌ به بالفعل، ومستعد للحظة الانطلاق في أي ساعة.. لكن عليك تقدير مدىٰ صعوبة تنفيذ هذا الأمر دون أن يصل لسمع بقية الكهنة وللمجلس السامي بالذات.. فالمجلس لن يصمت....."

قطع حديثه عندما سمع صوت جلبةٍ خافتة صدرت من الباب، فاستدار بسرعة ليرى طرفاً من ذلك الجسد الذي تراجع مبتعداً بسرعة.. عندها أنهى كاتيرد الاتصال قائلاً "سنواصل هذا الحديث فيما بعد.. لديّ أمرٌ طارئٌ علي القيام به.."

وأغلق الجهاز قبل أن ينهض ويغادر الغرفة نحو غرفة الجلوس التي تتوسط بقية الغرف.. وهناك، رأى جسد صابا منطوياً على أحد الأرائك بسيطة المنظر، وهو صامتٌ مطرقٌ يعلو الذنب وجهه.. تنهد كاتيرد بشيء من الارتياح لرؤية صابا، ولإدراكه أن ذلك المتنصت لم يكن إلا ابنه الصغير.. فاقترب منه قائلاً بصرامة رغم ذلك "ما الذي أيقظك في هذه الساعة يا صابا؟.. ولِمَ غادرت غرفتك؟"

قال صابا برجفة واضحة "رأيت كابوساً.. وأفزعني بشدة.. لذا أتيتُ بحثاً عنك.."

لم يكن صابا يدري بالذنب الذي ارتكبه، لكن شعوره بأنه أزعج أباه أثناء قيامه باتصالٍ مهم، وكل ما يفعله الأب مهمٌ بالضرورة، قد جعله يشعر بالخجل مما ارتكبه.. لكن كاتيرد الذي غمره ارتياح بعد اكتشاف هوية المتلصص عليه، قال بهدوء دون أن يثور غاضباً "لا بأس.. عليك أن تدرك أنك أصبحت كبيراً ولستَ بحاجة لمن يهدئ فزعك كلما رأيت كابوساً.. عد الآن لغرفتك.."

نهض صابا بصمت وطاعة كعادته، لكنه تمهل قبل أن يخطو خطوة أخرى وقال بتردد "هل.... هل سترحل بعيداً يا أبي؟"

تغاضى كاتيرد عن مناداة صابا له بهذا اللقب الذي يبغضه، وقال بحيرة "أرحل؟.. من قال ذلك؟.. وهل يرحل حاكم البلاد لأي مكان؟"

رفع صابا رأسه نحوه وتساءل بلهفة "سمعت حديثك عن شادين.. هل تنوي الرحيل إليها؟.. وهل تأخذني معك عندها يا أبي؟.. لطالما حلمت بذلك.. لا بد أن الكاهن سرى سيكون مسروراً كذلك.. فهو....."

فوجئ بالأب يتقدم منه بخطوة واسعة ويقبض على ذراعه بقوة آلمته وهو يقول بعينين متّقدتين شرراً "إياك أن تذكر ما سمعته الآن لأحد.. إياك..... لو عرفت أنك ذكرت هذا الأمر لأيٍّ من الكهنة في المعبد فسأطردك منه.. أفهمت؟"

هز صابا رأسه بارتعابٍ واضح، فأطلقه كاتيرد وهو يقول آمراً "عُد لغرفتك وانسَ كل ما سمعته هذه

الليلة.. لمصلحتك يا فتى أن تنسى.."

تراجع صابا مسرعاً إلى غرفته وقلبه يدق بقوة.. للمرة الأولى في حياته يشهد هذا الغضب في عيني أبيه.. وهذا كان أثره على الفتى أشد وأقسى مما توقع وهو يندسّ في فراشه متناسياً الحلم المفزع الذي أيقظه، ومجبراً نفسه على النوم بسرعة لئلا يزداد استياء الكاهن الأعلى وغضبه منه..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

تأملت باناس تلك المدينة الغريبة التي تبدّت أسفل الطائرة التي تقلّها بقلق وتوتر واضحين.. كانت قد أمضت عدة ساعات في هذه الرحلة من باتير، وها هي تصل مدينة (جيرا) كما خطط لها والدها وكما أوصى قائد تلك الطائرة أن يفعل.. وها هي جيرا تتبدى لعينيها، وسط ذلك النهر العريض الذي لم ترَ باناس مثله في الحجم.. كان النهر الذي يقطع ذلك المكان عريضاً يجري من الجبال التي خلّفوها خلفهم حتى يلاقي عدة أنهار متفاوتة في الحجم أتت من جوانب أخرى من تلك السلسلة الجبلية، لتصبّ جميعها في تلك الأرض المنخفضة مكونة بحيرة واسعة هائلة الحجم لا يكاد الواقف في جانبها يرى ضفتها الأخرى.. ووسط تلك البحيرة، استقرت مدينة جيرا على جزيرة متوسطة الحجم احتلت وسط تلك البحيرة.. وبسبب مساحة الجزيرة المحدودة، كانت مساحة جيرا صغيرة جداً مقارنة بشادين أو حتى باتير، وإن استعاض أهلها عن صغر الحجم ببناء المنازل بكثافة غير عادية.. بالإضافة لأجزاء أخرى من المدينة

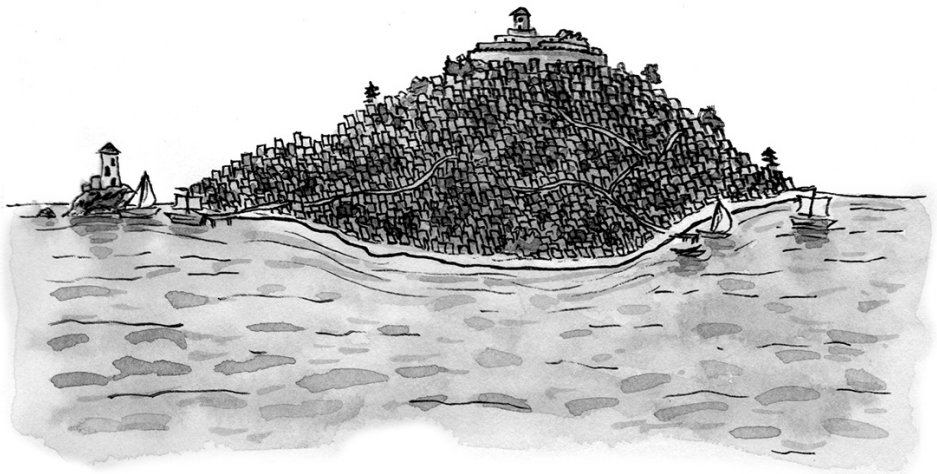

استقرت على ضفة البحيرة تلك بوجود جسرٍ عريض امتد من جيرا للضفة مسهلاً حركة النقل بينهما..

تنهدت باناس وهي سارحة بتأمل المدينة، وتتذكر وجه أبيها عندما غادرته.. كان قلقاً.. يمكنها أن تكتشف سوء الأمور التي أرسلها بسببها بعيداً عن مملكة الضياء.. فما الذي سيحلّ به بعد رحيلها؟.. ما الذي أرغمه على إرسالها بعيداً لحمايتها منه؟..

لم تملك باناس وسيلة للحصول على أجوبة تلك الأسئلة.. ربما كان ذلك الصديق الذي أتت للجوء إليه يملك بعض الأجوبة التي قد تهدئ قلقها على مصير أبيها ومصيرها من بعده.. لكنها حتى الآن لا تعلم من هو هذا الصديق، ولا سبب قدومها لمملكة النبع المقدس بالذات.. هل كان أبوها يحاول الهرب بها من مملكة الضياء كلها؟.. أم أن هذا هو الصديق الوحيد الذي يستطيع أن يأتمنه عليها في مثل هذه الأوقات؟..

دارت الطائرة حول مدينة جيرا، حتى اقتربت من وسطها حيث انبسطت الأرض عن مساحة شبه واسعة بها بعض المباني التي تبدو بسيطة المنظر، بالإضافة لمبنىً أكبر وأعلى من البقية يتوسط المكان وتدور بقية المباني حوله.. وجدت باناس أن الطائرة قد شرعت بالهبوط في جانب هذا المكان في ساحة مخصصة كمهبطٍ للطائرات، ورغم أن هذا المبنى لا يبدو كقصر، لكن مساحته وتوسطه المدينة يدلّ على أهميته.. وهذا جعلها تتساءل عن صلة أبيها بشخصٍ من هذا المكان ومدى اطمئنانه للجوئها إليه.. فور هبوط الطائرة، ونزول باناس منها بحذر وقلق، وجدت رجلاً يرتدي زيّ الكهان الذي لا يختلف كثيراً عما يرتديه الكهنة في مملكة الضياء محتفظاً بذات الطابع العام لها.. وبإشارة صغيرة منه وبصمت تام قادها الكاهن عبر الممرات القريبة نحو مضيفها الذي ينتظر قدومها..

تأكد شك باناس بعد سيرها في هذا المكان أنه لم يكن إلا معبداً يفوق بحجمه المعابد التي رأتها في مملكة الضياء.. هنا اكتسب المعبد أهمية أكبر لكونه يحوي أهم القيادات التي تقود هذه المملكة والمنظّم الرئيسي لأمورها بشكل يفوق ما تملكه بقية المعابد من صلاحيات..

سارت باناس متأملة ما حولها بصمت ملاحظة أن الكاهن قد عزف عن محادثتها بأي كلمة.. الملاحظة الثانية كانت أن المعبد يخلو من النساء.. كل من مرّ بها في هذه الدقائق كان من الشباب والرجال الأكبر عمراً، وعددٌ قليل من الصبية الذين تجاوزوا العاشرة من العمر.. وقد رمقتها الأعين بفضول مماثل وإن حاول أغلبهم تجاهلها والاستمرار في الأعمال التي بين أيديهم وكأنها وجودٌ غير مرغوبٍ فيه.. هل ستبقى

في هذا المكان طوال مكثها في مملكة النبع المقدس؟.. بدأت تستاء للفكرة مع كل لحظة تمضي..

أخيراً وقف بها الكاهن قرب أحد الأبواب بصمت، فوقفت بدورها وهي لا تدري إن كان عليها الانتظار أم أنه يطلب منها الدخول عبر ذلك الباب.. لكنها آثرت الانتظار وهي تنظر حولها بتهيّب لكل النظرات التي تلسعها من الكهنة بين لحظة وأخرى.. أخيراً فتح ذلك الباب وخرج منه كاهنٌ آخر وإن كان يختلف بزيّه قليلاً عن بقية الكهنة مع ذلك الوشاح المزخرف الذي يحيط به من أحد كتفيه وحتى أطراف ثوبه.. اقترب منها ذلك الكاهن بابتسامة محدودة قائلاً "مرحباً بالضيفة المنتظرة.. لقد أسعدني خبر استضافتك أيما سعادة، مع المكانة التي يحتلّها ترياش لديّ.."

انحنت باناس بما تحتمه عليها الأصول رغم أنها لا تعرف هوية هذا الرجل ولا مكانته في هذه المدينة.. كان مضيفها على شيء من الطول، بشعرٍ فاحم السواد لكنه شديد القصر حتى يكاد جلد رأسه يبدو للناظر إليه، وبوجه يخلو من أي شارب أو لحية وبعينين سوداوين وأنف قصير حاد.. لم تكن ملابسه تدل على هيئته إطلاقاً، بل تبدو كملابس الكهان العادية الفضفاضة والتي تصل لكاحليه، بوشاحٍ ملون ينسدل من أحد كتفيه وينثني أسفل ذراعه الأخرى ليغطي أغلب ثوبه..

ورغم ملابسه البسيطة وملامحه الهادئة التي تخلو من أي استعلاء، لكن تعامل الكهنة المحيطين بهما دلّها على ما يمتلكه من مكانة.. وإن لم تجرؤ على طرح أي تساؤلاتٍ بهذا الخصوص فيما يمكن أن يعدّه مضيفها وقاحة أو تصرفاً خالياً من اللباقة.. فقال الكاهن "لا داعي لهذه الرسميات.. يمكنني أن أخمّن من الحيرة على وجهك أن ترياش لم يتلطف بأي شرح لهويتي أو هوية المكان الذي سيستضيفك للأيام القادمة.."

واتسعت ابتسامته مضيفاً "أنا الكاهن كاتيرد، رئيس هذا المعبد الذي يعتبر محور القيادة في مملكة النبع المقدس.."

كان هذا، كما فهمت باناس، يعني أن الواقف أمامها هو حاكم البلاد.. فهي تعلم تمام العلم أن المعبد في المملكة هو من يقودها ويتحكم بكل أمورها.. عندها بدت الحيرة مضاعفة في وجه باناس وهي تخفض رأسها مغمغمة "لي الشرف بلقائك يا سيدي.. واعذرني لأي إزعاج قد يسبّبه وجودي.."

فقال كاتيرد وهو يشير لها لتسير جواره "لا داعي لهذه الرسميات كما أخبرتك.. فنحن في هذا المعبد نؤمن ببساطة المظهر والجوهر.. لا نتعامل باستعلاء على سكان المملكة ولا على الممالك الأخرى.. وقد تمكنّا من

تخليص مملكتنا من الطبقية في المجتمع بشكل شبه كامل.."

غمغمت باناس متلفتة حولها "لكني لا أرى أي نساء في هذا المكان.."

قال كاتيرد بهدوء "لأنه لا يسمح لهن بالانضمام للمعبد.. المرأة لديها أمورٌ أهم من التعبد وخدمة هذا الدين.. ولو انشغل الجميع، رجالاً ونساءً، بالتعبد فمن يقوم بتربية الأطفال ورعاية الأجيال القادمة؟"

كانت هذه إجابة مهذبة لتفسير عدم وجود النساء في المعبد، لكن باناس لم تعلق بكلمة وهي تدير بصرها في الحديقة التي مروا بها أثناء سيرهم لوجهة لا تعلمها.. لا يهمها ما يجري في هذا المعبد، ولا يهمها أمر هذه المملكة.. كل ما تتوق لمعرفته هو السبب الذي أجبرها على القدوم لهذا المكان، والخطر الذي قد يحيق بأبيها في هذه الساعات..

وصل بها كاتيرد لمنزل من طابق واحد وسط عدة منازل بنفس الهيئة والشكل والحجم.. كانت تلك المنازل بسيطة المظهر تخلو من أي بهرجة أو زينة، ولا يبدو أنها تؤدي غرضاً إلا للنوم.. أشار كاتيرد للمنزل قائلاً "هذا هو منزل الضيوف، وهو خالٍ حالياً ولن يسكنه أحدٌ سواك.. منزلي قريب منه، ويمكنك القدوم إليّ لأي سبب في أي وقت دون حرج.."

تأملت باناس المنزل فاركة كفيها، وكاتيرد يضيف "سيحضر أحد الخدم طعامك بشكل منتظم.. أرجو أن تستمتعي بالبقاء هنا، ولكن عليّ تحذيرك أن وجود النساء أمرٌ غير معهود في هذا المكان.. لذا أتمنى أن تلتزمي جانب الحيطة ولا تتجولي في ساحات المعبد وحيدة دون سبب.."

كان هذا لعينيها أشبه بسجن دون قضبان، فقالت بشيء من الارتباك "أدرك أن وجود النساء هنا غريب.. لذا، ألا يمكنني أن أبقى خارج المعبد في أي نُزل أو غرفة مستأجرة؟.. أشعر بالسوء لبقائي هنا.."

قال كاتيرد بشكل قاطع "لا يمكنني إخراج ضيفتي للمدينة دون حراسة.. لقد عهد إليّ ترياش بحمايتك، وأنا سألتزم بوعدي له حتى النهاية.. لكن عليك أن تعلمي أنني، كحاكم للمدينة، لا أملك فراغ الوقت لمجالسة ضيوفي مهما كانت أهميتهم.. أتمنى أن تعذريني لهذا الأمر.."

هزت باناس رأسها باستسلام أخيراً، متسائلة في سرها عن الضيق والهم الذي ستشعر به في الأيام القادمة، ثم تجرأت لتسأل "ألا تعلم بالسبب الذي دفع أبي ليعهد بحمايتي لك؟.. ما الذي سيجري؟"

قال كاتيرد بابتسامة محدودة "لا أعلم.. كنت أنتظر أن تخبريني بهذا الأمر أنت.."

غمغمت باناس "لكني لا أعلم شيئاً.. وهذا يزيدني قلقاً.."

فقال كاتيرد "سأحاول الاتصال به في وقت لاحق لطمأنته عليك، وسأعرف عندها أسبابه.."

استدار مغادراً بعدها على الفور تاركاً باناس تقف بحيرة أمام باب المنزل.. وبعد رحيله، لاحظت باناس ظلاً قصيراً كان يتوارى خلفه لوقت لا تعلمه ولم تلحظه قبل تلك اللحظة.. نظرت للأسفل، لترى ذلك الصبي الذي كان يقف خلف كاتيرد بصمت والذي نظر لها باهتمام وفضول لم يستطع كتمه.. كان الصبي يرتدي ملابس الكهنة، مشابهة للتي يرتديها بقية الصبية في المعبد.. ولم يبدُ لها أنه قد جاوز العاشرة من عمره.. ظل الفتى يرمقها للحظات بفضول، حتى قالت له بابتسامة "ما الأمر يا صغير؟.. هل تدهشك رؤيتي؟"

انتبه الصبي لنفسه على الفور، فأحنى رأسه لها بتحية صامتة، ثم انطلق بخطوات سريعة يلحق كاتيرد دون أن يحادثها أو يفسرّ لها سبب نظراته الفضولية.. تنهدت باناس وهي تدلف الغرفة بصمت.. يبدو أن وجودها غير مرغوبٍ به بالفعل، فالنظرات التي رمقها بها الكهنة في المعبد، كبيرهم وصغيرهم، لم تكن تشعرها بأي راحة في ساعتها الأولى في هذا المكان..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

أمضت باناس الساعات التالية، واليومين اللذين تليا ذلك اليوم، في ملل وضيق حقيقيّين.. كانت تقضي أغلب أوقاتها وحيدة، وحتى عندما توجهت لكاتيرد في أحد الأيام طالبة منه أن يسمح لها بالخروج للمدينة فإن طلبها قوبل برفضٍ قاطع خوفاً عليها.. خوفاً عليها ممن؟!.. سؤال لم تجد له جواباً قط.. كان المنزل مريحاً جداً، لكنه يخلو من أي نوع من أنواع الترفيه والتسلية.. الطعام يتخم معدتها لكن لا تنويع في طعمه أو هيئته، والصمت التام من حولها يشعرها بتعاسة أكبر مع كل لحظة تمضي.. منذ اليوم الأول، تخلّت باناس عن الزينة والاعتناء بهيئتها كما تفعل عادة في قصر أبيها.. ارتدت أبسط ما تملكه من ثياب، وجمعت شعرها الطويل في لفة مضمومة خلف رأسها بشكل بسيط، وامتنعت عن وضع أي زينة على شعرها أو استخدام أصباغ لوجهها حتى لو كان مجرد كحل لعينيها.. كانت لا ترغب بإثارة حفيظة الكاهن الأعلى لو

وضعت زينتها كما تفعل عادة، كما أن القيام بذلك المجهود كان عبثياً مع الكهنة الذين لا يرفع أحدهم بصره نحوها ويعاملونها كما يعاملون أي شجرة جرداء لا حياة فيها..

لذا، عندما رأت ذات الصبي الذي كان يتبع كاتيرد في اليوم الأول، وهو يلهو في جانب الساحة القريبة من المنازل وحيداً ملاحقاً إحدى الفراشات، فإنها لم تترك تلك الفرصة تفلت من يديها وهي تقترب منه بصمت خشية أن يهرب لو أدرك وجودها.. كان صابا يلهو كعادته كلما انشغل كاتيرد باجتماعه مع بقية الكهنة، وهذا يمنحه ساعة أو أكثر من الفراغ يشبع فيها طفولته التي حرم منها.. ولم يكف عن ملاحقة تلك الفراشة ذات اللونين الأسود والأصفر الزاهي حتى شعر بتلك اليد التي أمسكت كتفه.. انتفض صابا بخفة مستديراً خلفاً وقد ساوره القلق من رؤية أحد الكهنة لما يفعله.. لكن قلقه تضاعف مع رؤية تلك الضيفة التي سكنت المنزل القريب من منزله قبل يومين..

كان قلق صابا الأكبر بسبب تحذير الكهنة له من محادثة الضيفة أو الانشغال بها بأي صورة كانت.. لا يدري سبب ذلك، ألأنها ليست من كهنة المعبد، أم لأنها امرأة؟.. لذا حاول صابا التراجع والابتعاد قبل أن يخالف الأوامر، لكن باناس لم تفلته وهي تقول بابتسامة رقيقة "مرحباً يا صغير.. هل يمكنك أن تعاونني في أمر؟"

لم يعرف صابا ما يفعله.. هل يتجاهلها وينصرف، أم يجيبها رغم كل المحاذير؟.. قال أخيراً بعد أن عجز عن إفلات ذراعه من يدها "في أي أمر تريدين عوني؟"

قالت مشيرة لمنزلها "ولمَ الوقوف في هذا المكان؟.. ألا يمكننا أن نجلس قرب المنزل؟"

وجذبته رغماً عنه نحو المنزل، فأدرك صابا أنه قد انجرف في هذا الأمر بالفعل.. لا بد أن الكهنة قد رأوه، ولا بد أن أمره سيصل لكاتيرد الذي لن يتوانى عن عقابه لمخالفة الأوامر.. لكن باناس لم تكن لتضيّع فرصة الحديث مع أحدهم مدركة أن الكهنة لن يستجيبوا لها بأي صورة.. أجلسته على كرسي موضوع خارج المنزل الذي استقرت فيه في اليومين الماضيين، وأحضرت كرسيّاً آخر لها لتجلس قريباً منه وتقول باهتمام "أنت أحد كهنة المعبد.. ألست كذلك؟.. لمَ يحتفظ المعبد بكهنة في مثل عمرك؟.."

قال بشيء من الدهشة "هذا طبيعي.. لكي نستعد ونتدرب على مهام الكهنة منذ الصغر.."

قالت مفكرة "لكن الكهان ينضمّون للمعابد بعد تجاوز العاشرة.. وأنت أصغر من أن تكون كذلك.."

ظل صابا جالساً بتوتر متحفز وهو يضغط بيديه على ثوبه، عندها حاولت التلطف في الحديث معه وهي تسأل برفق "ما اسمك؟"

أجاب بعد لحظة تردد "صابا.. ابن الكاهن الأعلى كاتيرد.."

ارتفع حاجبا باناس وهي تهتف "أنت ابنه؟.. هذا غريب.. ألا يفترض بالكهان أن يكونوا عازفين عن الزواج فور انضمامهم للمعبد؟.."

قال صابا بارتباك "لا أعلم.. الكاهن الأعلى هو أبي.. هذا كل ما أعرفه.."

تجاوزت باناس عن هذه النقطة، وتساءلت "كيف يمكننا زيارة جيرا؟.."

تساءل صابا بحيرة "نحن في جيرا بالفعل.."

لوحت باناس بيدها قائلة "لا أعني هذا المكان.. أريد الذهاب لمناطق وأحياء أخرى من المدينة.. سئمت من البقاء هنا كالمنبوذة.. بل أنا منبوذة بالفعل، من أكبر كاهن حتى أصغره.. أريد رؤية المدينة.. رؤية أسواقها وأحيائها وحدائقها.. مقابلة ناسها والتعرف على هذه المدينة التي أراها لأول مرة في حياتي.."

بدت الحيرة أكثر وضوحاً على وجه صابا، فعلقت باناس رافعة حاجبيها "ألم تذهب للمدينة قط؟"

هز صابا رأسه نفياً، فقالت باناس بإشفاق "ولِمَ قد يفعلون بك ذلك؟.. أنت محتجزٌ في هذا المكان بأكثر مني.. والأسوأ أنك لا تعرف غيره طوال حياتك.. لذا لا تعرف من مباهج الحياة إلا هذا المعبد الكئيب.."

التمعت عينا صابا للحظة وهو يسألها باهتمام "أنت أتيتِ من شادين؟"

قالت باناس مفكرة "يمكنك أن تقول ذلك.. أنا من مدينة باتير.. لكني ذهبت لشادين عدة مرات وأعرفها تمام المعرفة.."

تساءل صابا بلهفة "وكيف تبدو؟.. أهي مثل جيرا؟.. هل أبنيتها توازي جمال مباني هذا المعبد؟.. وهل حدائقها واسعة كحدائقنا هنا؟"

نظرت له باناس وقد تزايد إشفاقها لما تسمعه.. إن كان الصبي يرى في مباني المعبد البسيطة وحدائقه الخالية من أي روح جمالاً ليقارن به المدن الأخرى، فأي حياة عاشها حتى الآن؟.. لو كان الأمر بيدها، لأخذته من يده وجابت به العالم لترى الدهشة والإبهار في عينيه اللامعتين..

قالت أخيراً وهي تعتدل في جلوسها وتتظاهر بالأهمية "شادين مختلفة تمام الإختلاف.. شادين أكثر إشراقاً،

واتساعاً.. إنها لا تقع وسط النهر، كما هو الحال مع جيرا.. لذا الأرض قد سمحت لها بالتمدد لمسافات لا يمكنك حصرها.. أبنيتها مشرقة.. وقصرها البهيج جدرانه مصنوعة من الزجاج لتسمح لنور الشمس المجيدة بالتغلغل في غرفه وقاعاته كاملة.. شادين تملك أجمل حدائق قد تقع عليها عين المرء.. ويمتاز سكانها بذوقهم الرفيع في الملبس والبنيان، بشكلٍ لم أرَ له مثيلاً في العالم السامي.."

توقفت باناس للحظة مع التماع عيني صابا وهو يستمع لها بشغف، عندها تساءلت "أتتمنى رؤيتها؟"

هز صابا رأسه موافقاً بلهفة، لكن سرعان ما استعاد ارتباكه وهو يخفض بصره مغمغماً "الكاهن الأعلى لن يسمح لي بذلك.."

تساءلت باناس مقطبة "لمَ تناديه بالكاهن الأعلى عوضاً عن مناداته بأبي؟.. أليس هذا غريباً؟"

هز صابا رأسه نفياً وقال "لقد منعني من استخدام هذا اللقب.. لذا لا أجرؤ على مناداته به حتى لو لم يكن موجوداً.."

ظلت ترمقه بصدمة وعدم استيعاب.. علاقة الكاهن الأعلى بابنه غريبة.. وهذا أثار استياءها العارم وجعلها تمسك كتف الصبي قائلة بحماس "هل تريد الذهاب معي لشادين؟.. سأقنع الكاهن الأعلى أن يسمح لي باصطحابك عند عودتي لشادين.. وهو لن يرفض طلب ضيفته بكل تأكيد.."

توتر صابا على الفور قائلاً بارتباك وهو ينهض واقفاً "لا تفعلي ذلك.. قد يعاقبني أبي عندما يسمع الأمر.."

قالت باناس بإلحاح "لا بد أنه سيوافق.. لا يمكنه أن يجعل صبياً صغيراً مثلك يدفن نفسه في هذا المعبد الكئيب.."

قال صابا مدافعاً عن أبيه "لكن الكاهن الأعلى سيأخذني لشادين بالفعل.. لقد سمعته يتحدث عن هذا الأمر مع بعض رجاله.."

قالت باناس بحيرة "ومتى ينوي فعل ذلك؟.. ليس من المعتاد في هذا العالم أن يغادر ملك البلاد لأي مملكة أخرى لأي ظرفٍ كان.. ربما أراد شغلك بهذا الوعد لئلا تلحّ عليه في السؤال.."

قال صابا بحنق وقد أدرك أنها تتهم أباه بالكذب "أبي لا يكذب.. لم يكذب عليّ قط.. قال إننا سنذهب لشادين.. ليس نحن فقط، لكنه وعد الرجال بذلك.. أخبرهم أن شادين هي وجهتنا الأولى، وأننا سنستقر بها يوماً ما.. وهم يعدّون العدة لذلك منذ بضع شهور.."

رفعت باناس حاجبيها بدهشة وعدم استيعاب للحظة، ثم بدأت الفكرة تغوص بعقلها أكثر فأكثر وبدأت تستوعب ما سمعته في تلك اللحظة.. فتساءلت دون أن تظهر شكها بالأمر "هل كنت موجوداً في ذلك المكان أم أنك سمعته بالصدفة؟"

خفض صابا رأسه للحظة شاعراً بالذنب، وقال بارتباك "لقد كنت أسترق السمع من خلف النافذة.. سمعتهم يذكرون شادين، وتنصّت على الحديث أملاً أن أعرف متى سنذهب هناك.."

لا تدري باناس لِمَ شعرت بشيء من عدم الراحة لما سمعته، فأمسكت يد صابا وقالت له بتوتر "أخبرني بكل ما سمعته وعرفته عن هذا الأمر يا فتى.. هل يمكنك أن تخبرني بما سمعته عن شادين؟"

توتر صابا بدوره بشكل ملحوظ، وتراجع خطوة بحركة بدت لها دفاعية وهو يقول هازاً رأسه "لم أسمع شيئاً.. أنا لا أعرف شيئاً عن هذا الموضوع.."

شدّت باناس يدها على يده قائلة بإصرار "بل هناك أمرٌ ما.. أأنت خائف؟.. ممّن أنت خائف لهذه الدرجة؟"

كانت عينا صابا قد اتسعتا بالفعل بمظهرٍ يدلّ على فزعه من انكشاف أمرٍ كان يخفيه.. فخففت باناس قبضتها على يده ووضعت يدها الأخرى على كتفه محاولة التحدث إليه بشيء من اللطف "صدقني لن أسمح لأي شخصٍ أن يؤذيك يا صغيري.. أخبرني بما تعرفه، وسيبقى هذا سراً بيننا لأبد الدهر.."

ظهر بعض التردد على صابا، وفتح فمه باستسلام ليروي فضولها الذي اشتعل لما سمعته منه.. لكن قاطعه صوت كاتيرد من خلفهم قائلاً "ألم أنهَك عن الحديث مع ضيفتنا يا صابا؟"

انتفض صابا واقفاً بذعر وتراجع خطوات وهو ينحني للكاهن الأعلى، فيما نظرت باناس بقلق تجاه كاتيرد الذي تقدم منها مضيفاً "يبدو أن فضول ضيفتنا قد جاوز الحدود.."

بدا شيء من الارتباك على وجه باناس وهي لا تدري ما تقوله وكأنها هي المتهمة الوحيدة فيما جرى، لكنها استعادت إحساسها بما سمعته والشبهة التي تلقي ظلالها على الكاهن الأعلى لهذه البلاد.. فرفعت بصرها إليه قائلة بشك "كيف ينوي الكاهن الأعلى مغادرة البلاد والذهاب لشادين؟"

قال كاتيرد بلهجة عادية "هل أخبرك صابا بذلك؟"

قالت باناس مقطبة "وهل هذا مهم؟.. ما الذي تعدّون له العدّة منذ شهور؟.. وما الذي تستهدفون له

شادين؟.."

تقدم منها كاتيرد عدة خطوات صامتاً، فلم تملك باناس نفسها أن تراجعت بدورها شاحبة الوجه وقد راعتها النظرة البادية في عينيه.. فهمست بصوت مرتجف "أريد العودة لشادين.. لا أريد البقاء هنا.."

تبدّت ضحكة في عيني كاتيرد للحظة، لكن عاد لوجهه جموده وقال بهدوء "بالطبع.. لا يمكنني أن أرفض طلباً لابنة صديقي العزيز.. بل إنني سآخذك هناك بنفسي لأتأكد أنك بأمان تام.."

لم يكن قوله يشعرها بأي راحة، وزادها قلقاً البسمة الصغيرة التي تبدّت على طرف شفتيه وهو يتقدم منها أكثر.. فتراجعت باناس حتى ارتطم ظهرها بجدار المنزل خلفها، وهتفت برجفة "لا أريد منك المجيء معي.. أريد العودة.. أرجوك.."

كانت تدرك أنها قد أخطأت بمواجهته بتلك الأسئلة، ولو أنها ادّعت الجهل لكان خيراً لها.. لكنها لم تتوقع قط أن ترى تلك النظرة المرعبة في عيني الرجل الذي تجمعه الصداقة بأبيها..

لم يعبأ كاتيرد للهجتها المتوسلة، بل رفع يده مشيراً للحرس الذين يرافقونه عادة.. اقترب منه اثنان منهم، فقال لهما كاتيرد بلهجة صارمة "احتجزا هذه الفتاة في المنزل ولا تسمحا لها بالمغادرة، ولا لقاء أحد، حتى آمركما بخلاف ذلك.."

اقترب الحارسان من باناس التي صاحت "لِمَ تفعل ذلك؟.. ما أهمية الحديث الذي سمعته لتعاملني بهذه الصورة؟"

قال كاتيرد ببرود "لا أهمية له.. لكني أفضّل أن أكون حذراً في الوقت الحالي.."

وجدت باناس أحد الحارسين يدفعها لدخول المنزل من جديد، وسط نظرات صابا المصدومة لما يجري رغم أنه لم يجرؤ على الاعتراض.. بينما حاولت باناس مدافعة الحارسين وهي تصيح "لا يمكنك فعل ذلك.. سأشكوك لأبي.. سأشكوك للملك سوريم.. لن يرضى الملك بأن يعامل فردٌ من أفراد شعبه بهذا الأسلوب.."

تجاهلها الحارسان وأحدهما يجبرها على دخول المنزل مغلقاً الباب عليها، ثم وقف برفقة الآخر لحراسة المدخل الوحيد للمنزل، بينما كانت النوافذ المحصنة بزخارف معدنية تمنع أي شخص من الدخول والخروج عبرها..

التفت كاتيرد أخيراً إلى صابا المرتجف، وسأله بهدوء ظاهري "ما الذي أخبرته لتلك الفتاة؟.."

قال صابا بصوت ينتفض "لم أخبرها شيئاً.. كنا نتحدث عن شادين.. وحاولت إقناعي باصطحابي إليها عند عودتها.. لكنني أخبرتها أنني أفضّل الذهاب معك، وأنك عازمٌ على الذهاب إليها يوماً ما.."

فوجئ بيد كاتيرد التي حطّت على كتفه، فازدادت ارتجافته وهو يستشعر ثقلها وضغطها على كتفه.. لكن كاتيرد لم يفقد أعصابه وهو مدركٌ أن صابا لا يعي ما يقوله ولا خطورته.. فقال له "هل تريد أن تسبب الأذى للمعبد، ولي يا صابا؟"

هز صابا رأسه نفياً بقوة وارتياع واضح.. فقال كاتيرد بحزم "إذن عليك أن تبقي فمك مغلقاً على الدوام.. لا تحادث أحداً بأي أمرٍ تسمعه إلا لي أنا.. أبقِ أذنيك منصتتين لكل ما تسمعه في هذا المكان، لكن في المقابل لا تدع كلمة مما تسمعها تغادر شفتيك إلا عندما أطلب أنا منك ذلك.. بهذه الوسيلة فقط يمكنك أن تصبح كاهناً كفؤاً، وأن ترتقي أعلى الدرجات في هذا المعبد.."

نظر له صابا بلهفة مدركاً أن الكاهن الأعلى لا يبدو غاضباً.. عندها تجرأ ليسأل "عندها.. هل ستأخذني لشادين عندما تذهب إليها؟.."

ابتسم كاتيرد ابتسامة محدودة وهو يقول "لا.. شادين أمرها سيأتي لاحقاً.. أنا ذاهب للقاء ضيفٍ آخر أنتظره.. ضيفٌ أهميته قد تفوق أهمية هذه الفتاة بمراحل.."

ثم قرّب رأسه من رأس صابا هامساً "لكن لا تقلق.. أدرك تلهفك على رؤية شادين.. وسآخذك إليها في وقت قريب.. أقرب مما تتصور.. لكن عليك أن تُبقي هذا سراً بيننا.. لو أفشيت هذا السر لأحد، فقد لا يتحقق.. أتفهم يا صبي؟.."

هز صابا رأسه بلهفة واضحة، فاعتدل كاتيرد قائلاً "هذا جيد.. ولا تقلق.. لن يطول انتظارك كثيراً كما أتوقع.."

وغادر بابتسامة ظفر على وجهه، سرعان ما توارت ليعود لوجهه جموده المعتاد ويعود لهيئته المعروفة ككاهنٍ أعلى.. تاركاً صابا يغرق في أحلامه الشغوفة بشادين مدينة النور والضياء..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الرابع عشر)
مملكة الضياء : قربان الشمس المجيدة

عندما وقف ترياش منتصب القامة أمام سوريم الجالس على العرش، لم يكن على ملامحه أي قلق أو ارتباك أو حتى غضب لإحضاره بتلك الصورة من باتير لشادين.. فور وصول مركبته لشادين بعد انتصاف النهار بقليل، سيق ترياش لقصر الملك دون منحه بعض الراحة أو السماح له باستبدال ملابسه.. وهناك مَثُلَ أمام سوريم في قاعة العرش التي كانت شبه خالية إلا من بعض الحرس ومن الوزير الأول الذي لا يكاد يغادرها قبل الملك مطلقاً..

ورغم المعاملة المهينة لشخص بمكانته السابقة لكن ترياش كان واثقاً هادئ الملامح، يبتسم ابتسامة خفيفة وهو ينحني للجالس على العرش، قبل أن يعتدل واقفاً قائلاً "لو أن مولاي الملك أرسل يستدعيني، لجئت على جناح السرعة دون الحاجة لإرسال قوة من جنوده لاصطحابي.. فلا يمكن أن أرفض طلباً للملك مهما كان.."

قال سوريم مسنداً خده لقبضة يده المضمومة "ومع ذلك، رفضت أمراً صريحاً مني بأن تتنحّى من ذلك المنصب وتغادر المدينة.. أليس كذلك؟"

فتح ترياش ذراعيه على اتساعهما قائلاً "كيف لي أن أغادر ومولاي لم يعينّ والياً جديداً للمدينة؟!.. من الذي سيقوم بشؤونها في تلك الأوقات؟.. لم يكن بإمكاني أن أترك قصر الحاكم خالياً، وقد أرسلت عدة مرات للوزير الأول قيرام أستشيره في هذا الوضع دون أن يجيبني بإجابة حاسمة.."

تدخل قيرام الواقف جانباً قائلاً "لقد حدث ذلك بالفعل.. لكن مولاي لم يكن يملك الوقت الكافي لحلّ هذه المسألة، لذا أرجأناها حتى نجد حلاً ملائماً.."

ضرب سوريم مسند العرش بقبضته قائلاً بصرامة "هذا سيكون في الأحوال العادية، عندما أقوم بتغيير الوالي وتعيين آخر محله.. لكن أنت طردت من منصبك.. كان عليك عندها أن تلملم متاعك وتغادر القصر في الساعة ذاتها.."

حنى ترياش رأسه قائلاً بهدوء "لم أفعل لأنني أفكر بصالح المدينة يا مولاي.. ولا أظن الملك يغضب لأنني

أعليت أمر المدينة وشؤونها على نفسي.."

مال سوريم في عرشه قائلاً بصرامة "ترياش.. ألا تخفي عني أمراً هذه الأيام؟"

قال ترياش بابتسامة هادئة "وما الذي قد أخفيه يا مولاي؟.. إن كان الأمر يخصّ عزلي من منصبي، فأنا....."

قاطعه سوريم بحزم "ليس هذا ما أعنيه بالطبع.. وأنت تدرك ما أعنيه...."

فتحت أبواب القاعة في تلك اللحظة خلاف ما هو متوقع، فانقطع حديث سوريم وهو يحدق بالقادم بتقطيبة واضحة.. دخلت الملكة الأم القاعة بخطوات هادئة واثقة يتبعها اثنين من الحرس المرافقين لها، أحدهما هو رادال بطبيعة الحال.. ثبّت رادال بصره على الجالس فوق العرش بصمت ونظرة طالت.. تأمل ملامح شقيقه الوحيد، والذي لم يره منذ كان في السابعة من عمره.. تأمل تقطيبته الظاهرة، وعيناه القاسيتين، وفمه الملتوي وهو ينظر لأمه بصمت واعتراض واضحين.. لكن في تلك اللحظات، لم يشعر رادال بالبغض المتوقع تجاه سوريم.. لدهشته، لم يشعر بأي كره حياله، وإن لم يشعر بأي تردد حيال ما انتوى القيام به في اللحظات القادمة.. ألقى نظرة خاطفة خلفه، ليتأكد أن أبواب القاعة قد تم إغلاقها بعد دخولهما من جديد، ثم عاد يلتفت للأمام.. للعرش وللجالس عليه..

تساءلت الملكة فور اقترابها من العرش ومن ترياش الذي انحنى لها باحترام "ما معنى هذا؟.. ما الداعي لإحضار السيد ترياش بهذه الصورة المهينة ومحاكمته دون وجه حق؟"

تساءل سوريم بضيق "وما سبب تدخلك في هذا الأمر بالتحديد؟.."

قالت بحزم "أنت تعلم أن السبب الذي دفعك لخلع الوالي ترياش من منصبه لم يكن لخطأ ارتكبه.. كونك لم تستسغ ما عرضناه عليك بالزواج من ابنته لا يعني أنك يجب أن تعاقبه بتلك الصورة المفرطة.."

قال سوريم وهو يعتدل في عرشه "أنا الملك.. لي الحق في عزل من أشاء من الولاة وفي أي وقت أشاء.. حتى متى عليّ أن أردد هذه الحقيقة؟"

تعالى صوتٌ من خلف الملكة الأم يقول "وماذا لو لم يكن هذا الأمر حقيقة لا جدال فيها؟"

نظر سوريم باستنكار لصاحب الصوت وشاركه في ذلك قيرام.. فيما التزمت الملكة الأم الصمت وبدت ابتسامة صغيرة على وجه ترياش والأعين تلتقي عند رادال الذي تجاوز الملكة الأم بخطوات سريعة ليقف

بنفسه أمام العرش مواجهاً سوريم.. ومن ملابسه، استخرج مسدساً احتفظ به رغم أن الحرس ممنوعون من اصطحاب أي أسلحة لقاعة العرش، لكنه لم يخضع لأي تفتيش بأمر من الملكة الأم حال دخولهم القاعة..

ظل سوريم صامتاً بتقطيبة استنكار فيما واجهه رادال بالمسدس قائلاً "يا شقيقي العزيز.. ألم تشتقْ لي حقاً؟" ورفع القبعة التي تظلل ملامحه، فهبّ سوريم واقفاً وهو يقول بصدمة "أهو أنت؟"

لم تكن صدمته بوجود رادال على قيد الحياة ورؤيته بكامل قواه وصحته أمامه، فهو موقنٌ بتلك الحقيقة يقيناً تاماً، لكن صدمته كانت في وجوده في قصره بقلب قاعة العرش ذاتها.. والأكثر صدمة له كان حضوره برفقة الملكة الأم التي لم يرفّ لها جفن لما سمعته.. بدا الارتباك واضحاً على وجه قيرام الذي صاح بحراس القاعة المذهولين "يا حراس....."

لكن ترياش الذي فرقع بأصابعه في حركة معتادة منه، قد جعل خمساً من الحرس الثماني الذين يحرسون قاعة العرش من الداخل يتحركون بسرعة.. منهم من واجه بقية الحراس بأسلحته، ومنهم من سعى لإقفال باب القاعة منعاً لدخول المزيد من الحرس ومقاطعة ما يجري فيها..

قلّب سوريم بصره بصمت وصدمة لما يجري، فيما قال ترياش بابتسامة "كنت أرجو أن يتمتع الملك سوريم ببعض الأريحية لتبادل حديث طويل مع شقيقه الغائب.. لهذا السبب حرصت على تواجد هؤلاء الحرس بالذات في القاعة هذا اليوم.."

عبس سوريم قائلاً ببغض "لقد راودتني الشكوك بالفعل أن تكون أنت سبب ما جرى لطائرتنا التي حملت هذا المأفون بقلبها.. كان عليّ أن أسيرّ فرقة من الجنود لباتير لاصطحابكما فوراً دون مماطلة.. لا أدري لمَ كذبت حدسي للحظة.."

تأتأ رادال قائلاً "ليس من اللطف أن تسبّ شقيقك عند لقائه لأول مرة بعد عشرين سنة.. خاصة أنك قد تجد نفسك تخضع له رغماً عنك.."

صاح سوريم هازئاً "هراء.."

والتفت للحراس في القاعة صائحاً بصرامة "ما الذي تفعلونه أيها الخونة؟.. هل تجرؤون على خيانة مليككم لأجل رجل لا منصب له؟.. ارموا أسلحتكم أرضاً، وأنا أعدكم أن أعفو عنكم دون مساءلة.."

لم يلتفت ترياش ليرى تأثير كلمات سوريم على الحرس، بل قال "أرجو أن تولي اهتمامك للأمير رادال في هذه اللحظة وتترك الحرس لنا يا مولاي.. فحديثك هذا لن يكون ذا فائدة لهم مطلقاً.."

واستدار إلى قيرام الذي وقف جانباً منتزعاً جهاز اتصال من يده مضيفاً "ولا تقم بحركة يا قيرام.. فأنا لا أريد أن أؤذيك إطلاقاً.."

غمغم قيرام بصدمة "لِمَ تفعل كل ذلك؟.."

ابتسم ترياش دون إجابة، فيما اقترب رادال عدة خطوات من العرش قائلاً "سوريم.. أنا لا أبغضك يا شقيقي الصغير.. لا يمكن أن أفعل فأنت لا ذنب لك فيما جرى لي.. لكن هذا العرش هو ملكي.. أنا ولي العهد، وأنا الأحق به.."

علق سوريم ساخراً "ولم تكن لديك الجرأة لتعلن عن ذلك بكل صراحة أمام أبيك قبل نفيك؟"

قطب رادال قائلاً "لو كنت أعلم أن لأبي يداً في موضوع اختياري كقربان، لاعترضت بكل صراحة وقوة.. لكني لم أعلم.. ولم أجرؤ على الاعتراض يومها.."

هبط سوريم أخيراً من العرش متجاهلاً المسدس المصوّب نحوه، فيما قال قيرام بصوت خفيض وبارتباك "مولاي.. لا تُثِر غضب الخونة لئلا يقوموا بتصرفٍ كارثي يكلفنا الكثير.."

قال سوريم بإباء كلمته المعهودة "هراء.."

تجاهل رادال تماماً، وتجاهل الملكة الأم التي وقفت بتوتر تقلّب بصرها بين الشقيقين دون أن تخفي ارتباكها لما يجري.. تقدم سوريم من ترياش الواقف بثقة أكبر مما سبق، حتى وقف أمامه وجهاً لوجه وعيناه تكادان تنسفانه نسفاً من موقعه.. فقال له ملاحظاً أن ترياش لم يخفض بصره بالاحترام المعتاد ولو للحظة "ما الذي فعلته لتتمكن من دسّ جواسيسك في قصري.... قصر الملك ذاته؟!.."

قال ترياش بابتسامة واسعة "أنا لم أفعل.. غرورك هو من فعل ذلك.. يا مولاي.."

عبس سوريم بشدة، ومد يده يقبض على مجمع ثياب ترياش وهزّه بقوة صائحاً "كيف فعلت ذلك أيها الخائن؟.. كيف جرؤت على التنصل من ولائك لملك البلاد لتناصر غيره؟"

أجاب ترياش دون أن يعبأ لمعاملة سوريم المهينة "لم أكن لأنبذ عهدي لملك البلاد لو لم أرَ منه إهانة لا أقبلها لي ولأقرب الناس إليّ.. أنت استحققت هذا المصير بكل القسوة التي تتحلى بها في معاملة أقرب الناس

إليك، وشعبك، على حد سواء.... يا سوريم.."

هدر سوريم بغضب "لا تجرؤ على مناداة اسمي مجرداً.. أظننت أن ستسقطني بمحاولة هزيلة كهذه؟.."

قال ترياش بابتسامة "إنما هذه هي البداية فقط.."

شعر سوريم بفوهة مسدس رادال تلتصق بصدغه والأخير يقول "أما آن الوقت لتواجهني حقاً دون هذه الألعاب؟.. لقد خسرت هذه المرة.. وعليك التنحّي عن العرش بهدوء ودون إثارة أي زوبعة قد لا تكون عواقبها وخيمة.."

التفت سوريم لرادال بغضب وأمسك فوهة المسدس دون خوف ليبعدها عنه، وقال وعبوسه يتحول لهيئة مخيفة تخالف ملامحه السابقة "أنا لم أهزم.. ولن أهزم قط.. لو ظننت للحظة أنني سأعاملك برفق لأنك أخي، فأنت واهم.. ستكون نهايتك أسوأ مما تتمنى يا رادال.."

عقد رادال حاجبيه للإصرار الذي يتحلى به سوريم رغم المسدس الموجه لرأسه، عندما فوجئ باندفاع عدد كبير من الجنود من خلف العرش يتبعهم بيزاراك بخطوات واسعة حتى أحاطوا برادال وترياش وبقية الحرس الموالين لهما.. تجمد ترياش متسع العينين والبنادق موجهة لرأسه، وتراجعت الملكة الأم خطوات شاهقة رغم أن أحداً من الجنود لم يجرؤ على توجيه سلاحه نحوها.. أما رادال فقد رفع حاجبيه بعدم فهم وهو يرى عدداً من الجنود يصوبون بنادقهم نحوه، وبيزاراك يتقدم منه..

أدرك رادال أن الرجل الذي اقترب منه هو قائد تلك الفرقة من الجنود، فهجم عليه فور اقترابه محاولاً أن يتخذه رهينة حتى يجد وسيلة لتحرير نفسه.. لكن بيزاراك، الأكبر عمراً لكن أكثر خبرة في القتال، تناول يد رادال التي حاولت الإمساك به وبحركة سريعة مستغلاً اندفاعه قام بقلبه حتى رماه أرضاً.. وداس يده الممسكة بالمسدس ليجذبه منه دون أن يملك رادال الممانعة.. ثم بإشارة منه، اقترب ثلاثة جنود وقاموا بتكتيفه مانعيه من المقاومة.. وخلال لحظات، وجد رادال نفسه ساقطاً على ركبتيه أرضاً، واثنين من الحرس يمسكان ذراعيه بإحكام فاردينها للخلف ليعجز عن تحريكها مطلقاً، وأحدهما يضغط على كتفيه ليجبره على الانحناء..

رغم قوته، لكن رادال لم يتمكن من المقاومة بشكل مطلق في تلك اللحظات وهو يرى سوريم يتقدم منه بخطوات هادئة دون أن تبدو أي ابتسامة ساخرة أو هزء في ملامحه قائلاً "ربما أخبرك هذا الخائن أن قاعة

العرش عصية على أي هجوم خارجي لحماية من بقلبها وأولهم الملك طبعاً.. لكن ما لم يخبرك به، ولم يعلمه بطبيعة الحال، أن القاعة مزودة بباب سريّ يمكن فتحه بزر بسيط مخفي في جانب العرش، ولا يعلم مكان هذا الباب إلا وزيري المخلص وقائد جيوشي بطبيعة الحال.. وهذا بالطبع لمواجهة حالات مثل هذه عندما يتم احتجاز الملك بواسطة خونة أوغاد مثلكم.. وأراهن أن أمي العزيزة لم تعلم بهذا بدورها.."

كتم ترياش صدمته لهذا الخبر الذي أفسد خطتهم ببساطة، فيما وقف سوريم أمام رادال للحظة يتأمله بصمت، ثم قال له بأمر "اسجد لي وقد أعفو عنك.."

رمقه رادال بنظرة حادة متوقدة غضباً، فعاد سوريم يقول بلهجة صارمة "افعل ما طلبته منك وإلا جعلتك تندم على تضييعك هذه الفرصة.."

خفض رادال وجهه للحظة بصمت بما أوحى لهم بالطاعة لما يقال له.. فأشار سوريم لرجاله ليطلقوه دون أن يتخلى أحدهم عن حذره.. راقب سوريم شقيقه باستمتاع بانتظار اللحظة التي يخضع له فيها ويسجد أمامه ذليلاً لإنقاذ عنقه.. لكن رادال فرد ظهره على الفور وحاول النهوض قائلاً بصوتٍ واضح ولهجة شديدة الكبرياء "لن أخضع.. ولن أرضخ.. ولن أمرّغ رأسي في التراب لأي شخص.."

فوجئ بضربة تصيب رأسه وتجبره على الركوع من جديد، ووجد الحارسين يقيدانه بعنف أكبر هذه المرة وسوريم يقول باستياء "يا لك من عنيد.. هل ما أطلبه عسيرٌ لهذه الدرجة؟"

ثم مال رأسه بابتسامة مضيفاً "أنت لم تعُد أميراً منذ عقدين من الزمان.. لا تقل لي أن كبرياءك يمنعك من الخضوع لي؟!.. أنت لست مثلي على الإطلاق، لذا لا أفهم سبب عنادك هذا.."

قال رادال بقوة وشدة رغم الأيدي التي تجبره على الانحناء ولا تمكّنه من رفع رأسه "أنا الأحق بما أنت عليه.. أنا الأحق بما تجلس عليه.. وأنا الأحق بالطاعة والوفاء مما تحصل عليه.."

ورفع عينيه لسوريم الذي يستمع له باستمتاع واضح مضيفاً بثقة وصرامة "أنت الغادر.. وأنت الخائن.. أنت من سلبني ما هو حقٌ لي.. وأنت من سيفقد حياته كي يعيده لي.."

أطلق سوريم ضحكة مرحة قائلاً "يبدو أن عيشك في أرض الهوام قد أكسبك طرافة في الحديث لا يمكن إغفالها.."

ونظر بثقة ودونيّة لرادال مضيفاً "لكن للأسف، لم يعلمك ألا ترفع بصرك لما لا تملكه ولا تقدر عليه.."

وأمر حراسه باقتياده بعيداً، فوجد رادال عدة أيادي توقفه رغماً عنه وتقتاده خارج القاعة رغم كل مقاومته، وسرعان ما اقتاد الجند ترياش خلفه مع بقية الحرس الذين ناصروه في محاولة الانقلاب هذا اليوم.. بينما قال سوريم لقيرام الذي وقف قريباً يراقب ما يجري بتهيّب "أرسل هذا الوضيع لمعبد الشمس في الحال دون أي لحظة تأخير.. ولا يرافقه إلا أخلص رجالك.. وأرسل من يعلن في أنحاء شادين أن احتفالاً كبيراً سيقام مع غروب شمس هذا اليوم في معبد الشمس، وستتم التضحية بأحد خونة هذه المملكة في ذلك الاحتفال.."

تساءل قيرام "ماذا عن بقية الخونة؟"

قال سوريم بازدراء "احتجزهم في أقذر زنزانة نملكها، واجعل الحراسة مشددة عليهم.. لا بد أن نعرف عدد الجواسيس الذين نثرهم ترياش في القصر قبل إطلاق حكمنا عليه وعلى الخونة أمثاله.."

انحنى قيرام وبادر للخروج لتنفيذ هذه الأوامر، بينما هتفت الملكة الأم بضراعة "لا تفعل هذا يا سوريم.."

التفت سوريم إليها أخيراً بابتسامة قاسية قائلاً "والآن، فرغت لك يا أمي العزيزة.."

ارتجفت الأم للحظة لمرأى ابتسامته التي تعرفها تمام المعرفة، لكنها تغاضت عن ذلك بسرعة وهي تقول بتوسل "إنه شقيقك الوحيد.. إنه ابني.. لا تقتله يا سوريم وتحرمني منه من جديد.."

تقدم سوريم منها قائلاً "لا فائدة من كل ما تقولينه.. لا أظن موته الآن قد يؤثر بك حقاً، فأنت عشت السنوات الماضية كلها مقتنعة بهذا الأمر.. لذا يمكنك العودة لما كنت عليه قبل رؤيته.."

صاحت الملكة الأم "ما الذي تقوله؟"

أمسك سوريم ذراعها بقوة وقسوة قائلاً من بين أسنانه المرتصّة وفكه المتشنج "ما أقوله إنك خيّبت أملي يا أماه.. ظننت للحظة أنك لن تخضعي لهذا الوضيع.. لن تخوني ابنك الملك لأجل آخر.. ظننت لوهلة أنك لن تطعنيني في ظهري.. لكنك خيّبتِ ظني لأجل شخص لم يعد ينتمي لك، ولا لهذا العالم، قدر شعرة.."

قالت الملكة الأم ودموعها تسيل على خديها "إنه ابني....."

علق سوريم بأنفاس ثائرة "ليتك كنت تملكين الشجاعة لقول ذلك أمام أبي قبل أن يضحّي برادال بالفعل.."

بهتت الملكة الأم وهي تدرك مما قاله سوريم أنه يعلم بأمر اختيار توريك لرادال بنفسه كقربان.. أكان

الجميع يعلمون بهذا الأمر إلا هي؟.. وجدت سوريم يجذبها عنوة خارجاً من القاعة ونحو الجناح الخاص بها وملامحه القاتمة المرعبة لا تسمح لها بالاعتراض أو التفوه بكلمة أخرى.. سارت معه شاحبة وهي تشعر بالندم من جديد لأنها لم تعترض على ما دفعها له ترياش وردال.. لو أنها طلبت منه الكف عن هذا الحلم العسير.. لو أنها رجت رادال أن يخضع لسوريم وأن يعيش حياته كأي فرد من هذا الشعب، لربما وافق سوريم على الإبقاء على حياته ومنحه قصراً في شادين ليعيش حياته كما يتمنى.. لو أنها كانت تملك الجرأة الكافية للاعتراض على أي أمر في حياتها الطويلة هذه.....

وجدت سوريم يدخلها جناحها عنوة، وقال لها بصرامة "إياك التفكير بمغادرة هذا الجناح مطلقاً.. أنا لم أصدر عليك حكماً كما جرى لأولئك الخونة لأنك أمي.. لكن هذا لن يعفيك من العقاب بشكل كامل.. وحتى أقرر ما سأفعله بك، فعليك إطاعة ما أطلبه بصمت لئلا تواجهي عواقب أكبر مما تستحقينها الآن.."

وغادر بخطوات عاصفة تاركاً الملكة الأم تنهار أرضاً وهي صامتة ودموعها تسيل على خديها بندم وحسرة.. لكل ما جرى.. ولكل التردد الذي أعجزها طوال حياتها من اتخاذ التصرف الصحيح الذي سيمنع هذه المأساة التي تتكرر الآن بحذافيرها كما جرى قبل عشرين عاماً..

خرج سوريم من جناح الملكة الأم منتفخ الأوداج بغضب عارم.. كان واثقاً أن هذا ما سيحدث مع امرأة تحركها عواطفها كأمه.. للأسف، هي أمه.. لذا لا يمكنه أن يأمر بقتلها جزاء ما اقترفته.. ولا يأمن بقاءها في القصر بعد هذه الحادثة مطلقاً.. زفر بحدة وهو يسير في ممرات القصر مرجئاً التفكير في أمرها حتى رأى ميام تقترب منه وقد غابت ابتسامتها المعتادة مع مرأى الغضب في ملامحه.. فاقتربت منه متسائلة بقلق "أأنت بخير يا مليكي؟"

قال سوريم زافراً "بخير.. لا تقلقي، كل الأمور على ما يرام.."

لم يغادر القلق ملامح ميام، لكنها حاولت تجاوز ذلك وهي تقول بتردد "هل يمكنني الحديث معك؟.. هناك أمرٌ مهم أريد....."

قال سوريم باستياء لم يظهره تجاهها قط قبل اللحظة "فيما بعد يا ميام.. مع كل ما جرى، لا أجد أنني خالي البال للاستماع لأي شيء.."

تساءلت ميام بصدمة بالغة "وما الذي جرى؟"

أجاب سوريم مقطباً "هناك خائن، أو بالأصح عدة خونة، حاولوا الانقلاب عليّ اليوم.. لكن محاولتهم تلك كانت فاشلة وهزيلة بشكل يثير الحنق.."

شهقت ميام لما سمعته، ثم تمتمت بأنفاسٍ مخطوفة "يا للشمس المجيدة.."

ربت سوريم على كتفها قائلاً "لا تقلقي.. كل الأمور تحت السيطرة الآن.. لكني أفضّل لو بقيتِ في جناحك في هذا اليوم.. سأرسل بعض الحرس الموثوقين لحمايتك حتى أتأكد أن أولئك الخونة قد نالوا جزاءهم العادل.."

وغادر بعجلة تاركاً ميام تضمّ قبضتي يديها نحو صدرها متلاحقة الأنفاس.. كانت تلك الفكرة عسيرة على التصديق.. من الذي يجرؤ على خيانة سوريم؟.. من قد يكره ملكاً مثله؟.. فلعينيها، كان سوريم هو أكثر الرجال مثالية وأكثر الملوك عدلاً بين جميع سكان العالم السامي.. لذا لم تستطع إزالة الصدمة عن وجهها لما سمعته مطلقاً..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما دخل فيرد الزنزانة التي وجد ترياش نفسه مسجوناً فيها وحده بعيداً عن معاونيه من الحراس، ابتسم ترياش كعادته بكل أريحية قائلاً "هل أتيت لاستجوابي؟.. إنه من الشرف لي أن يحضر معاون بيزاراك بنفسه لاستجوابي.."

قطب فيرد قائلاً "ما الذي دعاك لكل ما فعلته يا رجل؟.. في هذه الأوقات التي تخوض فيها البلاد حرباً شرسة تستنزف قوانا، أترى الوقت ملائماً لمحاولة قلب الحكم على الملك؟.."

هز ترياش كتفيه مجيباً "تلك كانت فرصة، ولم أقدر على تفويتها دون استغلالها.."

قال فيرد بحنق "ألم تفكر في نهاية أفعالك هذه؟.. الملك لم يأمر بقتلك لسبب واحد هو لمعرفة الخونة الذين يشاركونك هذا الأمر.. ولولا ذلك، لكنت ميتاً منذ اللحظة الأولى.. ألا تخشى من جريرة ما تفعله على ابنتك؟"

قال ترياش بحدة "لا شأن لك بابنتي.. ملككم المبجل لم يعبأ لأمرها وهو يطردها من قصره دون ذنب.. فهل سيعبأ لأمرها أحدكم؟"

قطب فيرد قائلاً "وهل هذا سببٌ كافٍ برأيك لإسقاط الملك؟"

رفع ترياش وجهه مجيباً "هذا أكثر من كافٍ برأيي.."

زفر فيرد بضيق، ثم قال وهو يتوسط الزنزانة واضعاً قبضتيه في خصره "من الخير لك أن تتعاون معي فيما جئت لأجله.. ربما عندها أقدر على الشفاعة لك عند الملك وأن أطلب منه تخفيف الحكم بحقك.."

ضحك ترياش معلقاً "وتظن أن سوريم لن يستمتع بقتلي؟.."

قال فيرد بإصرار "من هم الخونة الذين ناصروك في هذه العملية يا ترياش؟.. مَن مِن الحراس يواليك؟.."

أجاب ترياش مديراً وجهه جانباً "أنا لا أخون رجالي.. وإلا ما استحققت ثقتهم بي.."

عبس فيرد قائلاً "إذن هناك المزيد منهم؟"

هز ترياش كتفيه من جديد قائلاً "ربما.. من يدري؟!.."

وضحك لمرأى الغضب الذي تنامى في وجه فيرد وقال "عليك أن تكون طويل النَفَس في التحقيق معي يا فيرد.. لو غضبت لأول حوار بيننا فستستنزف قواك بسرعة قبل أن تحصل على إجابات بالفعل.."

قال فيرد عابساً بشدة "سأمنحك فرصة وحيدة هذا اليوم.. وغداً، مع طلوع الشمس، سآتي لأحصل على الأجوبة منك.. اقضِ ليلتك هذه بتفكير عميق فيما ستواجهه، وستواجهه ابنتك الوحيدة، لو فكرت ألا تستجيب لطلبي هذا.."

وغادر تاركاً ترياش الصامت دون أن يبدو على ملامحه أي قلق.. لا على نفسه.. ولا على باناس.. ولا على ما قد يجري لرادال وبقية الحرس الذين ساعدوه في هذا الأمر..

بعد أن تطاول الصمت التام الذي ساد المكان، وخفت الضوء القادم من النافذة الصغيرة دالاً على ميلان الشمس نحو مغيبها، وجد ترياش باب الزنزانة يفتح بخفوت.. رفع بصره بصمت للقادم إليه.. ولما وقع بصره عليه، ابتسم على الفور وقال بحزم "لقد تأخرت....."

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

قضت الملكة الأم ساعات نهارها ذاك في بكاءٍ وحزن مريرين وهي محتجزة في جناحها تنفيذاً لأوامر سوريم الصارمة.. ولم يدخل عليها أحد إلا ميام التي سمعت بأطراف الحكاية التي جرت اليوم، فانطلقت من فورها لتكون مع الملكة الأم محاولة تخفيف محنتها رغم أن ذلك لم يكن ذا فائدة تذكر وهي تقابل بصدودٍ تام من حماتها.. ظلت ميام جالسة على كرسي قريب في جناح الملكة الأم وهي تردد بين وقت وآخر بارتباك "ستكون كل الأمور على ما يرام.. ثقي بذلك يا مولاتي.."

بعد أن رددت ميام تلك الجملة مرتين أو ثلاثاً، انفجرت بها الملكة الأم وقد ضاقت ذرعاً بمحاولاتها البلهاء "وما الذي تعرفينه أنت عن هذا الأمر؟.. كفاك ترديداً لتلك الجملة كالببغاء وانصرفي من هنا.."

ارتبكت ميام أكثر وهي تقول "لا يمكنني تركك بهذه الحالة.. لن يرضى مولاي سوريم بذلك إطلاقاً.."

ضحكت الملكة الأم ضحكة مريرة وعلقت "وهل بكائي هذا وحزني إلا بسبب سوريم؟.. إنه لا يعبأ بي، ولا بما قد أرغب به إطلاقاً.. إنه ينوي قتل ابني دون أي رحمة، ودون الالتفات لتوسلاتي.."

تساءلت ميام بحيرة "ابنك؟"

لم تكن تعرف بهوية أصحاب ذلك الانقلاب، وكل ما عرفته أن والي باتير كان طرفاً منه، بالإضافة للملكة الأم التي لا تدري سبب انجرافها خلف هذا التصرف الغريب ضد ابنها الوحيد.. عندها تجرأت ميام لتسأل بتردد "مولاتي.. ما سبب معاونتك للخونة لإسقاط مولاي سوريم من العرش؟.. كيف أجبروك على تنفيذ مخططاتهم الدنيئة تلك؟.. أليس سوريم ابنك الوحيد؟.."

أشاحت الملكة الأم بوجهها جانباً، ثم قالت بانفعال مكتوم "رادال أيضاً ابني، وهو الأحق بالعرش من سوريم.."

رفعت ميام حاجبيها بدهشة وعدم فهم، فيما استدارت الملكة الأم إليها قائلة بغضب "وسوريم ينوي قتل شقيقه الأكبر وحرماني منه من جديد.. ألا يكفي أن توريك حرمني منه عشرين سنة؟.. والآن، ينوي سوريم أن يقتله من جديد ويحرمني منه كما فعل أباه.."

سمعتا صوتاً من خلفهما يقول بسخرية "لو كان سوريم يشابه أباه لأطلق طلقة على رأس رادال في تلك اللحظة في قاعة العرش.."

أشاحت الملكة الأم بوجهها بضيق، فيما هبّت ميام للانحناء للقادمة التي سارت وسط الجناح بثقة وسخرية بالغة.. قالت الملكة الأم بحنق واضح "ما الذي تريدينه مني؟.. أنتِ لم تأتِ للتسرية عني بل للشماتة دون شك.."

أجابت الملكة الكبرى التي جلست جانباً دون انتظار دعوة أحد "بالطبع.. من يمكنه ألا يشمت بعد الحماقة التي ارتكبتها دون تدبّر.. لن أتحدث عن خيانتك لابنك الملك ولا عن سبب تفضيلك رادال على سوريم، لكن ما سأسلك عنه هو ما دعاك لتبنّي خطة ضعيفة لن تعود عليك إلا بالحسرة والندامة.. كان عليك إدراك أن مثل تلك الخطة ستفشل منذ اللحظة الأولى.. فكيف وافقتِ عليها مهما كان الإغراء قوياً؟.."

نظرت لها الملكة الأم بحنق، فقالت الملكة الكبرى ملوحة بيدها "لكن لا داعي للسؤال بالطبع.. عواطفك الحمقاء هي ما دفعك للموافقة دون التشكيك بنجاح مثل تلك العملية.. هذا ما توقعته منك منذ علمت بأمر رادال.."

لم تكن الملكة الأم تستطيع إنكار هذا الأمر، فهي قد انجرفت خلف عواطفها دون تمييز ولم تدرك خطأ ذلك إلا لاحقاً.. لكنها تغاضت عن تلك الإهانة وهي تتساءل بتقطيبة "أكنتِ تعلمين بأمر رادال قبلاً؟"

أجابت الملكة الكبرى بسخرية "طبعاً.. لقد أخبرني سوريم بأمره فور أن علم بعودته وبسعيه خلف العرش.."

هبّت الملكة الأم واقفة بحنق وصاحت "ولِمَ أخفى الأمر عني؟.. لِمَ صمت تاركاً رادال يندفع في مغامرته الحمقاء تلك دون إيقافه وضمّه للقصر كأي أميرٍ من أمراء هذه المملكة؟.."

أجابت الملكة الكبرى بثقة "لم يكن رادال ليرضى بالبقاء كمجرد أمير في شادين كما أتوقع.. كما أن توقعات سوريم وتوقعاتي بشأنك لم تجانب الصواب بالفعل، فأنتِ قد سارعت للانحياز له بشكل أعمى.."

قالت الملكة الأم وهي ترتجف بغيظ "ربما كان رادال محقاً في سعيه خلف العرش، فسوريم لم يكن ليسمح له بالبقاء في شادين بأي صفة كانت.. وأنتِ مثله لا تعبئين لشخص من لحمك ودمك، فارقنا منذ صغره، وعاد إلينا بمعجزة برعاية الشمس وحمايتها.. فكيف لي أن آمن عليه هنا بوجود من كان في قسوتكما؟.."

وأدارت ظهرها لهما وهي تقول بحدة "غادرا واتركاني.. الملك أمر بألا يدخل عليّ أحد، وأنا لا أريد مواساة من أحد.."

نقلت ميام بصرها بينهما بقلق واضح، فيما نهضت الملكة الكبرى معلقة "لستِ بحاجة لطردنا، فوجهك الباكي هو آخر ما أتمنى رؤيته هذا اليوم.."

وغادرت رافعة رأسها بصمت، عندها لم تجد ميام بداً من الانحناء للملكة الأم رغم أنها توليها ظهرها بالفعل، وغادرت خلف الملكة الكبرى بصمت بدورها محاولة استيعاب كل ما سمعته منهما.. كانت معارضة لوصف حماتها سوريم بالقسوة.. فهي، بنظرتها المثالية له، تجد عذراً لكل ما يفعله.. ألا يكفي أن ذلك المدعو رادال قد حاول الانقلاب على ملك البلاد والاستيلاء على العرش؟.. كيف يوصف سوريم بالقسوة وكل ما فعله هو عقاب أولئك الخونة العقاب الملائم؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

انتفضت جود بقوة وهي تسمع النداء الذي تعالى في جوانب شادين وبأكثر من وسيلة.. هناك من ينادي بالأمر بأعلى صوته، وهناك من يذيع الأمر عبر مكبرات صوت موزعة في أحياء المدينة.. خبر التضحية ببعض الخونة الذين حاولوا الانقلاب على الملك سوريم أثار جدلاً واسعاً بين سكان شادين ومادة خصبة لتكهناتهم وحواراتهم.. لكن جود وسيرا لم تكونا بحاجة لأي تكهن.. لا بد أن الخونة المعنيين بهذا الأمر هم رادال، وأي شخص عاونه في هذا الأمر.. وهذا يعني أنه قد فشل في مسعاه فشلاً ذريعاً وسيواجه عقوبة أقسى مما قد يتمناها.. أن يتم رميه من جديد من العالم السامي دون أملٍ بالنجاة هذه المرة..

كانت جود قد وصلت لشادين برفقة سيرا في اليوم السابق، وعبرتا البوابة التي تقود للمدينة دون مشاكل تذكر.. لكن كان العثور على رادال ومعرفة موقعه في هذا المكان الغريب عليهما أمراً آخر.. حاولتا سؤال بعض العامة ولم تجدا جواباً يذكر.. حاولتا الاقتراب من القصر ولكن كل الأمور هناك كانت معتادة.. الحرس الذين يحرسون مداخله يمنعون أي كائن من الاقتراب منه، مما دفع الفتاتين للاكتفاء بمراقبته من مبعدة بحثاً عن ثغرة تتيح لهما دخوله، أو جوابٍ لتساؤلهما الملحّ عن موقع رادال أو مصيره في هذا المكان..

طال بهما الوقت وهما تراقبان القصر محاولتين ألا تجذبا الأنظار إليهما.. ومكتفيتين بأقل القليل من الطعام بعد أن اضطرت سيرا لبيع أحد خناجرها للحصول عليه.. وبعد أن مضت الليلة السابقة وهما في أسوأ

حال ممكن، تتبادلان مراقبة القصر وتختلسان بضع لحظات من النوم المتقطع في ذلك الزقاق الذي انزويتا فيه بعيداً عن الأعين.. وبعد أن مضت ساعات هذا اليوم دون تغيير يذكر، تناهى لسمعهما ذلك النداء الذي تكرر في جوانب المدينة وأحيائها بخصوص الخونة الذين جرؤوا على الانقلاب على ملك البلاد..

تبادلت جود وسيرا نظرات القلق، ثم دمدمت سيرا "الآن نحن نعلم أنه حيٌّ بالفعل.."

غمغمت جود وهي ترمق المارة الذين تقاطروا في ذلك الطريق من كل اتجاه "حتى متى سيدوم ذلك؟.. لا تبدو الأمور مبشرة بخير.."

رمقتها سيرا بنظرة محذرة لئلا تتقاعس عن فعل شيء الآن، فأدارت جود بصرها جانباً وهي تقول "علينا أن نحاول إنقاذه قبل أن يناولوا منه بالفعل.."

كانت قد حذرت رادال كثيراً من طموحه الذي يتجاوز الحدود.. وتعجبت أكثر من إصراره على المضيّ في هذا الطريق حتى نهايته.. وها هم أولاء شعبه ينطلقون بلهفة وحماسة للفرجة على العقاب الذي سيختصّه به سوريم..

لم تتردد إحداهما بالاندماج في الجموع التي تقاطرت من جميع الاتجاهات ميمّمة وجهها نحو البوابة الشمالية للمدينة.. لم تفهم جود أين ينتوون الذهاب، لكن لم يخايلها شك أنها في الطريق الصحيح.. ولما بدأت الجموع في ركوب أي وسيلة ممكنة لنقلهم لموقع ذلك الاحتفال الموعود، بين عربات خشبية تجرها الأحصنة ومركبات حديثة وغيرها، لم تتردد جود وسيرا خلفها من الاندساس في أقرب مركبة منهما مع البقية وهما واثقتان أن من يراهما لن يشك بأمرهما ولو للحظة.. فهما لا تبدوان مختلفتين عن أي ساكن من سكان مدينة شادين، إلا بالهيئة المغبرة التي لم يتم الاعتناء بها منذ أمدٍ طويل..

سارت المركبات والعربات في الطريق الذي يخرج بهم من شادين متجهاً للشمال وعابراً سهلاً منبسطاً تغزوه في بعض الأحيان غاباتٌ متوسطة الكثافة وماراً بعدد من المزارع والقرى الأصغر حجماً وشأناً من العاصمة.. لم يطُل بهم السير أكثر من نصف ساعة قبل أن تدرك جود الوجهة التي تتجه إليها هذه الحشود بهذا الحماس الكبير.. فأمامهم، حيث ينتهي بهم هذا الطريق الواسع الذي هيئ لاستقبال أعداد كبيرة من البشر، رأت جود ذلك البناء الضخم المهيب الذي ارتفع في السماء واحتل مساحة واسعة من هذه الأرض.. كانت جدرانه الحمراء عالية، وعليه قبب بزاوية حادة في أعلاها، مذهبة الأطراف وعليها شعار

الشمس معبودة سكان مملكة الضياء.. كما انتشرت عدة نقوش في جميع البوابات المختلفة والجدران تدل بما لا شك به أن هذا هو معبد الشمس الرئيسي للبلاد..

أدركت جود الآن السبب الذي دفع الناس للخروج من شادين عندما وصلهم خبر الاحتفال الذي سيقام للتضحية بأولئك الخونة.. فهذا المعبد هو المكان الملائم لذلك الاحتفال، وتقديم الخونة كقرابين هو العقاب الملائم الذي يفضّله الملك وحاشيته على غيره..

لم يكن دخولهم المعبد بالصعوبة المتوقعة مع تلك الجحافل البشرية التي دلفت من بابه حماساً لرؤية الحكم الذي سيقام على الخونة الذين تجرؤوا على ملك البلاد.. خفق قلب جود بقوة وهي ترى الابتسامات والسخرية الواضحة على وجوه الجميع، وهي تدرك أن أحدهم لن يخمّن قط أنه آتٍ للفرجة على الحكم الذي سيطلقه الملك الحالي على الملك الحقيقي لهذه البلاد.. لو عرفوا، فما الذي ستكون عليه ردة فعلهم لهذا الأمر؟.. أم أن الأمر بالنسبة لهم سيّان؟..

سارت جود بآلية بين الحشود، بينما لكزتها سيرا فور دخولهم المعبد هامسة "فلنفترق.. سأبحث بنفسي عن رادال.."

قالت جود بعصبية وخفوت "دعينا لا نفترق الآن...."

لكن سيرا تجاهلتها كالعادة وغادرت لتختفي على الفور بين أمواج البشر الذين ساروا متتابعين في الساحة العظيمة التي وصلوا إليها فور تجاوزهم بوابات المعبد.. عندها لم تجد جود بداً من السير معهم وهي لا تعرف أين يمكنها البحث عن سيرا أو رادال في هذا المكان.. بعد تلك الساحة، تجاوزت جود عدداً من الدرجات التي تقودهم لموقع مرتفع من المباني وخلفها برزت لهم مدرجات عريضة تستوعب أعداداً كبيرة من البشر تنتهي بجدار يحجز من يقف في هذا المكان عما وراءه..

ونسبة لتكاثر أعداد الوافدين للمعبد، فإن المدرجات قد امتلأت ووجدت جود نفسها تقف قرب الحاجز القصير والزحام حولها لا يمكنها من رفع يدها أو تحريكها.. نظرت بقلق وفضول عبر الحاجز القصير لترى في الأسفل، في مكان ينخفض عدة أمتار من موقعها هذا، ساحة متوسطة الحجم تمتد كلسان قصير يبرز في الفراغ بعد انتهاء الأرض، ومنه تنحدر عدة درجات تطل على السماء والغيوم التي تكاثفت كالمعتاد تحت أرض العالم السامي..

وقريباً من تلك الساحة، بنيت مدرجات أخرى محدودة الاتساع وفي وسطها نصبت منصة مرتفعة بها كرسيٌ فخم تظلله ظلة خشبية ذات زخارف بديعة.. كانت تلك المدرجات القريبة من الساحة مخصصة لجماعة مختلفة عن بقية الحشود لتشهد هذه الطقوس، ولم تكن تلك الجماعة إلا ملك البلاد وعدد من وزرائه وجنده وأخلص رجاله الذين أتوا بالطائرات الملكية الخاصة.. وبينهم وقف بيزاراك بطبيعة الحال يشرف على الأمر ليتأكد من سير ذلك الاحتفال بسلاسة ودون عوائق، وليعترض أي جاسوس قد يندسّ بين الجموع ويحاول إطلاق سراح رادال من المصير الذي ينتظره..

ولدى رؤية رادال الذي كبلته الأغلال في قدميه ويديه، والذي تقدم به جنديان أمام أنظار الحضور، غاص قلب جود في صدرها وهي ترى خطواته المتثاقلة وجسده الذي انحنى رغماً عنه مع الأثقال التي ترغمه على أن يتخذ تلك الوضعية المذلة وتمنعه من السير رافع الرأس كعادته..

قاده الجنديان محاطاً بصيحات الحماس من الجمهور إلى مجسم وسط الساحة يرتفع عن الأرض درجتين.. وهو عبارة عن جسم شفاف بلون الكهرمان، اسطواني الشكل، يحيطه إطارٌ حديدي مزخرف بزخارف تلائم ما ازدان به المعبد في جوانبه.. وأمام ذلك المجسم، أجبر رادال على الركوع أرضاً محنياً رأسه، بينما وقف كبير الكهنة قربه رافعاً ذراعيه ليجبر الجمهور على الصمت والاستماع لما سيقوله.. ساد الصمت التام الساحة والفضول يشتعل في أعين الجميع لما سيقال، ولمعرفة الجرم الذي ارتكبه ذلك الخائن ليستحق ما

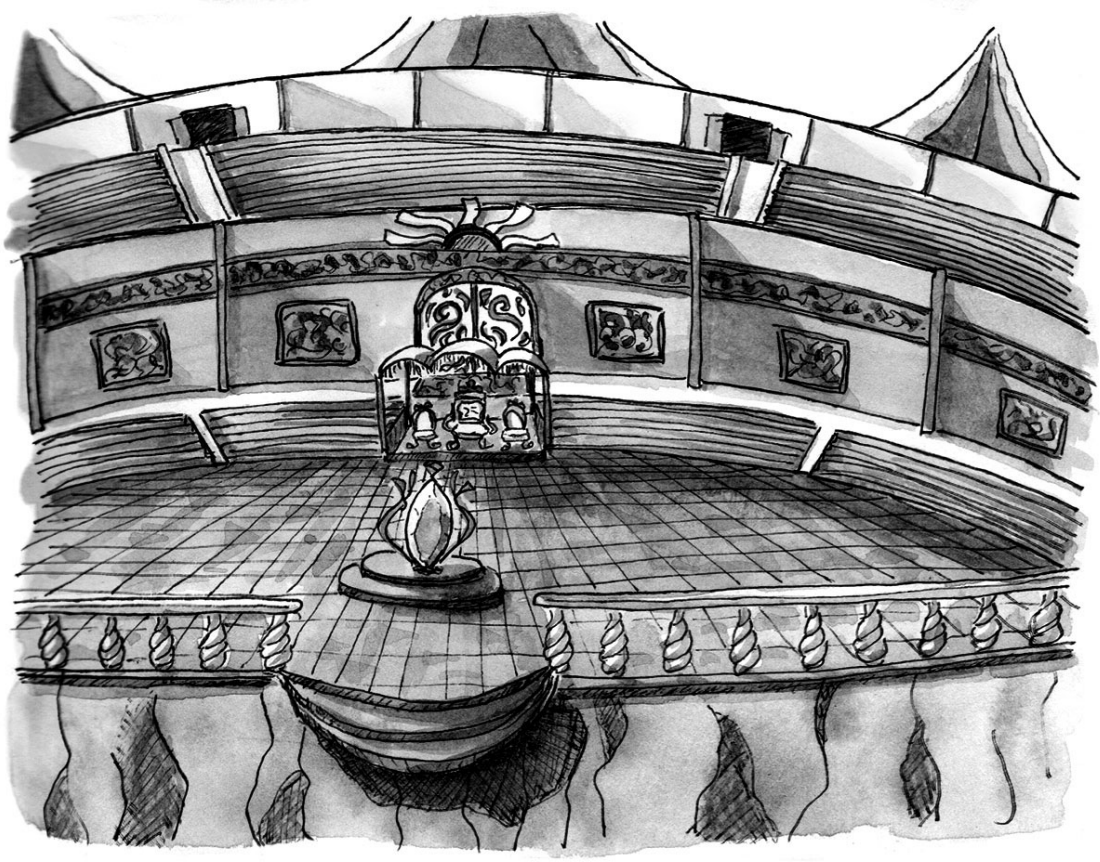

سيلاقيه.. وبنبرة عالية لتصل لأسماع الجميع، قال كبير الكهنة "بأمرٍ من مولاي الملك المعظم سوريم.. وتحقيقاً لإرادة شمسنا المجيدة.. ستتم التضحية بهذا الخائن الذي حاول الانقلاب على الملك، واستلاب العرش في خطوة أقل ما توصف بأنها حماقة وخسّة.."

عندها، تعالى صوت رادال الجهوري قائلاً "هذا العرش لي منذ ولدت.. أنا الأمير رادال الذي كان وريث عرش المملكة قبل أن يقرر توريباك الخلاص مني وتنصيب سوريم بدلاً عني.."

تعالت شهقات المفاجأة من الجمهور وقد تزايد فضولهم وشغفهم للاستماع لتلك الحكاية.. حاول أحد الجنود إسكات رادال بضربة على وجهه، لكن الكاهن منعه من ذلك قائلاً "لا تفعل.. هذا لا يرضي شمسنا المجيدة في هذه اللحظات.. فهي لا تقبل بقربانٍ مشوه.."

اعتدل رادال قدر استطاعته، وقال بحدة أكبر وصوتٍ أعلى "بأي حق يقوم الكهنة باختيار قرابين من بين الصبية تاركين الحزن يمزق أهاليهم دون سبب معقول؟"

نظر له الكاهن بتقطيبة قائلاً "الشمس المجيدة هي من تطلب تلك القرابين.. وهي من يمنحنا الرخاء والأمن لسنوات بعد أن يحوز القربان على رضاها وتصلها أرواحهم.."

عندها صاح رادال "لكن أولئك الصبية لم يموتوا.. طوال عشرين عاماً الماضية دأبتُ على إنقاذ القرابين من الموت المحقق وإيوائهم بين البشر في الأرض الدنيا.. فأي أمانٍ منحتكم إياه الشمس دون أن تصلها القرابين حقاً؟"

ازداد عبوس الكاهن لما يقوله والضجيج يتعالى بين الجمهور لما يسمعه مع صدمة ذلك الخبر الذي لم يتوقعه أحدهم، عندها قال الكاهن بغيظ رغماً عنه " اصمت لئلا تستجلب غضب معبودتنا الشمس على نفسك.."

قال رادال بسخرية "وأي غضب أخشاه وأنتم تنتوون قتلي خلال لحظات؟"

وجدتها جود فرصة لإنقاذ رادال بتأليب الجمهور على أولئك الكهنة وعلى الملك الذي لا يعبأ لأمر شقيقه فضلاً عن أمور شعبه.. كان الجدل والنقاش الدائر من الأفواه حولها يدلها أن الأمور لم تكن تميل لصالح الكهنة في تلك اللحظات، وأن كثيراً منهم أظهروا دهشتهم لنجاة القرابين بالإضافة للسعادة التي بدت على البعض منهم لمثل هذا الخبر.. عندها، لم تتردد جود في دفع من حولها وارتقاء الجدار القصير أمامها

ووقفت مواجهة الحشود القريبة صائحة "استمعوا إليّ.. رادال الماثل أمامكم قد سخّر من حياته عشرين سنة لملاحقة القرابين وإنقاذهم قبل سقوطهم أرضاً وموتهم المحتم.. كان بإمكانه أن يتجاهل أمرها.. كان بإمكانه السعي وراء راحة باله واستثمار سنوات حياته في أمرٍ أفضل.. لكنه اختار إنقاذ أبنائكم من المصير الذي ألقوهم إليه الكهنة برضى الملك.. فهل ترضون له هذا المصير؟.. هل تستسلمون لما قرره الكهنة عليه دون أن يكون لكم أي رأي في هذا الأمر؟"

عندما تعالى صوتها في الساحة، مع السكون الذي ساد الحشود وهم يستمعون لها بدهشة وفضول، بهت رادال بشكل تام وهو يقلب بصره في المكان بحثاً عن صاحبة الصوت.. كان الصوت يصله واضحاً رغم خفوته، والنبرة التي يعرفها تمام المعرفة قد امتزجت بشيء من الشك اعترى نفسه بشكل جعله ينكر ما يسمعه حقاً.. ولما رفع بصره لأعلى، ورآها بوضوح واقفة بتلك الطريقة السافرة المتحدية وهي تحاول تأليب الشعب ضد الكهنة، فإن الصدمة أعجزته عن اتخاذ التصرف الملائم للاستفادة من جهودها تلك..

من تكون تلك حقاً؟.. جود قد ماتت.. يكاد يقسم إنه رأى أشلاءها في تلك السهول.. فمن هي تلك التي وقفت تتحدى الجنود والكهنة وسوريم ذاته؟.. من تلك التي تملك صوتاً كصوتها، وهيئة كهيئتها، وعزماً كعزمها لا يلين رغم خطورة ما تواجهه؟.. لابد أنه يهذي، لكي يراها حية ترزق في هذا المكان البعيد كل البعد عن موطنها..

ظل رادال صامتاً متسع العينين وهو يراها تجادل الحشود محاولة استمالة مشاعرهم ضد الملك وقراره الجائر.. ولما رأى أحد الجنود يخترق الحشد ويقترب منها فيضرب ساقها بعقب بندقيته، ورأى توازنها يختلّ وجسدها يهوي من ذلك الارتفاع، نهض رادال واقفاً بجزع وقد أدرك أن ما يراه ليس وهماً من أوهامه.. لكن جود التي سقطت من ذلك الارتفاع قد تهاوت نحو شجرة ظليلة تحتل جانب الساحة تلك قرب المدرجات والتي حمتها من السقوط أرضاً أو التهاوي نحو الحافة القريبة ونحو الفراغ التام.. تشبثت جود بالفرع الذي اعترض سقوطها بقوة، وقلّبت بصرها بين الجدار الذي سقطت منه وبين الجنود الذين تراكضوا إلى الشجرة محاصرينها بإحكام بحيث لم تجد لها مفراً من أيديهم لو اضطرت للهبوط.. ولولا أن إطلاق النار ممنوع منعاً باتاً في المعبد المقدس، لربما كانت ميتة منذ بعض الوقت..

استعاد رادال حواسه وهو يرى نجاة جود الجزئية، ويرى هياج الشعب لما جرى.. عندها صاح بأعلى ما

يملك مستغلاً ذلك الوضع "أنا لم آتِ عابثاً، ولا لمجرد الطمع بهذا العرش الذي يغري أي نفسٍ ضعيفة.. ولو لم يكن العرش حقٌ لي لما طالبت به مطلقاً.. لقد أتيت لإيقاف هذه الطقوس العبثية، وإلغائها بلا رجعة.. كفاكم تحملاً لضيم الكهنة دون وجه حق.. كفاكم رضوخاً لمعتقداتٍ بالية لا أساس لها من الصحة.. هذه الطقوس، وتلك الحرب، كلها أمورٌ تستنزف أفضل ما يملكه الشعب دون وجه حق.. وأنا لا أرضى بمثل هذا لشعبي.. ولن أصمت حيال ما يجري.."

وقف كبير الكهنة في وجهه يتميز غيظاً وهو يدمدم "أما كفاك كل هذا التجديف يا حقير؟"

نظر له رادال بتحدٍّ وهو يسمع تصايح الجموع وهياجهم بصوتٍ يكاد يصمّ الآذان.. وبالمقابل، كان بيزاراك يلقي أوامره الحادة لجنوده وسوريم يرمق ما يجري بعبوس واضح.. ولما تزايد الضجيج مهدداً بثورة كبيرة تكتسح ما أمامها، وقد امتزجت مشاعر الصدمة لكل ما سمعوه من رادال وجود، بالكراهية التي شعر بها الشعب لسنوات وعقود حيال كهنة الشمس المتعصبين بقوانينهم الجائرة.. وقبل أن ينفجر الوضع فعلاً، نهض سوريم واقفاً وقال لبيزاراك "اذهب وتخلص من هذا المدّعي قبل أن ينجح الجهلة في إنقاذه.. تخلص منه بنفسك، ولا تنتظر أمر الكهنة لك بذلك.."

هز بيزاراك رأسه، فأضاف سوريم عابساً "مُرْ جنودك بإيقاف هذا الشغب قبل أن يندلع ويثور أولئك الجهلة.. اردعهم بأي وسيلة كانت، ولا تسمح لأحدٍ منهم بالعودة لشادين قبل أن يجدد ولاءه لي بشكل كامل.."

ألقى بيزاراك بأوامر سريعة لأقرب جنوده، ثم توجه بخطوات واسعة نحو رادال الذي ظل في مكانه يواجه كبير الكهنة وبعض الكهنة الذين منعوه من الحراك.. تجاوزهم بيزاراك وتقدم من رادال المقيد فقبض على مجمع ملابسه وجرّه جراً معه نحو حافة الأرض.. تصايح الكهنة باعتراض لما يجري، ولأن رادال لم يجتز كل الطقوس المقررة عليه قبل التضحية له.. لكن بيزاراك تجاهل صياحهم، وتجاهل رادال الذي قاومه بشدة وهو يجذبه بقوته البالغة نحو الدرج الحجري المؤدي للفراغ.. عجز رادال عن مقاومة بيزاراك مع قيوده، ولكون بيزاراك الذي يكاد يوازيه في الطول وفي القوة يملك قبضة حديدية لا يمكن الإفلات منها..

صاحت جود باسم رادال فزعة، وبدأ الجمهور بالهياج بالفعل بسخط واضح لما يراه محاولين مدافعة الجنود

الذين وقفوا أمامهم سدّاً منيعاً، لكن بيزاراك تجاهل هذا مجدداً وهو يتفادى ركلة وجهها رادال نحو ساقه، وبحركة سريعة تمكن من جذب السلسلة التي تقيد يديه معاً وأحاط بها عنقه بقوة جعلته يختنق شيئاً ما لشدة الضغط.. حاول رادال جذب مهاجمه من ملابسه وقذفه من فوق ظهره، لكن يداه المقيدتان لم تقدرا على تنفيذ حركة مثل هذه وبيزاراك الواقف خلفه يدفعه خطوات أخرى نحو الحافة وهو يقول "ربما كان من الخير لك لو بقيت في أرض الهوام بدل القيام بمحاولاتٍ فاشلة مثل هذه.."

قال رادال بأنفاس مخنوقة "لو تمكنتُ من العودة للعرش، ستندم على ما فعلته بي يا هذا.."

ابتسم بيزاراك ابتسامة جافة معلقاً "لا تقل هذا وأنت واقفٌ عند رأس الهاوية.."

ورغم محاولات رادال التشبث به أو بأي شيء قريب، لكن بيزاراك دفعه دفعة قوية تجاوزت به الدرجات الحجرية وجسده يهوي نحو الفراغ التام وشهقات الصدمة تتعالى من أفواه الحشود، ومن جود التي رمقت ما يجري بارتياع تام دون أن تجد لديها القدرة على الصياح أو إظهار أي رد فعل لما رأته..

ومن المدرجات القريبة، ارتسمت ابتسامة جانبية على وجه سوريم قبل أن يرمق الحشود الثائرة بعصبية.. ثم تراجع أخيراً متجاوزاً المدرجات الحجرية قائلاً لوزيره قيرام الذي وقف قربه "أرسل طائرة خلف ذاك الرجل.. أريدهم أن يحضروا لي جسده الهامد لأراه بنفسي.."

تساءل قيرام وهو يتبعه بدهشة "وما الداعي لذلك يا سيدي؟"

قال سوريم بحزم "كي أتأكد من موته حقاً.. ولأتأكد أنه استنفذ الأرواح التي يملكها والتي مكنته من النجاة مرة بعد مرة.."

كان الاقتناع بقوله صعباً، لكن قيرام لم يجد بداً من الانصياع لأمره.. بينما عبر سوريم البوابة الخاصة بالشخصيات الهامة والمؤدية للمدرجات عائداً للطائرة التي أحضرته من شادين.. خفتت الأصوات فور ولوجه القاعة خلف البوابة والتي تقوده لمهبط الطائرات، عندها ارتسمت ابتسامة جانبية شامتة على وجهه وهو يتمتم "كان هذا أسهل مما توقعت يا رادال.. لقد خيّبت ظني بك.."

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الخامس عشر)
مملكة الضياء : بين عقل وقلب

عندما تهاوى رادال من العالم السامي، لم يملك الوقت ليصدم بالأمر أو يستنكره.. جرى كل ما جرى بأسرع مما توقع.. خابت مساعيه، وقُبض على سنده الوحيد تریاش والذي قد يتم إعدامه في أي لحظة، وخسر فرصته الوحيدة لاستعادة العرش وربما خسر حياته كذلك.. وفوق كل ذلك، لا يعلم بأي حال ترك جود وسط أولئك الجنود وهو مدركٌ أنه لن يراها مرة أخرى بعد تلك اللحظة..

ظل يرمق الغيوم المتسارعة نحوه بعقلٍ خاوٍ من أي فعل، حتى عندما سمع تلك الطلقة التي صدرت من موقع ما خلفه، وفوجئ بتلك الشباك التي أحاطت به بقوة وعنف موقفة اندفاعه لوهلة وجيزة.. شعر رادال بضغط الشباك المصنوعة من معدن خفيف وقوي في آن واحد، ثم حاول دفعها عنه وهو ينظر حوله بحثاً عن مصدر تلك القذيفة.. وفوق رأسه، تمكن من رؤية تلك الطائرة الصغيرة التي حلقت أسفل العالم السامي وهي تجذبه خلفها والحبل المدلّى من قلبها ينتهي بتلك الشبكة التي أنقذت حياته..

كانت تلك إحدى طائرات مملكة الضياء.. فما معنى كل هذا؟.. تلاحقت أنفاس رادال وهو يستعيد حواسه ووعيه بعد أن شعر بنفسه مغيّباً من أي إحساس عند سقوطه.. الآن، ظل يرمق الغيوم السارية تحته بصمت وينظر للطائرة التي سحبته معها في مسارٍ موازٍ لأرض العالم السامي دون أن تظهر للجمهور الحاشد في المعبد القريب.. هل عليه أن يفرح بنجاته هذه؟.. بعد كل ما جرى، ظل البؤس يجثم على صدره بحيث عجز عن إظهار سروره لأنه لم يفقد حياته، لأنه سيعود للعالم السامي ولو كان ذلك بحالٍ يختلف تمام الاختلاف عن حاله في المرة الأولى..

بعد سير لم يدم إلا لعشر دقائق، بدأت الطائرة ترتفع فوق مستوى الأرض بعد أن تجاوزت المعبد بمسافة كبيرة وأصبحت بمأمن من أي يلمحها أحد من جنود بيزاراك الذين توزعوا حول المنطقة بطائراتهم لمراقبة الوضع ولحماية الملك لو جدّ ما يستلزم ذلك.. بعد أن توغلوا قليلاً في تلك الأرض، ورادال يلاحظ تحته غابة محدودة بأشجار ذات لون برتقالي وأصفر بحيث بدت ملتهبة الألوان على ضوء الشمس الغاربة.. حلقت الطائرة لمسافة معقولة، ثم انخفضت في مساحة تنحسر عندها الغابة وتبدو خلفها السهول العشبية

وبعض المزارع المتفرقة.. لم يكن رادال يملك من أمر نفسه شيئاً والشباك تحاصره وتعيقه عن الحركة بحرية، لذا استمر بصمته وهو يرى الأرض تقترب منه بسرعة رغم أن الطائرة تنخفض بأبطأ ما تملك محاذرة أن يرتطم بالأرض أو بأي أشجار أو صخور قريبة.. ومع ذلك كان وصول رادال للأرض قاسياً والطائرة تسحبه لمسافة قصيرة قبل أن يستقر في مكانه، عندها بدأت الطائرة تميل جانباً وتهبط على مبعدة منه قدر ما يسمح لها الحبل الذي يصل الشباك بالطائرة..

دفع رادال الشباك بعيداً عنه وناضل حتى تخلص منها تماماً، وصوت باب الطائرة الذي فتح فور هبوطها أرضاً يعلو بوضوح.. عندها تراجع عدة خطوات وهو يقف بتحفز بانتظار رؤية أصحاب تلك الطائرة، وهو لا يشك للحظة أن يكونوا من الجنود.. وبالفعل، خرج منها ثلاثة جنود ببنادقهم، ووقفوا مواجهين رادال الأعزل الذي لا يملك سلاحاً يدافع به عن نفسه.. تحفز رادال لمقاومتهم لو حاولوا اقتياده لقلب الطائرة، لكنه فوجئ بأحدهم يتقدم وينحني له قائلاً "نرجو المعذرة إن كنت أصبت بأي إصابة أثناء هذه الرحلة القصيرة.. كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة لإنقاذك دون إثارة غضب الملك ولتفادي ملاحقة جنوده لنا.."

تساءل رادال بتوجس "إذن من أنتم؟.. أنتم جنود سوريم كما يبدو لي.."

ابتسم الرجل قائلاً "ربما نبدو كذلك، أو نحن كذلك بالفعل.. لكن من أرسلنا ليس الملك سوريم.. بل أرسلنا سيدي ترياش لإنقاذك فور أن تمكنا من الوصول إليه في السجن.."

رفع رادال حاجبيه قائلاً "هل أنتم من رجاله؟.. ظننت سوريم قد قبض عليهم بالفعل في القصر.."

أجاب الرجل "بل قبض على من عرفه منهم في تلك المحاولة التي قمتم بها.. أما البقية، فلا يعلم عنهم شيئاً حتى الآن.."

وأشار للطائرة خلفه بدعوة صامتة مضيفاً "في البدء، فلنبتعد عن هذا المكان، ولنخلصك من هذه القيود التي تقيّدك بقسوة.."

لم يجد رادال بداً من الاستجابة له وصعود الطائرة دون مماطلة.. وفي الطائرة التي كانت أصغر حجماً في الداخل من الطائرات التي ركبها حتى الآن، استقر رادال في غرفة القيادة وذلك الجندي الذي عرف أن اسمه قوجوك يعرض عليه تنظيف السجحات والخدوش التي أصابته من هبوطه العنيف أرضاً، بعد أن

خلصه من القيود التي تقيّد يديه وقدميه.. لكن رادال لم يعبأ بعرضه وهو يقول باستياء "ما دمتم تعرفون ما خططه لي سوريم، لمَ التزمتم الصمت حتى يتخلص مني بالفعل؟"

أجاب قوجوك دون أن يبدو الضيق على وجهه "كما أخبرتك، لئلا يدرك القائد بيزاراك أنك مازلت على قيد الحياة ويرسل خلفنا جنوده.. هذا أكثر أمناً لك ولنا.."

اعترض رادال بحنق "ماذا لو قرروا الخلاص مني بطلقة في الرأس؟.. لم يكن ليفيدني حذركم ذلك أبداً.."

خفض قوجوك رأسه باعتذار قائلاً "لكننا كنا محتاطون لهذا الأمر.. أحد رفاقنا قد اندسّ بين حراس المعبد، وكان متأهباً ببندقيته قريباً من تلك الساحة لإنقاذك لو حاول أحدهم قتلك.."

صمت رادال دون أن يملك الاعتراض هذه المرة، وإن تساءل بحيرة ودهشة حقيقية "حقاً.. كم رجلاً منكم يوالي ترياش؟.. هذا العدد، وهذا التوزيع لرجاله، يدهشني مع كل لحظة تمضي.."

ابتسم قوجوك الواقف أمامه قائلاً "إن ترياش لم يضيّع سنواته الماضية وماله عبثاً.. وهو لم يكن يسعى إلا لتأمين نفسه من أهواء وتقلبات الملك.. لكن بعد أن وقعت الفأس في الرأس بالفعل، أصبح الاعتماد على هؤلاء الرجال وسيلته الوحيدة للنجاة من المصير الذي يخطط له الملك.."

قال رادال بدهشة " وما سبب موالاتكم له دون الملك؟.. أليس في هذا خيانة لمليككم ولوطنكم ولقادتكم؟.."

تبادل الرجال النظرات الصامتة، ثم قال قوجوك "قد تراه أنت، ويراه الملك، خيانة عظمى.. وربما تكون محقاً.. لكن لو كانت تلك خيانة بالفعل، لما قمتَ بها أنت.."

صمت رادال يستمع إليه بعدم اقتناع، فأضاف قوجوك "ما نسعى إليه نحن هو تأمين أنفسنا وأطفالنا في هذا العالم الذي بدأ يتهاوى بإصرارٍ من الملك كاسراً كل الأعراف والقوانين التي نشأنا عليها.. هذه الحرب لم تكن باختيارنا، لكن نحن أول من يكتوي بنارها.. أبناؤنا هم من يقتلون، لا أبناء الملك.. أموالنا هي ما تُستنزف في الحرب، لا أموال الملك.. وزوجاتنا هن من يترمّلن، لا زوجة الملك.. ترياش وعدنا بأن من يكن في صفه، فإنه سيبقى وفياً له بعد موته.. وسيخصص لعائلته مبلغاً مالياً يصرف بشكل شهري يكفيها الفاقة ويمنعها من استجداء الناس.. هذا برأي الجميع أفضل من الموت في حرب لا طائل منها، ودون أن يحصل أطفالنا منها إلا العوز والفقر دون أن يعبأ لأمرهم الملك.."

غمغم رادال مطرقاً "حتى لو كان الأمر كذلك....."

ظل مطرقاً بصمت وهو يتساءل في سره لأي مدى قد يذهب المرء للحفاظ على أقرب الناس إليه، رغم كل تَبِعات هذا التصرف.. تذكر في تلك اللحظة جود التي ظلت في المعبد محاطة بعدد من الجنود بعد وقوفها أمام الكهنة دفاعاً عنه.. فرفع بصره لقوجوك الواقف أمامه وقال بلهفة "كم نبعد عن المعبد؟.. أعيدوني إليه بسرعة.."

نظر له الرجال بدهشة وأحدهم يقول "هذا محال.. لا يمكن أن يمرّ وجودك هناك مرور الكرام.. ولا نريد لهم أن يفطنوا لنجاتك بعد.."

قال رادال بإصرار "هناك أمرٌ مهم عليّ العودة لأجله.. هناك فتاة يجب أن أنقذها من قبضة الجنود مهما كانت النتائج.."

هز قوجوك رأسه باعتراض قائلاً "محال.. سيدي ترياش قد حذرنا من كشف أمرك مهما كانت الأسباب.. ولا نستطيع أن نضيّع هذه الفرصة لإنقاذ فتاة.."

صاح رادال بحدة "لكنهم قد يقتلونها لأنها انحازت لي ضد الكهنة وضد الملك.. أنا لن أذهب لأي مكان دون أن تكون معي.. إما أن تأخذوني إلى المعبد أو تطلقوا سراحي وسأذهب إليه بنفسي.."

ظل الرجال يتبادلون النظرات بحيرة، ولما اشتدّ حنق رادال وعصبيته بادر قوجوك ليقول "يمكننا أن نخاطب رجلنا المندسّ بين حراس المعبد.. قد يستطيع إخراجها من المعبد أو إخبارنا بما جرى لها.."

بادر أحدهم للاتصال بالحارس المنشود ورادال يدلي بمواصفات جود وما كانت ترتديه في اللحظات القصيرة التي رآها فيها.. بعد حديث قصير، خاطبه الرجل الذي أجرى الاتصال قائلاً "لقد وعد رفيقنا أن يبحث عنها، فهو قد رآها بالفعل قبل أن يقوم الكهنة بتنفيذ عقوبتهم عليك.. لكنه يقول إن البحث عنها قد يكون عسيراً لو أنها خرجت مع تلك الحشود التي غادرت المعبد.."

قال رادال باستياء "فليبذل جهده.. على الأقل فليتأكد أنها لم تسقط في أيدي جنود سوريم.."

علق الرجل "سيفعل ذلك.. وسيرد علينا بأسرع ما يمكن.."

هز رادال رأسه بشيء من الاستسلام والقلق يعصف به.. لم يكن معتاداً على أن يوكل أمره للآخرين، بل كان دائماً ما ينجز أموره بنفسه.. فهل يستطيع الاستسلام وانتظار رد ذلك الرجل عليه سواء بعثوره على

جود أم جهله لمكانها؟.. ماذا لو كانت تواجه خطراً حقيقياً في هذه اللحظات؟.. لشدّ ما يشعر بالضيق أثناء الانتظار..

سمع قوجوك يقول له "سيدي.. السيد ترياش قد طلب منا فور إنقاذك اصطحابك بعيداً عن شادين، وعن مملكة الضياء، حتى تهدأ الأمور قليلاً.."

تساءل رادال بضيق "وأين يمكنني أن أختبئ؟.. حتى متى عليّ أن أهرب، لو كان لهروبي أي فائدة؟"

أجاب قوجوك "هناك موقعٌ عينه لنا ترياش، وهو قرب الحدود الفاصلة بين مملكتنا ومملكة النبع المقدس.. أخبرنا أننا سنلاقي صديقاً مقرباً من أصدقائه، وهو سيعاونك على الاختباء ويحميك من قبضة الملك حتى يتمكن ترياش من ترتيب أمور عودتك بطريقة أفضل وأكثر أمناً.."

قال رادال بحيرة "ماذا عن ترياش؟.. هل أنقذتموه؟"

هز قوجوك رأسه نفياً وقال "لا.. لقد أوعز لنا بتهريبك، لكنه رفض مغادرة سجنه حتى يقوم بترتيب الأمور حسب الخطة التي لا نعرف تفاصيلها الكاملة بعد.."

كانت تلك أمورٌ لم يناقشه فيها ترياش، ولم يخبره بخطته البديلة في حال فشلهم.. لكن يبدو أن الرجل لا يترك أمراً للصدف ويملك خططاً تناسب كل الظروف.. لم يعارض رادال ما يقوله قوجوك، لكنه قال بعبوس "لن أغادر قبل أن تكون الفتاة معي.."

هز قوجوك رأسه متفهماً دون أن يتساءل عن هوية الفتاة وأهميتها له، بل صمت وابتعد منتظراً إشارة من رجلهم المندس كحارس من حراس المعبد.. عندها، سيبدؤون التحرك، وتبدأ رحلتهم للفرار برادال من يد سوريم، ومن الفشل الذي حاق بالانقلاب في أول يوم.. بل أول ساعة.. من تنفيذه..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لا تدري جود بأي حال غادرت المعبد مندسّة بين الحشود التي وجدت طريقها للخارج متجاوزة الجنود.. كانت جود المحاصرة بالجنود وهي على تلك الشجرة قد فضّلت العودة من حيث سقطت.. تحرك جسدها بآلية دون أن يستوعب عقلها ما يفعله بعد الصدمة التي تلقّاها برؤية سقوط رادال دون أن تتمكن هي أو

غيرها من إنقاذه بأي صورة.. صعدت أفرع الشجرة تلك حتى وصلت لأعلى فرع يقترب بها من الجدار الذي سقطت منه ويمكنه تحمل وزنها دون أن ينكسر.. ولما وصلت إليه وجدت أيدي عدد من الرجال من وسط الجمهور تمتد إليها لتعينها على تسلقه عائدة من حيث كانت وقد ساءهم فتك الجنود بها دون جريرة، والتعاطف الذي شعروا به تجاه رادال بعد كل ما سمعوه قد أصبح يشملها أيضاً..

تعالى الهرج والمرج وسط الحشود الذين غادروا المعبد، مما مكّن جود من الهرب دون أن تطالها أيدي الحرس الذين لم يجرؤوا على التوغل بين أمواج البشر تلك خشية مواجهة غضبهم، رغم محاولاتهم إيقاف العامة بأي صورة كانت وإن لم يجرؤ أحدهم على إطلاق النار دون تلقي الأوامر بذلك.. وقبل أن تغادر جود المعبد بالفعل، تذكرت سيرا التي افترقت عنها منذ وصولهما ولا تدري ما حل بها حتى الآن.. هل عرفت بسقوط رادال؟.. هل قبض عليها الجنود أم أنها تمكنت من الهرب منهم؟.. حاولت جود العودة، لكن قوة دفع المغادرين كادت تسقطها تحت أقدامهم، فسارت معهم مضطرة وهي تدفع نفسها جانباً قدر استطاعتها حتى تمكنت من تجاوزهم ووجدت نفسها على بعد أمتار قليلة من بوابة المعبد ومن الجنود الذين انزاحوا جانباً سامحين للعامة بالخروج دون اعتراض..

أسرعت جود تندسّ قرب أحد التشكيلات الاسطوانية التي تزيّن المدخل قرب البوابة، وتسللت من هناك بعيداً بحثاً عن سيرا.. لو أن المعبد أغلق أبوابه بعد خروج العامة وقبل أن تتمكنا من الخروج معهم، فستكونان في مأزق.. أو ستكون جود كذلك لو لم تعثر على سيرا وتبينّ لها بعد فوات الأوان أنها غادرت مع البقية.. لكن رغم ذلك الاحتمال، فإن جود لم تتمكن من التخليّ عن سيرا وهي لا تملك وسيلة للاتصال بها.. سارت تقلّب بصرها في جميع زوايا المعبد، تتفادى الجنود قدر استطاعتها، وتدعو في سرها أن تعثر على سيرا بسرعة وتغادرا هذا المكان دون رجعة..

بعد أن ساقتها قدماها لجانب من جوانب المعبد لا أثر فيه للعامة، حتى بدت الأصوات الحاشدة خارجه بعيدة والسكون عاماً، لاحظت جود أقداماً عدة تسير في موقع غير بعيد عنها حيث الممر المسقوف أمامها مغطى بنقوش بديعة ونوافذ أعلاه وعلى جانبيه تسمح لنور الشمس بالتغلغل فيه أغلب أوقات النهار.. أسرعت جود تختبئ بين نافذتين حيث انتصب عمود اسطواني عريض يخفيها عن الأنظار، وهي تخشى أن يعثر عليها الجنود أثناء مرورهم في هذا الممر.. وبالفعل، استطاعت أن ترى ما يقارب ستة من الجنود

يسيرون بخطوات حازمة صارمة حاملين أسلحتهم بتأهب.. وبينهم، رأت رجلاً يرتدي ملابس فخمة واسعة بتاج مذهب ومرصع بالجواهر على رأسه وصولجان خشبي الساق ذهبي الرأس على شكل بيضة مزخرفة يعلوها شعار الشمس الذي يغزو كل أثرٍ وقصر في هذه البلاد.. لم يكن لدى جود شكٌ بأن هذا هو سوريم، ملك البلاد.. وتلك كانت فرصة كبيرة لها للاقتصاص منه على ما فعله بشقيقه الوحيد.. لكن جود تغلبت على عواطفها وحكمت عقلها وهي تدرك أنها لا تملك فرصة للنجاح مقابل ستة جنود مدججين بالسلاح..

لكن من كان مفعماً بالعواطف الملتهبة التي لا تخفى على الناظر إليها كانت سيرا المندسّة في موقعٍ غير بعيد عنها.. لمحتها جود ترمق سوريم بنظرة ملتهبة بالغضب، وبدا لها واضحاً ما تنوي تلك الفتاة المجنونة فعله.. لكن جود لم تستطع الصمت على ما تراه.. انحنت وتسللت خلف الأعمدة الرخامية المنقوشة مستغلة الظلام الذي غزا المكان من النوافذ والذي لم تكفِ إضاءة الممر لإزالته.. وبينما أخرجت سيرا خنجراً كانت تملكه وهي تنتظر مرور الموكب الذي يحف بالملك قريباً منها، فإن جود قد اقتربت منها محاذرة إصدار أي صوت يلفت إليها الجنود، وهجمت عليها لتكبّلها بأقوى ما تملك منتزعة الخنجر من يدها ومكممة فمها لئلا تصدر صوتاً..

تغلبت سيرا على المفاجأة سريعاً وقد أدركت أن من هجم عليها لم يكن إلا جود، ورغم ذلك قاومت بشدة وجود تجبرها على الانزواء خلف ذلك العمود وهي تحيطها بذراعيها وتكبّلها بقوة لئلا تصدر صوتاً يجذب إليها الأنظار.. قاومت سيرا بشدة وجود تراقب موكب سوريم الذي غادر دون أن ينتبه الجنود إليهما، عندها تجرأت على رفع يدها عن فم سيرا وهي تقول بصوت حانق خفيض "ما الذي تفعلينه يا مجنونة؟"

قالت سيرا وهي تتملص من قبضتها "اتركيني.. سأقتله.. ذلك الحقير.. سأقتله حتى لو اضطررت لمواجهة كل أولئك الجنود.."

لانت تقاطيع جود وهي تقول بأسى "أقدّر مشاعرك يا سيرا، لكنك لن تطاليه بسوء قبل أن يقتلك أولئك الجنود.. فلا تدعي سوريم يشمت بمحاولاتك الخرقاء للانتقام منه.."

احمر وجه سيرا بشدة وهي غير مقتنعة بما تسمعه، ومن العسير عليها أن تفهم ذلك المنطق مع الغليان الذي تشعر به في أعماقها.. ومع كل لحظة تمضي، كانت فرصتها تتضاءل أكثر فأكثر للخلاص من سوريم.. لكن

جود بقواها التي تتفوق على قوة سيرا قد كبّلتها بإحكام ومنعتها من إصدار صوت يجذب إليها الأنظار، حتى خفت صوت أقدام أولئك الجنود الذين صاحبوا سوريم للطائرة الخاصة به والتي ستعيده لشادين في غضون دقائق..

عندها، نهضت جود وهي تقبض على ذراع سيرا بقبضة قوية وهمست "سنغادر بصمت.. إياك القيام بأي تصرف يلفت إلينا الأنظار.."

قالت سيرا عابسة وهي تحاول الخلاص منها "اتركيني.. لا شأن لك بما أفعله، وأنتِ لا يهمك أمري حقاً.. فلمَ لحقتِ بي؟"

أجابت جود بضيق "لا أظن بارا قد يسامحني مطلقاً لو فعلت ذلك.. ولا رادال كذلك..... لذا، لا يمكنني تجاهل أمرك في هذه اللحظات.."

قالت سيرا بيأس حانق "بارا لم يعد موجوداً.. ورادال كذلك.. فلماذا.....؟"

بدا ارتجاف صوتها واضحاً، فتنهدت جود وهي تدير وجهها جانباً والحيرة تملؤها بعد أن فقدت كل ما سعت لأجله، وكل من تهتم به.. وطنها وكل من فيه.. رادال وكل ما يعنيه لها.. ما الذي يدفعها للاستمرار بعد هذا؟.. مجرد البقاء حية هو كل ما تأمل بتحقيقه في أيامها القادمة في هذا العالم..

جذبت سيرا دون أن تعبأ باعتراضاتها وتساؤلاتها، المهم الآن أن تغادرا المعبد وبعدها يمكن لسيرا الذهاب لحيث ترغب وارتكاب أي جنون تنوي القيام به.. وصلتا بعد سيرٍ قصير لجانبٍ ينتهي عنده ذلك الممر، ويؤدي لساحة جانبية تكاد تخلو من الحرس إلا بعض الحراس الذين وقفوا على جدار يطل على تلك الساحة.. كان خروجهما من موقعهما ذلك يهدد بكشف أمرهما، رغم أن الشمس قد غابت بالفعل وبدأت أنوار المعبد الباهتة تضيء الساحات والممرات..

استدارت جود خلفاً بتقطيبة وهي تبحث عن وسيلة أخرى للابتعاد.. هل تقوم بكسر إحدى تلك النوافذ والخروج عبرها لجانبٍ آخر بعيد عن أنظار الحراس؟.. تراجعت خلفاً جاذبة سيرا معها هامسة "لنجرّب جهة أخرى.."

همست سيرا باستياء "حتى متى ستظلين قابضة على ذراعي كأنني طفلة؟"

قالت جود وهي تطلّ من إحدى النوافذ متفحصة ما خلفها "حتى تكفّي عن التصرف كطفلة بالفعل.."

ازداد استياء سيرا من رد جود، وهمّت بالرد عليها بحنق وغضب، عندما فوجئتا بتلك اليد التي أمسكت كتف جود بقوة فجأة.. شهقت سيرا وهي تلتفت خلفاً، فيما دفعت جود قبضتها برد فعلٍ سريع نحو الحارس الذي لمحته خلفها متأهباً ببندقيته.. لكنه تفادى الضربة التي وجهتها نحوه وهو يقول "مهلاً.. أنا لم آت للقبض عليك.."

قالت جود بعبوس وهي تقف أمامه متحفزة "ما هدفك إذاً؟.."

تلفت حوله بتوتر وقال "لديّ أوامر بإخراجكما من المعبد....."

لم يكمل قوله وجود ترفع قدمها وتركه في صدره بقوة مغمغمة "كان عليّ أن أدرك ذلك.."

اختل توازن الرجل وكاد يسقط أرضاً، لكنه سارع للاعتدال هاتفاً قبل أن تبتعدا "رادال هو من طلب مني ذلك.."

تجمدت جود وسيرا لدى ذكر رادال، فقال الرجل وهو يقترب منهما خافضاً صوته "لنرحل من هذا المكان.. لا أريد أن يُفتضح وجودنا قبل أن نهرب بالفعل.."

قالت جود دون أن تطيعه "رادال قد سقط من العالم السامي.. فأي هراءٍ....."

قاطعها الرجل قائلاً "لقد أنقذه الرفاق بواسطة إحدى الطائرات.."

وتلفت حوله بعصبية مضيفاً "لو كنت من جنود الملك، هل كنتِ ستريننني أحاول إخفاء الأمر بهذه الصورة؟.."

كان حذره وعصبيته واضحين أمامهما، وهو أمرٌ لم يكن لتفهمه لو كان من الجنود الذين يملؤون المعبد الآن.. فيما لم تتردد سيرا في تصديقه وهي تسأله بلهفة وإلحاح "هل أنقذتم رادال حقاً؟.. أين هو؟.."

قال الرجل وهو يتقدمهما "حاولا ألا تذكرا هذا الاسم الآن.. إنه بخير، وينتظرنا قرب الغابة الواقعة غرباً.. علينا أن نغادر قبل أن يغلق الحراس أبواب المعبد بعد رحيل العامة.."

سلّمت جود أمرها له وهي ترى سيرا تتبعه بلهفة.. لكنها ظلت تدير بصرها فيما حولها وتراقب الرجل بحذرٍ لم تتخلّ عنه بشكل كامل.. كانت فكرة نجاة رادال عسيرة على التصديق، فهي رأته بنفسها يسقط من العالم السامي، ولم تبتلع حتى الآن فكرة أنها فقدته للأبد.. لكن ذلك الرجل، رغم شكها به، قد منحها أملاً ولو كان زائفاً.. أملاً أنها ستلاقي رادال من جديد، وأنها ستتمكن من رؤية ملامحه ولو للحظة أخرى،

حتى لو كانت قد عاهدت سيرا على التخلي عن مشاعرها الوليدة نحوه قبل أن ترى النور بالفعل..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

في الطائرة التي ربضت في موقعها خلف الغابة ووسط السهول، وقد استحال لون الغروب الزاهي إلى سوادٍ مطلق لا يكاد نور القمر يضيئه، هبّ رادال واقفاً بانفعال وهو يسمع قوجوك يقول "لقد عثرنا عليهما بالفعل.. ورفيقنا سيحاول تهريبهما من المعبد بأسرع ما يمكن.."

تساءل رادال بدهشة "عليهما؟.. من تعني؟"

أجاب قوجوك "هما فتاتان.. الأولى التي وصفتها لنا والثانية ذات شعر طويل.. لقد أصرّت الفتاة التي طلبت إحضارها على اصطحاب تلك الأخرى معها.."

أدرك رادال أن الفتاة الأخرى هي سيرا.. فقال لقوجوك "لا بأس.. فلنذهب لانتشالهما من المعبد بأسرع ما يمكن.."

قال قوجوك باعتراض "لا يمكننا الاقتراب من المعبد كما أخبرتك.. لقد أوصيت الحارس بملاقاتنا بعيداً عنه، حيث يمكننا انتشالهم دون التعرض لكشف أمرنا قبل الأوان.."

قال رادال باستياء عارم "كيف يمكننا أن ننتظر بينما ما قد يواجهونه هناك أسوأ من توقعاتنا؟.. لا أظن أن هربهم من المعبد بالسهولة التي نتخيلها.."

هز قوجوك رأسه بإصرار، وأشار لموقعٍ في الخارطة الواضحة أمامهم على شاشة جانبية في غرفة التحكم التي يجلسون بها "هذا هو موقع اللقاء.. إنه لا يبعد الكثير عن الغابة التي تقع شرقنا.. هناك يمكننا انتشالهم دون أن نثير شبهة أحد.."

زفر رادال وهو يعود للجلوس بصمت.. وهل يملك إلا الانتظار بصمت؟..

في تلك الأثناء، في قلب المعبد حيث وقف بيزاراك يلقي أوامره للطائرات المحلقة كي تصاحب الملك في عودته لشادين، ويراقب خروج العامة من المعبد وجهود جنوده بالتضافر مع الحرس لمنع اندلاع أي شغب قد يطال المعبد وكهنته بسوء، لا حظ أحد جنوده الذي تقدم بسرعة منه و مال عليه هامساً "سيدي..

اعترضنا قبل لحظات اتصالاً غريباً رغم أنه صادرٌ من إحدى طائراتنا التي يفترض بها أن تراقب الأجواء حول المعبد.."

تساءل بيزاراك "وما هو فحوى ذلك الاتصال؟.."

أجابه الجندي "إنه يطلب من أحد الجنود البحث عن فتاة وسط المعبد وإخراجها منه قبل القبض عليها.. وقد أدلى بمواصفاتها لمتلقي الاتصال.."

سأل بيزاراك "أهذا فقط ما دار فيه؟!..."

خفض الجندي صوته أكثر وقال "لقد ذكر المتصل أن ذلك أمرٌ من رادال.. وأنه لن يغادر بدونها.."

قطب بيزاراك بشدة ممزوجة بحيرة متسائلاً "هل كان ذلك الاتصال قبل أن ألقي به من فوق الأرض؟.."

هز الجندي رأسه مجيباً "لم تمضِ دقائق منذ سمعنا ذلك الاتصال بوضوح على أجهزتنا.."

اتسعت عينا بيزاراك بصدمة، قبل أن يقول بسخط "أين موقع تلك الطائرة؟.. أرسل الرجال للحاق بها ورؤية الأمر على حقيقته.. وحاذر أن ينتبهوا لكم عبر أجهزة الاتصال، أو يفلتوا من أيديكم.."

تساءل الجندي "ماذا عن الفتاة؟.."

أجاب بيزاراك "ابحثوا عنها وعن الخائن الذي يعاونهم.."

ثم أضاف بسرعة قبل أن يغادر "ولا ترفعوا الأمر للملك.. سأخبره بنفسي فور انقضاء الأمر.."

واستدار مغادراً بتقطيبة والجندي يهرع لتنفيذ أمره.. هل كان الملك محقاً عندما أصرّ على إحضار جثمان ذلك الخائن بعد سقوطه؟.. هل نجا بمعجزة ما وبمعاونة المزيد من الخونة؟.. من الذي أرسل أولئك الخونة لإنقاذه.. ترياش.. أم الملكة الأم؟..

تجاوز بيزاراك عن أفكاره الحاشدة تلك وهو ينطلق لملاقاة سوريم قرب مهبط الطائرات الملكي في جانبٍ معزول من المعبد.. كان مهبط الطائرات ذاك يؤدي للممر الجانبي ومنه لساحة الاحتفالات بالقرابين بحيث يمر عبره الملك وحاشيته دون الاختلاط بالعامة الذين يتوافدون لمثل تلك الاحتفالات من كل حدب وصوب.. وقرب المهبط، رأى سوريم يهمّ بركوب الطائرة التي جاء بها من شادين، وفور رؤيته لبيزاراك قال بابتسامة "هذا يومٌ مجيد أليس كذلك يا بيزاراك؟.. لقد تخلصت من خصومي، الخونة الذين حاولوا الانقلاب عليّ بكل صفاقة.. يحق لك أن تطالب بترقية بعد كل هذا.."

علق بيزاراك "شاكرٌ لك فضلك يا مولاي.. لكن أي ترقية أطمح إليها وأنا قائد الجيوش العام بالفعل؟"

ابتسم سوريم قائلاً "إذن يمكنني منحك بعض المكافآت على جهودك.. ما رأيك أن أقطعك أرضاً في شمال المملكة؟.. ذلك حلمٌ يحلم به الملايين.."

أحنى بيزاراك رأسه قائلاً "لا يمكنني رفض ذلك يا مولاي، لكن أتمنى إرجاء الأمر حتى نفرغ من تطهير القصر والجيش كله من الخونة الذين يعاونون ترياش.. وهذا لن يكون بالسهولة التي نتوقعها.."

قال سوريم بثقة "لا تقلق.. سيخضع ترياش ببعض الضغط.. وأنا أعرف الوسيلة المثلى لذلك.."

ثم أضاف وهو يستدير مغادراً "أرسل جنودك لباتير وليحضروا لي ابنة ترياش.. أريدها في شادين في أقصر وقت ممكن.."

وصعد الطائرة دون تباطؤ ليبدأ قائدها استعداده للارتفاع بها عائداً لشادين.. فتنحّى بيزاراك جانباً يراقب ارتفاعها بصمت.. لن يكون من الخير له أن يخبر الملك بأمر نجاة رادال المحتملة، فغضبه سيصبّ على الجميع دون تمييز.. خاصة أن نجاة رادال أمرٌ أبعد من أن يتم تصديقه.. سيتحرّى الأمر بدقة، ويتخلص من رادال وممن عاونه لو نجا بالفعل، وعندها لن يكون لديه ما يخشى أن يعرفه الملك..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

في لحظة ما، وجدت الفتاتان والحارس معهما أن المعبد قد انقلب رأساً على عقب.. تراكض الجنود مفتشين المعبد وكل زواياه، وسمعوا بعض الأوامر يلقيها أحد الضباط للجنود للبحث عن فتاة.. أي فتاة تلك؟..

نظر الحارس لجود بتوتر، ثم مسح الموقع حولهما بنظره هامساً "ربما سمعني أحدهم وأنا أتحدث للرفاق عنك.."

قالت جود بقلق "أهذا يعني أنهم عرفوا بعودة رادال؟"

قال الحارس بحيرة "لا أدري.. وأخشى ما قد نعرفه فيما بعد.."

صمت للحظة محاولاً تقدير الخطوة الملائمة، ثم غمغم وهو يعالج جهاز اتصال يرتديه في معصمه "ربما من الخير أن نحذرهم.."

كان هذا هو أفضل تصرفٍ في الوقت الحالي، لذا وقفت جود وسيرا بصمت وهما تراقبان المكان حولهم بحذر فيما يتبادل الحارس بضع كلمات مقتضبة مع رفاقه على الجهة الأخرى.. ثم أنهى الاتصال ونظر للفتاتين قائلاً "هيا بنا.. علينا ألا نتأخر.."

استدار تاركاً ذلك الموقع ومتجاوزاً ممراً قريباً ليقف قرب آخر يلقي نظرة حذرة عبره، ثم تجاوزه لما اطمأن لخلوّه من الجنود نحو ممر آخر متفادياً السير في الأماكن المكشوفة وجود وسيرا تتبعانه بحذر.. كان المعبد قد أصبح خالياً بعد أن غادره العامة عائدين لشادين.. لذا كانت البوابة قد أغلقت على الأغلب، وصار خروجهم من المعبد أصعب وأكثر خطورة مما سبق.. فبأي حيلة يمكنهم أن يغادروا دون أن يلاحقهم الجنود؟..

بحث الثلاثة عن مخرج من هذا المكان في كافة الاتجاهات، لكن كل طريق يسلكونه كان يسدّه جندي أو عدد من الحرس ممن يفتشون جوانب المعبد بحرص.. وبالطبع كان الوصول للبوابة وتجاوزها مستحيلاً في هذه الحالة.. وقف الثلاثة بقلق خلف أحد الأبنية، وجود تهمس "ما العمل الآن؟.. سيفتضح أمرنا إن بقينا هنا مدة أطول.."

قال الرجل بصوت خفيض "علينا عمل المستحيل للخروج من هنا.."

استدار وهرع لجهة من الجهات، فتبعتاه بحيرة من الوسيلة التي يمكنهم بها مغادرة هذا المكان الحصين..

رأتا الرجل يتقدم نحو الجدار الذي يحيط بالمعبد كاملاً والذي كان على ارتفاعٍ يتجاوز المعتاد وبنقوش تزين أغلب جوانبه.. تلفت الرجل حوله، ثم وقف قرب الجدار واضعاً سلاحه أرضاً، وقال لهما " سأعاونكما على القفز فوق الجدار.. وبعدها سأحاول أن أغادر المعبد من بوابته فلن يشك شخصٌ بأمري.."

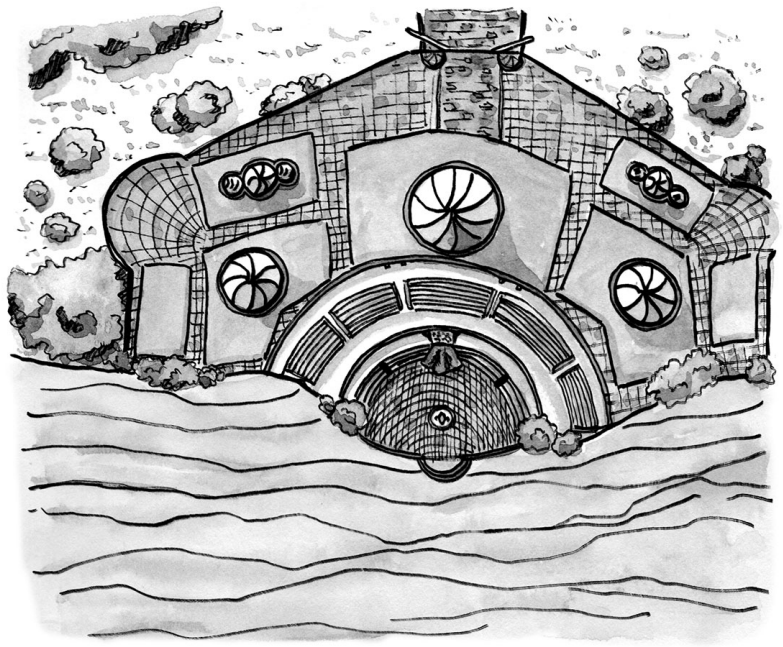

تساءلت جود رافعة حاجبيها "كيف يمكننا تسلق هذا الجدار العالي؟.."

قال الرجل "سأبذل جهدي لرفعكما بالتوالي.. عليكما أن تهربا فور أن تصلا للجانب الآخر.. وسألاقيكما عند مغادرتي.. كونا على حذر حتى ألتقي بكما.."

رأته جود يثني ركبتيه ويشبك يديه لتشكيل موضع قدمٍ لها، وقبل أن تبادر بتنفيذ طلبه قال "ضعي قدماً واحدة، ثم اقفزي بقوة ريثما أرفعك عالياً.. لن تصلي لأعلى الجدار إلا لو رميتك للأعلى.."

غمغمت جود "سيكون هذا أكبر من طاقتك.."

لم يعلق وهو يحاول تثبيت قدميه في الأرض، فوضعت جود قدمها على يديه، وتهيأت حتى أعطاها الإشارة عندها قفزت بقوة مستندة عليه لتجده يرميها عالياً بأقوى ما يملك.. لم تكن جود خفيفة الوزن، لكنه نجح في رفعها بصورة أعلى من المعتاد وهي تمد ذراعيها حتى تمسكت بإحدى يديها بطرف الجدار العلوي.. تمسكت به بكل ما تملك، ودفعت يدها الأخرى لتثبت نفسها قبل أن تسقط.. دفعت قدميها على الأطراف البارزة للنقوش التي تزين الجدار، وتمكنت بواسطتها من رفع نفسها للأعلى بثبات أكثر، حتى استطاعت أن تعتلي الجدار بشيء من الجهد..

لهثت جود وهي تستقر على الجدار، وترى من موقعها هذا ارتفاعه الحقيقي والذي لم تكن لتتجاوزه دون عون الرجل.. رأت سيرا تستعد للحاق بها، فثبّتت جود نفسها على الجدار الضيق، وفور أن رأت سيرا تقفز عالياً سارعت لمد يدها والتقافها بقبضتها القوية.. تأرجحت سيرا للحظة قبل أن تمد يدها الأخرى وتتمسك بالجدار فترفع نفسها بالطريقة ذاتها التي فعلت بها جود..

نظرت جود للرجل الذي وقف يراقبهما وهو يلهث تعباً للمجهود الذي بذله، ثم سرعان ما حمل سلاحه وعاد للمعبد ليندس بين الحراس قبل أن يشك في أمره أحد.. فنظرت جود للجهة الأخرى خارج المعبد وهي تقول "لو لم نكن حذرتين فسيكون سقوطنا مؤلماً وقد تكسر إحدانا ساقها.."

أشارت سيرا للجانب قائلة "فلننزل باستخدام إحدى الأشجار القريبة من السور.."

ودون انتظار رد جود رفعت نفسها فوق الجدار وسارت بثقة عليه نحو أقرب شجرة تمد أفرعها نحوهم، فتبعتها جود بحذر وهي تخشى أن تزل قدمها فيتهاوى كل ما بذلته من جهد للهرب.. لم يكن النزول من فوق الجدار بالصعوبة التي تخيلتها باستخدام تلك الشجرة، وبعدها سارعتا للابتعاد دون أن تلفتا أنظار بعض الحرس الذين كانوا يقفون قرب بوابة المعبد.. لحسن الحظ فإن الظلام الذي حل قد منحهما غطاءً

مناسباً وساعدهما على الاختباء بانتظار عودة ذلك الحارس..

طال بهما المكث وهما تتحفزان لأدنى صوت حيث اختبأتا خلف بعض الصخور متوسطة الحجم.. ولما سمعتا تلك الخطوات المتعجلة القادمة نحوهما، تحفزت سيرا بخنجرها، بينما قبضت جود على ذراعها هامسة "لا تتعجلي بكشف أمرنا.."

ونظرت بحذر عبر الصخرة لرؤية هوية الشخص الذي يقترب منهما.. كان الظلام في هذه اللحظة في غير صالحهما إذ لم تتعرفا على الرجل قبل اقترابه منهما، وإن راود جود شك بأنه الحارس الذي عاونهما على الهرب.. وإلا ما معنى اقترابه من هذه البقعة وتلفته المتكرر حوله.. ولما سمعتاه ينادي باحثاً عنهما، أدركتا أنه هو بالفعل، وقالت جود وهي تنهض "هيا بنا.."

رآهما الرجل فور خروجهما، فتساءل وهو يتلفت خلفه ليتأكد من عدم لحاق أحد الحرس به "أأنتما بخير؟.. ألم تتعرضا لأي إصابات أثناء الهبوط؟"

أجابت جود "لا.. لنذهب بسرعة قبل أن ينكشف أمرنا.. خذنا إلى رادال.."

هز الرجل رأسه موافقاً، واستدار سالكاً طريقاً يبتعد بهم عن المعبد ونحو الموقع الذي اتفق مع الرفاق على ملاقاتهم فيه.. دام سيرهم بعض الوقت والصمت يلفهم بشكل شبه تام وكل منهم غارقٌ في أفكاره.. عجزت جود عن تصديق الحظ الذي ساق هؤلاء لإنقاذ رادال بعد أن تيقنت من موته.. إن حظه يتخطى الحدود بالفعل.. لكن كم سيدوم به ذلك الحظ قبل أن يفقد كل شيء دفعة واحدة؟..

وجدتا الحارس يقف فجأة متوجساً وهو يقبض على سلاحه بشدة، فسرى التوتر في جسديهما وجود تسأله "أهناك المزيد منهم؟.."

قال الحارس وهو يتقدمهما راكضاً "بل ما هو أسوأ.."

تبعتاه بدهشة من أمره، حتى سمعتا تلك القنبلة الضوئية التي انفجرت بضجيج مسموع وسط الغابة الماثلة أمامهم.. رفعت الفتاتان بصرهما للسماء بدهشة وصدمة، لتفاجآ بإحدى الطائرات وهي تحلق فوق الغابة التي تبدو على مبعدة من موقعهم، وهي تطلق قنابلها الضوئية بشكل عشوائي على الغابة فتتفجر بمزيج الأضواء والأصوات التي تزلزل الأرض، وتشتعل الغابة لها بلهيب أحمر وضجيج الحيوانات والطيور الهاربة يصلهم خافتاً لبعد المسافة..

ظلت جود وسيرا تنظران لما يجري بعدم فهم، لكنهما لاحظتا أن الحارس لم يبطئ وهو يركض نحو الغابة رغم ما يعرض نفسه له بتلك الطريقة..

وشيئاً فشيئاً، أدركت جود أن ذلك الهجوم له علاقة برادال.. وتضخمت تلك الفكرة في نفسها شيئاً فشيئاً ممزوجة بالاستنكار للمدى الذي قد يذهب له سوريم للخلاص من شقيقه.. ومن التهديد الوحيد الذي يهدد عرشه في هذا العالم..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

فور أن وصلتهم أوامر بيزاراك، انطلقت طائرتان على وجه السرعة من سماء المعبد متجهتان غرباً نحو الغابة القريبة بحثاً عن الطائرة التي أرسلهم للقبض على من فيها، أو على الأقل تدميرها بمن فيها والقضاء عليهم نهائياً.. وعندما وصلتا للموقع الذي صدر منه الاتصال السابق، خلف الغابة التي أصبحت قاتمة اللون في هذا الليل، تمكن قائداها من رؤية الطائرة المنشودة وهي تربض أرضاً بصمت وسكون.. عندها قامت إحدى الطائرتين بالهبوط قريباً منها للبحث عمن كانت تحمله بقلبها، فيما بقيت الطائرة الثانية تحلق في الجو تحسباً لأي طارئ، وقائدها يتصل بقادته قائلاً "عثرنا على الطائرة، لكنها كانت قد هبطت أرضاً.. سيبحث رفاقنا عن الخونة بقلبها خلال لحظات.."

أتاه الرد عبر جهاز الاتصال قائلاً " خذوا الحذر.. يبدو أن الحارس الخائن في المعبد قام بتحذيرهم بانكشاف أمرهم.. لو عثرت عليهم، اقتلهم على الفور دون جدال.. ولو لم تعثروا عليهم فاستعيدوا طائرتنا وابحثوا عنهم.. ولا تعودوا بدونهم.."

أنهى الجندي الاتصال، وظل يدور بالطائرة في السماء ونور كشافاته يغطي الطائرتين على الأرض بانتظار نتيجة بحث الرفاق عن الخونة.. ولم تمضِ لحظات حتى خرج أحد الجنود من الطائرة الأخرى ملوحاً بيده وهو يقول عبر جهاز الاتصال "لا أحد فيها.. يبدو أنهم هربوا بالفعل عندما أدركوا سعينا خلفهم.."

قطب الجندي بحنق قائلاً "تباً لهم.. الآن سيطول بحثنا عنهم دون أن نقدر على العودة لشادين.. والويل لنا لو فشلنا في العثور عليهم.."

ثم أدار الطائرة نحو الغابة القريبة مضيفاً "استخدموا الطائرتين للبحث عنهم غرباً وجنوباً.. سأبحث عنهم وسط هذه الغابة فقد يحاولون مغادرتها من جانب آخر من جوانبها.."

أسرع الجندي لتنفيذ قوله، فيما دار الأول بطائرته فوق الغابة والكشافات تنير قمم الأشجار ونورها يصل بشكل محدود لأرض الغابة.. كان من حسن حظهم أن الغابة تلك ليست كثيفة الأشجار، لذا عثورهم على من يختبئ بقلبها سيكون أسرع وأسهل لو لم تكن تحتل مساحة واسعة من هذه الأرض، ولو كان لديه أدنى فكرة عن الاتجاه الذي سيسلكه الخونة بعد الآن..

وفي جانب من الغابة، سعى قوجوك بخطوات حثيثة يتبعه رادال ومن خلفه الرجلين الآخرين وكل منهما يحمل بندقيته بتأهب.. فقال رادال وهو يلاحظ صوت الطائرتين اللتين مرقتا فوق الغابة نحو الطائرة التي غادروها قبل لحظات "هل من الأسلم التخلي عن الطائرة والهرب سيراً على الأقدام؟"

أجاب قوجوك بلهجة عجولة "بعد أن افتضح أمرنا، أصبح اللحاق بنا أمراً سهلاً.. يمكنهم تتبع تلك الطائرة في أي مكان نذهب إليه حتى لو حاولنا تجاوز حدود المملكة.."

ونظر خلفه بتوتر مضيفاً "علينا الإسراع.. إن هي إلا دقائق ويبدؤون بتمشيط الغابة وما حولها بحثاً عنا.."

عاد رادال يتساءل بقلق "ماذا عن الفتاتين؟.. ما الذي سيحل بهما؟"

أجابه "سنلاقيهم في الموقع المحدد، لو تمكنوا من مغادرة المعبد بالفعل.."

قال رادال بحنق "لو لم تستخدموا وسيلة اتصال يمكنهم تتبعها، لربما ما واجهنا هذه المشكلة.."

أجاب أحد الرجال بتوتر "لقد استخدمنا موجة خاصة لمخاطبة رجلنا في المعبد، ولم نشك للحظة أن الجنود يراقبون الاتصالات القريبة بحذر.. يبدو أن الملك أو بيزاراك قد عيّن من يتابع تلك الاتصالات خشية قيام سيدي ترياش بخطوة أخيرة لإنقاذك من المعبد.."

ظل رادال يتبع قوجوك مقطباً بضيق.. لقد تعقدت الأمور أكثر مما كانت عليه.. كيف سيلتقي بالفتاتين وكيف سيعرف لهما طريقاً؟.. وكيف سيغادرون بعدها للحدود سيراً على الأقدام دون أن يكشفوا أنفسهم؟..

مضت أكثر من نصف ساعة وقائد تلك الطائرة يجول بطائرته فوق الغابة بحثاً عن أي هاربين بين أشجارها، وفي الآن ذاته وصله اتصالٌ من قائدي الطائرتين الأخريتين يخبرانه فيه أنهم لم يعثروا على أي أثر

للهاربين في الغرب والجنوب.. كانت المنطقة خالية، مما يجعل احتمال اختبائهم في الغابة أكبر واستخراجهم منها يستدعي جهوداً أكثف وجنوداً أكثر.. لذا، قام قائد الطائرة بالاتصال بقادته قائلاً "قمنا بتمشيط المنطقة في نصف الساعة الماضية دون أن نعثر لهم على أثر.. ربما علينا إرسال المزيد من الجنود للبحث عنهم.."

أتاه صوت بيزاراك قائلاً بحدة "ما معنى هذا؟.. ما الصعب في العثور عليهم؟.. إنهم لم يختبئوا في مدينة مكتظة بالسكان.."

قال القائد بتوتر "لكن حلول الليل ليس عوناً لنا، خاصة بوجودهم في هذه الغابة التي يكون البحث فيها ليلاً أصعب بمراحل من النهار.. ربما علينا الانتظار حتى الصباح...."

صاح بيزاراك "بل أريدهم الليلة..."

تساءل قائد الطائرة بحيرة "إذن ما العمل يا سيدي؟.. هل علينا تمشيط الغابة كلها للبحث عنهم؟"

صاح بيزاراك بغيظ "بل أحرقوها كلها.."

جمد القائد للحظة بصدمة، ثم قال "لكن هذا عملٌ سيكون له توابع كبيرة على المنطقة.."

صاح بيزاراك بعبوس "بل أحرقها.. سأرسل المزيد من الطائرات لمحاصرتها، وسيدفع الحريق الهاربين للخروج منها من أي جهة.. وعندما نقبض عليهم أو نتخلص منهم، سنقوم بإطفاء الحريق بأنفسنا.. عندها لن يملك أحدٌ ما يشتكينا بسببه.."

لم يقتنع القائد بقول بيزاراك، لكنه لم يملك إلا أن يقول "سمعاً وطاعة يا سيدي.."

أنهى الاتصال وهو ينظر للغابة تحته.. كانت تلك الغابة من أجمل الغابات في المنطقة، بأشجار ملونة وثمار برية يقطفها أصحاب المزارع القريبة.. تعيش فيها أنواعٌ عديدة من الحيوانات البرية، ويستثمرها العامة بصور لا يمكن حصرها.. لكن الأوامر هي الأوامر.. ليس مهماً للقائد بيزاراك أي دمار سيحيق بالغابة وبمن يستفيد منها من سكان هذه المنطقة، مع الضرر الذي قد يقع على المنازل والمزارع القريبة منها.. المهم هو القضاء على الشخص الذي يهدد الملك ويسعى خلف العرش..

لم يتردد قائد الطائرة في تنفيذ الأوامر وهو يطلق إحدى قذائفه الضوئية نحو الغابة تحته.. كان الانفجار قوياً والضوء مبهراً، فيما غطى ضجيج القنبلة على صياح الطيور والحيوانات التي فرّت مفزوعة وقد

استحال ليلها نهاراً دون أن تعرف ما يجري ويراد لها.. وكان الانفجار الذي اندلع على مبعدة منهم سبباً لصدمة كبيرة في ملامح قوجوك ورجاله، ورادال ينظر لذلك الموقع مقطباً وهو يتساءل "ما الذي يحاولون فعله؟"

جذبه قوجوك مبتعداً وهو يقول بتوتر "إنهم يحاولون اصطيادنا.. وربما إجبارنا على مغادرة الغابة من أي جهة ليتلقّانا الجنود ببنادقهم.."

ركض الأربعة في الاتجاه المعاكس لموضع ذلك الانفجار، ليجدوا انفجاراً آخر يندلع من جانب لا يبعد الكثير عن الأول.. تتالت الانفجارات بعدها بشكل متباعد ومتفرق دون مغزى ودون سبب مفهوم.. حتى لاحظ الأربعة أن النار قد بدأت تأكل قلب الغابة بشراهة وتنتقل من شجرة لأخرى بسرعة.. عندها أدركوا أن القنابل وحدها لم تكن كافية، فها هي النيران تجبرهم على الابتعاد نحو أطراف الغابة ومع مرور الوقت سترغمهم على مغادرتها..

وقف قوجوك لاهثاً بعد كل ذلك المجهود وقال لرفاقه "ما العمل الآن؟.. لا يمكننا الاتصال بالرفاق، ولا يمكننا مغادرة الغابة دون أن نقع بأيدي جنود بيزاراك.."

تبادل رفاقه النظرات القلقة دون أن يحمل أحدهم جواباً، فيما تقدم رادال متسائلاً "ماذا عن رفيقكما الذي كان في المعبد؟.. كيف سنعرف إن كان قد تمكن من إنقاذ الفتاتين ومغادرة المعبد؟.. وأين يمكننا أن نلاقيهم بعد أن كشف الجنود موقع لقائنا الأول؟"

أجاب قوجوك قالباً كفه بحيرة "هذا أقل همنا الآن.. لو لم نتمكن من إنقاذ أنفسنا، فالقلق على لقائنا بهم من عدمه لا أهمية له.."

راقب النيران التي أضاءت جزءاً كبيراً من الغابة، وبدت بوضوح من بين الأشجار المتناثرة حولهم، بالإضافة للحيوانات التي تدافعت بعيداً وبعضها يمرق قربهم دون خوف منهم مع ذلك التهديد الذي يهدد حياته ذاتها.. أخيراً، بعد أن راقب قوجوك النيران والطائرة في السماء التي يلمحها بشكل محدود من بين الأشجار، استقر على رأي قد يمنحهم بعض الأمل في هذه الأوقات الصعبة.. فرفع جهاز الاتصال لفمه وأجرى اتصالاً بالحارس في المعبد قائلاً بسرعة "أنصت لي وافهم ما أقوله.. ب ١٧...."

وأنهى الاتصال نازعاً الجهاز من ذراعه ليرميه أرضاً ويدوسه بقوة حتى تحطم وسط دهشة رادال.. لم يتردد رفاقه في تكرار الأمر مع أجهزة الاتصال الخاصة بهم، فيما قال رادال بحيرة "ما الذي جرى؟.. أهذه خطة بديلة؟"

أجاب قوجوك "يمكن القول كذلك.."

قال رادال باستياء "لكن كل جنود سوريم قد سمعوها الآن، وقد يكشفوا مقصدكم ويلاحقونا قبل أن نهرب بالفعل.."

قاطعه قوجوك بسرعة "لم تكن هذه شفرة سرية كما قد يخيّل لك، أو لبقية الجنود الذين سيتنصتون على ذلك الاتصال.. هذا كان رقم تقاطع طريق في مكان لا يبعد عن هذه الغابة الكثير، لكنه يبعد مسافة معقولة عن موقع لقائنا السابق.. رجلنا سيفهم الأمر لأننا مررنا به في وقت سابق من هذا النهار، وسيحاول لقاءنا هناك.. لكن بقية الجنود سيضيّعون وقتاً طويلاً للبحث عن حلّ لما قد يظنونه شفرة بيننا.."

وتلفت حوله مضيفاً "والآن، علينا الرحيل بأسرع ما يمكن قبل أن تصل الطائرة لهذا المكان متتبعة موقع الاتصال.."

تساءل أحد الرجال "لكن كيف سنغادر الغابة بالفعل؟.. ألا تظن أن الجنود سينتظروننا على الجانب

الآخر؟"

غمغم قوجوك "فلنترك هذا لوقته.."

وغادر نحو عمق الغابة موجهاً نفسه للجنوب تاركاً الطائرة والنيران خلفه، والقذائف ما تزال تتهاوى بين لحظة وأخرى على الأشجار فتدمرها تدميراً كاملاً.. يتبعه البقية دون جدال أو مزيدٍ من التساؤلات.. كان من غير الوارد أن يقوم جنود سوريم بالإحاطة بهذه الغابة كاملة، مع اتساعها وامتدادها في رقعة غير بسيطة من هذه الأرض.. لكن رغم ذلك كان التزام الحذر واجباً حتى تكف هذه الطائرة عن قذف قنابلها بشكل عشوائي، وحتى يرحل الجنود موقنين أن رادال ورفاقه قد قتلوا في هذه الغابة أو احترقوا دون أن يبقى لهم أي أثر..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم تكد الشمس ترسل أشعتها الخافتة فجر ذلك اليوم حتى كانت جود وسيرا تقفان قرب ذلك التقاطع لاهثتان بعد سيرٍ دام عدة ساعات من تلك الليلة.. كان ذلك الطريق الذي يتفرع لطريقين يحمل لافتة واضحة عليها عدة أرقام، لاحظت جود من بينها رقم (ب ١٧) بوضوح.. لكنها رغم ذلك تساءلت "أأنت واثقٌ أنه الموقع المنشود؟"

هز الحارس رأسه إيجاباً وهو يقبض على بندقيته ويتلفت حوله بقلق.. كانوا قد اضطروا لأن يسلكوا طريقاً أطول من المعتاد للوصول لهذه المنطقة، تفادياً للا قتراب من تلك الغابة وخوفاً من كشف أنفسهم للطائرات التي رأوها بأعداد كبيرة تحلق في السماء.. من الصعوبة تصور مدى استماتة الجنود للقبض على رادال بالنظر لتلك الطائرات التي حلقت في المنطقة وحول الغابة، ولا يزال الدخان الذي يتصاعد من قلب تلك الغابة يبدو لهم عند الأفق ورائحته الخانقة تصلهم بشيء من الخفوت..

طال بهم الصمت والقلق في تلك الساعة التي قضوها قرب ذلك التقاطع بانتظار أي أثرٍ من رادال ومن معه.. كان الحارس قد تخلص من جهاز الاتصال بدوره، لذا انقطعت أي وسيلة للاتصال برفاقه ومعرفة إن كانوا قد تمكنوا من النجاة من الهجوم الذي رأوه في الليلة الماضية أم أنهم قد فشلوا في ذلك.. وبعد تلك

الساعة، وقف الحارس الذي جلس على إحدى الصخور، وقال وهو ينظر تجاه الشمال "هناك من يقترب منا.."

سارعت جود وسيرا للوقوف قربه وتفحص القادمين نحوهم على ضوء الشمس الذي لم يشتدّ بعد ليكشف لهم ما حولهم بشكل واضح.. كانت فرقة صغيرة من الرجال لا تتجاوز الأربعة تقترب منه.. ولم تكن هويتهم واضحة تمام الوضوح، لكن الحارس قال وهو يتجه نحوهم "إبقيا هنا.. لو شككتما في هوية هذه الفرقة، فبادرا للهرب على الفور.."

وسار لملاقاة أولئك الرجال في منتصف الطريق، بينما همست سيرا بصوت متهدج "إنه رادال....."

نظرت جود لتلك الفرقة ملاحظة ذلك الذي يسير بينهم بطوله الذي يبزّ البقية، لكنها لم تعلق بشيء من التهيّب خشية أن يخيب أملها بعثورهما عليه.. لكنه كان رادال بالفعل.. رغم الضوء الشحيح الذي بدأ يشرق عليهما من الأفق، لكن جود لم تتمكن من إنكار تلك الحقيقة..

اجتمع قوجوك ورفاقه مع الحارس الذي اصطحب جود، والذي بادر لسؤالهم "كيف هربتم من ملاحقة رجال بيزاراك لكم في الغابة؟"

قال قوجوك زافراً "إنه مجرد حظ.. تجاوزنا النيران بصعوبة، بعد أن كادت تسدّ طريقنا نحو الجنوب.. ولو غادرنا من أي اتجاه آخر لأمسك بنا الجنود بسهولة.. لحسن الحظ أنهم لا يملكون عدداً كافياً لملاحقتنا في الوقت الحالي.. لكن لا يجب أن نركن لهذا الأمن الجزئي.."

تقدم رادال خطوة سائلاً الحارس بقلق "أين الفتاتين؟"

أشار الحارس خلفاً مجيباً "هناك.. لقد فضّلت بقاءهما بعيداً احتياطاً حتى أتأكد من هويتكم.."

تركهم رادال على الفور وتقدم نحو سيرا وجود بخطوات حثيثة، فيما تساءل الحارس "ما الذي سنفعله الآن؟.. كيف نهرب بهم من هذا المكان؟"

أجاب قوجوك متأملاً السماء خلفه "لا نملك إلا أن نواصل تنفيذ خطتنا الأصلية.."

غمغم أحد رفاقه بأسف "دون طائرة؟.. هذا أصعب بمراحل مما خططنا له.."

قال قوجوك بحزم "لكن يجب أن نفعل.. حياتهم مرهونة بما نبذله من جهد.. وحياتنا كذلك.."

وأضاف وهو يرمق رادال الذي ابتعد عنهم "ولا تنسيا أن هذا هو الملك القادم.. ولو سارت خطة سيدي

ترياش كما يفترض بها، فلا أظنه ينسانا عندما يتمكن من الجلوس على العرش.."

قال أحد الرجال بسخرية لم يملكها "هذا لو تحقق له الأمر بالفعل.."

في تلك اللحظات، كان الصراع على العرش هو آخر ما قد يطرأ لذهن رادال.. أو سيرا.. أو جود.... عندما لمحته جود يقترب منهما وبدت لها تفاصيله واضحة، بقامته الفارعة ووجهه ذي الملامح الحادة وعيناه الزرقاوان بنظرات متوقدة، فإنها جمدت للحظة تتأمله رغماً عنها.. لم تظن أن وعدها لسيرا يمكن أن يتهاوى عند أول نظرة تلقيها عليه، وملامحها تفضح شوقها للاقتراب منه.. للنظر إليه.. لتأمل ملامحه التي لم تنسها ولو ليوم واحد طوال الوقت الذي مضى.. لم تظن جود للحظة طوال الأيام الماضية أن مشاعرها ستكون بهذه القوة الجارفة، ولم يخايلها ظنٌ أنها لن تدرك قوة هذه المشاعر إلا عندما تراه ماثلاً أمامها بهذه الصورة..

لكن نظرات سيرا التي حملت لها اتهاماً واضحاً دفعتها لاستعادة نفسها ولملمة مشاعرها لتخفيها في أعماقها بإحكام.. تخلفت جود عن اللحاق بسيرا، وتظاهرت بالجلوس على صخرة قريبة بسبب تعبٍ ألمّ بها بعد المجهود الذي بذلته.. وتمنّت لو لم تفضحها نفسها وهي تداري نظراتها بعيداً عن رادال..

أما سيرا، فبعد أن تأكدت أن جود لن تقف في طريقها، ولا تنوي منافستها على اهتمام رادال، فإنها هرعت نحوه وتلقّته رامية نفسها على صدره وهي تقول بصوت متهدج "شكراً للسماء على نجاتك يا رادال.. لقد بحثتُ عنك طويلاً، واشتقت لك شوقاً لم أتخيل أن أشعر به قط.."

لم يدرِ رادال ما الذي يمكنه فعله في تلك اللحظات.. سيرا ترمي نفسها عليه وتبثّه شوقها وحبها بكل ما تملك، فيما عيناه معلقتان بجود التي فضّلت البقاء بعيداً عن بصره.. وعن متناول يده..

من كان يصدق أن يراها ثانية؟.. وهو الذي أيقن يقيناً شبه تام أنها قد قضت نحبها في الكمين الذي أقيم للثوار تلك الليلة.. ليالي طويلة قضاها متناسياً كل همومه يستحضر ملامحها الماثلة أمام عينيه ويتأملها بصمت وندم.. ندمٌ لأنه لم يستوقفها بشكل جدي تلك الليلة، وندمٌ لأنها غادرت غاضبة دون أن تمنحه الفرصة لقول ما أراد قوله حقاً.. وها هي أمامه، كحلمٍ عصيٍّ على التصديق.. لكنها نأت بنفسها عنه وكأنه لا يعني لها شيئاً بعد كل تلك الأيام التي افترقا فيها..

خفض رادال بصره لسيرا المتشبثة به وتساءل "ما الذي جاء بكما هنا؟.. كيف استدللتما على مكاني؟"

أجابت سيرا بانفعال "عندما علمت أنك في شادين، لم أتردد في اللحاق بك، ولم أيأس قط من العثور عليك.. وعندما علمت بأنهم ساقوك لمعبد الشمس بعد فشل محاولتك إسقاط سوريم، تبعتك على الفور وأنا أرجو إنقاذك.. لكني تأخرت كثيراً في الوصول إليك.. ولولا حظك الذي لم يتخلّ عنك قط.. لكنتُ....."

ارتجفت شفتاها للحظة وهي تتخيّل ما سيجري لو لم يجد رادال من ينقذه من ذلك المصير.. فربّت رادال على رأسها مغمغماً "ما كان عليك المخاطرة بنفسك للبحث عني.. لم أتمنّ أن تفعلي ذلك قط.. ولقد انتهى كل شيء قبل أن يبدأ بالفعل.."

هتفت سيرا وهي ترفع بصرها إليه "كيف يمكنك أن تقول ذلك؟.. حياتي كلها لا تساوي....."

قطعت قولها الحاشد بعواطف لم تحاول إخفاءها، عندما لمحت بصره معلقاً خلفها.. صمتت بمرارة مبتلعة بقية جملتها التي أضحت كعلقمٍ مرٍ لا يمكن احتماله..

إنه لا يراها، ولا يسمعها.. وربما لا يشعر بها..

ما الذي يمكن لسيرا أن تشعر به في تلك اللحظات؟..

بعد أن عجز رادال عن تجاهل جود، أزاح سيرا بلطف كان أثره أسوأ عليها مما لو دفعها بخشونة.. وكأنه يعاملها كطفلة اعترضت طريقه.. إنها لا تزال طفلة في عينيه!.. تعساً لها بعد كل هذا...

تقدم رادال نحو جود التي تجاهلته بشكل واضح وهي تمسح ساقها المتعبة وتدمدم بتذمر لم يسمعه.. لكنه لم يتوقف وهو يقترب منها متسائلاً "أأنت بخير؟"

قالت بلهجة عادية "بخير.. إنما هو تعبٌ ألمّ بي بشكل عارض.."

لم يتوقف رادال حتى وجدته جود يقف أقرب ما يكون إليها.. ولم يمهلها لترفع رأسها وتنظر إليه بتعجب، بل أمسك ذراعها وأجبرها على الوقوف لمواجهته.. ظنته جود غاضبٌ لتجاهلها إياه.. ولمَ قد يغضب لذلك؟!.. لكنه بدل مواجهتها، فإنه جذبها إليه وضمّها ضمّة قوية كادت تحطم أضلاعها وتمنعها من سحب أي أنفاسٍ لرئتيها.. ومن أين لها أن تتنفس بشكل طبيعي وقد فوجئت بما فعله واختلّت ضربات قلبها عندما شعرت بدفئه وعواطفه واضحة وضوح الشمس في سماء العالم السامي الذي لا يغيب عنه النور؟!..

سمعته يقول وهو يشدّها إليه أكثر "لو تعلمين ما أصابني عندما رأيت أشلاء الثوار في سهول ميركان.. جننتُ عندما تخيّلتك بينهم.. وجننتُ أكثر لفكرة أنني كنت أقدر على منعك من ذاك المصير لو أنني بذلت جهداً أكبر.."

تهاوت دفاعات جود وضاع منها وعدها بأسرع مما توقعت وهي تتشبث برادال لا إرادياً متناسية كل ما عداه.. تناست سيرا، وتناست وعدها، وتناست المكان الذي هم فيه.. لم يشغل حواسها في تلك اللحظات إلا رادال.. دفئه.. قوته.. رائحته.. أنفاسه.. وضربات قلبه التي تطرق بقوة وتتسلل لأذنيها متناغمة مع ضربات قلبها المتسارعة..

لم تظنّ جود لوهلة أن تلك اللحظات قد تنتهي.. لذا، بعد أن أطلقها، تراجعت خطوة مذهولة لكل ما جرى، لكن رادال ظل ممسكاً بكتفيها وعيناه مثبتتان على وجهها.. تفادت جود النظر لعينيه بشدة.. حاولت تمالك مشاعرها بسرعة، والعودة لما عزمت عليه سابقاً.. خشيت أن تدمر كل ما عقدت العزم عليه في الأيام الماضية.. لو التقت عيناه بعينيها، لرأى كل ما يعتمل بأعماقها في تلك اللحظات.. وما بأعماقها أقوى وأكبر من أن تتمكن من السيطرة عليه وإخفاءه عنه، ولم يمنحها رادال الفرصة للهرب وتمالك انفعالاتها..

افتعلت ابتسامة وهي تقول بلهجة عادية "حتى لو كنت مسروراً بنجاتي، وبنجاتك من ذلك المصير، أجد طريقتك في التعبير عن سرورك انفعالية أكثر من اللازم.."

لم يعلق على مزاحها وهو يقول "جود...."

بدا لها صوته العميق محملاً بعاطفة رجفت لها أعماقها، لكنها تجاهلته وتفادت النظر لوجهه وهي تقول "لا تقل لي إنك تحتضن أول شخص تمر به عندما تكون مسروراً!.."

قال لها بإصرار "جود.. انظري إلي.."

بدا لها أن هروبها واضحٌ أكثر من اللازم، فاتسعت ابتسامتها وهي تتمالك انفعالاتها ورفعت بصرها له أخيراً محاولة مواجهته بصراحة وهدوء.. والتقت عيناها بعينيه.. ورأت جود فيهما ما جعلها مأخوذة للحظة قبل أن تذوب الابتسامة عن وجهها وهي تدير بصرها زامة شفتيها بشكل لا إرادي لتخفي رجفة انفعالٍ كادت تفضح نفسها بها.. بحثت بعينيها عن سيرا، وهي تخشى مما قد تراه الفتاة أمامها في تلك

اللحظات.. فما بدا في عيني رادال أقوىٰ من أن تقوم بتكذيبه أو مداراته.. لكنها اكتشفت أن سيرا لم تعد موجودة في المكان.. منذ تركها رادال واتجه نحو جود، فإن سيرا اختفت ولم يعد لها أثرٌ في الموقع تماماً..

وجدت جود أن رادال جذب وجهها نحوه وهو يقول بتقطيبة "ما سبب تهربك الواضح مني؟.."

قالت جود بانفعال "لقد اختفت سيرا..."

ألقىٰ رادال نظرة سريعة خلفه، ثم عاد إليها قائلاً "أهذا كل ما يشغل تفكيرك في هذه اللحظة؟"

دفعته جود وتحررت من قبضته وهي تقول عابسة "لمَ تصرّ علىٰ تحطيمها بهذه الصورة؟.. هل أظهرت تقربك مني في هذه اللحظات نكاية بها؟.. ألا تهتم لما تشعر به وما قد تحاول فعله بعد أن أنكرتَ وجودها بهذه الصورة؟.. ألا تهتم لما قد مرّت به وهي تتبعك بإصرار؟.."

لكنها كانت مدركة أن ما رأته وشعرت به في تلك اللحظات لم يكن كذلك، وأدركت أن اتهامها له كان كاذباً.. لكن كيف لها أن تهرب من حصاره دون أن تفضح نفسها أكثر؟..

وجدته يتقدم منها خطوة وهو يقول "أتظنين أنني أعبأ بما تشعر به؟.. أو أنني قد ألجأ للخداع لصدّها؟.. هل طلبتُ منها أياً مما فعلته؟.. ألم تستشفّي أياً من مشاعري في اللحظات التي كنتِ فيها أقرب ما تكونين من قلبي؟"

احمر وجه جود قليلاً وهي تدير بصرها جانباً، رافضة الاعتراف بما شعرت به حقاً.. لأن اعترافها ذاك سيتبعه استسلامها له.. وهو ما لا تريده في تلك اللحظات..

سألها وهو يقترب منها خطوة أخرىٰ "لمَ تهربين مني بعد كل ما جرىٰ؟.. هل تحاولين خداعي أم خداع نفسك؟"

لا تدري ما أحسّه رادال منها عندما ضمّها إليه، لكنها أدركت أنه أمرٌ لا يمكنها إنكاره بسهولة.. ورغم ذلك قالت بسخرية متعمدة "وما الذي جرىٰ؟.. لا تتخيّل أموراً ليس لها وجود...."

ابتلعت بقية جملتها وهي تدير بصرها جانباً أمام نظراته المصدومة.. لقد استخدمت ذات الجملة التي استخدمها معها عندما كانا في ميركان، في تلميحٍ لم تتعمده لرفضه السابق لها..

رأت يده الممتدة نحوها تتهاوىٰ لجانبه، وهو ينظر لها بخيبة أمل واضحة لم يحاول إخفاءها من ملامحه..

فاستدارت جود مدمدمة "سأبحث عن سيرا..."

وغادرت عازمة على البحث عن سيرا عوضاً عن خوض مواجهة خاسرة.. مع دموعها السابقة، ومع الصدمة التي منيت بها في لحظة التقائها برادال، لا تعلم جود ما الذي قد تفعله تلك الفتاة بنفسها في هذه اللحظات.. ومع كل الإصرار والعزيمة التي كانت تتحلى بها أثناء سعيها خلف رادال دون أن تخشى على نفسها ولو للحظة، لا يمكن لجود إلا أن تشفق عليها وتأسى لما تمرّ به في هذه اللحظات..

وجدت رادال يمسك ذراعها ويوقفها قائلاً "لا أدري ما هدفك من تجاهلي بهذه الصورة، والتحجج بسيرا للهرب مني، لكن يمكنك أن تكوني صريحة في التعامل معي.. هذا سيجعلني أحترم مشاعرك أكثر من هذا الأسلوب الملتوي.."

وتركها باحثاً عن سيرا بنفسه، فتنهدت جود واضعة يدها على شفتيها لتوقف رجفتهما.. ما الذي دهاها؟.. كيف أظهرت ضعفها بتلك الصورة المخزية؟.. لماذا بهتت لما لاقت عيناه عينيها؟.. ما الذي رأته فيهما؟.. هل رأت شوقه إليها؟.. هل لمحت شغفه وحبه واضحاً في عينيه الشفافتين؟.. لقد وطّنت نفسها أياماً طوال أنها وأدت أي مشاعر تحملها لرادال، فكيف لها أن تهتز بهذه السرعة.. ما سر تلك الخيبة التي شعرت بها عندما تركها؟.. ما سر ذلك الإحباط الذي شعرت به للحظة عندما أدار لها ظهره وانطلق باحثاً عن سيرا؟.. أليس هذا ما كانت تبغيه، وما عاهدت سيرا عليه؟..

انطلق رادال باحثاً عن سيرا في الاتجاه الوحيد الذي يبدو أنها قادرة على أن تسلكه، دون أن يعترض طريقها الجنود الذين جلسوا جانباً بانتظار تحركهم.. كان عبوس وجهه شديداً بحيث بدا غضبه على وشك الانفجار في أقرب فرصة تواجهه.. تضافرت الأحداث التي مرت به في هذا اليوم البائس، وخُتمت بهذا الرفض الصريح الذي واجهه من جود عندما قرر أن يرمي كبرياءه وعقله بعيداً وأن يستسلم لعواطفه للمرة الأولى في حياته.. لقد رفضه عالمه.. رفضه شقيقه.. رفضه شعبه.. والآن رفضته التي اختارها قلبه.. فأي بؤس يشعر به بعد كل هذا؟..

وقد ازداد بؤسه عندما لمح سيرا راكعة أرضاً وهي تنشج ببكاء واضح.. فقال بحدة وغضب لم يملكهما "ما الذي جرى؟.. متى سنتخلص من هذا الشد والجذب الذي يتعسك ولا يجعلني أكثر سعادة كما ترين؟"

نظرت له سيرا يائسة والدموع تسيل من عينيها، ثم قالت بأسى "لماذا تخليت عني يا رادال؟.. لِمَ لا تفهم أنني لن أعيش بدونك؟.. هل تظنني مازحة عندما أؤكد لك هذا؟"

رصّ رادال قبضتي يديه قائلاً بشدة "وهل يجب أن أعبأ بذلك؟.. أتظنينني أنت مازحاً عندما أخبرك أنني لا يمكن أن أصير كما تزيّن لك أهواؤك؟.. ما الذي لا تفهمينه في رفضي المتكرر لك منذ سنين عدة؟.."

صاحت سيرا بحرقة "لِمَ هي؟.. ألم تقل لي إن ما يشغلك أهم من الجري وراء حبك لامرأة؟.. ألم يكن هذا سبب رفضك لي؟.. فلمَ أصبحت كل الأمور ثانوية لديك وأصبح ذلك الحب هو ما يشغلك؟"

قال رادال باستياء "لم أقل ذلك مطلقاً.. أتظنين أنني سأتنازل عما أسعى إليه لأي سبب؟.."

تقدمت منه خطوة وهي تصرخ "إذن لِمَ تلاحقها بهذه الصورة؟.. لِمَ، عندما قررت أن وجود الحب في حياتك وسعيك خلف العرش لا يتعارضان، تجاهلت وجودي وسعيت خلفها؟"

نظر لها رادال بصمت وعِرقٌ خفيف ينبض في عنقه.. إنها لا تفهم.. لن تفهم مطلقاً أنه ليس شيئاً تملكه، وأنه ليس ألعوبة في يدها تسيرّها كيف تشاء.. ثم تنهد ليهدئ غضبه العارم، وقال مواجهاً عينيها "ألا أملك حق اختيار من أسعى إليها؟"

لم يكن ذلك غريباً، فلطالما رفضها رادال سابقاً.. كيف لها أن تتوقع غير ذلك في هذه اللحظات؟.. عندها فوجئ رادال بها تستلّ خنجراً تعلقه في حزامها بشكل دائم، فوضعت طرف الخنجر الحاد على عنقها وهي تقول بتهديد "أنا لن أسمح لك بالتخلي عني، خصوصاً لأجل تلك المرأة التي لا تقل عن الرجال خشونة وقباحة.. ستكون لي، وإلا سأحمّلك ذنب موتي للأبد.."

لم تشي نظرات رادال بأي انفعال لتهديدها، لكنه تقدم منها وجذب الخنجر ليرميه بعيداً، ثم وجدته سيرا يقبض على عنقها بشيء من القوة اختنقت لها وهو يقول بصوت خفيض منذر بغضبه الشديد "إياك أن تقومي بتهديدي أبداً يا سيرا.. لستُ أخضع لهذا الأسلوب، ولستُ ألعوبة في يد أحد مهما كان.. وإن أردتِ أن تعرفي مدى حرصي على حياتك من عدمه، فسأثبت لك ذلك الآن.."

ظلت ترمقه بعينين متسعتين حتى أطلقها لتتراجع خطوة بساقين ترتجفان وهي تضع يدها على عنقها.. ثم قالت بصوت مبحوح "لا تتركني يا رادال.."

أغمض رادال عينيه للحظة وهو يدير وجهه جانباً لوقت طويل، قبل أن يقول بلهجة جامدة "فور عودتنا لشادين، إن تمكنّا من العودة بالفعل، لا أريد أن أراك أمامي.. لشدّ ما بغضتك لكل تصرفاتك الأنانية هذه، ولستُ مجبراً على تحملك لدقيقة بعدها.."

ازدادت رجفة سيرا وهي تنظر له مبهوتة وعيناها تترقرقان بالدموع.. هل كان ما قاله ياسان لها سابقاً صحيحاً؟.. هل بات رادال يكرهها لإلحاحها وملاحقتها له دون اعتبار لما يشعر به؟..

استدارت ناوية الرحيل لتهرب بمشاعرها هذه كما تفعل عادة.. لكنها فوجئت بضربة اليد التي أصابت مؤخرة عنقها وأسقطتها أرضاً بلا حراك.. زفر رادال وهو يتأملها عابساً بشدة.. لشدّ ما يتمنى تركها هنا وعدم رؤيتها مرة أخرى.. لكنه رغم ذلك انحنى وحملها بصمت عائداً للمكان الذي ترك فيه جود..

عندما عاد رادال، بعد بعض الوقت، حاملاً سيرا بذراعيه وعبوس بادٍ على ملامحه، تساءلت جود بقلق حقيقي "ما الذي جرى لها؟.. أهي بخير؟.."

قال رادال باستياء "كادت المجنونة تقتل نفسها.. لا أدري لأي شيء ستقود نفسها مع كل هذا الجنون.."

تفحصتها جود بعينيها، فلم ترَ بها أي إصابة واضحة، وإزاء نظراتها المتسائلة للسبب الذي فقدت له وعيها، أجاب رادال "اضطررت لإفقادها وعيها كي أتمكن من إعادتها بسكون.."

أنزلها أرضاً برفق، والصمت الثقيل يسودهما دون أن يجد أحدهما ما يقوله..

جود المثقلة بمشاعر تدرك أنها لن ترى النور يوماً ما، وأن عليها وأدها بيديها لا بيد أي شخص آخر..

ورادال الحائر بين مشاعره الجارفة ورفض جود الواضح له..

في تلك اللحظات، التي بدت له قصيرة جداً، عندما ضمّها لجسده محملاً بشوقه ولهفته لها، أحس بمشاعرها واضحة قوية لا لبس فيها ولا مراء.. لم تستنكر مشاعره، ولم تنبذه، ولم تحاول إنكار استسلامها له.. لكن فور أن أبعدها، استعادت جديتها وجفاءها السابقين، وعاملته كشخص غريب لا تملك له ذرة اهتمام.. كيف لها أن ترميه من النقيض للنقيض بهذه السرعة؟.. من أسعد لحظات حياته عندما رآها بعد غياب وضمّها إليه ليطفئ شيئاً من أشواقه بقربها منه، لأتعس لحظاته وهو يراها تتجاهله وتبعده عنها بتلك الصورة السافرة.. فأين هي الحقيقة؟.. من هي جود حقاً بين هاتين؟..

إن مصيره يزداد سوءاً مع كل لحظة تمضي.. إنه لم يخسر وسيلته للحصول على العرش فقط.. بل إنه غير قادرٍ حتى على نيل الفتاة التي شغفت قلبه وشغلته أياماً طويلة.. فأي هدف يبقى لحياته بعد كل هذا؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل السادس عشر)
مملكة الضياء: موجة تغيير

عندما استعادت سيرا وعيها، هبّت جالسة بشهقة خافتة.. تلفتت حولها، فرأت جود جالسة غير بعيد عنها في موقع لم تتعرفه للوهلة الأولى.. تهاوت مشاعرها بسرعة ورجفة خفيفة تعلو شفتيها، وهي تتخيّل ما جرى بين جود ورادال أثناء غيابها.. هل باح لها بحبه؟.. وهي.... هل قبلت حبه متناسية وعدها لها؟..

كادت الدموع تطفر من عينيها من جديد وهي تتلفت حولها بحثاً عن رادال.. ولما رأته جالساً في جانبٍ آخر مديراً ظهره لهما، ولاحظت انحناء كتفيه وهو صامتٌ ساهم الفكر، عادت ببصرها نحو جود لتلاحظ عليها بعض التوتر وهي ترمي صخوراً صغيرة في جدول ماءٍ قريب وبدت لها ملامحها واجمة باهتة..

عادت لسيرا روحها وأنفاسها التي كادت تكتمها، وقد أدركت في تلك اللحظات أن الأمور لم تسرِ بينهما كما توقعت.. هل رفضته جود كما وعدت؟.. هل تردد رادال في فضح مشاعره بشكل كامل؟.. عندما رأته يعانق جود قبل أن تهرب من ذلك المنظر، كانت واثقة أنها فقدته للأبد.. لكن الآن، بدا لها أن الأمل لا يزال موجوداً..

لم تحاول سيرا الاقتراب من رادال، كما قد تفعل عادة.. فهي تذكر كلماته القاسية لها، وتذكر وعيده بتركها فور وصولهم لشادين.. لذا حاولت أن تبتعد عنه قليلاً ليتمالك غضبه السابق وحنقه، ونهضت متوجهة نحو الجدول لتغسل وجهها وتشرب من مائه لترطيب حلقها الجاف..

لاحظت جود اقترابها، فتوقفت عن رمي الحصى وسألتها "أأنت بخير؟"

عزفت سيرا عن إجابتها وهي تنشغل بغسل وجهها بالمياه الباردة وترتيب خصلات شعرها المموجة.. ثم تساءلت "أين نحن؟"

أجابت جود "لقد اضطررنا للابتعاد عن الغابة وعن جنود سوريم الذين يجوبون أنحاءها بحثاً عنا.. وقد رحل أولئك الجنود الذين عاونونا على الهرب للبحث عن وسيلة للترحال.."

لم تعلق سيرا وهي تلقي بنظرة سريعة على رادال قبل أن تعود لجود التي راقبتها بصمت.. فسألت سيرا بصوت حاولت ألا يصل إلى رادال "ما الذي جرى؟.. ما الذي حدث بينكما أثناء فقداني وعيي؟"

أدارت جود بصرها جانباً، ثم غمغمت "لم يحدث شيء.."

تساءلت سيرا مقطبة "ما معنى هذا؟.. هل تحاولين خداعي؟"

هزت جود رأسها نفياً، ونهضت نافضة التراب عن بنطالها قائلة "لا.. هو لك، ولن أحاول التفريق بينكما مطلقاً.."

رمقتها سيرا بدهشة واضحة، لكن ملامح جود الواجمة دلّتها أن الأمور بينهما لم تنتهِ كما توقعت بالفعل.. تنهدت بارتياح لهذه التطورات، فيما ألقت جود نظرة سريعة على رادال قبل أن تستدير وتبتعد عنهما.. شعرت بغصّة قوية في حلقها أعجزتها عن التفوه بحرف.. وجوده قريباً كان له أثرٌ سيئ عليها في هذه اللحظات، لكن هل تملك أن تتخلى عنهما وتبتعد وحيدة في هذه البلاد الغريبة؟..

عندما التفتت سيرا إلى رادال، لم تفُتها النظرات التي يلاحق جود بها.. فقالت لتقطع نظراته تلك "والآن ماذا؟.. نعود لشادين؟.."

هز رادال رأسه نفياً، وأدار وجهه جانباً بصمت للحظات.. كان ما يزال حائراً من الطريق الذي عليه أن يسلكه.. هل يحاول الابتعاد؟.. هل يعود لشادين؟.. هل سيلاحقه الجنود لو فعل؟.. أم الأفضل له أن ينصاع لخطة ترياش ويذهب للقاء ذلك الصديق الذي أخبره قوجوك عنه سابقاً؟..

عادت سيرا تتساءل بإلحاح "هل سنبقى هنا طويلاً؟.. ماذا لو عاد الجنود لملاحقتنا؟.. أرى أن نرحل من مملكة الضياء وننسى الأمر كله.."

زفر رادال باستياء واضح وهو مدركٌ أن هذا ربما هو الخيار الوحيد أمامه.. فقال أخيراً "لا أملك إلا فعل ذلك.."

ونهض بدوره قائلاً "سنذهب لمملكة النبع المقدس.."

نظرت له جود التي جلست على شيء من المبعدة بدهشة لذلك الاختيار، فيما قالت سيرا بابتسامة "هذا أفضل بالتأكيد.."

ترددت جود للحظة قبل أن تتحدث بالفعل.. لم تتبادل مع رادال أي حديث منذ تلك اللحظة التي صدّته فيها وتجاهلت مشاعره وخيبته الواضحة.. ورغم بقائهما بمفردهما لبعض الوقت، مع غياب وعي سيرا وبعد رحيل بقية الجنود بحثاً عن وسيلة للترحال، فإن جداراً سميكاً فرض نفسه بينهما وجعل أي محاولة

للتواصل لأي شأن ثقيلة الوطء على نفسيهما.. لذا تشعر جود أنها لو تفوهت بحرف، فستسبب له ضيقاً وغمّاً أكبر مما هو فيه.. لكنه عندما بدأ سيره دون أن يطلب رأياً من أحد، لم تجد بداً من طرح تساؤلاتها الملحّة "ما سبب اختيارك لتلك المملكة؟.. لمَ لا نبقى في هذه الأرض حتى يخف بحث سوريم عنك ويسلّم بموتك نهائياً؟"

أجاب رادال بعد لحظة صمت زمّ فيها شفتيه بضيق ظاهر "تلك كانت وصية من ترياش أرسلها مع جنوده الذين أنقذوني.. أخبرني أن رجلاً ثقة سينتظرني قرب الحدود، وسيعينني بأي صورة أرجوها.."

تساءلت سيرا بحيرة "ومن هو ترياش؟"

أجاب رادال باقتضاب "هو رجلٌ أثق به.."

قالت جود باعتراض "لكن تجاوز الحدود نحو تلك المملكة محفوفٌ بالمخاطر.. سواء من جهة مملكة الضياء أم من جهة المملكة الأخرى.. كما أن المسافة بعيدة.."

توقف رادال فجأة وقال عابساً "أنت تعلمين أنك لستِ مجبرة على اللحاق بي.. لا أظن سعي الجنود خلفك سيكون ملحّاً، ويمكنك أن تندسيّ بين العامة في أي مدينة دون أن يعثر عليك أحد.."

لم يكن رد فعله هذا غريباً، وجود تنظر في عينيه بصمت وترى ضيقه بها واضحاً فيهما.. لكنه سرعان ما أدار عينيه بعيداً عنها وأدار وجهه جانباً وهو مستمرٌ في سيره دون انتظار جوابها أو رد فعلها على ما قاله.. ظلت جود صامتة مستاءة لكل ما يجري، فيما همست لها سيرا وهي تمرّ بها "حقاً.. ألا تيئسين؟!.."

قطبت جود وهي تراهما يبتعدان عنها بصمت دون أن يعبآ لأمرها.. وهل تملك مكاناً آخر تذهب إليه؟..

ظلت ترنو لظهر رادال بصمت وشيء من الأسى، ثم قررت أنها حقاً لا تستطيع تجاهله والرحيل.. لا تستطيع إلا أن تتبعه وترى هذا الطريق معه للنهاية.. مهما كانت هذه النهاية.. ومهما كان وجودها قربه مؤلماً لكليهما..

لقد يئست من النضال لأجل وطنها الذي أصبح مجرد تاريخ في حياة العالم السامي.. ولا تريد أن تيأس من رادال قبل الأوان..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم يكن سوريم يظن للحظة أن ما دار في معبد الشمس في ذلك اليوم المجيد يمكن أن يثير تلك الضجة في جوانب شادين وأحيائها.. عندما وصلته الأخبار، كان العامة قد تناقلوا تفاصيل ما جرى في المعبد وحديث رادال بالتفصيل بحيث لم يجهلها أي طفل في المدينة.. وبدا أن ظهور رادال المفاجئ والأخبار التي حملها لهم عن نجاة القرابين السابقة قد أكسبه شعبية كبيرة في الوقت الذي غفل سوريم عن هذا الأمر.. كان كهنة الشمس مكروهون من شريحة عريضة من أفراد الشعب، خاصة من ذاق بعض الضيم من قراراتهم التعسفية وفقد أحد أطفاله كقربان لهذا الدين.. لذا وجد الكثير منهم في رادال خلاصاً من أولئك الكهنة، مع وعده لهم بالقضاء على معبد الشمس وعلى تسلط الكهنة نهائياً..

لم يفهم سوريم سبب تلك الشعبية مع خلاصه من رادال بشكل نهائي.. لكن ما تناهى لعلمه بعد ذلك كانت بضع أحاديث مختلسة بين العامة أن رادال لم يمت.. رادال قد عاد محروساً بعناية الشمس، ولا يقدر شخصٌ حتى الكهنة أنفسهم على إيذائه.. سرَت تلك الشائعات سريان النار في الهشيم، ووصلت من أقصى أحياء شادين لأدناها، وتناقلها الناس على اختلاف طبقاتهم وأصبح من الصعب مخالفتها أو تجاهلها..

بعد أن تزايدت تلك الأحاديث، وغلب سوريم استياءٌ شديد لوصولها إليه، استدعى بيزاراك لقاعة العرش وقابله بنظرات حادة والقائد يؤدي التحية المعتادة.. فقال سوريم بصرامة "لقد طلبت منك طلباً واحداً في معبد الشمس قبل يومين يا بيزاراك.. طلبت جثة رادال، فهل عجز رجالك عن إحضارها؟"

أدرك بيزاراك أن الإشاعات التي لا يعلم مصدرها في شادين قد وصلت إليه، فحنى رأسه مجيباً "لقد أرسلتهم لأداء هذه المهمة بالفعل يا مولاي.. ولابد أن ينجحوا في ذلك هذا اليوم.."

كان سوريم لا يشكك في موت رادال، فهو قد شهده بعينيه هذه المرة.. وهل من الممكن أن ينجو أي فرد من السقوط للأرض من ذلك الارتفاع؟.. لكنه رغم ذلك تساءل مضيّقاً عينيه "ألا تظن الأمر يثير الشبهات بالفعل؟.. خاصة مع الإشاعات التي يتناقلها العامة هذه الأيام.."

لم يتراجع بيزاراك عن ثباته وهو يقول بحزم "ستكون الجثة أمام مولاي في أقرب وقت.."

قطب سوريم قائلاً "أتعلم معنى أن يعود رادال في هذه الأيام؟.. معناه أن شعب شادين، أو أغلبهم،

سيكونون في صفه ضدي.. أنا أثق أنه قد مات.. لكني أريد البرهنة لهذا الشعب الأحمق أن بطلهم الخارق ذاك قد مات بالفعل.. يجب أن يروا جثته، ويجب أن يتم عرضها في أكثر أسواق المدينة ازدحاماً.. يجب أن تتوقف تلك الإشاعات تماماً بأي وسيلة.."

قال بيزاراك "أتريد مني معاقبة متناقلي هذه الإشاعات؟"

لوح سوريم بيده مجيباً "لا.. هذا أمرٌ عبثي ولن ينتج عنه إلا زيادة بغض الشعب لنا.. فلنتركهم يقولوا ما يقولونه.. سنسكتهم بطريقة أكثر فعالية بإحضار الجثة.. لذا يمكنك أن ترى يا بيزاراك أن الانتظار ليس في صالحنا بتاتاً.."

حنى بيزاراك رأسه موافقاً، ثم استدار وغادر بصمت وهو يضغط على فكه بقوة جعلته يبدو مشدوداً بغضب.. لقد أفسد أولئك الجنود مهمة بسيطة أوكلها لهم باستعادة رادال وقتله قبل أن يتمكن من الهرب بالفعل.. وكلما تأخروا في تحقيق ذلك تفاقم أمره أكثر فأكثر وغدا عسيراً على بيزاراك مصارحة الملك سوريم بحقيقة ما جرى في ذلك اليوم.. ما الذي قد يفعله سوريم لو علم أن رادال لم يمت بالفعل؟.. أنه نجا بمعاونة أولئك الخونة الذين لا يعلم أحد كم بلغ عددهم وهوياتهم رغم محاولات فيرد استجواب ترياش في اليوم الماضي.. رغم أن الجنود الذين أرسلهم لإحضار ابنته باناس لم يعثروا لها على أثر ولا يعلم شخص أين اختفت.. وبذا فقدوا وسيلتهم الوحيدة للضغط على ترياش، ورغم استخدامهم لبعض الوسائل العنيفة معه لكنه صامت ساكن وكأن كل ما يجري لا يعنيه في أمر.. فما الذي بيد بيزاراك فعله بعد هذا؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

بعد مغادرته منزل ياسان، توجه بارا لأقرب ثكنة لجنود جيش مملكة الضياء.. رغم خطورة ما يفعله، لكن ذلك كان أقصر وأسهل الطرق لإعادته لشادين دون إبطاء.. كل ما عليه فعله هو إقناع الجنود، أو الضابط الذي قام بالتحقيق معه، بهويته الحقيقية.. وأمام ذلك الضابط، في إحدى الغرف من ذلك المبنى الذي استولى عليه الجيش، جلس بارا مقيد اليدين يحكي قصته عدة مرات دون أن يخلّ بأدنى تفاصيلها رغم أن

أغلب تلك التفاصيل كانت وليدة خياله.. وبعد أن أعاد الحكاية أكثر من مرة، أدرك بارا أن الضابط يبحث عن خللٍ في تلك الحكاية لكي يكتشف كذبه وتحايله وبالتالي يتخلص منه دون أدنى تردد.. فحرص بارا عندها على صياغة حكايته كما يريد أن يقنع بها الضابط وقادته، ذاكراً لهم هويته الحقيقية وانتمائه لأحد أغنى تجار شادين.. وأن بعض اللصوص قد اختطفوه بغية ابتزاز أبيه، ثم تخلصوا منه خارج حدود مملكة الضياء كي يبعدوا أنفسهم عن ملاحقة الحرس الذين أرسلهم الأب لاسترداده.. أخبرهم كيف هام على وجهه في تلك البلاد الغريبة دون أن يجد وسيلة للعودة، وكيف أخذه بعض الثوار عنوة إلى قانار حيث تمكن من الهرب منهم قبل دخول المدينة بالفعل..

كل ما كان يأمله في تلك اللحظات ألا يحاول الضابط الاتصال بعائلته وسؤالهم عنه، إذ سينكرونه إنكاراً تاماً فلا أحد منهم يتوقع أن يكون هو أو سيرا حياً بعد كل تلك السنوات.. وكل ما عوّل عليه في ذلك الا ستجواب اجتذاب طمع الضابط بذكر المكافأة الكبيرة التي وضعتها عائلته لمن يعيده لمنزله.. وبعد استجوابات مطولة أرهقته بشكل لم يتصوره، اقتيد مكبلاً بالقيود إلى إحدى الطائرات التي حملته عابرة أراضي المملكة المنهوبة وعبر الحدود نحو شادين..

وفور وصوله شادين، اقتاده بعض الجنود نحو ذلك القصر الفخم الذي يقع في أحد أرقى مناطق المدينة، وتحيطه حديقة واسعة لا يملك العامة ربعها في المعتاد.. لم يحاول بارا الخلاص من الحراسة التي تحيط به، عالماً أنهم لن يسمحوا له بالرحيل قبل الحصول على المكافأة الموعودة.. ورغم أن عودته لمنزل أبويه في هذه اللحظات سيقابل بعاصفة استنكار وقد يحاولان طرده، لكن يعوّل على إمكانية إقناعهما بهويته الحقيقية قبل أن يحدث ذلك.. وحبذا لو كانت سيرا قد وصلت إليهم قبله ويسرّت لهم تقبّل وجوده.. أين ذهبت تلك الفتاة حقاً؟..

كانت ذكريات بارا مبهمة عن قصر أبويه، خاصة أنه لم يبذل جهداً لتذكره أو تذكر أبويه طوال السنوات الماضية.. كان انشغاله الكلي بالانتقام الذي عاهد نفسه عليه قد ملك عليه كل تفكيره وأزاح أي أمرٍ آخر.. إنه لا يعلم حتى بعد أن ينفذ انتقامه ذاك كيف سيقضي بقية حياته في هذا العالم، ولا ما يجب أن يسعى إليه.. حياته كلها قد اختزلت في اللحظة التي سيرمي فيها بكهنة معبد الشمس من هذا العالم نحو أرض الهوام انتقاماً لما جرى له..

ولدى وصول المركبة التي تقلّه لبوابة القصر، وحصولها على الإذن بالدخول، كان الانبهار واضحاً في أعين الجنود المصاحبين له للحدائق البهيجة الخاصة بالقصر، ولهيئة القصر الفخم ذاتها.. كان هرترام، والد بارا وسيرا، من أعيان المدينة وشرفائها، وقصره يعكس الأموال التي يملكها والتي ينفقها بسخاء على نفسه وأهل بيته..

نزل بارا برفقة جنديين أمام باب القصر، ووجد في استقباله شاباً لا يكبره إلا بأربع أو خمس سنوات، يحمل ملامح مقاربة له، وقد قال بدهشة وتساؤل "ما الداعي لقدوم الجنود لهذا القصر؟.. ومن هو هذا الشاب؟.."

حدج أحد الجنود بارا باستياء، فيما قال الجندي الآخر "أين السيد هرترام؟.. نريد مقابلته.."

قال الشاب بعجب "أبي ليس موجوداً، بل هو في مركز المدينة كعادته كل صباح.. يمكنك أن تطرح قضيتك أمامي فأنا أنوب عنه عندما لا يكون موجوداً.."

تساءل الجندي وهو يشير لبارا "ألا تعرف هذا الشاب؟"

نظر الشاب لبارا باهتمام وحيرة، فيما صمت بارا متأملاً شقيقه الذي يكبره بالعمر.. كان، هو الآخر، مما تناساه من ضمن الذكريات التي غلفها الضباب.. كان يذكر أن له أخاً اسمه ريدا، لكنه لا يذكر ملامحه ولا يمكنه تعرّفه بعد مضي تلك السنوات.. ريدا أيضاً لا يعرف بارا، ولا يمكنه أن يتوقع هويته مع يقينه بأن التوأمين قد قضيا نحبيهما بعد أن تم تقديمهما كقربان للشمس قبل اثنتي عشرة سنة..

كان جهل ريدا الواضح على وجهه دليلٌ لا يدحض بالنسبة للجنديين، فقبض أحدهما مجمع ثياب بارا وقال بحنق "أنت كنت تكذب بالفعل.."

قال بارا مقطباً "لست كاذباً.. ليس في أمر انتمائي لهذا القصر.."

ارتفع حاجبا ريدا وهو يتساءل "بمَ تهذي أيها الشاب؟"

التفت بارا إليه قائلاً "أنا بارا.. ألا تعرفني؟"

غمغم ريدا "لا أعرف شخصاً بهذا الاسم.. ليس في العقد الماضي على الأقل.."

قال بارا بلهفة "أجل.. أنت كنت تعرف واحداً قبل اثنتي عشرة سنة.. توأمان بالتحديد.. أنا بارا، شقيقك يا ريدا.."

تزايدت دهشة ريدا أكثر فيما صاح الجندي بوجهه "أيمكن أن يجهل المرء شقيقه؟.. هل تحاول خداعنا يا هذا؟"

قال بارا بإصرار "لستُ كاذباً.. أنا، وشقيقتي سيرا، ابنا هرترام دون شك.. لقد تمت التضحية بنا قبل سنوات طوال كقربان للشمس.. لكننا لم نمت.. وها نحن نعود للعالم السامي، ولشادين، بعد سنوات طوال.."

قال ريدا بحيرة "وكيف لي أن أصدق كل ذلك؟"

أجاب بارا باندفاع "يمكنني أن أثبت ذلك.."

ودفع يد الجندي التي تمسك بملابسه، ثم توجه لشجرة قريبة من مدخل القصر قائلاً "أتذكر عندما حاولت الهبوط من شرفة القصر العلوية على هذه الشجرة، وكسرت ساقك اليمنى؟.. أتذكر عندما اضطررت للمكوث في سريرك لعدة أسابيع وأجبرتني على اصطياد الحشرات كي تطعمها طائرك الأليف؟.."

وأشار لنافذة في الطابق العلوي قائلاً "هذه نافذة مكتب أبي، الذي يمنعنا من دخوله منعاً تاماً في الصغر.. وتلك نافذة غرفة الجلوس التي يحلو لنا التسلل منها نحو مكتب أبي والفرجة على ما يملكه من تذكارات نادرة.."

قاطعه ريدا قائلاً بتقطيبة "هذا الأخبار يمكن لأي خادم أن يخبرك بها لو كنت تعرف ما تبحث عنه.. وهو لا يثبت هويتك بالتأكيد.."

قال بارا مشيراً لنفسه "ألا ترى في ملامحي شبهاً بك؟.. كيف يمكنني تزوير ذلك؟"

ازدادت تقطيبة ريدا وهو يقول "بدأ الأمر يصبح مثار ضيق وحنق لي.. الأفضل لك أن تغادر ولا تحاول الاقتراب من هذا القصر مجدداً.."

جذب الجندي بارا من ملابسه قائلاً بغلّ "ستلقى العقاب الملائم على محاولتك خداعنا.."

صاح بارا "لكني لا أكذب.. أنا بارا، وشقيقتي سيرا، قد نجونا بالفعل من الموت عند سقوطنا لأرض الهوام.. كيف لي أن أثبت هويتنا الحقيقية أمامك؟"

علق ريدا بسخرية "وأين هي توأمك؟.. من العسير عليك تزييف هذا الأمر، لذا لم تتمكن من إحضارها

معك.. أليس كذلك؟"

قال بارا بإلحاح "بل هي موجودة.. لكني فقدتها في طريقنا لشادين.. لكنها موجودة، وحية دون شك.."

أشار ريدا للجنود قائلاً "خذوه بعيداً.. هذا المدّعي لا يمكنه أن يقنع أحداً بادعاءاته.."

سمعوا هتافاً من الأعلى يقول "مهلاً..."

ارتفعت الأبصار للشرفة التي تعلو مدخل القصر، وهناك لمح بارا امرأة تجاوزت الأربعين من العمر وهي تنظر لما يدور في الساحة بصمت وملامح مبهمة.. كانت تلك أمه كما يذكرها من بين الضباب الذي يغلّف ذكرياته.. أمه مع كثير من الخصلات البيضاء والتجاعيد حول الفم وتحت العينين، ومع بعض السمنة التي غزت جسدها الرقيق الذي كان يذكره..

نظر ريدا للأعلى، فرأى أمه تقول "أحضروه لي.."

قال ريدا باستياء "لا أظنك تصدقين حديث هذا المدّعي.."

أجابت وهي تستدير "سأحكم عليه بنفسي.."

غابت خلف باب الشرفة الزجاجي، بينما وجد بارا أن ريدا قد جذبه من ذراعه قائلاً "لا ترفع آمالك كثيراً في اللحظات القادمة.."

اعترض الجندي الذي اصطحب بارا قائلاً "لا يمكن أن تأخذوه منا.. لقد طلب منا الضابط عدم العودة إلا بالمكافأة الموعودة لإعادة هذا الشاب لكم.."

قال ريدا باستنكار "مكافأة؟"

قال الجندي بحزم "إما المكافأة أو نعود بهذا الوغد ليلقى الجزاء على كذبته تلك.."

لم يجد ريدا بداً عندها من اصطحاب الجنديين معه عندما رفضا التخلي عن بارا.. وفي غرفة الجلوس التي تفضي للشرفة تلك، رأى بارا أمه واقفة بتوتر وهي تفرك كفيها باستمرار دون أن تجلس.. وفور وقوفه أمامها، وسط تذمرات ريدا من سخافة الأمر كله، فإن الأم اقتربت من بارا متأملة ملامحه للحظة، ثم جذبت قميصه لترفعه دون تردد ودون أن تخشى ما قد يظنه بها الجنديان أو إبنها الواقف أمامها باستنكار.. وعلى جانب جسد بارا، أسفل ذراعه اليمنى، رأت الأم تلك الشامة الواضحة على شكل بيضة صغيرة الحجم بلون غامق يخالف لون جسده الأفتح.. رفعت الأم بصرها إليه ترمقه بنظرة جديدة، وتساءلت بما

يشبه الهمس "توأمتك.. أتحمل الشامة ذاتها في الموضع ذاته؟"

أجاب بارا على الفور "إنها تحمل الشامة ذاتها، لكن تحت ذراعها اليسرى.."

ارتفع حاجبا الأم على الفور، وبارا يحدق في عينيها مضيفاً "لطالما تندرتِ أمام العائلة والضيوف بأمر هاتين الشامتين المتماثلتين في الهيئة.. هذا من الأشياء القليلة التي....."

قاطعته الأم وهي تحيطه بذراعيها وتضمّه بقوة وتهمس " هذا يكفي.. هذا يكفيني لأعرف من تكون أنت.."

قال ريدا باعتراض "أماه.. كيف له أن يخدعك بهذه السهولة؟"

نظرت الأم لوجه بارا ومسحت على ملامحه بيد ترتجف وهي تقول "ليس بحاجة لخداعي، لأنه لا يمكن لأحدٍ فعل ذلك.. أدركت منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها، وسمعت صوته، أنه بارا.."

ونظرت تجاه ريدا المستنكر مضيفة "سمّه حدس الأم.. أو حماقتها.. لكني بحاجة لسبب أقوى لأنكر ما أراه وأصدقه بعيني.."

لم يستطع ريدا الاعتراض أكثر وهو يرى الدموع في عيني أمه وهي تتأمل تفاصيل وجه بارا بلهفة، بينما مال نحوه أحد الجنود متسائلاً "لم أفهم شيئاً مما يجري هنا.. لكن أهذا يعني أننا سنحصل على المكافأة؟.."

نظر له ريدا بضيق، بينما قالت الأم "أعطهم ما يشاؤون يا ريدا.. لابد أنهم يستحقون مكافأة لإعادة ابني إليّ بعد أن يئست من ذلك.."

لم يكن أمام ريدا إلا إطاعتها، بينما تساءل بارا "يئستِ؟.. وهل كنت مقتنعة بنجاتنا فعلاً؟.."

قادته ليجلس على أحد الكراسي وجلست قربه قائلة بصوت يرتجف انفعالاً "نوعاً ما كنت كذلك لشهور وسنوات طوال.. كنت موقنة أنكما لا يمكن أن تموتا بهذه البساطة.. أن الشمس المجيدة لم تمنحني إياكما لتسلبكما مني دون ذنب.."

قال بارا باستياء "لا تذكري الشمس أمامي.. فلا فضل لها في وجودنا ونجاتنا إطلاقاً.."

قالت الأم برفق "ولا ذنب لها في مصيركما كذلك.. أنا موقنة أن هذه الطقوس من ابتداع الكهنة، وأنهم الوحيدون الذين يحملون ذنبكما وذنب كل طفل قضى نحبه بسببها.."

ومدت يدها تمسك يد بارا متسائلة "وكيف هي سيرا؟.. أين هي؟.. ما الذي جرى لها، ولك، في عالم

الهوام؟.."

أجاب بارا "سيرا بخير.. افترقنا أثناء قدومنا لشادين بسبب هجوم لم يكن لنا دخلٌ به.. وسمعت أنها وصلت لشادين.. لذا أتيت بحثاً عنها هنا.."

قالت الأم بقلق بالغ "أين يمكن أن تكون قد اختفت؟.. وهل أصيبت بمكروه؟"

ثم نظرت لبارا متسائلة بشغف بالغ "كيف أصبحت سيرا؟.. لابد أنها قد صارت فتاة بالغة جميلة كما كانت جميلة في طفولتها.. أخبرني عنها أرجوك.."

لم يكن بارا يملك رفض طلبها.. لكنه عزف عن إخبارها بأن سيرا كانت رافضة تماماً العودة لهذا العالم.. ورافضة العودة لقصر أبيها.. أمرٌ كهذا كفيلٌ بتحطيم قلب أمه.. ونظراتها الشغوفة كانت تعجزه عن تعكير فكرها بأي شيء قد يزعجها في الوقت الحالي..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

تأفف سوريم وهو يجول في قاعة عرشه قائلاً باستياء "أيستدعي إحضار جثة واحدة كل هذا الوقت؟.. أين اختفى بيزاراك في مثل هذه الأوقات؟"

علق قيرام الذي يلازمه في أغلب الأوقات "ما أهمية إحضار جثمان رادال بهذه السرعة لتشغل تفكيرك به لعدة أيام؟"

أجاب سوريم بسخط "كي أسكت هذه الإشاعات الحمقاء التي تسري تحت عرشي كالسيل الجارف.."

قال قيرام بحذر "وما الضرر من هذه الإشاعات يا مولاي؟"

نظر له سوريم قائلاً "أنت لا تفهم الأمر كما هو حقيقة.. لقد عثر الشعب على شخص مؤهل للجلوس على العرش غيري، وهم كما يبدو يفضّلونه عليّ.. لذا لا أستبعد أن يحاولوا الثورة عليّ وإزاحتي لو ازداد أمر هذه الإشاعات سوءاً ولو وجدت من يستغلها الاستغلال الصحيح.. خاصة أن أغلب الجيوش متواجدة في الأراضي التي احتللناها قريباً، وما بقي لن يكفي لردع العامة عن مثل هذه الثورة.."

لاحظ سوريم توتر قيرام العارم وهو يتململ في وقفته، فتساءل عابساً "ما الأمر؟.. أهناك أخبارٌ أخرى

تزيد يومي نكداً؟"

رفع قيرام وجهه لسوريم قائلاً "سيدي.. هناك خبرٌ أخبرتني به إحدىٰ الوصيفات هذا اليوم، وقد حاولت أن أنظر في الأمر قبل اللجوء إليك لئلا أشغلك به، لكني عجزت عنه وبدأت أشعر....."

قال سوريم باستياء أكبر "أفرغ ما بجعبتك وأنهِ الأمر قبل أن يصبح مملاً.."

زفر قيرام، وقال بتوتر "لقد اختفت الملكة الأم من جناحها.."

نظر له سوريم بصمت ودهشة، ثم قال مقطباً "وأين ستختفي؟.. ألم آمر بوجود حراسة دائمة علىٰ جناحها؟"

هز قيرام رأسه موافقاً وقال "اختفت مع كل الحراسة التي خصصتها لجناحها.."

فدمدم سوريم ببغض "ترياش.. لابد أن هذا من فعلِه.."

تساءل قيرام بحيرة "ولِمَ قد يفعل ترياش ذلك؟.. إنه لم يحاول الهرب من سجنه رغم الاستجواب القاسي الذي يخضع له.. فما فائدة تهريب الملكة الأم من قصرها؟.. وأين يمكن أن تلجأ؟"

قال سوريم باستياء "لا أعلم.. كل ما أريده منك أن تبحث عنها.. أعدها قبل غروب شمس اليوم حتىٰ لو كانت قد غادرت أراضي المملكة.."

هز قيرام رأسه وغادر لتنفيذ الأمر، رغم أنه حاول ذلك بالفعل منذ علم باختفاء الملكة الأم من القصر.. كان يدرك، كما لابد أن الملكة الأم تدرك أيضاً، أن سوريم لن يلجأ لإيذائها لما فعلته بأي صورة كانت.. فلمَ فضّلت مغادرة القصر في مثل هذه الأوقات؟.. ألن يجعل هذا غضب الملك يزداد ومعاملته لها تسوء أكثر؟..

مرّ قيرام في سيره بالملكة الكبرىٰ التي جلست في إحدىٰ الشرفات تتناول إفطارها.. انحنىٰ لها قيرام باحترام، وقبل أن يغادر في شأنه لاحظ أن الملكة تشير له بإصبعها ليقترب.. وفور تنفيذه لذلك الأمر، بادرته متسائلة "ما الأمر؟.. صراخ سوريم وصل لسمعي من قاعة العرش.. فما الذي أثار غضبه وحنقه في هذا الوقت المبكر؟"

كان من المستحيل عملياً أن تسمع الملكة الكبرىٰ صوت سوريم من هذا المكان، لكنه تغاضى عن هذا التعليق وهو يقول "إنها أمور المملكة يا مولاتي.."

قالت الملكة بسخرية "أنت تعني أمور تلك الأم التي تصرّ على إذهالنا بحماقتها في كل لحظة.."

لم يملك قيرام إنكار الأمر، فقالت الملكة الكبرى وهي تقلب بصرها بين الأواني المذهبة لاختيار بعض الفاكهة الطازجة منها "اذهب إلى مركز المدينة وابحث عنها هناك.."

نظر لها قيرام بدهشة، ثم تساءل "لكني لم أعثر لها على أثر في جوانب القصر ولا في الأحياء القريبة.. فمن أخبرك أنها قد تكون هناك؟.. وما الداعي لذهابها لذلك المكان في هذا الوقت بالذات؟"

قالت الملكة الكبرى "اذهب هناك وستجدها دون شك.. مصادري لا تخيب إطلاقاً.."

لم يعلق قيرام أو يتجاوز دهشته وهو ينحني لها ويغادر المكان.. وسرعان ما أرسل فرقة من حراس القصر نحو مركز المدينة للبحث عن الملكة الأم وإحضارها.. كان بالفعل لا يفهم سبب قلق الملك الكبير من مثل تلك الإشاعات، ولا السبب الذي يخشاه من مغادرة الملكة الأم للقصر.. ربما ضاقت من تضييق الملك عليها واحتجازها في جناحها.. وربما كانت تنوي اللجوء لأحد القصور الملكية المتوزعة في شادين أو في مدنٍ أخرى.. لكن إصرار الملك على إعادتها لقصره لم يكن مفهوماً بالنسبة له في مثل هذه الأوقات..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

منذ مغادرة بارا قصر والديه، كان اسم رادال يتردد على كل لسان ويسمعه في كل زاوية من زوايا تلك المدينة بالفعل.. وهو أمرٌ أثار دهشته الشديدة بالنظر للوقت القصير الذي مضى منذ افترق عنه وعن سيرا.. سار بارا برفقة ريدا دون أن يتمالك الدهشة التي شعر بها لهذا التطور الذي لم يتخيله في هذا الوقت القصير.. ما الذي فعله ذلك الرجل ليحظى بهذه الشعبية الكبيرة؟.. بدا أن الكثير من سكان شادين قد بدؤوا ينحازون جهة رادال ضد ملكهم ذاته، وضد كهنة الشمس.. ورغم أن ذلك لا يعدوا إلا كلمات يرددونها دون القيام بأي تصرف حقيقي، لكنه مع ذلك إنجازٌ كبير لم يكن لبارا أن ينكره.. ولكن ما لم يفهمه مع كل ما يسمعه كانت تلك الأخبار عن قيام الملك بإنفاذ حكمه على رادال الذي فشل في الانقلاب عليه، وأنه قام برميه من أرض العالم السامي نحو أرض الهوام.. مع الحماسة التي تبدو على الوجوه لتبادل أخبار رادال، كان من العسير معرفة إن كان سوريم قد تمكن من الخلاص من رادال بالفعل.. أهو حي؟..

أهو ميت؟.. لم يكن يملك جواب هذا السؤال، لا هو ولا سكان شادين المتلهفين لكل خبر أو إشاعة عن هذا الأمر..

انطلق ريدا يخبره بأخبار ما جرى في معبد الشمس، قبل ثلاثة أيام، ويردد أمامه بعض الشائعات التي عرفها عن رادال.. منذ أن علم ريدا، وأمه، أن رادال كان هو السبب في نجاة التوأمين، اكتسب رادال تأييداً كاملاً منهما.. وقبل مضيّ عدة ساعات على وصول بارا للقصر، اصطحبه ريدا متجهين بإحدى العربات لقلب شادين ليقابل أباه الذي وصلته الأخبار عبر رسولٍ أرسلته الأم إليه.. ولسبب لا يعلمه، أصرّ هرترام أن يصطحب ريدا بارا إليه في مركز المدينة.. ولم يملك أيهما إلا إطاعة الأمر..

كانت مشاعر بارا في تلك اللحظات لا تزال مبهمة.. لم يشعر بأي مشاعر جارفة للقاء عائلته، ولم ينفعل كما فعلت أمه وريدا بعد أن تأكدا من هويته.. احتفظ بهدوئه وصمته وكأنه يراقب انفعالات أشخاص لا صلة لهم به.. بدت عائلته في تلك اللحظات كغرباء بالفعل، وأدرك بارا أنه سيستغرق وقتاً طويلاً للاندماج بهم والتفاعل معهم كما قد يتوقع منه الآخرون..

وصل الإثنان بإحدى العربات الخاصة بقصر هرترام إلى الجزء الذي يطلق عليه العامة اسم (مركز المدينة) رغم أنه لا يقع في منتصف المدينة بالضرورة.. لكن لأنه يتكون من ساحة واسعة استخدمها العامة بكافة طبقاتهم لتبادل الآراء والأخبار، ولاتخاذ بعض القرارات المصيرية الخاصة بالمدينة والتي لا يتدخل فيها الملك بالضرورة.. وقد أحيط بهذه الساحة بعض المباني الحيوية الخاصة بها مثل مركز قادة الجيش والمبنى الوزاري ومبنىً خاصٍ بمجلس كهنة المعبد الذي يتمركز في شادين كحلقة وصل بين المعبد الرئيسي وبين أصحاب الأمر في العاصمة..

لم يكن انفعال هرترام بعودة ابنه بعد سنوات طوال أقل مما بدا على زوجته.. الرسالة التي أرسلتها له الأم قد أعفت بارا من شرح هويته ومحاولة إقناعه بها، لذا بدا هرترام مقتنعاً بهويته فور رؤيته واستقبله استقبالاً حافلاً وسعادة غامرة.. وخلال الدقائق القليلة التي تلت ذلك اللقاء، أعاد بارا سرد حكايته من جديد وشرح سبب عودته وحيداً دون سيرا.. فربت هرترام على كتفه قائلاً بصوت متهدج "سنعيدها يا بارا.. لا تقلق يا بني.. لا يمكنني أن أتركها تتعرض لأي أذى في هذا العالم.."

وأحاط كتفه بذراعه جاذباً إياه معه وهو يقول بانفعال "لا يمكنك أن تدرك أي صدفة ساقتك إلينا في هذا

اليوم بالذات.. وجودك سيكون له تأثيرٌ على هذا الشعب أكبر مما تتخيل.."

لم يفهم بارا ما يعنيه بهذا القول، لكنه كعادته التزم الصمت وشعور الضياع يعود إليه من جديد.. يحاول تقبل فكرة أنه عاد لعائلته.. أن هذا أباه وتلك أمه.. أن هذا موطنه الذي لطالما تاق للعودة إليه.. لكن ذلك اللغط العالي الذي صدر من الساحة التي انبسطت أمامه طغى على كل مشاعره وأزاح تفكيره بها مؤقتاً..

رأى بارا تلك المنصة الدائرية ذات القبة الزرقاء والأعمدة الأسطوانية، والمقامة في جانب ساحة واسعة احتشدت بعشرات ومئات البشر بحيث لا يمكن لفردٍ أن يخترقها بسهولة.. وعلى الدرجات المؤدية لتلك المنصة، رأى امرأة ترتدي ملابس بسيطة لكنها اختيرت بعناية لتبدو كذلك، وعنقها ورأسها يخلوان من أي زينة.. لكن من ملامحها، أدرك بارا أنها امرأة ذات مكانة في هذه المدينة وإن كان يجهل هويتها.. سمعها تقول بصوتها الذي تردد صداه في الساحة كلها عبر أجهزة مكبرة للصوت "أنا مثلكم.. قد أكون ملكة.. وقد أعيش في قصر.. لكن الظلم الذي وقع عليكم قد حاقني بالمثل.. والأدهى من ذلك أن أعلم أن توريالك كان شريكاً لكهنة الشمس في تدبير تلك التمثيلية للخلاص من ابني البكر الذي لا ذنب له إلا لأنه لا يناسب طموحات العرش.. أنا فقدت ابني لما يزيد على عشرين سنة.. وفور أن عاد لي، قام سوريم بالخلاص منه من جديد بكل قسوة.. كان بإمكانه إقناع رادال بالكف عن التفكير في العرش.. كان بإمكانه منحه الحياة التي يستحقها في هذا العالم.. لكنه لم يكتفِ بسلب العرش منه، بل سلب منه حياته ذاتها، وسلب منه أحقيته في العيش في العالم السامي كأي فرد منا.."

ونظرت للحشود التي تعالت همساتها ولغطها بعد صمتها، ثم قالت شادّة قبضتيها على منديل أبيض تحمله "ما الذنب الذي ارتكبه رادال؟.. هل ذنبه أنه عاد؟.. وهل استحق المصير الذي واجهه بسبب تعنّت كهنة الشمس ونجا منه بأعجوبة؟.. أليست عودته للعالم السامي دليلٌ أنه يحظى برعاية الشمس وحمايتها؟.."

ودارت ببصرها فيمن حولها وصوتها يعلو صائحة "لكني موقنة بذلك.. وموقنة أن رادال لم يمت بعد.. سيعود لشادين.. وسيجابه سوريم من جديد.. وعندها، قد يعتمد الأمر على هذا الشعب لتحديد مصير المملكة السامية.. هل سترضون بأن تبقى الأمور على حالها، ليقوم الكهنة بسلبكم فلذات أكبادكم في عيد الشمس؟.. أم تكونون مع التغيير الذي يعني إلغاء تلك الطقوس المقيتة أملاً بمستقبل أفضل لأطفالكم في هذا العالم؟.."

وقف بارا مدهوشاً يراقب ما يجري، ويرى السخط في أعين البشر من حوله.. ثم وجد هرترام يجذبه من يده، ويدفع الرجال شاقاً طريقه نحو تلك المنصة بإصرار.. لم يدرِ بارا ما يراد به، لكنه صمت وراقب الخطبة التي تؤديها الملكة الأم بنجاح منقطع النظير.. بدا أنها واثقة مما تفعله، ونجحت باللعب على الوتر الحساس الذي هيّج مشاعر الحضور.. لكن أحداً حتى الآن لم يكن واثقاً تمام الثقة إن كان رادال قد نجا بالفعل أم لا.. كل ما بدا في أعين الحضور أنهم مستمتعون بفكرة الثورة على الملك سوريم والخلاص منه.. خاصة أن شخصاً بمكانة الملكة الأم تساندهم في هذا الأمر لدهشة الجميع..

تقدم هرترام من الملكة الأم برفقة بارا، فانحنى لها باحترام جاعلاً بارا يفعل المثل، وقال "مولاتي.. اليوم، أثناء انشغالي بهذا الاجتماع المهم للترتيب لما نفعله، جاءتني أخبارٌ لم أتوقعها قط.. اليوم، عاد ابني الذي قام الكهنة بتقديمه كقربان منذ ما يقارب اثنتي عشرة سنة.. عاد ليخبرني أن الرجل الذي أنقذ حياته لم يكن إلا ابنك رادال.. مولاي رادال الملك الحقيقي للبلاد.."

تعالى الصخب واللغط في أرجاء الساحة لما يسمعونه ويرونه بأعينهم، فنهض هرترام واقفاً مضيفاً "أثناء قدومهما لشادين، افترق ابني عن توأمه بسبب هجوم الجنود عليهم.. مما يبدو لي أن الملك سوريم حريصٌ على ألا يصل أبناؤنا لشادين ويفضحوا تفاصيل ما جرى للقرابين لهذا الشعب.. وهو أمرٌ أستنكره رغم أنني أفهم دوافعه جيداً.."

لم يكن هذا ما جرى، ولم يكن ذلك حقيقة الأمر.. لكن بارا لم يجرؤ على الاعتراض لما قيل أمامه مع الأعين

التي حدقت به بفضول واهتمام كبيرين.. بدا له أن شادين تموج بثورة عارمة ضد سوريم، ولم يكن لبضع كلمات يقولها أي تأثير في الأمر.. الشعب يريد أن يسمع ما يريده، ولا يعبأ بالحقيقة قيد شعرة.. لكنه في الآن ذاته لا يلومهم، فلا يبدو أن سوريم يعبأ بأمر شعبه ويحرص على رضاهم ولو قليلاً.. فهو يؤيد ذات أفكار من سبقوه من الملوك، خاصة فيما يتعلق بالقرابين وتلك الحرب التي أكلت العالم السامي كاملاً..

بدا الانفعال على وجه الملكة الأم وهي تسمع حديث هرترام، فاقتربت من بارا متسائلة "أحقاً أنقذ رادال القرابين من الموت؟.. كيف فعل ذلك؟.. وما الذي جرى لبقية الصبية الذين أنقذهم؟.."

انصبّت الأنظار على بارا الذي وجد نفسه مجبراً على الحديث أمام هذه الجموع.. لم يكن ذلك أمراً يحبذه، لكنه لم يجد مناصاً من الاستجابة لتساؤلات الملكة الأم وإرواء فضول الشعب بما يخص الأحداث التي جرت في عالمٍ يجهلونه ويخشونه تماماً..

لكن لم تمضِ بضع لحظات على استرسال بارا في الحديث، حتى سمع الجميع بضع صيحات صدرت من خلف الحشد الذي وقف يراقب ويسمع ويتفاعل مع ما يجري.. استدارت الرؤوس للخلف بدهشة، وسرعان ما بدأ الحشد ينزاح عن فرقة من الجنود يتقدمهم معاون بيزاراك فيرد.. دفعت فرقة الجنود نفسها بين الحشود التي ماجت بحنق واستنكار.. لكن ذلك لم يوقف الجنود الذين رفعوا أسلحتهم بتهديد في وجه الجميع، بينما تقدم فيرد من المنصة وقال للملكة الأم باحترام لم يخلُ من حزم وصرامة "مولاتي.. لديّ أمرٌ من الملك بإعادتك للقصر على وجه السرعة.."

قالت الملكة الأم بسخرية "هذا متوقع.. لا يمكن لسوريم أن يرضى بمخالفتي أمره وخروجي عليه.."

ونظرت للأعين المعلقة بها قائلة بصوت واضح "رادال سيعود.. ابني الذي عاد محروساً بعين شمسنا المجيدة لا يمكن أن يفقد حياته بسهولة.. سيعود.. وعندها، قد يعتمد مصير هذا الوطن على تفاعلكم وتصرفكم حيال هذا الأمر.. فلا تخيّبوا ظن وطنكم بكم.."

بدا لبارا أن الملكة الأم موقنة يقيناً تاماً بنجاة رادال.. فهل يقينها هذا مبنيٌّ على الحقائق أم هي مجرد أمنيات لا أساس لها من الواقع؟.. سمع فيرد يقاطعها قائلاً باستياء "مولاتي.. رجاءً رافقينا دون مماطلة.. فلكِ مكانتك التي لا نريد أن نمسّها بسوء.."

نظرت له الملكة الأم قائلة ببرود "أهذا تهديد؟"

وقبل أن يجيب، هبطت من المنصة مضيفة "لا بأس.. فليجرِ الأمر كما شاء له سوريم.. لقد استوفيت الغرض من وجودي هنا على كل حال.."

وغادرت متقدمة فرقة الجنود تلك، يتبعها فيرد وجنوده يسارعون للإحاطة بها منعاً للعامة من الاقتراب منها أو محاولة التدخل.. متجاهلين الضجيج الذي تعالى من العامة والشتائم التي طالت الجنود وهم يغادرون الساحة على وجه السرعة.. فتساءل بارا بدهشة "أهذه هي أم رادال؟"

أجاب هرترام "بلى.. إنها أم الملك سوريم.."

غمغم بارا بعجب "ولِمَ تؤلب العامة ضد ابنها الملك؟.."

قال هرترام مقطباً "لا يمكن لأم أن ترى ابنها يتم رميه من العالم السامي بقسوة نحو أرض الهوام.. وهي قد رأت هذا الأمر يتم مرتين.. ألا يحق لها الثورة بعد كل ما جرى؟.."

ولم يكن قوله يخالف الواقع كثيراً.. فالملكة الأم، بعد ليلة طويلة من البكاء وعدة أيام من التفكير، قد استقر رأيها على الثورة لما يجري.. رغم عدم اقتناعها بأي فائدة مرجوّة من هذا العمل، لكنها ماضية فيه بإصرار.. وزادها عون ترياش ووعوده، رغم أنه قابعٌ في سجنه، إصراراً على محاولة إحداث بعض التغيير في هذه القوانين البالية التي ثكلت مئات الأمهات طوال عقود دون سبب مقنع.. قد لا تنجح في الإزاحة بسوريم، لكنها قد تتمكن ببعض الحظ من إقناعه بإلغاء هذه الطقوس واستبدالها بطقوس رمزية على الأقل..

وعندما وقفت في قاعة العرش منتصبة القامة بملامح هادئة، تساءل سوريم بغيظ "لِمَ تفعلين ذلك؟.. لِمَ هذه الاستماتة للوقوف بوجهي وإقصائي من على العرش رغم أنني ابنك كذلك؟!.."

قالت الملكة الأم بهدوء غير معهود "لأنك تجاهلت هذه النقطة عندما توسلت إليك للإبقاء على رادال.. رادال ابني كذلك.. لكنك لم ترَ في نفسك إلا المُلك وتصرفت على هذا الأساس متناسياً حرقة قلبي على ابني الذي عاد لي بعد طول غياب.."

قال سوريم بسخط "هذه حماقة.. رادال قد مات.. فما فائدة تأليب الشعب ضدي؟.."

ابتسمت الملكة الأم ابتسامة صغيرة معلقة "حقاً؟.. فلنترك للأيام القادمة إجابة هذا السؤال.."

صاح سوريم باستنكار "ماذا تعنين بهذا؟"

هزت الملكة الأم كتفيها دون أن تمنحه إجابة واضحة، واستدارت مغادرة مضيفة "ستسجنني في جناحي..

أليس كذلك؟.. إذن لا داعي لإطالة وقوفي هنا في جدالٍ لا فائدة منه.."

غادرت تاركة سوريم يتميز غيظاً لما يجري.. وللهدوء الذي يراها عليه رغم البكاء والحزن الذي اعتراها بعد خلاصه من رادال..

ما الذي يجري خلف ظهره هذه الأيام؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل السابع عشر)
مملكة النبع المقدس: نهاية الطريق

مضى أسبوع كامل منذ سقط رادال من هذه الأرض وأنقذه قوجوك بمعجزة.. ومنذ التقى بجود وسيرا وتوجه برفقتهما نحو مملكة النبع المقدس كما أوصى ترياش رجاله.. لم تكن جود تدري سبب هذه الرحلة الطويلة، ولا أهميتها ورادال قد فشل في تحقيق حلمه فشلاً ذريعاً.. لكنها لم تتوانَ قط عن اللحاق به ولم تحاول الا فتراق عنه للعودة لشادين أو لقانار.. شيءٌ ما يدفعها لتتبعه، لترى الطريق الذي يسير عليه لنهايته.. فما ستكون نهايته وهذا الطريق قد ابتدأ بإسقاطه من فوق هذه الأرض ليواجه مصيراً قاسياً دون أن يعبأ لأمره أحد؟..

كان اجتيازهم أراضي مملكة الضياء سهلاً نوعاً ما لأن جنود سوريم لا يعرفون وجهته الحقيقية، وغلب ظنهم أنه عائدٌ لشادين.. لكن اجتياز حدود المملكة نحو المملكة المجاورة كان أمراً آخر.. ورغم إلحاح جود بتساؤلاتها بخصوص هذا الأمر، قابلها رادال بالصمت، وبرّر قوجوك افتقارهم لأي خطة محددة أن تغيير الخطة السابقة قد سبب لهم إرباكاً كبيراً، لذا هم يرجؤون التفكير في هذا الأمر حتى يصلوا للحدود بالفعل..

كان فقدان الطائرة التي ستقلهم لوجهتهم خلال ساعات معدودات أثر بالغ على الجميع، ووجدوا أن الحصول على مركبة لن يكون أقل صعوبة من الاستيلاء على طائرة.. لذا استعاضوا عنها بعربة اشتراها قوجوك بالمال القليل الذي يملكه.. وسارت هذه الجماعة الصغيرة في الطريق الذي يقودهم نحو الحدود متخفين بهوية مزارعين، رغم أن هيئتهم لا تدل على ذلك إطلاقاً..

لم يدرِ رادال بما جرى في شادين بعد غيابه، وبما حلّ بالملكة الأم وبترياش بعد أن أفشل سوريم مخططهم بسهولة.. لا بد أنهما يواجهان نتائج خيانتهم للملك، ولا يساوره أي شك بأن سوريم لن يترفق بهما لأي سبب..

ولم يدر بخلد رادال كذلك أن اعتراضاً عاتياً قد ساد شادين بعد أن وصل خبره وخبر القرابين للعامة في أحياء العاصمة.. خاصة أن بارا قد أصبح ضيفاً على عدد من الاجتماعات التي ضمّت أطرافاً عديدة وهامة

من كافة أحياء المدينة.. وقضى بارا وقته بالإجابة على الأسئلة التي تطرح عليه عن مصير القرابين وعن رادال..

ولم يدر بخلد رادال، ولا حتى ترياش الذي يحرك خيوط تلك المؤامرة في الخفاء، أن رادال بموته الوهمي قد أصبح أقرب للأسطورة بين أفراد الشعب.. حكاية ذلك الرجل الذي عاد من أرض الهوام، والذي قضى حياته ينقذ أبناء المملكة، ثم فقد حياته بالوسيلة ذاتها على يد ملك البلاد وشقيقه الوحيد، كانت تلك حكاية يستطيب العامة سماعها كل لحظة وحين.. لكن ترياش، الذي يعلم بنجاة رادال بحكم أنه هو الذي سعى لإنقاذه، لم يدّخر وسعاً في تأجيج تلك الحكايات وتزيينها كما يحلو للعامة سماعها.. عندما يعود رادال، وهو لابد عائد، سيميل العامة في شادين له أكثر من سوريم الذي لا يكنّ له الشعب أي مودة..

ولو خيرّ شعب شادين بين ملكٍ يرمي أطفالهم نحو أرض الهوام وملكٍ ينقذهم، فالإجابة ستكون معروفة بالطبع.. لكن بدا أن سوريم الواثق من نفسه ومن جنده لم يحاول التدخل في أمر هذه الإشاعات ولم يكلف نفسه عبء تتبّعها.. وهو خطأ سيندم عليه دون شك..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما وصل رادال وفريقه لأقرب نقطة من حدود مملكة الضياء، قرب قرية صغيرة تسمى (فارزا)، فضّل قضاء الليلة فيها حتى يتمكن قوجوك والبقية من العثور على وسيلة ملائمة للتسلل لمملكة النبع المقدس دون إثارة الشبهات.. كانت القرية صغيرة جداً لا يتجاوز عدد سكانها المائتين تقريباً، بعدد قليل من البيوت الحجرية والأكواخ الخشبية موزعة بشكل متفرق، في منطقة تشكّل التلال أغلب مظاهرها والغابات تصنع جداراً سميكاً بينها وبين حدود المملكة المجاورة..

بإذن من بعض القرويين، لجأ الفريق لمستودع مهجور قائم رغم انتفاء الحاجة إليه، على أمل أن يحميهم من برودة الليل القاسية ويوفر لهم غطاءً عن أي حيوانات ضارية تقترب من القرية ليلاً بحثاً عن وجبة مشبعة بين قطعان الماشية.. ورغم ذلك، كان البرد الشديد يثير الرجفة في الأوصال ولم يتمكن أحدهم من المغامرة بإشعال النار في المستودع الخشبي خشية إحراقه أثناء نومهم..

كانت تلك ليلة عسيرة، لكن مع الرحلة التي طالت أكثر من اللازم، فإن الإنهاك سرعان ما أطاح بوعي أغلبهم إلا من أبقاه الهمّ مستيقظاً رغم مرور الساعات وخلود القرية كاملة للنوم.. عندما لاحظت جود اختفاء رادال، بعد أن أبقاها التفكير فيما هم مقدمون عليه مستيقظة لا تجد للنوم سبيلاً، غادرت المستودع متوجسة وخشيتها من لحاق الجنود به يجعل قلقها مضاعفاً.. لكنها وجدته جالساً أمام المستودع، وقد أشعل ناراً صغيرة يتدفأ بها ويحدق بها بصمت وسكون حتى ظنت أنه قد نام على تلك الحال.. لكنه رفع رأسه فور اقترابها، وإن سارع بعدها لإدارة رأسه بعيداً دون أن يبادرها الحديث.. تجاهلت جود تلك النقطة، كما تجاهلت الجفاء السابق الذي رأته منه في الأيام الماضية.. لقد اختارت أن تصدّه، وهذه نتيجة حتمية لما فعلته.. فلمَ عليها أن تبتئس لذلك؟..

وقفت جود قريباً وهي تسأله متغاضية عن تجاهله لها "ما الذي سنفعله غداً؟.. ما زلنا بلا خطة محددة لتجاوز الحدود.."

قال رادال باقتضاب "سنتفحص الحدود الفاصلة بين المملكتين غداً ونحدد وجهتنا عندها.."

قالت جود باعتراض "هذا كلام عائم بلا رأس أو ذيل.. علينا أن نفكر بالأمر بجدية.. لا أن نترك الأمور للصُدَف.."

لم يعلق رادال هذه المرة على ما قالته عائداً لصمته الذي عهدته عليه في الأيام السابقة.. فقالت جود وهي تدير بصرها فيما حولها "حتى لو كنت قد يئست من العودة لشادين، هذا لا يعني أن تتصرف دون احتراز في مكان يعجّ بالساعين خلف رأسك.. عليك أن تحذر مادام سوريم يسعى خلفك.."

استمر رادال على صمته مطرقاً دون أن تبدو منه استجابة.. لشدّ ما يسوؤها صمته.. وكأنه يلومها لما هو فيه.. وكأنه يلومها على قسوتها معه في وقت احتاج لمن يشدّ أزره ويرفع معنوياته.. وهو ما كانت جود تتمنى فعله في دخيلة نفسها لكن وعدها لسيرا يمنعها من ذلك.. ليتها لم تستسلم لرجاء تلك الفتاة بسهولة.. ليتها ناضلت ودافعت عن مشاعرها التي لا تقل شأناً عن مشاعر سيرا.. لكنها في تلك الأوقات لم تكن واثقة من ميل رادال لها، لذا رأت من العبث أن تخوض عراكاً مع سيرا على مشاعر لا تدري إن كانت ستجد صدىً عنده أم لا..

لاحظت أن رادال رفع بصره ونظر إليها بعد أن طال وقوفها قربه دون أن تضيف كلمة أخرى.. ورغم أنها

تمنت في تلك اللحظة التي لاقت عيناه عينيها أن تحدثه بما يعتمل في قلبها.. أن تعتذر لما جرى بينهما.. لكنها وجدت نفسها تدير وجهها جانباً وتستدير عائدة للمستودع خلفها..

إنها لا تجرؤ على ذلك.. أن تبتلع ألمها كلما رأته ورأت اللوم في عينيه خيرٌ لها من أن تخالف وعداً قطعته على نفسها..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

مضى النهار الطويل لليوم التالي والفريق منشغل بمراقبة الحدود الفاصلة بين المملكتين، والتي كانت تحت حراسة مكثفة من الجهتين، وقد زادت الحرب القائمة في العالم السامي من مستوى التحفز عند حدود جميع الممالك.. ولم يكتفِ الجنود بحراسة نقاط التفتيش على الطرق الرئيسية، بل كانت هناك دوريات منتظمة على طول الحدود وأبراج مراقبة موزعة توزيعاً دقيقاً لتغطية المساحات الشاسعة التي تفصلها الحدود..

وقبل المساء، عادوا للاجتماع في ذلك المستودع لمناقشة ما لاحظوه والوسيلة المناسبة لاختراق مثل تلك الحدود دون لفت الأنظار.. وبينما هم في نقاش مرهق حول هذا الأمر، وحول جدوى القيام به بالفعل، فوجئوا بقوجوك يدخل المستودع هاتفاً "هناك طائرة تقترب منا.."

نهض رادال واقفاً بحدة يتبعه بقية الجنود، فيما تساءلت جود بدهشة "كيف وصلوا إلينا؟"

قال قوجوك بتوتر "لا أعلم.. ولا أدري إن كانوا تابعين للملك أم لا.. لقد ذهبت بحثاً عن طعامٍ نقتات به من أهل القرية، ففوجئت برؤية تلك الطائرة تقترب من القرية.."

وقفوا يتبادلون النظرات بقلق للحظة، لكن قوجوك استحثّهم قائلاً "علينا أن نغادر بسرعة ونختبئ في الغابة القريبة.. ليس من صالحنا انتظار وصولهم.."

أطاعوه على الفور وهم يغادرون المستودع متتابعين.. وبينما بدت أمامهم القرية التي غاب عنها النشاط مع قرب انتهاء هذا النهار، فإن صوت الطائرة الذي يقترب من سمائها واضحاً جذب انتباه كل من فيها.. وفقاً لنصيحة قوجوك، تخلى الفريق عن العربة والحصان الذي يجرها، فهذا سيجذب الأنظار بسهولة فور مغادرتهم القرية.. غادر الفريق بعجلة متجاهلين نظرات بعض القرويين المتعجبة لما يجري.. وبدأ صوت

الطائرة يعلو أكثر فأكثر قبل أن يزداد هديرها وهي تتجاوز القرية بعد أن دارت دورة فوقها.. رفع قوجوك بصره للأعلى، ثم قال بشحوب "إنها قادمة خلفنا.. لقد رأونا.."

لم يخفف أحدهم سرعته، وسيرا تقول بصدمة "هل سيطلقون قذائفهم علينا؟.."

أجابت جود بصوت يحمل دهشة واضحة "ربما لا.. هذه ليست طائرة مملكة الضياء.."

توقف الفريق عن الركض للحظة وهم يرفعون أبصارهم للطائرة التي اقتربت منهم بعد أن خففت سرعتها بشكل ظاهر.. كانت الطائرة لا تختلف كثيراً في مظهرها عن طائرات جيوش ممالك العالم السامي، لكن ما كان مختلفاً هو أنها لا تحمل شعار جيش مملكة الضياء.. ولا شعار أي جيش آخر من جيوش هذا العالم..

كان الفرار في هذه اللحظة عبثياً، والطائرة قد بدأت تهبط بثبات على مبعدة وسط مساحة خالية من الأشجار حتى استقرت أرضاً.. فرفع قوجوك البندقية التي يملكها قائلاً "علينا أن نعرف هويتهم جيداً، ولن نستسلم لهم بسهولة.."

ثم نظر لرادال القريب قائلاً "لا تقلق يا سيدي.. لن نسلّمك لهم بأي حال.."

قال رادال "لا.. يكفي ما فعلتموه حتى الآن.. أي مقاومة تقومون بها قد تعني هلاككم جميعاً.. وليس هذا ما أريده.."

لم يغيّر قوله رأي قوجوك ورفاقه الذين وقفوا بتحفز أمام رادال والفتاتين حاملين أسلحتهم يراقبون الطائرة التي فتح بابها.. ومنها، خرج رجلٌ وحيد لا يرتدي رداء الجنود، بل يرتدي ملابس عادية بسيطة المظهر، وقد اقترب منهم معلقاً "لا داعي لهذا التحفز.. أنتم بهذا تكشفون هويتكم أكثر مما تظنون.."

صاح قوجوك مقطباً "من تكون أنت؟.. وعمّن تبحثون؟"

أشار الرجل مجيباً "نبحث عن هذا الرجل.."

استدارت الأبصار بصمت لرادال الذي أشار له الرجل، فيما أضاف الأخير "أنت الأمير رادال.. ألست كذلك؟"

قال رادال بشك "ما دمت تعرف هويتي، أهذا يعني أن سوريم هو من أرسلك خلفي؟.."

أجاب الرجل ببساطة "ليس بالضرورة.. أنا مرسلٌ من قبل سيدي كاتيرد لاصطحابك إليه.. ألم تكن أنت

ذاهباً إليه بالفعل؟"

رفع رادال حاجبيه بدهشة، فيما قال قوجوك "بلى.. هذا هو الرجل الذي أوصانا سيدي ترياش للقائه.. كيف عرفتم أننا هنا بالتحديد؟"

أجاب الرجل "لقد بحثنا عنكم في عدد من القرى منذ وصل إلينا خبركم عبر ترياش.. فسيدي كان يخشى أن يصل الملك سوريم إليكم قبله.. آخر قرية مررنا بها أخبرنا أهلها أن جماعة غريبة الأطوار مرت بهم سالكة الطريق المؤدي لهذه القرية.. أما في هذه القرية، فقد تمكنا بسهولة من إدراك أن تلك الجماعة الهاربة على الأقدام هم من نبحث عنه.. القرويون لا يملكون ما يخشونه وما يهربون منه لدى رؤية طائرة مثل هذه.."

ثم قال موجهاً حديثه لرادال بالتحديد "هل يمكنك أن ترافقنا الآن يا سيدي؟.. لا نريد أن نجعل سيدي كاتيرد ينتظرنا طويلاً.."

تساءلت جود بقلق "كيف يمكنكم المرور فوق الحدود دون أن تلاحقكم إحدى الدوريات الطائرة؟.. ألن يحاولوا اللحاق بنا وإسقاطنا؟"

أجاب الرجل الذي وقف أمامهم "لا تقلقوا.. نملك جهازاً خاصاً بالطائرة يطلق ذبذبات تجعلنا غير مرئيين في أغلب شاشات الرصد الخاصة بحرس الحدود.. وسنختار جهة معينة من الحدود تخلو عندها أي دوريات مراقبة.."

علقت جود رافعة حاجبيها "هذه تقنية لا توجد في كل طائرات العالم السامي.. يبدو أنها ابتكار جديد ليس متاحاً للجميع بعد.."

تساءل رادال بدهشة لم يغلبها "ومن يكون ذلك الشخص الذي أرسلكم؟.. كيف يمتلك مثل هذه الطائرة بهذه التقنية؟.."

تبادل الرجل نظرات صامتة معهم، ثم قال "ظننتكم تعرفون هويته.. نحن مرسلون من قِبَل سيدي كاتيرد، وهو الكاهن الأعلى وحاكم مملكة النبع المقدس.."

كانت الصدمة من نصيب الجميع دون استثناء.. وبدأ شيء من القلق يساورهم بعد معرفتهم للهوية الحقيقية لذلك الشخص الذي أرسلهم ترياش إليه.. لكن ثقة رادال بترياش كانت تسمح له بالتغاضي عن

مثل هذا القلق، فتقدم خطوات وهو يقول "لا بأس.. سنرافقكم إليه.."

حنى الرجل رأسه موافقاً، واستدار عائداً للطائرة التي انتظرت خلفه بسكون.. همست سيرا لرادال بقلق "أأنت واثق مما تفعله؟.. ألا يمكن أن تكون تلك خدعة من سوريم؟.."

أجاب رادال "لا يوحي لي الأمر بأي خدعة، فسوريم يريدني ميتاً وليس بحاجة للقيام بمثل هذه الألعاب الملتوية.. لكن هذا لا يعني أنني سأتخلى عن حذري بشكل تام.."

وتقدم تابعاً الرجل إلى قلب الطائرة، فلم يملك البقية بدأ من اللحاق به دون استثناء.. كانت الطائرة تحوي في قلبها جنديين بالإضافة للرجل الذي حادثهم، وقد بدأ قائدها التحليق بها فور استقرارهم في قلبها.. كان قلقهم وتوجسهم من هذه الرحلة لا يقل عما عايشوه في الأيام الماضية وسط مملكة الضياء.. لكن وصولهم لهذا المكان، واستنفاذهم لأي بدائل أخرى، لم يجعل لهم سبيلاً لرفض دعوة حاكم مملكة النبع المقدس لاستضافتهم.. لكن ما الذي جمع بين ترياش وبين حاكم المملكة ليتمكن من طلب مثل هذا الطلب منه بثقة دون أن يخشى وصول الأمر لسوريم؟..

طال بهم الجلوس بصمت في قلب الطائرة وصوتها الرتيب يطغى على أي صوت آخر، واستمرت بتحليقها السلس بلا مفاجآت أو صدمات غير مرغوب فيها.. وبعد ما يقارب الساعة، قال لهم الرجل قاطعاً الصمت وهو ينظر عبر نافذة قريبة "ها قد وصلنا.."

تحوّلت الأنظار بشكل تلقائي عبر النوافذ القريبة إلى تلك المدينة التي يقتربون منها بسرعة.. كانت المدينة الصغيرة تبدو تحتهم كئيبة المنظر خالية من أي جمال.. تقع على تلة صخرية مرتفعة، حيث تكدست المنازل الحجرية قرب بعضها وازدادت الطرقات ضيقاً بينها، يحيط بها سورٌ متوسط الارتفاع له بوابة وحيدة وطريق حلزوني يقود لسفح التلة.. ووسط المدينة، ارتفعت قلعة متوسطة الحجم رمادية اللون ذات عدة أبراج وحدائق ضيقة تحيط بها وتفصلها عن بقية المنازل.. لم تمضِ أكثر من ساعة منذ بدأ الفريق رحلته من تلك القرية، ومع الشمس التي كادت الأرض تغيّبها عند الأفق، منح الظلام والظلال الطويلة مظهراً كئيباً لتلك المدينة وللقلعة الماثلة في وسطها..

تساءل رادال موجهاً حديثه إلى الرجل الذي صاحبهم "أهذه هي عاصمة المملكة؟"

أجاب الرجل "لا.. هذه قلعة (سيارم).. العاصمة جيرا تقع على مسافة عدة ساعات جنوباً من هذا

المكان.. لقد اختار الكاهن الأعلى ملاقاتكم في هذه القلعة بدل إجباركم على اجتياز رحلة طويلة حتى تصلوا جيرا.."

قطبت جود للحظة مفكرة في هذا الأمر، ثم غمغمت بلغة الأرض السفلى "لا يبدو لي هذا منطقاً مقبولاً.."

لم يعلق رادال أو سيرا على ما قالته، بحيث بدا أن ما تفوهت به مجرد دمدمات لا معنى لها.. لكن جود كانت تأمل أن يتخذ رادال حذره عند ملاقاتهم ذلك الرجل.. فهي بعد كل ما جرى، لا تثق بأي شخص يعرض معاونتهم دون سبب واضح.. فما الذي قد يكسبه حاكم هذه البلاد من معاونة رجل مغمور ومعاداة جارة شرسة كمملكة الضياء؟.. وما لم تفهمه هو سبب لقائه بهم في هذا المكان البعيد عن عاصمة المملكة جيرا.. ما الذي دعاه لقطع هذه المسافة بعيداً عن عاصمته للقائهم في هذه القلعة كئيبة المنظر؟.. هل كان يخشى من افتضاح أمر رادال؟ أم يخشى من نقمة سوريم لو وصل إليه الأمر؟..

بدأت الطائرة بالهبوط في موضع مخصص لها أعلى أحد الأبراج في القلعة، وفور هبوطها نزل الرجال يتبعهم رادال ورفاقه بصمت متأملين ما يرونه حولهم.. قادهم الرجل عبر باب يؤدي لسلالم تنزل من ذلك البرج وتقودهم للجزء الرئيسي من تلك القلعة.. ساروا وسط القلعة وممراتها التي تكاد تخلو من أي زينة أو بهرجة، وقد لاحظت جود أن كل من مروا بهم هم الحرس وبعض الخدم، وبدا أن القلعة تخلو من أي عنصر نسائي يعمل فيها أو يسكنها..

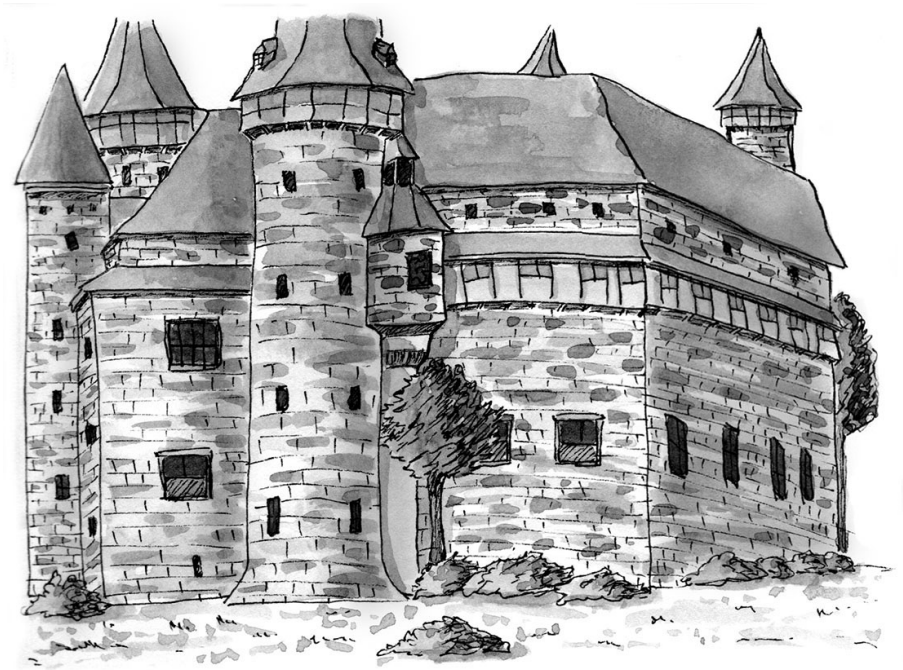

وصلوا أخيراً إلى باب خشبي عريض يفصلهم عن مضيفهم، فقال الرجل الذي صاحبهم "الكاهن الأعلى يطلب مقابلة المدعو رادال فقط.. ولا يسمح لشخص آخر بالدخول.."

بدا القلق واضحاً في عيني قوجوك وإن لم يملك الا عتراض، لكن جود قالت بصراحة "لا يمكن

للكاهن الأعلى أن يرفض وجودنا معه.. فنحن لا نأمنه بشكل كامل لنسمح له بلقاء رادال منفرداً.."

نظر لها الرجل بتقطيبة، فأيّد رادال قولها قائلاً "إما أن يسمح لنا الكاهن الأعلى بلقائه جميعاً، أو يرفضنا جميعاً.. له الخيار الأخير.."

غاب الرجل للحظات عبر ذلك الباب الذي بدا أنه يقود لغرفة واسعة، فيما قالت جود لهم بعد غيابه "أنا لا أرتاح لهذا الرجل.."

غمغم رادال "أنت لم تقابليه بعد.."

علقت جود وهي تتلفت حولها "هناك أمرٌ ما في هذه القلعة الكئيبة ما يثير توجسي.. لمَ رفض أن يصطحبنا إلى جيرا؟.. ممَ يخاف؟.."

أتاهم صوتٌ من خلفهم يقول "لو كنت أخاف شيئاً، لما استضفتكم عندي مع ما في ذلك من معاداة لمملكة الضياء.."

نظروا نحو الباب الخشبي ليروا رجلاً هادئ الملامح يقف قربه قائلاً "للمرة الأولى يفرض عليّ ضيوفي أمراً.. لا بأس، يمكنكم الدخول معاً لو كنتم تخشون بطشي.."

واستدار عائداً للغرفة ليتبعه رادال والبقية بصمت ودون تعليق.. كانت الغرفة الواسعة مخصصة كمكتب كبير مع تلك الخزائن العريضة التي جمعت عدداً كبيراً من الكتب على أرففها.. وبنافذة واسعة تطل على المدينة من خلفها، ومكتب جانبي بالإضافة لعدد قليل من الكراسي..

استدار الرجل نحوهم بعد أن توسط الغرفة، ورمق رادال متفحصاً وهو يقول "إذن.. أنت رادال.. شقيق سوريم....."

لم يعلق رادال وهو يقف أمام مضيفه بصمت، وفي هذه المرة لاحظت جود أنه لم يكن بالاعتداد والثقة كما عهدته سابقاً.. رغم أنه وقف بطوله ورأسه المرفوع كالعادة، إلا أن شيئاً في انحناء كتفيه كان يدلها على انكسار نفسه بشكل لم تره عليه قط.. انهزامه السريع أمام سوريم، والمحاكمة التي أقيمت له أمام شعبه وسقوطه مجدداً نحو العالم السفلي، كل ذلك كان أثره بالغاً وقوياً على إرادته وطموحه.. ولا تدري جود إن كانت قد ساهمت بجعل الأمر أكثر سوءاً بما جرى بينها وبينه لحظة لقائهما في ذلك اليوم..

وأمامه، وقف ذلك المدعو كاتيرد وهو كما علمت جود الكاهن الأعلى للمملكة وحاكمها.. التزمت

الصمت تاركة الاثنين يتبادلان الحديث، وإن أنصتت لهما باهتمام وكاتيرد يقول "وصلني خبرك عبر ترياش منذ بضع أيام.. وقد رجاني أن أمنحك مكاناً آمناً تلجأ إليه حتى تلملم شتات رجالك وتعيد النظر في الهدف الذي تسعى إليه.."

تساءل رادال بفضول لم يكبحه "ما الصلة التي جمعت بينك وبين ترياش؟.. رغم أنكما من مملكتين مختلفتين، ومكانتيكما متفاوتتين بشكل بالغ أيضاً.."

أجاب كاتيرد "تعرفت على ترياش عندما كان يزورني نيابة عن ملك مملكة الضياء السابق.. كان من حاشية الملك، قبل أن يصبح والي باتير.. وكان حماسه وإتقانه للعمل يجعل منه السفير المثالي للملك في أي مملكة مجاورة.. وقد جمع بيننا عندها اهتماماتنا المشتركة والمتقاربة.. وظللنا على اتصال حتى بعد أن أصبح والي باتير وقلّت زياراته لجيرا.. لذا لم أتمكن من رفض طلبه عندما رجاني تقديم العون لك.. ولكن....."

نظر له رادال بصمت، بانتظار تتمة جملته الاعتراضية تلك، فقال كاتيرد "ألا ترى أن ما قمتَ به كان جامحاً قليلاً؟.. ألم تفكر بعواقب ما فعلته وتخطط لكل خطوة قبل أن تخطوها؟.."

قال رادال "لم يكن ذلك يهمني.. في سعيي لا سترداد ما هو حقٌ لي، ومع تبني ترياش قضيتي وثقتي بقدراته، ظننت أن مسعاي قد ينجح بالفعل.."

علق كاتيرد قائلاً "وها هي هزيمتكم المرّة مطروحة أمام شعب العالم السامي كاملاً.."

أدار رادال وجهه بضيق واضح واستياءٍ عارم لما قيل رغم أنه لا ينكره.. تكفي مرارة تلك الهزيمة التي يتجرعها حتى اللحظة.. هل عليه أن يصمت أمام تأنيب مضيفه واستهزائه المبطن دون أن يرد عليه خشية نقمته؟..

تساءل كاتيرد قاطعاً الصمت الذي ساد لوقت وجيز "لو أتيحت لك الفرصة لمواصلة طريقك ذاك، هل ستستمر به؟.."

نظر له رادال بدهشة، بينما قالت سيرا بشيء من الاستياء "هل ستعينه على هذا الجنون أنت أيضاً؟.."

قال كاتيرد دون أن ينظر نحو سيرا فيما بدا تصغيراً من شأنها "لا.. لم أقل ذلك على الإطلاق.. إنما هو تساؤلٌ يطرح نفسه في الوقت الحالي.. وأتمنى أن أعرف الإجابة.."

أدار رادال رأسه جانباً، ثم قال باقتضاب "لا أدري.."

ابتسم كاتيرد ابتسامة باردة معلقاً "ألا تعلم أن التردد ليس من شِيَم الملوك؟.."

ألقى رادال عليه نظرة غضب ظاهرة، فقال كاتيرد دون أن يبدي اهتماماً بضيق ضيوفه "سأترككم لتحصلوا على بعض الراحة.. وسنلتقي للحديث مجدداً غداً.. آمل أن يطيب لكم البقاء في سيارم.."

لم يتبادل أحدهم كلمة أخرى، وغادر رادال تتبعه سيرا وجود كعادتهما، فيم تم اصطحاب قوجوك ورجاله لجانب آخر من القلعة بصفتهم مجرد جنود وليسوا ضيوف صاحب المكان.. انبرت سيرا كعادتها تجادل فور مغادرتهم تلك الغرفة "ألم تشبع من الهزيمة بعد؟.. ألن تكتفي؟.. علينا أن نفكر بمستقبلٍ أقل جموحاً وجنوناً مما مررنا به.. ألا يكفيك الوصول للعالم السامي لتقنع بما حصلت عليه حتى الآن؟.."

تجاهل رادال تعليقها وهو مستمر بسيره خلف ذلك الرجل الذي سيقودهم للغرف المخصصة لهم.. فقالت سيرا باعتراض "لا تتجاهلني يا رادال.."

قال رادال بتقطيبة حنق "ألن تيئسي أنت من الاعتراض على كل ما أفعله؟.. هل يستهويك السخرية والجدال على كل أمر، حتى ما لا شأن لك به؟"

قالت سيرا رافعة حاجبيها "أليس لي شأنٌ فيما يجري لك؟"

قال رادال باستياء "لم يكن لك شأنٌ بي منذ البدء.."

كان قوله قاسياً كالعادة، وقد اعتادت جود على علاقتهما الغريبة هذه رغم دهشتها أن سيرا لا تزال متشبثة به مع كل ما تواجهه.. وسرعان ما غاب رادال في الغرفة التي قاده الرجل إليها مغلقاً الباب خلفه وكأنه ينأى عن الجدال.. بينما سارت جود بدورها لغرفة أخرى ودخلت إليها دون أن تتلطف بكلمة تجاه سيرا المصدومة لما سمعته..

لقد مضت أيامٌ طويلة منذ عودتها للعالم السامي بحماس وشغف يحدوها الأمل أن تقدر على تغيير الواقع.. لكنها فشلت في معاونة الثوار على تحرير الوطن.. وفشلت في معاونة رادال على استعادة عرشه.. والآن هي بعيدة مئات الأميال عن قانار.. فما الذي تفعله هنا حقاً؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم يطُل بقاء سيرا في الغرفة التي خصصت لها أكثر من لحظات، فبادرت بالخروج منها وقد شعرت بأن الجدران الحجرية قد بدأت تجثم على أنفاسها وتجبرها على البحث عن وسيلة للتسرية عن نفسها..

غادرت تلك الغرفة زافرة بضيق وقد شعرت أنهم لم يأتوا لهذا المكان إلا ليعودوا لنقطة البداية.. كانت ترجو أن ينسى رادال هذا الصراع، وذاك العرش.. وأن يلتفت لحياته في هذا العالم، في أي جزء منه يمكنه أن يضمّهما بأمان.. فوجودهما معاً يغنيهما عن شادين وعن أي مكانٍ آخر في العالم السامي.. تمنت أن يتلفت رادال إليها أخيراً، وإن كانت قد استاءت من لحاق جود بهما.. لمَ تصرّ تلك البائسة على ملاحقة رادال بتلك الصورة المكشوفة؟.. كيف يمكنها الخلاص منها وهي لزجة كذبابة؟.. إنها بالفعل كذلك منذ اللحظة الأولى التي رأتها فيها في العالم السفلي.. ولم تكفّ جود عن إبهارها بالتمسك بتلك الخصلة رغم كل ما مرّوا به في الآونة الأخيرة..

غادرت سيرا القلعة الكئيبة وسط نظرات الحراس الصامتة، وهي نظراتٌ اعتادتها منذ شبّت عن الطوق.. لكن لمَ تشعر أن تلك النظرات المتعجبة يخايلها بعض الحذر وتراقبها بصمت؟.. لم تلقِ للأمر بالاً كعادتها، واختارت كرسياً حجرياً طويلاً لتجلس عليه تتأمل الحديقة التي تحيط بالقلعة وتفصلها عن بقية تلك المدينة الصغيرة المسماة سيارم..

كانت في أوقاتٍ طويلة تراودها خيالاتٍ بالرحيل بعيداً.. أن ترمي كل ما يزعجها خلف ظهرها وتغادر فلا يعرف أحدٌ لها أرضاً.. أن تنسى كل عذابها.. حبها لرادال.. وتنسى رادال ذاته.. لكن صفاتها العنيدة التي لا تستطيع كبحها تجبرها على ملاحقته رغم رفضه المتكرر لها.. وتجبرها على تجاهل ما كانت تراه بينه وبين جود والذي تمنّت مثله طوال حياتها.. وهذا اليوم تجد تلك الخيالات تعود إليها بشدة.. وتمنّت لو تملك الجرأة على أن تتخلى عن الجميع وترحل بالفعل..

زفرت وهي تضع وجهها على قبضتها المضمومة وترقب المدينة عابسة بعد أن حلّ الليل بهدوء وبدأ النور ينسحب عند الأفق.. في تلك اللحظة قطع تفكيرها صوتٌ مكتوم صدر من خلفها.. فاستدارت متلفتة بحثاً عن مصدر ذلك الصوت، لكنها لم ترَ أحداً إلا أحد الحراس من مبعدة.. عادت لأفكارها متجاهلة ما ظنته وهماً، ليتكرر ذلك الصوت من جديد عدة مرات.. استدارت سيرا بضيق بحثاً عن صاحب الصوت، وفيما حدقت في جوانب الحديقة الخالية، سمعت الصوت يتكرر من موقع يعلوها.. رفعت بصرها بدهشة،

لترى خلفها برجاً من أبراج تلك القلعة يمتد ليتجاوز الجدران بسقف مدبب ونوافذ قليلة موزعة في جوانبه.. وقرب إحدى النوافذ، لاحظت سيرا فتاة لم ترها من قبل تقف خلف الزجاج تضربه بقبضتها بإلحاح وتصيح بكلمات لم يصل منها أي حرف لسيرا..

قطبت سيرا تراقب الفتاة، وتلفتت حولها بحثاً عن أي تفسير عند الحرس.. لكنها عجزت عن معرفة ما تريده تلك الفتاة، لذا لوحت بيدها وصاحت "ما الذي تحاولين قوله؟.. أنا لا أسمع شيئاً.."

لاحظت أن الفتاة بعد عدة محاولات قد انخفضت بسرعة واختبأت خلف الجدار، ولما بحثت سيرا عن مصدر ذعرها رأت ذلك الحارس الذي تقدم منها بشك متسائلاً "أهناك ما يزعجك يا سيدتي؟.."

أدركت سيرا أن الفتاة ارتعبت لرؤية الحارس.. أهي سجينة؟.. ومن تكون؟.. وجدت سيرا نفسها تقول مظهرة استياءها "ألا يمكن للمرء أن يفرغ حنقه بالصياح في هذه القلعة؟.. لو أردت عوناً لطلبته بكل وضوح.."

ظل الحارس يرمقها بشك للحظة، ثم انحنى لها واستدار مبتعداً دون أن يفوتها رؤية تلك النظرة التي ألقاها على النافذة في ذلك البرج.. ظلت سيرا في موقعها دون حراك، حتى ابتعد الحارس عنها ابتعاداً تاماً.. فرفعت بصرها من جديد للنافذة لترى الفتاة تنظر لها عبرها وهي تشير بيدها متوسلة.. ما الذي تبغيه منها؟.. هل تريد الحديث معها أم تريد من يخرجها من هذا المكان؟..

لم يكن لها أن تترك فضولها يتعاظم دون أن تبحث في الأمر وتعرف ما يجري في هذا المكان الغريب.. تلفتت حولها بحثاً عن مدخل لهذا البرج، ثم دخلت عبر أقرب باب رأته، وسارت متلمسة طريقها وسط الإضاءة الخافتة محاولة الوصول لتلك الغرفة دون أن تتوه في ممرات القصر المتشعبة.. وحينما وصلت لممر غلب ظنها أنه يؤدي لذلك البرج، فوجئت سيرا بأحد الحراس يقف في وجهها قائلاً "إلى أين أنت ذاهبة؟.. يمنع على أي كائن كان دخول هذا البرج.."

سألته بتقطيبة "وما الذي يمنع دخوله؟.. من يعيش فيه؟"

قال الحارس باقتضاب "لا أحد.. والآن غادري هذا المكان وعودي للقلعة الرئيسية.."

تراجعت سيرا خطوات وهي ترمق الباب الصامت أمامها.. لمَ الكذب؟.. ومن هي تلك الفتاة التي كانت تحاول جذب انتباهها بوضوح؟.. استدارت وغادرت المكان موهمة الحارس أنها عائدة للقلعة الرئيسية

حيث البقية.. لكنها في الواقع عادت للحديقة وللكرسي الحجري الذي كانت تجلس عليه قبل قليل، ورفعت بصرها لتلك النافذة حتى رأت الفتاة ذاتها تطلّ من خلف الزجاج.. لوّحت الفتاة بيديها وهي تقول كلاماً لا تسمع سيرا منه حرفاً، فهزّت سيرا كتفيها وقلبت يديها لتوحي للفتاة أن الوصول إليها مستحيل بالوسيلة العادية.. بدا القلق مضاعفاً على وجه الفتاة وهي تخفض بصرها ببؤسٍ واضح، وهذا أشعل فضول سيرا أكثر فأكثر..

تلفتت حولها بحثاً عن حراس القلعة الموزعين في الحديقة، ولما اكتشفت أن الموقع هذا يكاد يخلو منهم، إلا واحداً رأته يبتعد بشيء من العجلة مع ذلك النداء الذي تعالى من جانب المكان.. لبثت سيرا في موقعها متلفة حولها لبرهة، ثم استدارت نحو البرج بعزم وهي تخطط لمغامرتها تلك بحذر ودقة، لحسن حظها أن شجرة سامقة كانت قريبة من ذلك الجزء المنفصل من البرج، وتصل بها لارتفاع قريب من تلك النافذة.. فلم تتردد للحظة في تسلق الشجرة والارتفاع بمهارة حتى وصلت لأعلى فرع يمكنه تحمل ثقلها.. وبحذر، تلمست خطواتها عليه حتى وجدت راحتي يديها تلمسان جدار البرج، عندها وضعت قدمها على جزء بارز من تشكيل الجدار، وبعد أن توثقت من وضعها نقلت قدمها الأخرى لتبدأ تسلق البرج ببطء إنما بشيء من المهارة مستغلة الظلام ليخفيها عن الأعين..

لا تدري سيرا ما الذي حملها على ما تفعله وهي التي في المعتاد لا تعبأ لأمر أحد، لكن مادام الأمر يتعلق برادال فهو يحوز على اهتمامها بشدة.. وهي قد توجست خيفة منذ وقعت عيناها على ذلك الكاهن الذي لا يبدو لعينيها ذا نوايا طيبة وسريرة نظيفة.. هناك ما يخفيه، وجاء أمر هذه الفتاة المرتعبة ليزيدها شكاً ويدفعها لمحاولة كشف الأمر بنفسها قبل أن يتفاقم..

ظلت الفتاة تراقب ما يجري بعينين متسعتين مذهولتين، وإن بدا بعض الأمل فيهما وهي تضمّ قبضتيها لصدرها بقوة بتوتر ظاهر.. بعد دقائق طويلة، وقد أنّت ذراعا سيرا وهي تحمّلهما فوق طاقتهما، وصلت لإطار النافذة الحجري فرفعت نفسها لتضع جسدها على ذلك الإفريز الضيق وتريح ذراعيها من الإنهاك الذي حل بهما..

تلمّست النافذة التي حفظت عن الدخلاء بإطار حديدي وزخارف كعروق معدنية تفصل بين سيرا وبين النافذة وما خلفها.. نظرت سيرا للفتاة التي وقفت على الجانب الآخر من النافذة، فأشارت لها الفتاة بيدها

أن فتح تلك النافذة مستحيلٌ استحالة تامة.. لكن سيرا كانت تتوقع ذلك، فرفعت الخنجر الذي لا يفارقها عادة، وفور ابتعاد الفتاة عن النافذة ضربتها بأقوى ما تملك بمقبض الخنجر.. تهشم ذلك الجانب من النافذة مكوّناً فرجة صغيرة تسمح للفتاتين بالحديث دون عوائق فبادرت الفتاة لتقول متوترة "من أنتِ؟.. أنتِ لست من سكان القلعة.. أليس كذلك؟"

قالت سيرا مقطبة "أنت لم تدفعيني لأفعل ما فعلته لتطرحي عليّ هذا السؤال.. أليس كذلك؟"

غالبت الفتاة توترها وقالت برجاء "هل يمكنك أن تجدي طريقة لإخراجي من هنا؟.. الكاهن الأعلى يحبسني، ويرفض إطلاق سراحي.. أريد العودة لشادين.. أريد العودة لأبي.."

رفعت سيرا حاجبيها معلقة "أنت من مملكة الضياء أيضاً؟.."

تساءلت الفتاة بلهفة "وهل أنت كذلك؟"

هزت سيرا رأسها إيجاباً، فقالت الفتاة عندها بتوسل "عليك أن تجدي وسيلة لإخراجي.. يجب أن أذهب لشادين لأحذر الملك.. هناك أمرٌ يخطط له الكاهن الأعلى، وهو متعلق بشادين.. لا أعلم ما هو بالتحديد، لكن لا أستطيع الصمت وأنا أرى ما يدور حولي.."

قالت سيرا بحيرة "وما الذي قد يخطط له الكاهن لشادين؟.. ربما كنت تتوهمين.."

قالت الفتاة بعصبية "لو كنت أتوهم فلأي سبب قام الكاهن بسجني ومنعي من مغادرة هذا المكان؟.. أنا مسجونة منذ عدة أيام، وأظنه يود الخلاص مني لولا خوفه من إثارة الشبهات.."

ثم أضافت برجاء "أرجوك ساعديني.. ولو كنت ترغبين بمكافأة، فأبي ترياش مستعدٌ لدفع أي مكافأة ترغبين بها.."

بدا من دهشة سيرا الواضحة أن هوية الفتاة قد فاجأتها.. ما هذه الصدفة؟.. وقد كان هذا يستدعي حديثاً مطولاً، ولا يكفي جلوسها على هذا الإفريز الضيق حيث يمكن أن يلمحها بعض الحرس بشيء من الحظ.. فتساءلت سيرا "كيف يمكنني الوصول إليك وإخراجك؟.."

قالت الفتاة التي لم تكن إلا باناس "بعد وقت قصير سيحضر أحد الخدم لإحضار طعامي.. يمكنك التسلل عندها ومغافلته وسرقة مفتاح الغرفة منه.. لكن خروجنا من البرج دون إثارة شبهات الحارس أمر مستحيل بعدها.."

علقت سيرا وهي تشرع بالهبوط "دعي الأمر لي.."

بدأت هبوط الجدار بحذر نحو الشجرة التي ستقودها للحديقة.. أليس هذا الكاهن صديق ذلك المدعو ترياش؟.. لمَ يقوم باحتجاز ابنة صديقه بهذه الصورة؟.. ولو كان لا يعبأ بابنة صديقه، فكيف له أن يعبأ بأمر شخص مرسل من طرف ذلك الصديق؟.. بدأ الأمر يزيدها توجساً، وبدأت تشعر أن وصولهم لهذا المكان أكبر خطأ ارتكبوه في الأيام الماضية..

جود تشعر بالأمر ذاته كما يبدو.. هل كان رادال هو الشخص الوحيد الغافل عن هذا الأمر بينهم؟.. أم أنه يتشبث بقدرٍ ولو ضئيل من الأمل بأن يكون هذا الكاهن معهم لا ضدهم؟.. أيمكن أن يكون اليأس قد بلغ به مبلغاً بحيث يتشبث بقشة خوفاً من الغرق؟..

وصلت سيرا لأخفض فرع في الشجرة، فقفزت منه أرضاً واعتدلت بعدها بسرعة متلفتة حولها.. قبل أن تعود للبرج وللطريق الذي سيقودها لتلك الغرفة.. وهذه المرة، عليها أن تتخذ حذرها وتختبئ عن عين ذلك الحارس قبل أن يطردها مجدداً..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

في اليوم التالي، لاحظت جود غياب سيرا.. ورغم أن رادال لاحظ ذلك بدوره، لكنه علق وهو يتخذ طريقه للقاء كاتيرد بدعوة من الأخير "تلك الفتاة تهوى الهرب عندما تسير الأمور عكس ما تريد لها.. ستعود من تلقاء نفسها كالعادة.."

قالت جود بقلق "لكن لا نعلم متى اختفت.. هل نامت في غرفتها الليلة الماضية أم أنها لم تفعل؟.. لقد وصلنا منذ يوم واحد، لذا اختفاؤها هذا مريب، بالإضافة لكون هذا المكان الغريب يثير توجسي.. سأذهب للبحث عنها.."

واستدارت عائدة للغرفة التي خصصت لسيرا، فيما أكمل رادال طريقه وأفكاره تدور حول لقائه بكاتيرد هذا اليوم.. ما الذي يبغيه بالقدوم لهذا المكان؟.. هل يرجو عون كاتيرد للهرب والاختباء من سوريم؟.. أم يرجو أن يعينه على العودة واستعادة العرش؟.. أما زال يأمل أن يكون النصر حليفه؟.. الآن سيكون

سوريم أكثر حذراً وتأهباً ولن يمكنه مغافلته.. خاصة لو أدرك أن رادال لم يمت بعد، وملاحقة الجنود له تدله أنه يعلم بأمره بالفعل.. لذا فرص نجاحه قلّت بشدة عما كانت عليه في المحاولة الأولى.. فأي طريق عليه أن يسلك بعد الآن؟.. طريق الهرب.. أم طريق الانقلاب من جديد؟..

في هذا اللقاء، لم يكن كاتيرد أقل برود وغموضاً مما كان عليه في اليوم السابق.. نوعاً ما شعر فور رؤية ابتسامة كاتيرد الجافة هذا اليوم وهو يسأله عن راحته في هذه القلعة، أن الأمور لن تكون أفضل عما كانت عليه في اليوم السابق..

جلس كاتيرد جانباً مشيراً لمائدة عليها بعض أصناف الطعام قائلاً "أرجو أن يكون طعامنا قد راق لك.. كما سمعت، فإن الطعام في شادين لا يضاهى من ناحية الشكل والطعم، لكن هذا كل ما نملكه في هذا المكان.."

قطب رادال معلقاً "أنا لم آتِ للاستمتاع بالطعام.. كما أنني لم أذُق طعام قصور شادين منذ عشرين سنة، لذا لا يمكنني إجراء أي مقارنة.."

رفع كاتيرد حاجباً وقال "نسيت أنك عشت حياتك في أرض الهوام.. لكن قل لي.. أنت أمضيت أغلب سني عمرك في العالم السفلي، مقارنة بالسنوات العشر التي أمضيتها في شادين.. ألا يجعلك هذا أكثر انتماءً لذلك العالم من عالمنا هذا؟.."

لم يعلق رادال على هذا القول مدركاً أن هذا جدال عبثي.. لم يطرح كاتيرد هذا السؤال للحصول على إجابة، بل لأهداف أخرى.. ولا يستبعد رادال أن يكون الحط من شأنه أحد تلك الأسباب.. لكن ما الداعي لمثل هذا الحوار ولمثل تلك التصرفات التي يجهلها من شخص يراه لأول مرة ولا يحمل نحوه أي عداء ظاهر؟..

بعد صمت رادال وعزوفه عن إجابة ذلك السؤال، ظل كاتيرد يعبث بكوب العصير في يده محدقاً فيه بتركيز، وكأنه يقيّم ما سيقوله بعدها وما سيقرره بعد هذا اللقاء.. لكنه بعدها طرح سؤالاً بلهجة عادية "ماذا عن هذه الحرب؟.. ما الذي تنوي فعله بشأنها؟"

لا يدري رادال سر إصرار الجميع على هذا السؤال.. لكنه لم يكن ينوي الكذب أو المداراة هذه المرة.. لذا أجاب بحزم "أنوي إنهاءها طبعاً.. لو جلست على العرش، فسأسحب جيوش المملكة من مملكة الغمام

وأعيد الملك الحقيقي لقانار.."

ونظر لكاتيرد الذي يرمقه بصمت مضيفاً "أدرك قلقك بخصوص هذه الحرب، فهي تهديدٌ لجميع ممالك العالم السامي ولا يقتصر الأمر على مملكة الغمام.. لكني أعدك وعداً صادقاً أنني لا أنوي جرّ الحرب أكثر مما حصل.."

ظل كاتيرد يحدق به بصمت وملامح مبهمة، ثم ابتسم فجأة وقال بصوت هادئ "لا ألومك على هذا التفكير.. فأنت نشأت بعيداً عن القصر، وكنت طوال السنوات الماضية أقرب للعامة منك لأمير.. لذا هذا هو الخيار الوحيد الذي تراه مقبولاً في هذا العالم.."

نظر له رادال بصمت ودهشة دون أن يعلم إن كان كاتيرد يوافق على ما طرحه أم هو معارضٌ له.. وهل يمكن أن يرغب أحدهم بحربٍ قد تجرّ بلاده لويلات لا يعلم أحدٌ مداها؟.. طرح رادال سؤاله بضيق "ماذا تعني؟.. لا يمكنك أن تكون مؤازراً لمثل تلك الحرب التي لم يعهدها سكان العالم السامي في تاريخه والتي قلبت أمنه رأساً على عقب.."

غمغم كاتيرد "حقاً.. من قد يآزر حرباً مثلها؟.."

بدأ الأمر يثير حنقه بشدة، فنهض رادال واقفاً وقال بحزم "أجوبتك العائمة هذه لا تنفعني بشيء.. لو أنني قررت العودة لشادين والا ستيلاء على العرش، هل ستعاونني على ذلك؟.. أم أنك تخشى من غضب سوريم؟"

قال كاتيرد بسخرية "ولِمَ قد أخشى شخصاً مثله؟.."

ثم اعتدل في كرسيه شابكاً أصابعه وهو يقول بهدوء "لا أظنني أملك سبباً لرفض معاونتك.. هل تريد مني أخذك لشادين؟.. يمكنني أن أفعل ذلك بالطبع.. إن كنت على ثقة بأنك لن تعود إليها ليقطع سوريم عنقك!.."

أجاب رادال "لن أعود إلى القصر قبل أن أتواصل مع الرجال الذين يوالونني وأن أعين ترياش على الهرب.. أنا بحاجة إليه، وبحاجة لخطة جديدة ورجال أكثر يعاونوني على استعادة العرش.."

قال كاتيرد بضجر "استعادة العرش.. استعادة العرش.. ألا تملك كلمة غيرها؟.. أنت لم تجلس على العرش قط لتستعيده.. عليك أن تكون دقيقاً في حديثك فأنا لا أحب الكلمات المبهمة هذه.."

عبس رادال بحنق أشد، ثم شد جسده قائلاً "لا يبدو لي أنك تنوي معاونتي بالفعل.. أشمّ رائحة استهانتك بي، وأعلم أنك تماطلني بصورة أو بأخرى لغرض في نفسك.. لذا لا أجد ما يجبرني على البقاء في هذا المكان أكثر مما فعلت.."

واستدار مغادراً الغرفة، لكن صوت كاتيرد تعالى قائلاً "من قال إنني أماطل؟.. ولكي أثبت لك حسن نواياي، سنذهب لشادين حالاً.."

التفت رادال إليه بحيرة، فرآه يبتسم بثقة معلقاً "ألا تصدقني؟.. سننتظر حتى نجتمع برفاقك بعد قليل.. وهناك ضيفٌ آخر أريد اصطحابه معي.. وبعدها، سنكون جاهزين للانطلاق على الفور.."

قال رادال مقطباً "هل تهزأ بي؟"

أجاب كاتيرد بهدوء "سنرى ذلك بالفعل.."

في تلك اللحظة، فتح باب الغرفة دون استئذان مما جعل رادال يلتفت إليه بدهشة.. ولصدمته، رأى أحد الحرس يدخل منه وهو يدفع جود أمامه.. فصاح رادال بغضب "ما معنى هذا؟"

استمر كاتيرد على صمته، فيما قالت جود محتدة وهي ترمق السلاح الموجه نحوها بتهديد ظاهر "لا أفهم ما يجري.. لقد فوجئت بهذا الحارس يهددني بسلاحه أثناء بحثي عن سيرا، ويعيدني لهذه الغرفة رغماً عني.. كما أنني لم أجد أثراً لسيرا في غرفتها وهي لم تستخدمها مطلقاً الليلة الماضية.. فما الذي يجري هنا؟.."

قال رادال حانقاً "هذا ما أنتظر تفسيره من مضيفنا.."

رفع كاتيرد كأسه معلقاً "ألن تنتظر البقية؟"

سمعا جلبة أخرى من جهة الباب المفتوح، فرأوا مزيداً من الحرس يدفعون أمامهم سيرا وفتاة أخرى يجهلون هويتها.. تزايد حنق رادال وشكه، والتفت نحو كاتيرد الذي علق بابتسامة "ها هي مجموعتنا متأهبة للرحيل.."

صاحت الفتاة بتوسل فور أن رأت كاتيرد "أرجوك يا سيدي.. أعدني لشادين.. سيدفع لك أبي كل ما ترغب به من مال.. لكن أعدني إليه.. أتوسل إليك.."

نظرت جود ناحية سيرا الحانقة وسألتها "أين اختفيت؟.."

قالت سيرا بسخط "لقد أفقدني أحد الحراس وعيي ليلة البارحة قبل أن أعود لغرفتي بالفعل.. ثم سجنوني

مع هذه الفتاة دون أن أفهم سبب ما يجري.."

علق كاتيرد بهدوء "لو لم تحاولي التسلل كالفأر وسط قلعتي، لما مسّك شخص بسوء.."

التفتت سيرا على الفور قائلة لرادال بحنق "رادال.. هذه الفتاة هي ابنة المدعو ترياش، وهي سجينة هذه القلعة منذ عدة أيام.. فهل لديك شك بعدها أن هذا الرجل ينتوي عوننا أو حمايتنا بأي صورة؟.. أخبرتك أن هذا المكان مريب.."

التفت رادال لكاتيرد صائحاً بغضب "ما معنى كل هذا؟"

وجد كاتيرد يقف فجأة بهدوء، وفي الآن ذاته ارتفعت عدة بنادق في وجه رادال لمنعه من القيام بأي حركة..

فيما قال كاتيرد وهو يتقدم منه خطوات "معناه أننا مستعدون الآن للرحيل لشادين كما وعدتك.."

وابتسم مضيفاً "فلقد آن أوان الحفل الأخير.."

غادر دون تمهل ودون أن يشرح أي شيء مما يدور، فيما أجبر الجنود رادال والبقية على السير خلفه دون أن يملك أحدهم الاعتراض على هذا الأمر..

أكان كاتيرد موالياً لسوريم منذ البدء؟.. لا بد أنه ينوي إعادة رادال لسوريم كي يتمكن من الخلاص منه للمرة الأخيرة.. فكيف وثق به ترياش رغم حصافته ودقته في اختيار معاونيه وأصدقائه؟.. ما الذي سيقوله وهو يرى ابنته التي لأجلها ينوي قلب حكم البلاد، حبيسة عند ذلك الصديق الذي أءتمنه عليها؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الثامن عشر)
مملكة الضياء: الوجه القبيح

"ماذا قلت؟.."

هبّ ترياش واقفاً بقفزة سريعة رغم آثار التعذيب البادية على ما ظهر من جسده ووجهه.. لكنه لم يعبأ لأي آلام تنتج من حركته تلك وهو يحدق بوجه محدثه بذهول تام.. وهذه صفة ندر أن تبدو على ملامح ترياش لأي شخص..

قال الرجل الواقف أمامه في الزنزانة بتوتر واضح "كما أخبرتك.. لقد وصل إليّ أن طائرة قادمة من مملكة النبع المقدس قد هبطت في مهبط الطائرات التابع للقصر.. وقد حالفني الحظ برؤية أصحابها عندما أرسلني بيزاراك لتفحصها والتأكد من هوية من تحمله.."

قال ترياش بذهول "وأنت متأكد أن من خرج منها كان كاتيرد نفسه؟.."

أجاب الرجل بضيق "أجل.. ذاك كان كاتيرد كما أوضح بنفسه.. وللأسف، من خرج بعده كان بعض الكهنة يحيطون برادال والقيود في يديه.."

همس ترياش بارتياع "الخسيس.. هل خانني؟.."

ثم صاح "باناس.. أين هي باناس؟"

أجاب الرجل "رأيت بينهم ثلاث فتيات بالفعل.. لكن لا أعلم من هي بينهن.."

وأمام نظرات الجزع في عيني ترياش، سارع ليضيف "لكن لا يبدو أن إحداهن قد أصيبت بأي أذى.. ولا تقيّد القيود أيديهن.. لذا لا تقلق لأمرها الآن.."

صاح ترياش "كيف لا أقلق لكل هذه الأخبار المزعجة وفي هذا الوقت بالذات؟.."

ودار في الزنزانة مدمدماً بغضب وبغض "الخسيس.. لو لمس فتاتي بسوء، فلن أرحمه.. لا يهمني منصبه.. ولا يهمني ما سيترتب على ما سيجري له.. لكني لن أرحمه قطعاً.."

قال الرجل "وماذا عن رادال؟.. لقد عاد بالفعل كما وعدتني، لكنه مكبل بالأغلال.."

قال ترياش عابساً بشدة "ومهمتنا أن نكسر تلك الأغلال عن يديه.. أليس هذا واجبنا؟.. لا تقلق.. هذا

أبكر مما توقعته بكثير، لكن لحسن الحظ أن الترتيبات قد تمّت بالفعل، ويمكننا البدء قبل أن نخسر كل شيء بالفعل.."

اعترض الرجل قائلاً "نبدأ بماذا؟.. إن هي لحظات ويكون رادال تحت رحمة سوريم.. وهو لن يرتكب الخطأ ذاته مرتين، وسيبادر للخلاص منه دون محاكمة أو طقوس.. فكيف يمكننا أن نفيده؟"

قال ترياش شاداً جسده "سنبدأ بالخطوات الضرورية الآن.. تأمين رادال يأتي بالدرجة الأولى.. عليك أنت أن تصل إلى قاعة العرش وتحاول تهريبه قبل أن يصاب بضرر.. ولكن علينا ألا ننسى أهمية بيزاراك كذلك.. جنوده هم الأكثر شراسة وقوة، ومواجهاتنا معهم ستكون خاسرة.. فلو تمّ تحييده عندها سيعجز الجنود عن التصرف دون أوامر، وسيبقى لنا الحرس فقط.. المكانة التي أنت فيها تبيح لك إلقاء أوامرك للجنود وسيظنون أنها صادرة من بيزاراك ذاته.."

عاد يدور في الزنزانة محاولاً استجماع أفكاره من جديد بعد الصدمة التي أصابته، وقال "قم بتعزيز الحراسة عند الأبواب الجنوبية للقصر بجنود موالين لنا.. وعندما تصلهم إشارتنا، عليهم فتح الأبواب بعد أن يتخلصوا من الحرس.. أرسل رسلك لجنود باتير المتخفين في شادين، وأبلغهم أن ينشروا خبر عودة رادال ويستعدوا للقيام بما خططته معهم.. الوقت ضيق جداً، وعلينا شدّ الخيوط كلها في مدة لا تتجاوز ساعة واحدة.."

قال الرجل باستنكار "هذا جنون.. وأرى تنفيذ الخطة بهذه الصورة أشد جموحاً من خطتك السابقة التي فشلت فشلاً ذريعاً منذ اللحظة الأولى.."

قال ترياش بكبرياء "فشلت لأنني سمحت لها بذلك.. لكن لا تقلق، لا أنوي الانهزام هذه المرة.."

واقترب من الرجل مربتاً على كتفه مضيفاً "لا تستسلم قبل أن نبدأ بالفعل.. ربما يكون الفارق الحقيقي هذه المرة في مناهضة الشعب لسوريم.. وفي وجودك أنت، فأنت الصوت الرسمي للجنود، وأوامرك ستكون مقبولة دون جدال أو شك.."

غادر السجن بخطوات واثقة، ملقياً نظرة سريعة على بعض الجنود الذين وقفوا في الممر المقابل له بصمت دون أن يبادر أحدهم بالحراك رغم رؤيته له.. فقال ترياش بابتسامة "هيا يا شباب.. أمامنا عمل كثير في الساعات القادمة.."

وارتقى الدرجات بثقة لا تظهر ما أخفاه من نفسه.. وصدره يغلي كالمرجل كلما تذكر الثقة التي أولاها لكاتيرد وهو يرسل فلذة كبده لتكون بحمايته.. كيف له أن يخونه بهذه البساطة؟.. هل يخشى سوريم؟.. أم أنه يضمر أمراً آخر؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

حدّق سوريم طويلاً في وجه كاتيرد الذي وقف أمامه قائلاً بابتسامة "يسعدني لقاؤك أخيراً يا سوريم.. هذا لقاءٌ أسطوري سيسجله التاريخ دون شك.."

قال سوريم دون أن يخفي نبرة التعجب من صوته "بالتأكيد هذه لحظة أسطورية.. فرؤية حاكم مملكة النبع المقدس في قصري، دون إنذار ودون إعداد لهذه الزيارة، هي مما يتعجب له المرء دون شك.."

ابتسم كاتيرد معلقاً "لا ألومك على دهشتك هذه.. لكن هذه فرصة لم أكن لأفلتها مهما كانت النتائج.."

تساءل سوريم باستياء "فرصة؟.. ماذا تعني؟.. وما سبب هذه الزيارة الغريبة التي تخالف أبسط أعراف وقوانين الملوك في العالم السامي؟.."

قال كاتيرد وهو يجلس على كرسي جانبي بأريحية "أنت مندهش لأنني خرجت من مملكتي وهذا أمرٌ غير معهود في عالمنا.. لكن ما جاء بي كان أهم من أن أبقى لأراقبه من مبعدة كما أفعل في المعتاد.."

ورفع يده بإشارة لبعض الكهنة المرافقين له مضيفاً "ولديّ هدية لك.."

تراجع أحد الكهنة الذين رافقوا كاتيرد، فخرج من باب قاعة العرش للحظة ليعود برفقة عدد من الكهنة لا يقل عددهم عن عشر، يحيطون بأربعة أشخاص كان أحدهم كفيلاً بجعل سوريم يقفز من على كرسيه واقفاً بصدمة واستنكار شديدين.. صاح سوريم وهو يحدق برادال الذي يحيط به عدد من الكهنة "رادال؟.. أهو حي بالفعل؟.. كيف حدث ذلك؟.."

ابتسم كاتيرد معلقاً "حي أكثر مني ومنك.. أنت ارتكبت أكبر خطأ عندما احتفظت بترياش وحاولت الخلاص من رادال.. كان عليك أن تبدأ بترياش، فهو الذي يملك الخيوط كلها بين يديه.. وبموته، لن يجد رجاله دافعاً لإنقاذ رادال ومعاداتك.."

ثم تراجع خطوات مضيفاً "أظن أن أمر هذه الفتاة لا يخفى عليك كذلك.. فهي ابنة ترياش التي عهد إليها لي، كي أحميها منك.."

ونظر لسوريم الذي يحدق بالفتاة بغضب مضيفاً "ولا أظنه يجرؤ على القيام بخطوة والفتاة في أيدينا.."

قال سوريم وهو ينهض "ولن أسمح له بذلك.."

والتفت إلى قيرام آمراً بغضب ظاهر "أرسل إلى بيزاراك أو أحد معاونيه.. فليتخلصوا من ترياش في هذه اللحظة دون محاكمة.."

صاحت باناس التي وقفت بين جود وسيرا بارتعاب "لا تفعل هذا يا مولاي.. أرجوك لا تقتل أبي.."

تجاهلها سوريم وهو يتقدم من رادال، فيما انحنت جود عليها قائلة بتوتر "اهدئي يا فتاة لئلا يحاول الملك الخلاص منك بدوره.."

قالت باناس بارتياع "لكنه سيقتل أبي.. كيف لي أن أصمت وأنا أرى ذلك؟"

أجابت جود وهي تمسح القاعة بعينيها "علينا الخروج من هذا المكان.. وبعدها، يمكنك القلق على ما يجري لأبيك.. قبل ذلك، لا نملك ترف التفكير في أي شخص آخر.."

همست سيرا بحنق "لن أغادر دون رادال.."

قالت جود بحزم "ولن أفعل أنا ذلك بالطبع.. لكن علينا التفكير بشكل منطقي.. وجودنا يشكل ضغطاً على رادال.. وحتى لو رغب بالمقاومة، فلن يقدر على الحراك مع ما نواجهه من تهديد.."

ونظرت تجاه سوريم الذي وقف وجهاً لوجه مع رادال، للمرة الثانية، وقال ببغض "ها نحن من جديد.. وها أنت أمامي ذليلاً من جديد يا شقيقي العزيز.."

قال رادال دون أن يبدي ذرة خوف "ها نحن ذا من جديد يا سوريم.."

قطبت جود وهي تنظر حولها بحثاً عن وسيلة للفرار.. وسيلة لمغادرة هذه القاعة برادال والفتاتين دون أن يصاب أحدهم بسوء.. وهذا كان في هذه اللحظات مستحيلاً استحالة تامة.. كما استحال عليهم الهرب من قبضة كاتيرد قبله.. فهل يستسلمون لمصيرهم أخيراً؟..

بعد خروج قيرام من القاعة لتنفيذ الأوامر، وللخلاص من ترياش قبل أن يتمكن من الإفلات أو إنقاذ رادال من مصيره، وجد أمامه جماعة صغيرة من الحرس لا تتعدى الأربعة تقف في وجهه.. وأمامهم،

وقفت الملكة الأم بصمت زامة شفتيها وهي تعبث بمنديل في يدها.. كان وجودها هنا في هذا المكان مخالفة صريحة لأوامر سوريم، وكانت تلك المرة الثانية التي تخالف أمره بتلك البساطة.. تقدم قيرام منها قائلاً بقلق "مولاتي.. أرجو أن تلتزمي بجناحك قبل أن يطالك غضب مولاي الملك.. فلا يبدو أن مزاجه بأحسن أحواله هذا اليوم.."

قالت الملكة الأم باقتضاب "رادال قد عاد؟"

رفع قيرام حاجبيه متسائلاً "هل وصلتك الأخبار؟"

كان هذا تأكيداً لسؤالها، فنظرت لأقرب حارس منها بنظرة خاطفة، ثم عادت لقيرام متسائلة "وأين أنت ذاهب الآن بعيداً عن قاعة العرش؟.. عادة لا تغادر إلا لأمر ضروري.."

صمت قيرام متحيراً فيما يجب قوله.. عندها سألته الملكة الأم باتهام "هل أصدر سوريم حكمه على ترياش؟"

خفض قيرام رأسه مجيباً "لا أملك الاعتراض على أوامر مولاي سوريم.. خاصة أن ترياش قد استحق هذا المصير بمحاولته السابقة لقلب الحكم.. كان عليه تقدير ما هو في صالحه قبل القيام بخيانة خطيرة كهذه.."

قالت الملكة الأم بحزم "أرجو أن تتنحّى أنت من الأحداث يا قيرام.. أنت رجل أمين ومخلص، ولا تستحق أن تعامل بغير الاحترام الذي تستحقه.."

تقدم حارسان منه ليمسكا بيديه، فبهت قيرام وهو يقول "مولاتي.. ما الذي ستفعلينه؟.."

سارع أحدهما ليكمم فمه ويجذبه بعيداً عن أنظار الحرس القريبين من بوابة قاعة العرش، فيما قالت الملكة الأم بهدوء "سامحني.. إن هي إلا ساعات معدودات وينقضي كل أمر.."

تراجع الحارسان بقيرام بعيداً عن الأعين، ونحو جناح الملكة الأم ليتم احتجازه فيها، فيما زفرت الملكة الأم وقالت وهي ترمق بوابة العرش "أرجو أن تكون مصيباً في تخطيطك هذه المرة يا ترياش.. لا أريد أن أمرّ بما مررت به في المرة السابقة.."

استعادت وقفتها الواثقة، وتقدمت من بوابة العرش يتبعها الحارسان الآخران.. كان من المفترض أن يفتح الحرس البوابة فور رؤيتها، لكن تقاعسهم عن ذلك مع معرفتهم بأنها ممنوعة من مغادرة جناحها قد جعلها تقول بصرامة وحدة "ما الذي تفعلونه؟.. افتحوا الأبواب.."

قال أحد الحراس منحنياً لها باحترام "مولاتي.. قد يغضب هذا مولاي سوريم.."

قالت بغضب بدورها "قد يكون سوريم منعني من مغادرة جناحي، لكنه لم يمنعني من إيقاع أي عقاب أراه على من يخالف أوامري في هذا القصر.. فلا تستثر غضبي أكثر من هذا.."

تبادل الحارس نظرات القلق مع رفاقه، ثم تقدم اثنان منهما لفتح البوابة منصاعين لتهديدها.. انتظرت الملكة الأم وتوترها يزداد، حتى لاحظت أن البوابة لم تفتح بعد.. نظرت بحدة وغضب للحارسين ظناً أنهما يعارضا أمرها، فقال أحدهم بقلق "إنها مغلقة من الداخل.."

صمتت الملكة الأم بدهشة.. لم يخبرها ترياش أنه سيقوم بالخطة السابقة ذاتها من جديد هذه المرة.. فمن الذي أمر بإغلاق البوابة؟.. هل فعل سوريم ذلك ليمنع أي تدخل حتى يستفرد برادال ويتخلص منه؟..

التفتت إلى الحارس سائلة بإلحاح "أين الممر المؤدي لمدخل الباب خلف العرش؟.. خذني إليه حالاً.."

بدت الدهشة واضحة على الحارس وقال بحيرة "أي باب؟.. لا توجد للقاعة أبواب إلا هذه البوابة المقفلة.."

قالت بعصبية "أين بيزاراك؟.. أحضروه إليّ حالاً.."

تبادل الحراس النظرات الصامتة، ثم قال الحارس الأول "لا نعلم أين القائد بيزاراك في هذه اللحظة ولا يمكننا مغادرة مواقعنا دون إذن.. أرجوك التزمي بأوامر مولاي يا مولاتي.. وجودك هنا سيثير غضبة الملك دون شك.."

صاحت الملكة الأم بحنق "ماذا لو استهدف أحدهم الملك في هذه الأثناء؟.. هل ستصمتون وتنتظرون من يفتح لكم الباب بعد أن يفرغ منه؟.. افعلوا شيئاً بهذه الأبواب ولا تجمدوا هكذا دون عمل.."

تبادل الحراس النظرات الحيرى بصمت، والملكة الأم تصيح بهم بحنق وتوتر واضحين.. لابد من وسيلة لفتح هذه الأبواب.. لابد أن تجد وسيلة للدخول ومواجهة سوريم بنفسها.. كل لحظة تمضي، قد تقرّب رادال من الموت أكثر فأكثر.. ولو تمكن من النجاة بمعجزة في المرات الماضية، فهذا لا يعني أن تلك المعجزة قد تتكرر معه هذا اليوم..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

غادر ترياش سجنه الواقع أسفل القصر واتخذ الدرجات التي تقوده للطابق الأرضي من قصر الملك.. يتبعه رجاله وقد تزايد عددهم عما قد يتوقعه المرء.. لذا، لم يبادر أي من الحرس الآخرين في ممرات القصر لاعتراض طريقه ظانين أن الحرس يسوقونه ليلقى العقاب الملائم على ما اقترفته يداه، أو أن يكون الملك قد استدعاه ليطلق حكمه الأخير عليه.. وهذا أكسب ترياش ثقة أكبر وهو يسير وحوله رجاله حتى وصل للطابق الأرضي من القصر حيث ساحاته الواسعة وعدد من قاعاته التي يستضيف بها الملك ضيوفه ويقيم فيها حفلاته.. وقبل أن يتمكن من صعود السلم المؤدي للطابق الأعلى، حيث قاعة العرش الرئيسية، وجد أمامه حشداً آخر من الجنود تقف وسطهم الملكة الكبرى والتي نظرت له بصمت ودون أن يبدو أي انفعال على ملامحها لرؤيته في هذا المكان.. انحنى ترياش للملكة قائلاً "نهارك سعيد يا مولاتي.. لم أتوقع رؤيتك في هذا المكان وسط الأحداث الحاسمة التي يمر بها القصر.."

تساءلت الملكة الكبرى باقتضاب "وأنت ستشارك في هذه الأحداث بالطبع؟!.."

قال ترياش بابتسامة "طبعاً.. فأنا جزء لا يتجزأ منها، ولا يمكن أن أغفل عما يدور حولي.."

فعلقت الملكة الكبرى "أنا وأنت نتشابه في كثير من الأمور يا ترياش.. ولكم وددت لو كان حفيدي يمتلك بعد نظر كما تمتلك أنت.. لما وصلنا لما نحن فيه الآن.."

أحنى لها ترياش رأسه قائلاً "لكني رجلٌ عاطفي كذلك يا مولاتي.. ولا أرضى بمن يدوس لي، أو لفتاتي، على طرف.. لذا لا تتعجبي مما أفعله الآن.."

قالت الملكة الكبرى ماطة شفتيها "لست متعجبة له.. لكني أنصحك بالكف عنه.. الرجل الذكي يعرف متى ما كانت قضيته خاسرة.. ولا يكرر محاولته بعد فشله للمرة الأولى.."

قال ترياش بحزم "لكني لن أكف عما أفعله.. فقضيتي خاسرة في كلا الحالتين.. لكني أتعجب من تشبثك بسوريم.. أليس رادال حفيدك كذلك؟.. مكانتك في هذا القصر لن تتغير مهما كانت هوية ملك هذه البلاد.. فما الداعي لهذه المقاومة؟.."

لوحت الملكة الكبرى بيدها مجيبة "لست أعبأ بسوريم، ولا رادال.. لكني أهتم بأن تبقى شادين على ما هي عليه.. وأن لا ينشغل جنودنا بمطاردة الثوار فيها عن مطاردة ثوار قانار.. أم أنك نسيت أننا ما زلنا

نخوض تلك الحرب؟"

وتقدمت خطوة وهي تقول بصرامة "لذا عليك أن تدرك أنني لن أسمح لك بالتجوال بحرية هذه الساعة.. ولن أتردد في الخلاص منك بأي وسيلة لكي أمنعك مما تنوي فعله.."

لم يظهر ترياش اهتماماً بتهديدها وهو يعلق "لكني لا أستسلم بعد أن تبدأ خطتي بالفعل.. وبالمثل لن أسامح من يقف في طريقي.."

قالت الملكة الكبرى بهزء "هل تحاول تهديدي؟"

هز ترياش رأسه مجيباً "محال.. ما كنت لأمسّك بسوء.. مولاي رادال لن يسامحني على ذلك، فأنت جدته مهما كانت صلتك به ضعيفة.."

وتقدم منها خطوات بثقة، لكن الجند المصاحبين للملكة الكبرى رفعوا أسلحتهم وأحدهم يهتف "لا تتحرك من مكانك يا ترياش.."

انطلقت رصاصة مفاجئة أصابت سلاح الجندي وألقته جانباً، ثم تتالت عدة رصاصات سلبت الجند أسلحتهم قبل أن يظهر عدد آخر من الجنود يحيطون بالمتواجدين في الممر وأسلحتهم تحمل تهديداً واضحاً لمن يحاول المقاومة.. وبينهم، تقدم فيرد حاملاً سلاحه بتهديد للملكة الكبرى دون اعتبار لمكانتها في القصر..

قالت الملكة الكبرى باستنكار وغضب "أنت أيضاً؟.. كيف تمكن هذا المأفون من السيطرة عليك وقلب ولائك بهذه السرعة؟.."

ضحك ترياش دون قلق قائلاً "أظننت أنني قبعت في ذلك السجن الحقير مرغماً وأنا أملك وسيلة للفرار؟.. لقد استغللت وجودي في هذا القصر لأقوم بتجنيد عدد أكبر من حراسه.. وقد تمكنت من الحصول على ولاء العديد منهم، بالإضافة لعدد لن تتخيليه من جنودكم.."

واتسعت ابتسامته أكثر مضيفاً "وآخرهم كان معاون بيزاراك الشخصي.."

قالت الملكة الكبرى لفيرد بصرامة "أنصحك بالتراجع عن هذه الخيانة يا فيرد.. هذا الانقلاب مصيره الفشل، وأنت أكثر من يعلم هذا.."

قال فيرد بهدوء دون أن يخفض مسدسه "قبل سبع سنوات قام كهنة الشمس باختيار شقيقتي الصغرى

كقربان.. وقد فقدت أمي عقلها منذ أجبرت على أن تشهد ذلك اليوم حتى الآن.."

قالت الملكة الكبرى بشدة "لا شأن لسوريم بالأمر.. كان ذلك في عهد الملك السابق كما لابد أنك تعلم.."

قطب فيرد قائلاً "ولن يختلف الأمر كثيراً في عهد سوريم.. فهو سائرٌ في الطريق ذاته كالملك السابق.. كنت في السابق مقتنعٌ أن ما جرى كان قدرنا الذي لا نستطيع منه الفكاك.. لكن الآن لا يمكنني أن أتخيل ما سأشعر به لو اختار الكهنة ابنتي كقربان عندما تكمل العاشرة من عمرها.. الآن أدرك أي حسرة شعر بها والداي، وأدرك أن كل تلك التضحيات كانت بلا معنى.. وأننا يمكن أن نتخلص من تلك الطقوس التي عذبت الكثيرين دون هدف.. ورادال قد يكون وسيلتنا لتحقيق ذلك.. فهل ألام على موالاته؟.."

قالت الملكة الكبرى حانقة "هذه خيانة للملك.."

علق فيرد بهدوء "أي ملك؟.. سوريم ورادال متساويان في هذا الأمر.. وكون الملك السابق قد تخلص منه لا يعني أنه فقد أحقيته في هذا العرش.."

عندها ضمّ ترياش قبضتيه خلف ظهره وقال باعتداد "أنصحك أنت التفكير في الحزب الذي عليك الانضمام إليه.. سوريم لن ينفعك بعد هذه الليلة.. ولا جنود بيزاراك كذلك.. خذيها كلمة مني، وانأيٌ بنفسك عن هذا الصراع خيراً لك.."

ثم سار خطوات مبتعداً وهو يضيف "علاقتك الضعيفة برادال لا تعني أنه عاجزٌ عن إيذائك.. ولو أمرني بذلك، فلن أتردد في فعله ولو للحظة.."

ابتعد تاركاً الملكة الكبرى تحدق بظهره مقطبة وعبوس شديد يغيرّ ملامح وجهها ويجعل تجاعيده أبرز وأكثر حدة.. تلفت الجند المصاحبين لها يراقبون تراجع الجنود مع ترياش، ثم قال أحدهم "ما الذي نفعله الآن يا مولاتي؟.."

استدارت الملكة الكبرى مجيبة بحدة "لن نفعل شيئاً.. سأعود لجناحي.. الانفعال مضرٌ بصحتي في هذا العمر.."

وغادرت عائدة لجناحها والجند يتبعونها بعد أن استعادوا أسلحتهم.. كانت الملكة الكبرى لا تصدق أن يتهاوى كل ما بناه سوريم في لحظات معدودة.. لكنها موقنة كذلك أن ثقته وغروره هما ما أسقطاه.. ثقته بمنصبه، وغروره بمكانته التي يرى أنها لن تتغير، جعلاه لا يرى البشر حوله على حقيقتهم.. ساده الظن

أنه يستحق ولاءهم فقط لأنه الملك، ولأنه سليل ملوك المملكة.. ولم يدرِ للحظة أن ذلك يمكن أن ينقضي بأسرع من البرق فور أن يجد أولئك البشر من يقدم لهم بديلاً أفضل وأكثر قرباً لنفوسهم..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما واجه سوريم رادال، ملاحظاً أن الأخير لا يبدو بالانكسار المتوقع منه، ثارت نفسه بغضب وهو يتذكر محاولته السابقة ويتذكر الخونة الذين تجرؤوا على خيانة ملك البلاد.. وأولهم، وأقساهم عليه، كانت أمه الملكة التي أظهرت تفضيلها لرادال بوضوح كما كانت تفعل في صغره.. أشار سوريم لأحد الحرس ليقترب منه، وفور إطاعته لهذا الأمر جذب سوريم المسدس الذي يحتفظ به في جراب معلق قرب جانبه، ورفعه في وجه رادال قائلاً بحقد "لن أكرر خطئي مرتين.. سأقتلك في هذه اللحظة، وليهنأ بالك لأنك ستقتل في هذه القاعة المقدسة، وقلّة من يحظون بهذا الشرف.."

لم يتحرك رادال من موقعه رغم الشهقة التي صدرت من سيرا، بل رمق سوريم بصمت ملاحظاً الرجفة الخفيفة التي اعترت أصابعه الممسكة بالمسدس.. لا يبدو أن سوريم يمتلك عزماً للقيام بهذا الأمر بنفسه رغم الغضب الظاهر عليه ورغم صراخه السابق.. فهل يتحرك الآن وينهي هذه المسألة؟.. ماذا عن الحراس الذين يواجهونهم؟.. والكهنة القريبين كذلك لن يصمتوا على أي تصرف منه.. فهل يخاطر بكل شيء الآن؟.. لو لم يتم اقتياد جود ومن معها للقاعة معه، لما خشي رادال للحظة من التصرف في مثل هذه اللحظة..

سمع كاتيرد يقول بسخرية ملاحظاً تردد سوريم "يبدو أنك أجبن من أن تقوم بهذا التصرف.."

قطب سوريم باستنكار وهو يلتفت لكاتيرد الذي أهانه دون أي اعتبار لمكانته ولوجوده ضيفاً في قصره..

تقدم كاتيرد خطوات منهما ورفع يده قائلاً "هل أكفيك هذا العناء؟"

فوجئ سوريم بالمسدس الذي استخرجه كاتيرد من ملابسه ورفعه في وجهه ووجه رادال.. وقبل أن يستوعب سوريم ما يجري، تدافع الكهنة العشرة المرافقين لكاتيرد في جوانب القاعة وكل منهم يستخرج مسدساً من ملابسه قبل أن يجد حرس القاعة الفرصة للتدخل.. تطايرت الرصاصات في تلك اللحظة،

وتساقط ستة من الحرس العشرة الذين توزعوا في جوانب القاعة.. ظل سوريم يرمق ما يجري بدهشة والكهنة يواجهون الحرس الأربعة الباقين فيما قام بعضهم بإغلاق بوابة القاعة من الداخل لمنع دخول المزيد من الحرس أو الجنود في هذه اللحظات..

تراجعت جود بحذر خطوات، وهي تحاول حماية باناس القريبة بجسدها فيما قالت سيرا بسخط "هذه كانت نواياه الحقيقية.. فكيف وثق به ذلك المدعو ترياش بسهولة؟.."

قالت جود مقطبة "حتى لو أدركنا نواياه في وقت أسبق، فكيف كان بمقدورنا الإفلات من قبضته بعد أن وقعنا فيها بالفعل؟"

نظر سوريم لكاتيرد في تلك اللحظة قائلاً باستنكار "ما الذي تفعله؟"

وجد كاتيرد يضرب يده الممسكة بالسلاح بمسدسه، فأفلت سوريم المسدس لقوة الضربة لينزلق بعيداً عنه، فيما واجهه كاتيرد بالسلاح قائلاً "أكفيك همّ الخونة.. أليس هذا ما ترغب به؟.."

وابتسم ابتسامة جانبية مضيفاً "لكن هذه الخدمة لن تكون مجانية.. فأنا لا أخدم غيري دون مقابل.. وطلبي ليس عسيراً.. سأتخلص من رادال، مقابل شادين كلها.. فما رأيك؟"

صاح سوريم "أأنت مجنون؟.. هل تريد احتلال مملكتي؟.."

قال كاتيرد بثقة "هل تستطيع أن تصفني بذلك في هذه اللحظات؟"

ضحك سوريم فجأة واستدار عائداً لعرشه، غير عابئٍ بالتهديد الذي يلاحقه، وقال هازئاً "أظننت أنك ستتغلب عليّ، وتحتل أرضي بعشرة رجال فقط؟"

وجلس على عرشه مضيفاً بازدراء "حتى لو حاولت قتلي، فسيقتلك رجالي قبل أن تحاول فرض نفسك على شادين.. ما الذي هيأ لك أنك تستطيع تحقيق أي أمر بهذه الحيلة الساذجة؟"

قال كاتيرد ملوحاً بمسدسه دون أن يغفل عن رادال القريب منه "ومن قال إنني اكتفيت بهؤلاء العشرة؟.. ولعلمك، ليسوا مجرد كهنة.. بل من أكفأ رجال جيشي، ومن أخلصهم لي.. وهم جزءٌ من جيش عارم جهزته لمثل هذه اللحظة منذ زمن بعيد.."

صاح سوريم بغضب "ولِمَ قد تفعل ذلك؟.. ألم يكن بيننا اتفاقٌ وتعاون لعدة شهور؟.. أين ضاع كل هذا في غمضة عين؟"

ضحك كاتيرد معلقاً "اتفاقنا لم يكن يختلف عن الاتفاق المبرم بين ممالك العالم السامي، والذي لم يمنعك من خرقه في اللحظة التي راقت لك.. فليكن معلوماً لك أنني لا أقل طموحاً منك، وهدفي هو جمع ممالك العالم السامي تحت معبدي، ولوائي.. ما حققناه في مملكتنا من نبذ الطبقية والتخلص من الطبقة الحاكمة المتسلطة لا يجب أن يكون قاصراً عليها، بل يجب أن يشمل جميع الممالك.. ولا أظن الممالك الأخرى تطيعني راضية دون أن أجبرها على ذلك.."

ودفع مسدسه في ظهر رادال القريب مضيفاً "وعندما علمت بنوايا شابٍ غر مثلك بغزو الممالك الأخرى، رأيتها فرصة تلائمني من جميع النواحي.. ستخلصني من مملكة الغمام، وسأتخلص من نصف جيشك في الآن ذاته وتبقى مملكتك مجردة من الحماية الكاملة.. ولن يبقى أمامي إلا مملكة القمة العالية الأضعف بين الممالك والأقل تسليحاً.. إنها صفقة رابحة كما لك أن تتخيل.."

قال سوريم بحنق "ولِمَ قررت أن تستغني عن هذا التعاون في هذه اللحظات بالذات؟"

أجاب كاتيرد وضحكة تلتمع في عينيه "بوجود رادال، شعبيتك قد وصلت للحضيض بالفعل.. ولو تمكن ترياش من أن يزيحك من العرش ويضع رادال مكانك وهو الذي يحظى بمساندة الشعب أكثر منك، فستغدو الأمور عليّ أكثر عسراً وصعوبة.. لذا رأيت أن أستغل هذه الفرصة ما دامت متاحة لي.."

قال سوريم بغضب "لابد أنك مسرورٌ لظنك أنك قد خدعتني.. ألهذه الدرجة ظننتني مغفلاً؟"

لم تفُت كاتيرد تلك الحركة الخفيفة التي قام بها سوريم، وهو يضغط على جانب عرشه ضغطة خفيفة.. ولم تبدُ أي حيرة على وجهه وهو يضيف "أظنك لم تفرغ من ألاعيبك بعد.. ألا تيأس؟"

قال سوريم بسخرية "سنرى بشأن ذلك.."

أدرك رادال أن سوريم قد استدعى جنوده وقائد الجند عبر الباب المخفي خلف العرش.. ولم يبدُ له أن كاتيرد مدركٌ لما فعله سوريم، أو قلق من توابعه.. لكن ما لم يتوقعه الجميع بعد لحظات قصيرة هو تلك الطلقات التي تعالت من خلف الجدار مع صياح بعض الرجال المتألم قبل أن يهدأ كل شيء فجأة.. استدار سوريم ينظر لما خلف عرشه مقطباً بصدمة، ليرى الباب يفتح أخيراً ويدخل منه بيزاراك كعادته.. لكن لم يلمح المتواجدون في القاعة أي جندي خلفه، ولم يكن لهم ألا يلاحظوا ذلك المسدس الذي يحمله بيده، وخيط الدماء الذي ارتسم على الأرض متتبعاً أطراف الرداء الطويل الذي يلقيه بيزاراك على كتفه..

ظل سوريم ينظر مقطباً بعدم استيعاب لبيزاراك الذي تقدم منه، فيما قال كاتيرد بمرح "وها هي القطعة الأخيرة في لوح اللعب الضخم هذا تقف أمامنا.. ما رأيك بهذا يا سوريم؟.. لم تتوقع هذا قط.. أليس كذلك؟"

لم تخفت صدمة سوريم بالأمر حتى رأى بيزاراك يرفع مسدسه في وجهه وهو يقول "لن أكون أحمقاً وأكرر خطأك السابق ذاته.. لو لم نتخلص منك هنا والآن، فهذا يعني أن فرصتنا الوحيدة قد أفلتت من أصابعنا.."

اتسعت عينا سوريم بذهول لما يسمعه، وعقله لا يقدر على استيعاب أن قائد جنده، وأخلصهم له، خائن وموالٍ لكاتيرد.. تراجع خطوات بصدمة مع مرأى المسدس المصوّب نحوه، فتعثر على الدرج خلفه وتهاوى أرضاً في اللحظة التي أطلق بيزاراك فيها رصاصة تستهدف رأسه.. تدحرج سوريم للحظة قبل أن يهبّ واقفاً ويتراجع، فيما استغل رادال انشغال كاتيرد القريب منه فدفع قدمه بضربة قوية لصدر خصمه ألقته للوراء بضع أمتار..

كانت تلك فرصة للخلاص من كاتيرد بضربة واحدة، لكن رادال تصرف بتلقائية وهو يندفع نحو سوريم القريب فيجذبه من ملابسه ويدفعه خلف عمود اسطواني يحجز بينه وبين بيزاراك فيما طاشت رصاصة بيزاراك الثانية.. دفع سوريم يد رادال صائحاً "ما الذي تفعله؟!.."

قال رادال وهو ينظر من خلف العمود نحو بيزاراك وكاتيرد بحذر "أنقذك أيها الأحمق.."

في الآن ذاته، تحركت جود التي وجدت نفسها مجردة من رقابة الكهنة، فاندفعت نحو كاتيرد الذي نهض بعد سقطته وركلت المسدس من يده بقوة.. انزلق المسدس بعيداً، وسارعت جود لتقبض على عنق كاتيرد وتدفعه أرضاً من جديد.. لكنها وجدت أقرب الكهنة يضربها بقوة على رأسها بعقب سلاحه، ويبعدها عن كاتيرد مشهراً سلاحه في وجهها ووجه الفتاتين بتحذير..

تصرّف رادال بسرعة محاولاً الخلاص من بيزاراك والتدخل لأجل جود، وقبل أن يبرز من خلف ذلك العمود ارتطمت رصاصة به من مسدس بيزاراك بتهديد واضح.. استدار رادال نحو الجهة الأخرى، وبيزاراك يدير مسدسه لتلك الجهة متوقعاً الهجوم من تلك الجهة،

وقفز جانباً متفادياً طلقة كادت تصيب صدره من مسدس بيزاراك، ودار حول عمود رخامي قريب، لكن

ما ظهر أمامه كان كرسياً خشبياً من الكراسي الموزعة في جوانب القاعة لضيوف الملك.. كان الكرسي ثقيلاً، لذا كان اندفاعه نحو بيزاراك سريعاً وكاد يرتطم به لولا أن تراجع الأخير بقفزة سريعة للخلف والكرسي يسقط غير بعيد عنه.. في تلك اللحظة، كان رادال قد قفز بدوره نحو بيزاراك المنشغل بتفادي الكرسي، وارتطم به ليسقط معه أرضاً ويجثم عليه مثبتاً إياه..

جاهد بيزاراك لإسقاط رادال، لكن الأخير تشبث به وأمسك يده محاولاً انتزاع المسدس منها.. مدّ خصمه يده نحو رادال وقبض على عنقه بقوة أصابعه، حتى أجبره على التخلي عن المسدس وهو يناضل للخلاص من تلك القبضة، عندها لم يتردد بيزاراك بتوجيه ضربة عنيفة بمؤخرة مسدسه على جانب رأسه.. كانت الضربة قوية أسقطت رادال جانباً وهو بالكاد يتمالك وعيه وهو يسمع جود تهتف باسمه بجزع، فيما قفز بيزاراك على سوريم القريب وأسقطه أرضاً على وجهه دون أي اعتبار لمكانته.. وسرعان ما وجد سوريم ركبة بيزاراك تضغط على ظهره ويده تقبض على ذراعيه خلفه، فيما المسدس موجهٌ نحو رأسه بتهديد.. ولم يكن يفصله عن الموت إلا أمرٌ بسيط من كاتيرد الذي اعتدل واقفاً ينفض ملابسه ويراقب ما يجري بابتسامة واثقة..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما تنادى الشعب بعودة رادال، وبمواجهته الثانية مع سوريم في القصر الملكي، عاد للعامة حماسهم السابق لرادال بعد أن خفت ذلك مع مضيّ الأيام دون أن تصلهم أخبارٌ جديدة بعودته أو بقائه على قيد الحياة.. بدأ حماسهم يزداد لمناصرته، وبدأت أخبار ما فعله مع القرابين، وكلماته التي تردد صداها في ساحة معبد الشمس، تدور من جديد بين شعب شادين الذي وجدها فرصة للثورة على كهنة الشمس.. وللثورة على الملك الذي يجبرهم على إطاعة قوانين الكهنة الجائرة..

وصلت الأخبار لقصر هرترام بخبر المظاهرات والحشود التي بدأت تتوجه لقصر الملك، ووصلت لأسماع بارا بالطبع.. كانت تلك أخبارٌ لم يصدقها مع إيمانه بأن رادال قد قضى نحبه بالفعل بعد رميه من العالم السامي.. لكن عودته قد أنعشت فيه الأمل بالعثور عليه، والعثور على سيرا بطبيعة الحال لو كانت معه..

كان بارا يذكر وعده لرادال بمناصرته في هذا الطريق، لذا لم يتردد في التوجه لهرترام الذي كان يتبادل مع ريدا أخبار الجموع التي بدأت تحتشد عند بوابات قصر الملك الواقع وسط المدينة بسرعة لا يمكن تصديقها.. أسرع بارا يقول لأبيه فور وصوله "أبي.. أنا ذاهبٌ للقصر مع البقية.. سأحاول الوصول لرادال، وأحاول البحث عن سيرا التي قد تكون معه.."

قال هرترام بقلق "لا داعي لذلك يا بني.. فلنبقَ هنا، وستصلنا أخبار ما يجري في القصر لحظة حدوثها.. لا تقلق، ولا تحاول المخاطرة بنفسك فربما يحاول حرس القصر الرد بقسوة على المتظاهرين.."

قال بارا هازاً رأسه "لا.. يجب أن أذهب.. وعدت رادال أن أكون معه لو حاول العودة للعرش.. ورغم أنني لم أكن ذا نفعٍ له في المرة السابقة، لكن أرجو أن أكون أكثر فائدة له هذه المرة.."

اعترض ريدا قائلاً "وما الذي ستفعله وأنت رجل واحد؟.. هل ستتخلص من الملك بنفسك؟.. أنت لا تقدر حتى على مواجهة الحرس وحيداً.."

قال بارا بإصرار "لا يهمني.. سأذهب وأرى ما يمكنني فعله.. وحتى لو لم أستطِع تحقيق أمر، فلن أشعر بالبؤس لأنني تخليت عن صديقي وقت محنته.."

علق هرترام وهو يمسك كتفه "أهذه الدرجة أنت قريب منه؟"

قال بارا خافضاً بصره "إنني أدين له بالكثير.. ولا مفر من محاولة رد الدين بأي وسيلة كانت.. لن أشعر بالراحة ما لم أحاول على الأقل.."

ثم نظر لأبيه وشقيقه مضيفاً "لن أكون وحدي.. هناك المئات ممن سيحاولون الوصول إليه.. فلا داعي للقلق.."

نظر هرترام لابنه ريدا قائلاً "هذا حقيقي.. هذه هي اللحظة التي انتظرها شعب شادين منذ أيام طوال.. ولابد أن نسعى لتحقيق أمرٍ فيها بأي وسيلة كانت.."

أسرع بارا يقول "لا تحاولا الاقتراب من القصر كثيراً.. فلا نعلم بمَ قد يواجه الجنود تظاهرات مثل هذه.. ولو لجؤوا لردع الحشود بقسوة، فقد يطالكم ما سيطال الآخرين من إصابات.."

قال هرترام بحزم "ونحن لن نجبن خوفاً من ذلك.."

علق بارا "موتكم لن يفيد رادال بأمر.. فاحتفظ بحياتك هذه يا أبي.."

كانت تلك المرة الأولى التي ينادي فيها أباه بهذا اللقب، وشعر للحظة أن قلقه على حياة عائلته حقيقي.. لكن هل سيجد الفرصة حقاً ليعيش مع هذه العائلة ويندمج بها بعد أن تهدأ الأمور في شادين؟..

لم يُطل بارا التفكير بالأمر وهو يغادر المنزل والحدائق المحيطة به بأسرع ما يمكن.. بعد سكون عدة أيام، أدرك بارا أن ما يدور في القصر هذه اللحظات هي اللحظة الحاسمة في حياة رادال، وربما حياته بالمثل.. وهو لن يتقاعس للحظة عن التأثير في هذا الأمر بكل ما يملك..

عندما غادر منزل أبويه، لم يكن عسيراً عليه أن يعرف الاتجاه الذي يقوده لقصر الملك.. فتلك الجماعات التي تقاطرت من عدة جوانب من شادين ووجهت وجهها لجهة واحدة دلّته أن أسهل وسيلة للوصول للقصر هي في الانضمام إليها.. بدا حماس الشعب حقيقياً لرادال، ورغبتهم بإحداث بعض التغيير في البلاد أقوى من أن يتم ردعها.. وزادتهم هذه الحرب التي أكلت أرواح شبابهم وأموالهم وثروات البلاد بغضاً للحاكم الذي بدأها دون أن يكون لها سبب مقنع بذلك..

سار بارا معهم بخطوات متسارعة وهو لا يدري ما الذي يمكن لهؤلاء الحشود تحقيقه.. أو ما الذي يمكنه هو تحقيقه وهو فردٌ واحد.. هل عاد رادال حقاً؟.. وهل يسعى للعرش من جديد بعد ما جرى له سابقاً؟.. أين سيرا من كل هذا؟.. وأين جود؟..

بدت له ملامح القصر الملكي بعد سير قصير، فنحّى بارا تلك التساؤلات وعيناه معلقتان بذلك القصر المهيب..

إن هي إلا لحظات ويحصل على كل الإجابات التي سعى خلفها.. سواء أكانت إجابات تسعده أم يبتئس لها.. المهم أن هذا اليوم هو ما طال انتظاره له منذ زمن، ومنذ وطأت قدماه أرض العالم السامي قبل أيام طويلة يكاد لا يحصيها..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم يكن الوضع قد تحسن ولو قليلاً في قاعة العرش في تلك اللحظات.. سوريم الذي تمالك ذهوله بالكاد لخيانة قائد جنده، ولخيانة حليفه الأكبر في العالم السامي، لا يزال ساقطاً أرضاً بشكل مذل وبيزاراك يضغط

على ظهره بركبته.. فيما وقع رادال جانباً محاولاً تمالك آلامه والدوار الذي عصف بذهنه.. وجود تراجعت من جديد لتنضمّ للفتاتين بتهديد السلاح..

تقدم كاتيرد خطوات نحو سوريم المحاصر، والذي ظلت قبضة بيزاراك تقيده رغم أنه أنهضه واقفاً دون ترفق.. فقال كاتيرد بجمود لا يخلو من نبرة هازئة "أرى الذهول وعدم التصديق في عينيك لكل ما جرى.. أظننت حقاً أن شاباً غراً قليل الخبرة مثلك يمكنه أن يدحر مملكة قوية كمملكة الغمام بتخطيط لا يتجاوز عدة أشهر؟!.. هل تكفي تلك الشهور في القيام بما عجز عنه آباؤك رغم أن طموحهم لم يكن أقل من طموحك؟"

قطب سوريم وقال باعتداد "لكني فعلت ذلك بالفعل.. والأحداث تشهد على قدرتي.."

أطلق كاتيرد ضحكة هازئة علا صداها في القاعة عالية السقف، وقال بسخرية عارمة "لم تكن لتحقق ما حققته دون عوني.. ودون تدخلاتي لإصلاح ما كدت تفسده عشرات المرات.."

قال سوريم بسخط "أنت عاونتني بالفعل، لكن عونك لم يتجاوز تعديل بعض خططي بما يلائم ما سنواجهه كونك تعرف مملكة الغمام أكثر مني.. ووعدك لي بالتدخل فيما لو حاولت هايانا اعتراض ما أفعله، وهو ما لم يحدث حتى الآن.. فلمَ السخرية وأنت لم ترفع إصبعاً في مواجهة ما واجهناه، ولم تسيرّ جندياً للقتال مع جنودنا؟"

قال كاتيرد بهزء "هذا ما وصل إليه علمك.. لكن ما لم تعلمه أن ما بذلته أنا يفوق ذلك عشرات المرات.. الجواسيس الذين ساندوك كانوا موالين لي قبلك، واستغرقت عدة سنوات لتجنيدهم وضمان ولائهم الكامل.. وبإيعاز مني قاموا بالانضمام إليك ومساندتك في كل ما تطلبه، بالإضافة لتنفيذ مخططاتي الخاصة لتسهيل دخول جيوشك أراضي المملكة دون أن تواجه اعتراضاً حقيقياً.. لكن غرورك لم يمكّنك من أن تفطن لحقيقة الأمر، وأن تشك من سرعة انضمامهم إليك بعرضٍ بخس كالذي عرضته عليهم.."

قال رادال بغضب وهو يقف بعسر رغم الأسلحة التي توجهت نحوه على الفور "لمَ فعلت كل ذلك؟.. ما الذي دفعك لمساندة سوريم وأنت تدرك أنه قد ينقلب عليك بعد أن يفرغ من المملكتين الأخريتين؟.."

أجاب كاتيرد "لأني كنت أراقبه عن كثب، ولن يقدر على مغافلتي والهجوم على مملكتي.. كما أنني، بمعاونته، قد ضمنت أنه سيترك مملكتي للنهاية ولن يشغل نفسه بها وبمراقبتها حتى يفرغ من بقية

الممالك.."

ثم أضاف وهو يرفع جهاز اتصال في يده "كما أنني بهذا أحفظ دماء جنودي وأعدّهم للقتال الحقيقي.. القتال الذي سيدور في هذه المملكة بالذات.."

قال سوريم عابساً "ما الذي تنوي فعله؟"

أجاب كاتيرد "سأعطي الإشارة لرجالي بالتدخل.. فهم ينتظرون هذه اللحظة منذ أقلعت طائرتي من سيارم.."

علق سوريم ساخراً "وكم ستنتظر حتى يصلوا إليك؟.. أتظن أنني سأنتظرهم بخنوع ولن أسعى للرد عليهم قبل أن يتجاوزوا حدود مملكتي؟.."

قال كاتيرد بابتسامة "لست بحاجة لتحريك أي جندي من جنودي في الوقت الحالي.. هناك أمور أكثر فائدة ستتحرك من قواعد جيشي.. وستصل لشادين خلال دقائق معدودة.."

فطن سوريم لما يعنيه كاتيرد، فلم يملك ضحكة انطلقت من حلقه قبل أن يقول "هل ستقوم بتفجير القصر وأنت فيه؟.. أما كان يجب أن تبقى في جيرا بعيداً عن الخطر؟"

أجاب كاتيرد "ومن قال إنني أنوي تفجير القصر؟.. أنت، ورادال، هدفي الوحيد في هذا القصر.. ومن الخسارة تفجير هذا البناء المذهل لأجل رجلين فيما يمكنني أن أنتهي من أمركما بنفسي.."

ثم رفع جهاز الاتصال لفمه وقال عبره "حاري.. أتسمعني؟"

جاء صوت رجل عبر الجهاز يقول "حاري معك يا سيدي.."

فقال كاتيرد بحزم "نفذ الأمر حالاً.."

ثم خفض الجهاز وسار خطوات نحو أقرب كرسي، فجلس عليه بهدوء قائلاً "أتعرف أهم بناء في شادين في هذه الأوقات؟"

قطب سوريم دون أن يجيبه محاولاً معرفة ما يقصده كاتيرد، فأجاب الأخير دون انتظار رد أحد على سؤاله "إنه المبنى الرئيسي لقيادة جيش المملكة.. لو تم تفجيره، فستنقطع الاتصالات بين القيادة وبين فرق الجيش الموزعة في شادين وفي المملكة كاملة.. وسيتجمد الجيش بانتظار تعليمات واضحة قبل أن يحاول اتخاذ أي احتياطات ضد هجوم على المملكة.. عندها، يصبح دخول جيوشي حدود المملكة أكثر سلاسة من الماء

الجاري.. أما الجنود في قصرك هذا، فسيتبعون أوامر قائدهم المخلص بيزاراك دون أن يدركوا ما يسعى له حقيقة.. وبعد أن أفرغ من الجيش، تكفيني بضع قنابل لإنهاء أي مقاومة قد تنبعث من شادين.."

وابتسم مضيفاً "هذا درسٌ تعلمته منك عزيزي سوريم.. فما فعلته في قانار لم يكن مختلفاً تمام الاختلاف عما أنوي فعله هنا.."

قال سوريم بغضب مكتوم "أيها الوغد الحقير.. أظننت أننا سنسقط بسهولة؟.."

قال كاتيرد وضحكة تنطلق من حلقه "بل سقطت بالفعل يا سوريم.."

وأضاف باستمتاع "لابد أن تصلك أخبار ما جرى بين لحظة وأخرى.. فانفجار مثل هذا لا يمكن أن يغفل عنه رجالك في القصر.."

تعالى صوت ضجيج مكتوم عبر جهاز الاتصال في تلك اللحظات.. في البدء، ظن كاتيرد أنه صوت إطلاق القذائف الضوئية من موقع الجيش، لكنه بعد لحظة أدرك أن أمراً ما ليس على ما يرام وهو يسمع صياح بعض الرجال وأصوات الضجيج تتكرر بشكل مستمر.. قطب كاتيرد بشدة وهو يرمق الجهاز بصمت، ولما استمر الضجيج لدقائق أخرى، بادر ليقول بصرامة عبر الجهاز "حاري.. أجبني.. حاري.."

تبدّل الضجيج بتشويش مزعج للحظات قبل أن يسود الهدوء الجانب الآخر، فعاد كاتيرد يقول بحدة "حاري.. أأنت هنا؟.. أجبني دون إبطاء.. ما الذي يجري عندك؟"

صدر صوتٌ من جهاز الاتصال يقول بنبرة مرتفعة "مرحباً.."

تجمد كاتيرد لسماع الصوت الأنثوي عبر جهاز الاتصال، وتجمد معه بقية من في القاعة بدهشة لما سمعوه، بينما عاد الصوت يقول "لقد خيّبت ظني بك يا كاتيرد.. هل انحدرت لذات المستوى الذي انحدر له سوريم؟.."

أدركت جود صاحبة ذلك الصوت بسرعة، بينما هدر كاتيرد قائلاً بغضب "من تكونين؟.."

جاءت الإجابة بنبرة مرحة "أنا هايانا.. هل نسيت صوتي بهذه السرعة؟.."

صعق كاتيرد لمعرفة صاحبة الاتصال الدخيل على القناة التي تربط بينه وبين قائد جيشه، فقال بصدمة "كيف أمكنك الحديث عبر هذه القناة؟.. إنها قناة خاصة وغير متاحة للجميع.."

قالت هايانا بضحكة "كانت كذلك بالفعل.. لكنها مخترقة الآن ويمكن لمن شاء الدخول إليها.."

جاء صوت هيرود القريب منها قائلاً "لقد دأبنا على التنصت على اتصالات سوريم بك، بعد أن شككنا بتعاونك معه مع الصمت الذي ساد مملكتك إزاء الهجوم الغادر على مملكة الغمام.. وبشيء من الجهد والصبر الطويل، توصلنا لهذه القناة التي تربطك بقيادة جيشك.. وعبرها عرفنا جميع مخططاتك التي كنت تنوي تنفيذها هذا اليوم.. ولحسن الحظ أننا قد تمكنا من التدخل في الوقت الملائم.."

صرخ كاتيرد غاضباً "ما الذي فعلتموه أيها الأوغاد؟.."

قالت هايانا بمرح "أصررت على محادثتك بنفسي لأحمل لك الأخبار السارة.. لقد دمّرت مقدمة جيشك بالكامل، وأغلب قواعد القنابل المضيئة بعيدة المدى التي نصبتها في قواعد جيشك القريبة من حدود مملكتك ومملكة الضياء قد تم تفجيرها ومساواتها بالصخور.. ألا تدخل مثل تلك الأخبار السرور إلى....."

قاطعها كاتيرد صارخاً بغضب لم يشهده أحد عليه قط "كيف تجرؤين؟!.. هذا اعتداء سافر على مملكتي.. أظننتِ أنني سأصمت على ما تفعله بعدها؟"

قالت هايانا بصرامة "وما تفعله لا يعدّ اعتداءً على مملكة الضياء؟.. في البدء ظننت أنك بتعاونك مع سوريم ووعدك له بالدفاع عنه ضد أي هجوم من مملكتي يعني أنك تمثل عقبة وتحدياً سافراً لي.. لكني بعدها أدركت الخيانة المزدوجة التي قمت بها، وأنك لم تقنع بمعاونة سوريم، بل طمعت فيه كذلك.. لذا كان لا بد لي من التدخل.. فلو سقطت مملكة الضياء، لن يبقى من الممالك واقفة في وجهك إلا مملكتي.. وأنا أدافع عن مملكتي بكل ما أملك.."

ثم اكتست نبرتها بعض القسوة وهي تقول "أنت لست أقل انحطاطاً من سوريم.. كل ما يرغب به أمثالك هو السيطرة على هذا العالم كاملاً، دون أي اعتبار للدماء المسفوكة في سبيل هذا الحلم.. وأنا ما كنت لأصمت على أطماعك كما اضطررت مجبرة على الصمت لما فعله سوريم.. لكن الآن، كل الأمور ستتغير منذ هذه اللحظة.."

لم يدرِ سوريم كيف يتصرف عند هذه اللحظة.. رغم كل الشتائم التي حلّت على رأسه من هايانا، إلا أنها قد أنقذت عرشه بضربة واحدة.. ولم يبقَ أمامه إلا الخلاص من كاتيرد للخلاص من هذا التهديد.. وعليه بعدها الاهتمام بأمر رادال ليفرغ من أي منافسة أو عداءٍ يهدد أمنه وعرشه..

كان الغضب يتنامى في ملامح كاتيرد التي انقلبت لملامح بغيضة قاسية وهو يقول بكره "أتظنين أنك تغلبتِ عليّ بهذا الهجوم؟.. قواتي أكبر مما تتخيّلين.. لن يمكنك ردعها قط لو قررتُ مهاجمة عاصمة مملكتك.. وأنا أفكر بهذا الآن بشدة.."

تعالى صوت هيرود يقول "هذا لو ظلت تلك الجيوش على ولائها لك.. فمما تناهى لعلمي، بعد محادثة قصيرة بين الملكة هايانا ومجلس الكهنة الأسمى في جيرا، أن مجلس الكهنة يراجع قراراته بشأنك ويوشك على إصدار حكم بعزلك من منصبك ومحاكمتك على التصرف دون الرجوع إليهم في أمرٍ يخص المملكة كاملة كهذا الهجوم.."

صرخ كاتيرد "أيها الأوغاد.."

تعالى هتاف هايانا عبر الجهاز "صراخك لن يغيرّ الواقع يا كاتيرد.. كان عليك أن تفعل ما يُرضي شعبك، لا ما يرضيك أنت فقط.. وهذا الحديث ينطبق على سوريم كذلك.."

أرغى كاتيرد وأزبد بغضب شديد وهو يرمي الجهاز أرضاً ويحطمه، فيما ظهر التوتر على ملامح الكهنة المرافقين لهم رغم سيطرتهم التامة على القاعة ومن فيها.. بدا التردد واضحاً على وجوههم، فمحاكمة كاتيرد تعني محاكمتهم بالمثل، والعقوبة قد تكون أسوأ مما يتخيلون.. ومع الدمار الذي أصاب قاعدة الجيش وقياداته، زال الغطاء الذي يحميهم من المساءلة وأصبحوا عرايا في وجه السلطة الأعلى في البلاد..

في تلك اللحظة، بينما دار رادال ببصره في القاعة وقد شدّ عزمه على استغلال الارتباك الحاصل للخلاص من بيزاراك القريب، رغم أنه لم يتخلص من قيوده حتى الآن، فوجئ الجميع بزجاج نوافذ قاعة العرش تتحطم من جميع الاتجاهات، وعبرها قفز عدد من جنود القصر متجاوزين الزجاج المحطم وأحذيتهم الثقيلة تدك الأرض عند هبوطهم عليها.. حاول الجنود المتخفين برداء الكهنة الرد على هذا الهجوم بسرعة قبل أن يتفاقم الوضع، فتطايرت الرصاصات دون تمييز في جوانب القاعة عالية السقف، وسقط بعض الجنود قبل أن يصلوا للأرض أثناء اندفاعهم عبر النوافذ المحطمة.. لكن من وصل منهم للقاعة بالفعل بادر للاختباء خلف الأعمدة القريبة وتبادل إطلاق النيران مع الكهنة محاولين الخلاص منهم بأسرع وسيلة..

قفزت جود جانباً وهي ترمي باناس معها فور أن بدأ إطلاق الرصاص، وسيرا تفعل المثل مختبئة خلف

جدار قريب يخفيها عن مرمى الجنود المتناوشين.. سحبت جود باناس المذعورة بدورها خلف أحد الأعمدة وهي تمسح القاعة ببصرها لرؤية ما حلّ برادال.. كان الأخير قد أفلت من هذا الهجوم بصعوبة وهو يتراجع مختبئاً خلف الجزء المرتفع من الدرجات المؤدية للعرش، فيما ظل سوريم تحت قبضة بيزاراك الذي راقب الهجوم على القاعة بقلق.. ولما بدا له أن كفة جنوده هي الراجحة على الكهنة، مع تزايد أعدادهم باقتحام المزيد منهم للقاعة، سارع ليدفع سوريم أمامه ويصيح "ارموا أسلحتكم قبل أن أطلق رصاصة في رأس ملككم المبجل.."

دمدم سوريم ببغض "أيها الوغد.. أتظن أنك تقدر على الإفلات من عقابي؟"

ظهرت الصدمة في وجوه الجنود لرؤية قائدهم يهدد الملك دون تردد.. فعاد بيزاراك يصيح "ارموا الأسلحة فوراً قبل أن أنفذ تهديدي بالفعل.."

بدأ الكهنة بالتجرؤ على التقدم من الجنود آملين في الحصول على فرصة ملائمة لإصابتهم برصاص مسدساتهم، بينما فوجئ بيزاراك بذلك القيد الحديدي الذي أحاط عنقه وضغط عليه بقوة فيما أصابت قدم مهاجمه يده الممسكة بالمسدس ورمته بعيداً عنه..

هرع سوريم للابتعاد عن بيزاراك، فيما ناضل الأخير للخلاص من ذلك القيد الذي يخنقه ورادال خلفه يقول بسخرية "ها قد انقلبت الأدوار بيننا.."

نظر بيزاراك للكهنة بحثاً عمن ينقذه، لكنهم كانوا منشغلين ببقية الجنود دون أن يعيروه أي اهتمام وكل منهم يندسّ خلف عمود أو جدار يحميه من الرصاص المتطاير.. أما كاتيرد، ففور أن لمح جنوده المتخفّين بزي الكهنة يتساقطون كالذباب رغم مقاومتهم، ومع رؤيته لتدافع بعض جنود القصر لفتح البوابة التي أغلقت سابقاً، أدرك أن بقاءه هنا يعني قتله دون هوادة.. شتم الكهنة وشتم بيزاراك العاجز، وشتم هايانا التي قلبت الكفة بغمضة عين بتدخلها السافر ذاك.. ثم لم يتوانى عن الهرب عبر الطريق الوحيد الذي يقوده بعيداً عن الجنود.. ركض متجاوزاً درجات العرش القريبة، وصياح سوريم الآمر بالقبض عليه يصله بوضوح..

صاح سوريم للحرس الذين تدافعوا في القاعة مع انشغال الجنود الذين سبقوهم بمقاتلة الكهنة "اقبضوا على كاتيرد.. وعلى الخائن بيزاراك كذلك.. أعدموهم لو لزم الأمر ولا تسمحوا لهما بالفرار.."

نظر له أحد الحرس قائلاً بدهشة "القائد بيزاراك؟"

قال سوريم بحنق "لم يعد قائداً.. إنه خائن.. ويستحق الموت دون محاكمة.."

ودمدم وهو يرى الحرس يبادرون لتنفيذ أمره دون جدال "العديد ممن هم في القصر خونة ويستحقون الإعدام.. ولو كان الرأي رأيي، لما أبقيت على أحدٍ منهم.."

كان وضع بيزاراك الآن لا يقل سوءاً عن اللحظة التي أدرك فيها أن كاتيرد حليفه وولي نعمته قد بدأ في السقوط في هاوية لا قرار فيها.. وبدل الاستسلام أمام الجنود الذين كانوا يتبعونه بالأمس، اختار الفرار وهو يمسك بملابس رادال وذراعيه بشدة، ثم حنى ظهره وهو يدفع رادال من فوقه ليسقط على ظهره أمامه.. تخلص بيزاراك من القيد الحديدي، وقفز نحو الدرجات المؤدية للعرش سعياً للهرب عبر الباب المخفيّ خلفه.. أدرك رادال نوايا بيزاراك، فسارع ليركل قدم غريمه قبل أن يفرّ حتى أسقطه أرضاً.. ثم قفز عليه منتوياً أن يجثم على صدره ويمنعه من الحراك.. لكن بيزاراك تلقاه بركله من قدمه في صدره أعادته للأرض، وبادر بيزاراك للقفز واقفاً والركض نحو العرش من جديد دون أن يتوانى عن الهرب عبر الباب الخلفي والرصاصات تتبعه دون أن تفلح في إصابته..

تعالى صياح سوريم حاثّاً جنوده على اللحاق بالخائن، عندها لم يتردد رادال في اللحاق به وهو يدرك أن هذه هي فرصته الوحيدة للإفلات من قبضة جنود سوريم.. تجاوز الدرجات بقفزتين، واقترب من الباب الذي تخفيه بعض الستائر والأعمدة المنقوشة عن الناظر إليه من جوانب القاعة الأخرى.. توقف رادال للحظة وهو يرمق القاعة ملاحظاً أن جود ومن معها قد بادرن بالهرب عبر البوابة المفتوحة.. وبعد أن اطمأن لهربهن، عاد ببصره لذلك الممر المضاء بإضاءة خافتة، والذي ملأته جثث عدد من الجنود الذين تخلص منهم بيزاراك قبل دخوله قاعة العرش.. كان المنظر قبيحاً، وأعاد لذهنه مرأى أجساد الثوار التي ملأت سهلاً بأكمله دون ذنب.. هل له أن يشمت لما جرى لهؤلاء الجنود؟.. أم أن يشفق عليهم لأنهم قتلوا دون ذنب كذلك؟..

تجاوز لحظة التردد التي ملأت نفسه عندما سمع سوريم يصيح "تخلصوا من هذا الرجل أيضاً وابحثوا عن الخسيس ترياش الذي يعاونه.. أريدهما جثتين في اللحظة التي تعثرون عليهما فيها.."

لم ينتظر رادال للحظة وهو يغيب في هذا الممر متجاوزاً الجثث دون أن يعبأ للدماء التي لطخت حذاءه وثيابه.. لو تمكن من العثور على بيزاراك، فلن يتمهل للتفاوض معه ولن يرحمه.. وهو قد تعهّد له بذلك قبل أيام قليلة، ولم ينسَ هذا الوعد على الإطلاق..

قبل ذلك بلحظات، وفور أن رأت جود وسيرا بوابة القاعة القريبة مفتوحة، لم تترددا في استغلال تلك الفرصة.. كان الهرب من القاعة هي الوسيلة الوحيدة أمامهما، فيما كان التدخل في الصراع الدائر والذي غلبته الفوضى هو كحكم بالموت على من تفكر فيه.. وقد زادهما إصراراً رؤية رادال الذي سلك طريق الهرب بدوره من خلف العرش..

لم تتردد جود في استغلال تدافع بعض الجنود عبر البوابة والذين حاصروا الكهنة المتواجدين في القاعة وشكلوا غطاءً لهما عن الرصاصات المتطايرة، عندها دفعت باناس أمامها هاتفة لسيرا "فلنرحل من هنا.."

لم يدُم تردد سيرا إلا وهلة، وبادرت للرحيل خلف جود وهي تنخفض حامية رأسها بذراعيها من أي رصاص متطاير في فضاء القاعة.. كانت المعمعة خارج القاعة لا تقل عما يجري داخلها، لكن لم تملك إحداهن ترف الوقوف والتفكير في الخطوة القادمة.. ركضت باناس متجاوزة البوابة وهي تضع ذراعيها حول رأسها خشية أن تصيبها رصاصة متطايرة، وخلفها جود وسيرا تدفعان من يعترض طريقهما من

الحرس محاولتان الابتعاد عن موقع المعركة المحدودة وقبل أن يقبض عليهم الحرس مجدداً بأمر من سوريم..

وجدت جود بعد عدة خطوات من بوابة القاعة، ثلاثاً من الجنود يقفون في طريقهم وأحدهم يرفع سلاحه صائحاً "قفوا مكانكم.. أنتم أتيتم مع كاتيرد؟.."

صاحت باناس "لقد قبض علينا كاتيرد.. لكننا لسنا....."

هجمت جود على أقرب جندي دون أن تنتظر رأيه في أمرهم، فمحاولة الشرح تكون عبثية في مثل هذه اللحظات المليئة بالتوتر والشك.. فأمسكت سلاحه ورفعته بعيداً وهي توجه لكمة لفكه بقوة.. كانت الضربة قوية، لكنها لم تكن كافية لإجباره على إطلاق سلاحه.. تراجعت باناس مذعورة وهي ترى جندياً آخر يرفع سلاحه ليوجهه بضربة لظهر جود، لكن سيرا قفزت عليه وضربته بمرفقها بأقوى ما تملك في جانبه.. تدخل الجندي الثالث، وازداد العراك صعوبة على الفتاتين المجردتين من أي سلاح، حتى تعالى ذلك الصياح الآمر من خلفهم "أطلقوا الفتاة ولا تضعوا أيديكم عليها.."

استدار الجنود على الفور بانصياع تام، فظهرت من خلفهم الملكة الأم التي كانت تراقب اقتحام القاعة من مبعدة.. فاقتربت من باناس مربتة على كتفها قائلة "أأنت بخير يا عزيزتي؟.. ما الذي جاء بك لشادين؟.."

سقطت باناس أرضاً بعد أن كاد ذعرها يقتلها، وصاحت بضراعة "مولاتي.. لقد أمر مولاي الملك بقتل أبي المحتجز في القصر.. أرجوك.. أنقذيه قبل أن يقتلوه.."

قالت الملكة الأم مطمئنة إياها "لا تقلقي.. ذاك الأمر لم يصل لترياش قط.. وهو ليس في سجنه مطلقاً.."

وأشارت لأحد الجنود قائلة "خذها لترياش حالاً وأبلغه بكل ما جرى هنا.. قد نحتاج لتعزيز الجنود حتى نتمكن من إنقاذ رادال وإخراجه من القاعة.."

سارع الجندي لتنفيذ قولها، وباناس تتبعه بلهفة.. فأمسكت جود كتف سيرا قائلة بصوت خفيض "اذهبي معها واحتمي بذلك المدعو ترياش.."

قالت سيرا بعناد "سأبقى فقد يحتاجني رادال.."

قطبت جود قائلة "أنت لا تملكين سلاحاً، وأي سلاحٍ قد تتمكني من الاستيلاء عليه لن تقدري على استخدامه.. غادري فنحن لا نأمن عليك، ولا على باناس، من أي شخص هنا.. فلا يمكننا تمييز الصديق

من العدو.. تأكدي أن الفتاة ستصل لأبيها بأمان وأن ذلك الجندي لن يغدر بها.."

فقالت سيرا وهي تستدير "أتملكين الجرأة على إلقاء أوامرك عليّ؟.."

لكنها غادرت خلف باناس رغم ذلك.. فيما استدارت الملكة الأم إليها متسائلة "ومن تكونين أنتِ؟.."

أجابت جود "تلك حكاية طويلة.. لكن يمكنك الوثوق أنني في صف رادال.."

فقالت الملكة الأم بثقة "الملك رادال.. فمنذ اليوم، لن يحكم هذه المملكة إلا هو.."

لم تعلق جود مع مرأى الجنود والحرس الذين تزايدت أعدادهم في القاعة وخارجها.. من منهم الصديق؟.. ومن منهم العدو؟.. لا تظن أن أحداً يمكنه أن يحيط بالأمر بشكل مطلق في هذه اللحظات.. ورغم أنهم الطرف الأقل أهمية في هذا الصراع، لكن على أكتاف هؤلاء سيتم تحديد ملك البلاد في الساعات القادمة.. فمن سيحوز على ولائهم، وولاء الشعب، سترجح كفّته بشكل كبير في وقت قياسي.. فمن هو الملك القادم لهذه المملكة التي تزهو بضيائها وأمنها بين الممالك؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل التاسع عشر)
مملكة الضياء: الكفة الراجحة

لا يدري حرس بوابات القصر الملكي الذي يحتل وسط عاصمة البلاد متى بدأ الأمر يخرج عن السيطرة.. كانت المظاهرات قد بدأت تحتشد عند أبواب القصر الموزعة حول حدائقه، وبدأ الشعب بالتكاثف والتزاحم مطالبين بإخراج رادال وحمايته من أن يطاله الملك بالأذى.. بدأ بعضهم بالتجرؤ على الملك ومناداته باسمه مجرداً، مطالبينه بالتنازل عن العرش والتسليم لرادال بالملكية، بالإضافة لصبّ الشتائم على كهنة معبد الشمس وعلى من يواليهم من الطبقة الحاكمة.. لكن الحرس كانوا واقفين على أهبة الاستعداد للتدخل في حال زاد الأمر عن حده، دون أن يتجرأ أحدهم على الاعتراض أو منع الجمهور من الاحتشاد قرب أسوار القصر..

كانت الأمور تحت السيطرة بالفعل، حتى جاء ذلك الحارس من جنوب الحدائق إلى قائد حرس البوابات هاتفاً "سيدي.. هناك خلل قرب بوابات القصر الجنوبية اكتشفته بالصدفة عند مروري للاطمئنان على حال الحرس قربها.."

تساءل القائد بضيق "أي خلل في مثل هذه الأوقات؟"

قال الحارس بارتياع "الحرس اختفوا من قرب تلك البوابات.. وهي مفتوحة على مصراعيها.."

اتسعت عينا القائد والحرس القريبين منه بصدمة والأول يصيح "كيف حدث ذلك؟.. من المسؤول عن هذا الخطأ؟"

قال الحارس بشحوب "لا علم لديّ.. الأدهى من ذلك أنني رأيت بعض المتظاهرين يحمل أسلحته ويتجاوز البوابات دون رادع.."

لم يكن البحث عن المسؤول بالأهمية في هذه اللحظات، فالأصوات التي تعالت من ذلك الجانب قد بدأت تطغى على أي تفكير آخر.. صاح القائد برجاله للتوجه نحو تلك الجهة ومحاولة السيطرة على الأمور قبل أن تسوء.. وقال للحارس الذي نقل له الخبر بعصبية "اذهب وأبلغ الملك أو الوزير قيرام بالأمر.. قد لا يكفي الحل السلمي للسيطرة على الوضع في هذه اللحظة.."

بادر الحارس لتنفيذ الأمر بينما توجه ما لا يقل عن فرقتين من الحرس نحو البوابات الجنوبية.. كانت تلك البوابات تقود للملاحق المضافة للقصر، والتي تضمّ الحظائر والاسطبلات ومستودعات العربات الملكية، بالإضافة للمطابخ وسكن العمال والخدم والحرس وغيرها.. وعبر البوابات المفتوحة، تدافع جمعٌ غفير من سكان شادين نحو جوانب القصر وأصواتهم تطغى على أي محاولة للتفاهم أو ردعهم من قبل الحرس.. فيما غاب جنود القصر غياباً تاماً من جميع تلك المناطق وهو أمرٌ غير معهود في مثل هذه اللحظات..

رغم أن تلك البوابات تقود لقلب حدائق القصر وملحقاته، لكن لم يكن من الصعوبة السيطرة عليها لكون هذا الجزء من الحدائق معزول عن الجزء الرئيسي من القصر ببوابة معدنية يتم إقفالها كل ليلة.. فسارع الحرس للتمركز قرب تلك البوابة الداخلية ومحاولة إغلاقها في وجه الحشود المندفعة دون هوادة.. أظهر بعض العامة أسلحتهم التي يحملونها بوضوح دون خشية من أي اتهام قد يطالهم، وسرعان ما بدأت المناوشات بين الطرفين وكل جانب يكتفي بإرهاب الجانب الآخر ودفعه للتراجع دون إصابات حقيقية..

في تلك الأثناء، وبينما كان سوريم يلقي أوامره لرجاله للقبض على كاتيرد وبقية الخونة الذين عاثوا فساداً في قصره، وفيما انشغل الحرس القريبون بسحب جثث الكهنة وإخراجها خارج القاعة، جاءه الحارس المرسل من بوابات القصر متعجلاً وقال بقلق "مولاي.. لقد فُتحت أبواب القصر الجنوبية.."

قال سوريم بغضب "ومن الذي فتحها؟"

أجاب الحارس "بعض الخونة ولا شك.. والأدهى من ذلك أن جماعة كبيرة من العامة قد تمكنوا من الدخول للحدائق المحيطة بالقصر وهم يقتربون من أبوابه.."

صاح سوريم "امنعوهم من دخول القصر بأي وسيلة كانت.. هؤلاء الغوغاء سيثيرون المشاكل وهم لا يدركون خطورة ما يفعلونه.. أرهبوهم بأسلحتكم ولا مانع من إصابة بعضهم لردعهم.."

قبض الحارس على سلاحه بقوة وقال بتوتر أكبر "لكنهم مسلحون يا مولاي.."

ارتفع حاجبا سوريم باستنكار، والحارس يضيف "العديد منهم يحمل أسلحة لا تقلّ عن أسلحة الحرس قوة.. لذا مواجهتهم ستكون أصعب مما نتخيل.."

صاح سوريم "ماذا عن الجنود؟.. لو كنتم غير قادرين على الخلاص منهم، فالجنود يقدرون على ذلك بغمضة عين.."

ارتبك الحارس للحظة جعلت سوريم أكثر غضباً من السابق، ثم قال بعد أن تمالك ارتباكه "لقد انسحب الجنود من حول القصر بأوامر من القائد بيزاراك.. غادروا الأبواب تاركينها تحت حماية حرس القصر فقط.."

هدر سوريم بغضب "إذن عليكم التصرف بالأمر دون انتظار دعمهم.. اردعوهم بأي صورة.. لا يمكن أن يكونوا مجرد رجال عاديين من شادين.. لابد أنهم من موالي ترياش وقد تخفّوا بهيئة العامة.. لا يمكن أن تتوقع قدوم الشعب للمظاهرة أمام القصر حاملين أسلحتهم.."

هز الحارس رأسه واستدار مغادراً بسرعة وسوريم يصيح "تخلصوا منهم قبل أن يثيروا بلبلة في القصر.. اقتلوهم لو لزم الأمر.."

في مكان آخر من القصر، قال فيرد المصاحب لترياش مقطباً "لقد تمكن رجالك القادمين من باتير من دخول أبواب القصر الجنوبية، وتجري بضع مناوشات بينهم وبين الحرس قرب البوابات الأخرى.. لكن أأنت واثقٌ من رغبتك السماح للحشود التي تحيط بالقصر من دخوله؟.. ستحدث فوضى لا يمكن السيطرة عليها، لن يدرك الشعب من هو حليفه ومن هو عدوه في ثنايا هذا القصر.. خاصة مع انسحاب الجنود من الحدائق والساحات المحيطة به، بأمرٍ من بيزاراك والذي سبق أمري لهم بذلك.."

قال ترياش "لابد من ذلك.. بهذه الفوضى، سينشغل الحرس عنا، وستتاح لنا مساحة أكبر للحركة في هذا المكان.. كما أن تلك الفوضى ستكون لصالحنا في النهاية.. فالحرس لن يتمكنوا من الرد على المتظاهرين بدون أوامر واضحة من سوريم.. ولو جاءتهم تلك الأوامر بالفعل، فلا أشك أن كثيراً منهم سينحازون إلينا دون تفكير كثير ويتخلوا عن سوريم.."

ونظر لفيرد مضيفاً بحزم "لا تنسَ أن الحرس هم من سكان شادين.. هؤلاء المتظاهرين ما هم إلا جزء من المدينة أيضاً، ولابد أن لكل حارس جاراً أو صاحباً أو ذا قرابة بينهم.. ولن يقبلوا أن يطلب منهم سوريم الرد بقسوة على المتظاهرين.."

قال فيرد وتقطيبة جبينه تزداد "سيكلفنا تخمينك هذا غالياً في أغلب الأحوال.. فلو استسلم الحرس للأوامر، فستكون النتائج مريعة للجانبين.."

لم يتوقف ترياش عن سيره للحظة قائلاً بثقة "لا تقلق.. ستتوقف هذه المظاهرات فور ظهور رادال أمامها

بشكل رسمي.. ومهمتنا أن نقدمه لهم، بالشكل اللائق وبما يستثير حماسهم وولاءهم له أكثر.."

ثم نظر لفيرد مضيفاً "قم بدورك فيما يخص الجنود.. وتأكد أنهم سيلتزمون الحياد ويخلوا ممرات وجوانب القصر كافة.. لو تمكن بيزاراك من التدخل بكافة قواته، فسنخسر بالتأكيد.."

خفض فيرد رأسه مستسلماً وغادر على الفور لتنفيذ الجزء الخاص به.. تاركاً ترياش يسير بخطوات متسارعة نحو العرش بعد أن فرغ من ترتيباته التي تسبق تلك اللحظة.. لولا وجود باناس في هذا القصر، لما اضطر لخوض مواجهة صريحة مع سوريم عدوه الأوحد.. لكن بوجود ابنته في قبضة ذلك الوغد، فإن ترياش لن يصمت ويتركها تحت رحمته مهما كانت التضحيات..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

بدأ الحرس يدركون عبثية صراعهم مع تلك الحشود الغفيرة بغياب الجنود وهم القوة الحقيقية القادرة على الدفاع عن القصر.. بدأ العامة يدركون تردد الحرس في إصابتهم برصاصهم، عندها بدأ الكثير منهم يتجرأ على التقدم دون هوادة من البوابة الداخلية، فيما تحايل البعض الآخر في ارتقاء السور الداخلي المعدني والقفز من فوقه حيث يكون تواجد الحرس أخف من مواقع أخرى منه.. وبالمثل، لم يتردد بارا في القيام بتصرف مماثل.. فهو لا غرض له من الثورة ومقاومة الحرس.. هدفه الرئيسي في الوصول للقصر، والعثور على رادال وسيرا.. ومما يبدو أن الحرس رغم مقاومتهم الشديدة لا يحملون أوامر بردع المتظاهرين بقسوة وشدة..

قفز بارا من فوق السور تابعاً بعض الرجال، وفور هبوطه على الأرض العشبية خلفه سارع للتفرق عن البقية محاولاً الاندساس في أقرب موقع ممكن من القصر تفادياً لأي مواجهة مع الحرس.. رأى العديد منهم يتقدمون من الرجال الذين سبقوه ويحاولون ردعهم أو إفقادهم وعيهم، لكن بارا تسلل من بين أيديهم دون أن يلمحوه واستغل أجمة مزهرة قريبة فاخترقها بقوة متجاهلاً آلامه من هذا التصرف حتى خرج من الجهة الأخرى..

فوجئ فور خروجه بأحد الحرس القريبين يلمحه فيهرع نحوه صائحاً "قف مكانك.."

هبّ بارا نحوه بدوره في هجوم أدهش الحارس للحظة، فارتطم به بقوة وعنف وأسقطه أرضاً.. عندها لم يتردد بارا في انتزاع المسدس الذي وجده في جراب الحارس، وتفادىٰ ضربة كاد غريمه يضربه بها في وجهه، ثم وجّه ضربة قوية بعقب المسدس علىٰ فك الحارس وتلاها بأخرىٰ علىٰ رأسه حتىٰ أفقده الوعي.. احتفظ بارا بالمسدس كونه السلاح الوحيد الذي يملكه حالياً، رغم خبرته الضعيفة به لكن يمكن استخدامه كأداة قوية لإفقاد خصومه وعيهم، ويصلح بالتأكيد للتهديد.

نهض بارا علىٰ الفور، وانخفض خلف الأجمة المزهرة متفادياً أن يراه حارسٌ آخر، فسار متتبعاً ذلك الطريق المغطىٰ بالشجيرات منحني الظهر حتىٰ بدأ أصوات المتظاهرين تخفت شيئاً ما وانحدر الطريق به جانباً بانخفاض طفيف حتىٰ وجد نفسه أمام باب خشبي عادي المظهر.. أدرك بارا أنه يقود للجانب الخلفي من القصر ومدخل يستخدمه الخدم عادة، فلم يتردد في الدخول عبره متجاوزاً الممر القصير الذي يقود لقلب القصر.. ورغم بعض الخدم الذين مرق قربهم في اندفاعه، إلا أن أحدهم لم يبادر لمنعه أو سؤاله عن هويته الحقيقية مع الصراخ والصياح الصادر من خارج القصر والذي يصلهم واضحاً عبر النوافذ القريبة مستأثراً باهتمامهم وقلقهم الكامل..

كانت الممرات متشعبة، والأبواب كثيرة، ولم يدرِ بارا أيها يقوده لمراده.. لكنه لم يتردد لحظة في تجاوز ذلك الطريق والوصول لنهايته، مهما كان سوء المصير الذي قد يلاقيه في جنبات هذا القصر المهيب..

وخارج القصر، بعد اتصال قصير تلقاه قائد حرس البوابات، بادر للصياح برجاله آمراً "اردعوهم يا رجال.. أطلقوا عليهم النيران واقتلوا عدداً منهم لو لزم الأمر كي يرتدع البقية.. امنعوهم من إثارة الفوضى في جنبات القصر في هذا الوقت الحساس.."

كان أمره صادماً للكثيرين، ورغم أن كثيراً من الحرس قد بادروا لرفع أسلحتهم بإطاعة تامة، إلا أن بعضهم أظهر تردده الواضح وهم يتبادلون النظرات.. فصاح بهم القائد "ماذا تفعلون أيها الجبناء؟.. أطيعوا الأوامر.."

قال أحد الحرس بتوتر "أأنت جادٌ حقاً؟.. هل تطلب منا إصابة، وربما قتل، العامة الذين لا يملك أغلبهم سلاحاً يقاتلوننا به؟"

قال القائد بصرامة "إنه أمر الملك.. فهل ستعصي أمر الملك دون سبب؟"

قال الحارس باعتراض "هؤلاء هم سكان شادين.. إنهم إخواننا.. أصدقاؤنا.. جيراننا.. هل نطيع الأوامر بشكل أعمى دون تمييز؟.. كيف لنا أن نعود لمنازلنا آمنين مع انتهاء هذا النهار ونحن قد قتلنا أقرب الناس إلينا؟"

صرخ القائد بحنق "ومن قال إن أحدكم سيعود لمنزله لو عصى أوامري؟.. ثم إن هؤلاء العامة يحاولون الهجوم على قصر الملك، وزعزعة أمن المدينة.. ألا ترى أن هذا جرمٌ كافٍ لإيقاع الجزاء الملائم عليهم؟.. يجب علينا ردعهم بكل وسيلة ممكنة.."

قال الحارس وهو يرمي سلاحه أرضاً "وأنا لن أشارك في هذه المذبحة.."

رفع القائد مسدسه في وجهه وهو يقول بصرامة "ستفعل ذلك وإلا لن ترَ شوارع شادين مرة أخرى أيها الخائن.."

فوجئ في تلك اللحظة بعددٍ أكبر من الحرس يتخلصون من أسلحتهم ويرمونها عند قدميه، وأحدهم يقول "لو تخلصت منا جميعاً فلن تجد من يطيع أمرك هذا يا سيدي.."

دمدم القائد بغيظ "أيها الجبناء.."

فوجئ بضربة قوية تصيب رأسه من الخلف أسقطته أرضاً فاقد الوعي.. نظر الحرس لرفيقهم الذي بادر لإفقاد القائد وعيه، وقال لهم وهو يرمي سلاحه بدوره "لن نشارك في إطاعة مثل هذا الأمر.. لكن هذا لا يعني أن ما ينوي العامة فعله هو عين الصواب.. ستحدث المواجهة مع بقية الحرس دون شك، ولا بد أن يسقط بعض الجرحى والقتلى من الفريقين.."

قال الحارس الأول وهو يرى الحشود التي بدأت باقتحام البوابة الداخلية "وهل نملك منعهم؟"

بادر الحرس لإبعاد الأسلحة عن متناول يد العامة، لئلا تزداد ثورتهم وتتخذ مسلكاً أكثر دموية، ثم وقفوا جانباً بحياد واضح رافعين أيديهم باستسلام تام.. هل من الخيانة رفض أوامر الملك التي لا تقيم وزناً لحياة أفراد شعبه ولا لمطالبهم؟..

تبادل الحرس النظرات الصامتة للحظات، حتى تجرأ أحدهم ليقول بصوت خفيض "ربما لم يكن ذلك المدعو رادال مخطئاً في المطالبة بالعرش.."

تلاقت الأنظار عنده باستنكار تام، فقال باستياء "هيا.. أنتم لا تخالفوني هذا الرأي دون شك.. فلمَ الخوف

من إعلان هذا الرأي بصراحة؟"

نكس البقية أبصارهم بصمت دون أن يملك أحدهم الاعتراض.. بدأ الحرس، كما بدأ العامة قبلهم، في الانشقاق بين خيارين.. اختيار الملك الحالي مع كل مساوئه.. أو اختيار الملك الذي يدّعي الجميع أنه الملك الحقيقي، مع وعوده التي لا يدري أحدهم إن كانت ستتحقق أم لا..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لا يدري بارا أي طريق يقوده لقاعة العرش، أو لرادال، وهو يتسلل بين الممرات متفادياً الحرس والجنود وكل من قد يعترض طريقه.. لم تكن الفوضى عارمة وسط القصر كما هي خارجه، لكن لم يكن الوضع بالسكون الذي قد يتوقعه المرء.. التوتر البالغ بين الرجال واضحٌ وضوح الشمس، وقد تناهى لسمع بارا صياح بعضهم في جوانب أبعد من موقعه..

سلك بارا طريقه عبر الطابق الأرضي حتى وصل للطابق الأعلى من القصر.. كان يحاول تفادي الوقوع في قبضة الحرس، إما بالتنحّي من الطريق الذي يقوده إليهم، أو بتسلق الأعمدة أو التشكيلات المزخرفة في الجدران بخفته البالغة قبل أن تلمحه الأعين.. وبينما ارتقى بارا أحد تلك الأعمدة في جانب من جوانب القصر، هرباً من جماعة من الحرس والجنود بلباسهم المميز والذين سدّوا الممر أمامه، لاحظ رجلاً محاطاً بتلك الجماعة وهو يلقي بأوامره إليهم ويوزعهم في القصر وهم يطيعونه إطاعة تامة.. كانت تلك فرصة بارا للحصول على بعض الإجابات، فهذا الرجل يبدو من الأشخاص المهمين في القصر أو أحد تابعي الملك.. كما أن أغلب الرجال قد انفضوا من حوله لتنفيذ الأوامر التي أملاها لهم ولم يبقَ منهم إلا ثلاثة خلفه.. انتظر بارا بصمت في موقعه وهو يلاحظ أن ذلك الرجل قد تقدم في الممر وطريقه يقوده ليمر تحت بارا بالضبط.. انتظر بارا فرصته الوحيدة لتنفيذ الخطة البسيطة التي طرأت لذهنه، ولما لمح ذلك الرجل يمرّ تحته بخطوات واثقة، بادر بارا للقفز من مكانه ممسكاً مسدسه في يده، فسقط خلفه بالضبط وبادر لاستغلال المفاجأة التي أصابت الجنود وأصابت الرجل ذاته ليمسكه من عنقه موجهاً المسدس لرأسه قائلاً بصرامة "لا يتحرك أحدكم كيلا يرى هذا الرجل قتيلاً في اللحظة ذاتها.."

قال الرجل رافعاً حاجبيه بعجب دون أي قلق في ملامحه "ومن تكون أنت؟.. من الذي أرسلك للقبض عليّ؟.. سوريم، أم كاتيرد؟"

قطب بارا مجيباً "لم يرسلني أحد.."

غمغم الرجل "يبدو كذلك، فأنت أصغر من أن يتم إيعاز مهمة الخلاص مني لك.."

قال بارا وهو يضغط على عنقه "أنا لا أعلم من أنت.. لكني أريد إجابة سؤالي دون مناورة.. أين رادال؟.. ما الذي فعلتم به؟"

ابتسم الرجل على الفور وقال "أأنت تبحث عن رادال أيضاً؟.. حظك حسن.. فنحن نبحث عنه بالقدر ذاته.. ولا أظنك مرسلٌ للخلاص منه كما بدا لي من سؤالك عنه.."

ومد يده مزيحاً ذراع بارا من حول عنقه دون أن يعبأ بالسلاح الموجه لرأسه.. لم يتردد بارا في توجيه مسدسه للرجل دون أن يتخلى عن حذره وقال بصرامة "أخبرني بموقع رادال وسأتركك دون أن أؤذيك.. أين تحتجزونه؟.. وأين هي قاعة العرش؟"

اتسعت ابتسامة الرجل قائلاً "يبدو لي أنك لم تأخذ هجومك هذا على محمل الجد.."

فوجئ بارا بالجنود الثلاثة يهجمون عليه في وقت واحد، فضرب أحدهم رأسه فيما انتزع آخر المسدس من يده بضربة أخرى.. لكن قبل أن يضربه الجندي الثالث، استوقفه الرجل القريب قائلاً "لا داعي لإيذائه بعد أن جردتموه من سلاحه.."

وتجاوز الجنود مادا يده لبارا قائلاً "إن لم تكن تعلم من أنا، فأنت غريب عن هذا القصر والصراع الدائر فيه.. أنا ترياش.. لكن إن كان لي أن أسأل، ما الذي حداك بخوض هذا الصراع وأنت وحيد؟"

نظر بارا ليد ترياش بشك، فقال ترياش هازاً يده "هيا يا فتى.. أنا حليف رادال، والمسؤول عن هذا الانقلاب الذي يرمي لخلع سوريم ووضع رادال في موقعه.. فكيف لك أن تشك بي؟!.."

نظر له بارا بدهشة، فقال ترياش وهو يضع يده على كتف بارا ويقوده معه "لا بأس.. ربما تجد نفسك أكثر قبولاً لإجابة هذه الأسئلة عندما نعثر على رادال بالفعل وعندما يؤكد كل ما قلته.. هيا بنا، فالوقت يداهمنا.."

لم يتمالك بارا دهشته وهو يسير قرب ترياش دون أن يملك تكذيب ما سمعه.. هذا الرجل لا يعرفه، ولا

يملك سبباً للكذب عليه مع الجنود القريبين منه وهو الطرف الأضعف بينهما.. فكيف استطاع رادال أن يكسب رجلاً مثله في الوقت الوجيز الذي مضى منذ افتراقهما؟.. ما فتأ رادال يدهشه منذ وطأت قدماه أرض شادين..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

توقف بيزاراك فجأة عن الركض بعد أن تجاوز عدة ممرات بعد هربه من قاعة العرش تابعاً كاتيرد، عندما لمح معاونه فيرد واقفاً أمامه مع بعض الجنود وهو يتحدث في جهاز اتصال يمسكه بيده.. اقترب منه بيزاراك وقد اكتسبت خطواته ثقة أكبر قائلاً "فيرد.. اذهب أنت وجنديان من جنودك من حيث أتيت، وستعثرون على ذلك الخائن رادال.. اقتلوه على الفور دون أن تمنحوه الفرصة للإفلات هذه المرة.."

لم تكن نظرات فيرد ولا الجنود القريبين منه مما يبعث على الراحة في نفس بيزاراك، فهو الذي قضى عمره يشك بكل من حوله، وزاده ولاءه لكاتيرد وخيانته للملك شكاً بمن حوله.. وقد جعلته نظراتهم يدرك على الفور أن فيرد لن يطيعه بتلك السهولة والرضى.. وأن الجنود قربه لن يكونوا في عونه على الإطلاق.. لذا، فور أن رأى ملامحهم، أدرك ما سيجري والأسلحة ترتفع في وجهه دون أي اعتبار..

غلب ظن بيزاراك أن فيرد لا يدري بخيانته للملك، لذا كان التفسير الوحيد لهذا الأمر هو خيانة فيرد ذاته.. لذا وقف أمامهم قائلاً بصرامة وشدة "ما الذي تفعلونه أيها الجبناء؟.. هل تخليتم عن الملك سوريم؟.. كيف استطاع ترياش الوضيع أن يكسبكم لصفّه؟"

أجاب فيرد دون أن يختلج لهذا الاتهام "لم يحاول ترياش كسبنا لصفه بأي خدعة.. بل أوضح لنا حقيقة ما يجري، وخطأ معارضتنا لتولي رادال الحكم.."

صاح بيزاراك بحنق "ماذا تقول؟"

أجاب فيرد بحزم دون أن يتراجع "قد يكون سوريم ملكاً بأمر من الملك السابق.. لكن رادال لا يأخذ الملك كأمرٍ مسلّم به.. هو يسعى لنيل رضى الشعب.. ويسعى لما هو في صالحهم.. بينما لا يعبأ سوريم لأمرهم قيد شعرة.."

علق بيزاراك مقطباً "وتصدق كل ما يقال لك؟"

سمعوا صوت رادال من خلفهم يقول "لكنني صادقٌ بالفعل.. وستثبت الأيام صدق ما أقول.."

تقدم رادال بخطوات واسعة حتى وقف بوجه بيزاراك الصامت والمحاصر، فمد يده وجذبه من مجمع ثيابه بقوة حتى سبب له اختناقاً والثياب تضغط على عنقه بقوة، وقرب وجهه من وجه بيزاراك المحتقن قائلاً من بين أسنانه المرتصّة في ابتسامة شامتة "ألم أقل إنك ستندم يا هذا لو عدت؟.. وها أنا قد عدت بالفعل.."

قال بيزاراك بصوت مبحوح "أنت تعلم أنني لا أعاديك بشكل خاص.. إنما كنت أنفذ الأوامر فقط.."

أطلقه رادال وقال "لكنك خائن.. لم تخُن الملك فقط، بل خنت وطنك كله.."

تساءل فيرد بدهشة "ماذا تعني بذلك يا مولاي؟"

أجاب رادال "هذا الرجل موالٍ لحاكم مملكة النبع المقدس.. يزوده بالمعلومات عن شادين وعن الجيش منذ زمن لا يعلمه أحد.."

عبس فيرد بمزيج الغضب والصدمة وهو يعود ببصره لبيزاراك، فقال الأخير بسخرية "حقاً؟.. وكأنك بخيانتك للملك في موقفٍ أفضل مما أنا فيه.."

قال فيرد بغضب "أنا أسعى لتعديل الخطأ الذي أراه في هذه المملكة، ولكي يعيش شعبها حياة أفضل مما هم عليه.. فما الذي تسعى إليه أنت؟.. أي فائدة سيجنيها شعبنا من موالاتك لعدونا؟"

أجاب بيزاراك بهزء "ربما لن يجني الشعب أي فائدة من هذا الملك أم ذاك.. لكني سأجني الكثير من الأموال دون شك.."

لم يدرِ رادال إن كان بيزاراك صادقٌ في ما قاله أم يهزأ منهم، لكن قوله ذاك جلب على نفسه غضب فيرد الذي لم ينتظر انتهاء جملته وأطلق رصاصة من مسدسه أصابت بيزاراك في عنقه وأردته أرضاً قتيلاً على الفور..

نظر رادال بصمت للجسد الصامت أرضاً، ثم غمغم "هذه وسيلة عنيفة لعقابه على ما فعله.."

قال فيرد باستياء وهو يخفض مسدسه "ليس الوقت ملائماً للعطف والشفقة.. وجوده في القصر سيقلب الأمور ضدنا فأوامره مطاعة من الجند وتتفوق على أوامري أنا.. كما أن الخائن لا يستحق أي شفقة.."

علق رادال "أنت مدركٌ أن مصيرك قد لا يختلف عن مصيره لو سقطنا بأيدي سوريم.."

لم يبدُ التردد على وجهه أو وجوه الجنود القريبين وفيرد يقول "نحن نسعى لتحسين أوضاع الجميع.. ولا نسعى خلف فائدتنا الشخصية من هذا الأمر.. لذا يمكننا قبول أي مصير سيقع علينا بيدك أو بيد الملك الحالي.."

لم يجد رادال ما يقوله إزاء ما قيل.. هم على كفية ميزان منذ بدأ هذا النهار.. وهذا الميزان يتمايل من جهة لأخرى مع أقل تصرف يقوم به المنضمّون لهذا الصراع المصيري.. من أصغر حارس وجندي حتى رادال وسوريم أنفسهما.. ولا يدري أحدهم أي كفة سترجح على الأخرى في هذا اليوم الطويل..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

بعد هربه من قاعة العرش بشكل مذل، وبعد أن فقد الرجال الذين درّبهم قائدهم خصيصاً لمثل هذه المواجهة، ركض كاتيرد عبر ممرات القصر محاولاً العودة للطائرة الرابضة في المهبط.. كان الهجوم الذي خطط له كفيلٌ بشلّ جيش المملكة، وعندما تتساقط القذائف على مواقع الجيش في أكثر المدن أهمية في المملكة تصبح هذه الأراضي كصفحة بيضاء يكتب بريشته ما يشاء عليها.. لكن ما الذي جعل مملكة ضعيفة كمملكة القمة العالية تتدخل في مثل هذه اللحظات وبتلك الصورة؟.. منذ متى كانوا يتنصتون على محادثاته مع قادته؟.. وكيف لم يتمكن القادة من تتبع ذلك التنصت رغم الأجهزة الحديثة التي يملكونها؟.. أم أن ثقتهم البالغة بإمكانياتهم قد جعلتهم مجردين من الحماية أمام مملكة ضعيفة بقدرات أضعف من أن يتم الاعتبار بها؟..

ضمّ كاتيرد ذراعه اليمنى لصدره وهو يضغط عليها بطرف ردائه.. لم يكن خروجه من القاعة سلساً كما تمنى، وها هي رصاصة أعدائه تستقر في ذراعه والنزف لا يكاد يتوقف.. وهو لا يملك ترف الوقوف وربط الجرح أو معالجته.. طال به سيره أكثر مما ينبغي، وهو يغيرّ طريقه في كل مرة يلمح فيها ظل جندي أو حارس في أحد الممرات.. كاد يتوه عدة مرات حتى استطاع أن يلمح المدخل المؤدي لمهبط الطائرات أمامه.. عندها تسارعت خطواته ملاحظاً أن المدخل يخلو من أي حراسة في الوقت الحالي..

كان نزيف ذراعه لا يكاد يتوقف، والدماء تتصبب على هيئة خيط طويل على الأرض خلفه.. لكن كاتيرد لم

يعبأ للأمر عالماً أنه فور وصوله لطائرته وإقلاعها من هذا المكان سيجد الوقت الكافي لإيقاف النزيف..

بدأت ملامح المهبط تبدو لعينيه، فلم يملك التوجس الذي ملأ نفسه مع تلك الرائحة الخانقة التي بدأت تتزايد كلما اقترب من المدخل وخطواته تتحول لركض متسارع حتى غادر القصر ووقف وسط المهبط..

وأمامه، استطاع أن يرى بوضوح المساحة الحجرية التي امدت أمامه، وعليها وقفت طائرتان تابعتان للقصر الملكي بسكون تام دون أي حراسة قربها.. وفي جانب آخر، ربضت الطائرة التي جاء بقلبها من سيارم، والتي امتد خيط من الدخان المتصاعد من نوافذها صاعداً للسماء..

لم يكن ذلك الحريق الذي طال طائرته خطيراً أو يهدد أي من الطائرات الأخرى، لكنه في الآن ذاته يدلّه أن الطائرة ليست صالحة للطيران في أي وقت قريب.. صاح كاتيرد بهلع وهو يقترب منها "الأوغاد.. ما الذي فعلوه بها؟.."

اقترب من باب الطائرة ملاحظاً ثقوب الرصاص التي زيّنته، ولم يجد استجابة قط عندما حاول مناداة قائد الطائرة الذي ينتظر فيها في المعتاد بانتظار عودته.. دار كاتيرد حول الطائرة جزعاً بحثاً عن إجابات لما جرى، ثم تلفت حوله وهو يجزّ على أسنانه بقوة.. يمكنه الاستيلاء على إحدى الطائرتين الأخريتين، لكن بدون قائد فإن هذا العمل لا معنى له.. ووجود المهبط في موقع مرتفع من القصر يعني أنه بحاجة لدخول القصر مجدداً إن كان يرغب بالهرب منه.. وهذا عملٌ أقرب للانتحار..

ومع انعدام خياراته، هرع كاتيرد مجدداً لدخول القصر وهو يشعر بالندم لأنه حطم جهاز الاتصال الذي يحمله في المعتاد.. لكن قبل أن يخطو خطوة أخرى عبر المدخل، فوجئ بتلك الضربة التي أصابت فكه وألقته عدة أمتار خلفاً، ليسقط غير بعيد عن طائرته المحترقة.. نهض كاتيرد بعسر ونظر لمهاجمه، فرأى رجلاً بزي الحرس يتقدم منه حاملاً بندقية.. قال كاتيرد بسخط "كيف تجرؤ على مهاجمتي؟.. ألا تعلم من أنا؟.. أظننت أن مملكتي ستصمت على ما أصابني؟"

قال الرجل مظهراً تعجبه وهو يتقدم منه "أتظن أن هذا مهمٌ حقاً في هذه الأوقات؟.."

بدت السخرية ظاهرة في نبرة الرجل، فقطب كاتيرد قائلاً بغضب "من تكون أنت؟.. من أرسلك للقبض عليّ؟"

أطلق الرجل ضحكة قصيرة معلقاً "القبض عليك؟.. لم تأتني أي أوامر بذلك.."

ورفع البندقية في وجهه مضيفاً بابتسامة جانبية "صديقك العزيز يرسل لك تحياته.."

وأطلق طلقة من بندقيته لم تخطئ هدفها مطلقاً.. رفع الرجل بصره للطائرة القريبة مطمئناً أن النيران فيها لن تطال بقية الطائرات، ثم استدار مغادراً بصمت كما جاء..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

احتضن ترياش ابنته باناس بقوة بعد أن اجتمع بها وهو يقول بصوت متهدج "لقد سقط قلبي عند قدميّ عندما علمت بخبر كاتيرد وخيانته لي.. لوهلة لم أعرف ما يجب عليّ فعله.. وبعدها، كل ما دار بذهني أن أنقذك من براثنه ومن قبضة سوريم، وأن أقتل ذلك الخائن الذي استأمنت فلذة كبدي عنده وخانني ببساطة.."

قالت باناس ودموعها تسيل على خديها "كدت أموت ذعراً.. هنا وفي جيرا.. لقد أخبرتك أن رحيلي كان فكرة سيئة.."

ربت ترياش على كتفها مهدئاً وقال "وبقاؤك لم يكن ليقل قسوة.. لكنك هنا الآن معي، ولن أسمح لشخص بأن يمسّك بسوء بعد الآن.."

تقدمت سيرا منه بعد أن أدركت هويته، وقالت له بقلق "ما يزال رادال في قاعة العرش.. ومع كل الهجوم القائم فيها، قد لا يتمكن من الخروج سليماً إن لم نبادر لمعاونته.."

قال ترياش بثقة "لا تقلقي.. نصف أولئك الجنود موالون لي، وللملكة الأم.. كل الأمور تحت السيطرة.."

فوجئت سيرا بمن يدفع الجنود من أمامه ويتقدم منها هاتفاً باسمها.. كان بارا آخر شخص تتوقع رؤيته في شادين، وفي قصر الملك بالذات.. ولم تتوقع لوهلة أن تجتمع به.. لكن كل ما بدا من انفعال على وجه سيرا لرؤيته أن رفعت حاجبيها وهي تقول بدهشة "ما الذي جاء بك لهذا المكان؟.."

تقدم بارا بخطوات واسعة، وأمسك كتفيها قائلاً بقلق "أأنت بخير؟.. أين اختفيت طوال هذه المدة منذ كنا في ميركان؟.. بحثت عنك دون أن أعثر لك على أثر.."

أجابت هازة كتفيها "تبعت رادال فور أن علمت أنه أخذ لشادين.. وها نحن هنا.."

قطب بارا وهو يرمق ملامحها غير المبالية، ملاحظاً أنها لم تسأله كيف نجا وأين كان طوال هذه المدة..

تراجع خطوة مفلتاً إياها، وقال بعبوس "ألن تكفي عن هذا الجنون؟.. أتظنين أن ملاحقتك لرادال ستحدث فارقاً في مصيره، أو في نظرته لك؟.."

قالت بعناد "متى ستتعلم ألا تتدخل في هذا الأمر؟.."

عندها قال بحنق لم يملكه "أنتِ حتى لم تحاولي العودة لمنزل والدينا.. ألم تحاولي رؤيتهم مع وصولك لشادين؟.."

قالت بعدم اهتمام "لا.. لأني كنت مشغولة بالبحث عن رادال.."

وألقت نظرة سريعة عليه مضيفة "ولا تحاول إقناعي بالذهاب لذلك المنزل.. فلن أفعل.."

كان الغيظ يكاد يغلب بارا ويدفعه للانفجار غضباً في وجهها.. أي برود تتحلى به تلك الفتاة؟.. كيف لها أن تقدر على حصر مشاعرها وعاطفتها لرجل واحد وتتجاهل أقرب الأشخاص إليها ومن يهتمون لأمرها حقاً؟..

سمعوا صوت ترياش يقاطعهم قائلاً "لا وقت لهذه المجادلات.. عليكم الابتعاد واللجوء لأي مكان في هذا القصر بعيداً عن الصراع الدائر فيه.."

استدارت سيرا نحوه على الفور متسائلة "ماذا عن رادال؟.."

لم يسمع بارا بقية قولهما.. لم يظن للحظة وهو يسعى قلقاً خلف شقيقته التوأم، أقرب شخص إليه في هذا العالم، أنه سيشعر بهذا الضيق والاستياء لدى رؤيتها.. لم يشعر للحظة بالراحة لما رأى ملامحها الجافة، ولولا ما هم فيه لما بقي في أي مكان يجمعها به ولو للحظة أخرى..

تباً.. لمَ بذل كل ذلك الجهد للبحث عنها طوال الأيام الماضية؟..

عندما التقى رادال بترياش أخيراً، برفقة فيرد وعدد من الجنود، بادره تيراش قائلاً بمرح فاتحاً ذراعيه "ها هو الشخصية الرئيسية لأحداث اليوم.. لكم أنا سعيدٌ برؤيتك هذه اللحظة يا مولاي.."

صافحه رادال بقوة قائلاً بابتسامة "ما ظننت للحظة أنني سأعود حياً.. أو أنني سأعود لأجدك كذلك.. لكن يبدو أن سوريم لم يترفق بك.."

أجاب ترياش "في الواقع، ربما كانت هذه الإصابات التي أصابتني أثناء الاستجواب هي ما نجحت في

كسب فيرد لصفنا، وجعلته يتساءل عن حقيقة ما نفعله وجدوى موالاته لملك مثل سوريم.. فيرد هو معاون قائد الجيوش، وبوجوده يمكننا أن نضمن عدم تدخل الجنود ضدنا في أي لحظة من هذا الصراع.."

ثم التفت لفيرد القريب متسائلاً "هل تمكنت من القبض على بيزاراك؟"

قال فيرد مقطباً "بيزاراك خائن.."

ضحك ترياش معلقاً "ألسنا جميعنا كذلك؟"

قال فيرد "لا.. بيزاراك موالٍ لمملكة النبع المقدس.. ولا نعلم ما قدّم لهم من معلومات وما فعله لتسهيل الغزو الذي انتوى به كاتيرد محونا من خارطة ممالك العالم السامي.. عندما أدركت هذه الحقيقة، لم أقدر على منع نفسي من الخلاص منه.."

وإزاء نظرات الدهشة في عيني ترياش، أدرك فيرد أنه لم يعلم بالسبب الحقيقي لقدوم كاتيرد برفقة رادال.. وريثما شرح له فيرد كل ما سمعه من الأحداث التي جرت في قاعة العرش، دهش رادال لرؤية بارا بين الجماعة المتحلقة حولهم.. اقترب منه وقال رافعاً حاجبيه "متى وصلت لشادين يا بارا؟.. وأين كنت طوال الأيام الماضية؟"

صافحه بارا مجيباً "لقد طال بي الطريق حتى وصلت لشادين.. لأني كنت أجهل ما جرى لك ولسيرا، ولم أعرف بتفاصيل ما واجهتموه إلا عندما وصلت لشادين.."

وأضاف بشيء من الضيق "آسفٌ لأنني وعدتك وعداً ولم أتمكن من أن أفي به.. وددت لو كنت موجوداً لمعاونتك، لكني وصلت متأخراً بعد كل الأحداث التي حدثت لك.."

ربت رادال على كتفه قائلاً "لا بأس.. المهم أنك استطعت الوصول إلينا.. فطريقنا سيقودنا لتحقيق انتقامك دون شك.."

غمغم بارا بتعجب لم يحاول كبحه "لا يبدو لي حديثك فارغاً كما بدا لي في المرة الأولى.."

نظر له رادال بحنق معلقاً "أكنت تظنني أحمق في السابق؟.."

انتبه لوجود سيرا قرب بارا، لكنه لاحظ على الفور اختفاء جود.. فاستدار حوله متسائلاً بقلق "أين جود؟.. ألم تكن معك يا سيرا؟"

قطبت سيرا بشيء من الضيق دون أن تجيب، بينما تعالى نداءٌ باسم رادال.. استدار رادال لجهة النداء، فرأى

على الفور جود التي اقتربت منهم، لكن صاحبة النداء كانت الملكة الأم التي اخترقت الجنود القريبين وعانقته بقوة قائلة بصوت متهدج "لكم أنا سعيدة برؤيتك حياً بعد كل ما جرى.."

تساءل رادال "لقد علمت من فيرد أنك من دفع الجنود لاقتحام قاعة العرش.."

قالت بلهفة "عندما علمت أنك في القاعة مع سوريم، ومع ذلك الخائن كاتيرد، لم أتمكن من أن أصمت بانتظار ما قد يفعلاه بك.. استخدمت كل حيلة أملكها لجعل الجنود يظنون أن حياة الملك في خطر، ولجعلهم يتجاوزون كافة المحاذير ويقتحمون القاعة حتى بدون أن تصلهم أوامر واضحة بذلك من بيزاراك.."

اقترب منهم ترياش قائلاً "لقد اندسّ بعض رجالي بين أولئك الجنود على أمل إنقاذك.. لكن لحسن الحظ أنك تمكنت من الهرب قبل أن يطالك أي سوء.. ما الذي حلّ بكاتيرد؟"

أجاب رادال "هرب.. لا بد أن جنود سوريم يلاحقونه الآن.. فرجاله سقطوا في القاعة ولم يبقَ منهم أحد.."

لم يعلق ترياش على ما قيل، فيما قال فيرد "سأنطلق مع جماعة من الجنود للحاق به قبل أن يتمكن من الفرار.."

قال ترياش بسرعة "لا.. فما نحن فيه أهم وأكثر إلحاحاً.."

وشدّ جسده مضيفاً "سنتوجه لقاعة العرش.. ونواجه سوريم مواجهة أخيرة.."

قالت الملكة الأم بقلق "أأنت متأكد أن كل الأمور ستكون على ما يرام؟.. لا أريد أن يصاب رادال أو سوريم بأي أذى مهما احتدم الصراع بينهم.."

قال ترياش بثقة "ولن يصاب أي من الجنود كذلك.. لا تقلقي.. فمولاي رادال لن يرضى بأن أخالف أمره بذلك.."

نظرت الملكة الأم لرادال بدهشة فوجدته يقول بحزم "طبعاً.. كان الوعد بيننا أن نحاول حلّ الخلاف دون أن تراق قطرة دم واحدة.. لن يقبل بي الشعب إن ابتدأت بقتل أبنائهم ورجالهم دون وجه حق.."

علق بارا "هذا يجعل مهمتكم أكثر استحالة.."

قال ترياش ملوحاً بيده "بالعكس.. أنا واثقٌ من الرجال، وواثقٌ أن من بقي منهم على ولائه لسوريم

سيتخلى عن ذلك بأسرع من البرق.."

واقترب من أحد النوافذ الواسعة المطلة على حدائق القصر مضيفاً "في البدء.. علينا أن ننهي الصراع الدائر خارج القصر.."

اقتربت الملكة الأم مع البقية لتنظر من النافذة ملاحظة الحشود التي بدأت تتقدم من القصر بثبات رغم وجود سور محكم من الحرس الذين يمنعونهم من التقدم من القصر.. فقالت بلهجة ملئت انفعالاً "لم أتوقع قط أن تثيرهم كلماتي بهذه الصورة.. ورغم أن وجودهم قد يجلب الفوضى لما يجري بقلب القصر، لكن لا يمكن أن ننكر أن تأييدهم لرادال فاق التوقعات بالفعل.."

ربت تـرياش على كتف رادال القريب قائلاً "لقد فعل رادال هذا بنفسه.. فكلماته التي قالها في معبد الشمس، وموته المزعوم، رفعاه لمكانة أسطورية بين الشعب.."

علق رادال وهو يستدير "هذا لا معنى له لو لم يسقط سوريم.."

والتفت إلى الملكة الأم والبقية قائلاً "من الأفضل لجوؤك لجناحك حتى تستقر الأوضاع.. وأبقِ الآخرين معك.."

وغادر يتبعه بقية الجنود، فيما قالت الملكة الأم لترياش بإصرار "حافظ على حياته يا ترياش.. قد يدفع اليأس سوريم للهجوم دون هوادة.."

طمأنها ترياش بثقة قبل أن يهرع خلف البقية.. فجذب فيرد جانباً وقال له بحزم "عليك أن تجمع بقية الجنود وترى من فيهم موالٍ لسوريم ومن فيهم خائن.. لا تتردد في طرح خيانة بيزاراك.. فهذا سيجعل ثقتهم بقيادتهم تهتز، وقد يطال ذلك الاضطراب سوريم ومكانته لديهم.."

هز فيرد رأسه موافقاً، فيما أضاف ترياش "افعل ذلك بسرعة.. بعد أن يحدث رادال شعبه، سنتوجه لقاعة العرش.. أريدك مع كافة الجنود معنا هناك.."

أسرع فيرد لتنفيذ أمره وهو يتحدث في جهاز الاتصال، بينما سار رادال يتبعه بقية الجنود حتى وصل لإحدى شرفات القصر المطلة على الساحة المواجهة للقصر والحدائق القريبة حيث تجمهر عددٌ غفير من سكان شادين.. التفت ترياش لمن قربه من الجنود قائلاً "خذوا حذركم ولا تغفلوا عن أي جوانب المكان حولنا.. قد يحاول أحدهم اقتناص مولاي رادال بغفلة منا لإنهاء هذا الصراع.."

ثم تبع رادال الذي فتح أبواب الشرفة ووقف قرب حاجزها ينظر للاضطراب السائد خارجها.. وقف تریاش قربه قائلاً "لا نملك أجهزة تكبير للصوت، ولا أظننا نملك ترف انتظار إحضار أحدها.. لكن هناك وسيلة سهلة لجذب انتباههم.."

وصاح بأعلى صوته محاولاً أن يعلو على صوت ضجيج الشعب والحرس "عاش الملك رادال.. ملك مملكة الضياء.."

وصل صوته وهتافه واضحاً لجزء من الجمهور، فساد بعض الصمت المكان والرؤوس تلتفت لذلك الاتجاه.. ومع تكراره الهتاف عدة مرات، بدأت الأصوات تخفت بوضوح.. ولكن فور أن وقعت الأبصار على رادال، الذي يذكره البعض من رؤيته في معبد الشمس، عاد الضجيج والهتاف أضعافاً مضاعفة وتزايد حماس الشعب ومدافعتهم للحرس.. لم يدرِ رادال ما سبب هذه الشعبية المباغتة التي صارت له بين هذا الجمع الغفير.. هذا الجمع الذي لا يعرف عنه أكثر من اسمه، ولا يدري بأي حال قضى سنوات عمره الماضية في أرض الهوام.. هذا الجمع الذي هتف بالحماسة ذاتها عندما تم رميه من معبد الشمس ليلاقي مصيره دون ذرة ندم أو شفقة تساورهم لما سيجري له..

لكن رادال لم يكن ليفوّت فرصة لاحت له.. فبادر لرفع يده عالياً يدعوهم للصمت والاستماع إليه.. ثم قال بأعلى صوته "حماستكم هذه منحتني ثقة أكبر فيما أنا مقدمٌ عليه.. ورغبتكم بإحداث تغيير في مجريات حياتكم تستحق الإعجاب.. وأنا عند وعدي لكم كما في السابق.. لو جلست على العرش، فسألغي عيد الشمس تماماً.. سألغي تلك الطقوس القاسية، ولن يفعل هذا غيري فأنا ذقتها مرتين.. لذا لا يمكن أن أسمح لها بالاستمرار.."

صمت قليلاً دون أن يفوته الحماس البادي في الأعين، ثم أضاف "لكن الحماسة وحدها لا تكفي.. ما تزال المواجهة بيني وبين سوريم قائمة.. أنتم قد خدمتموني خدمة لن أنساها بمناصرتكم لي بهذه الصورة.. لكن وجودكم قد يسبب بعض الفوضى في القصر.. وقد يستغل بعض المجرمين والخونة هذه الفوضى للتسلل للقصر وتحقيق مصالحهم الشخصية بما يتعارض مع مصالح الشعب.. لذا، رغم شكري لحماستكم هذه ونواياكم الصادقة، فإني أرجوكم أن تتراجعوا في الوقت الحالي.. فليبقَ من يرغب منكم البقاء في حدائق القصر وساحاته.. لكن تجنبوا دخول القصر لئلا يتطاول عليكم الحرس والجنود ويصيبوكم في مقتل.. فأنا

لا أريد أن أبدأ عهدي بإراقة الدماء.. لا دماء شعبي ولا دماء أعدائي.."

تعالى الهتاف باسمه من جديد، وإن خفّت مدافعة العامة للحرس وبدؤوا يحافظون على نظامهم في ذلك المكان أكثر من السابق.. عندها التفت رادال للحرس الذين يقلبون الأنظار بقلق بينه وبين العامة، وقال لهم "أعلم أنكم توالون الملك وترفضون خيانته.. وهذا أمرٌ يثير إعجابي لا غضبي.. لو كنت الملك، لما طلبت أكثر من ذلك من رجالي.. لكن لو حاولتم معارضتي ورجالي، فقد أضطر لمواجهتكم ومنعكم من التدخل.. وهو أمرٌ لا أرغب به كما قلت قبل قليل.."

لم ينبس الحرس بكلمة اعتراض أو موافقة، فقال رادال بثقة "لا أطلب تحيزكم لي في الوقت الحالي.. لكني أطلب منكم البقاء على الحياد.. حافظوا على أمن القصر، وتنظيم خروج الشعب منه.. فلو تغلب عليّ سوريم، لن يقدر على عقابكم ما دمتم على ولائكم السابق له.. لكن لو تمكنت من الوصول للعرش، عندها أريدكم أن تقسموا بالولاء لي.. ولن أرضى بغير ذلك.."

تبادل الحرس النظرات الصامتة، فيما تعالت هتافات الشعب باسم رادال بحماس أكبر.. بعد لحظات، انتبه رادال أن أغلب الحراس قد خفضوا أسلحتهم دون أن يصدر منهم ما يوحي بالموافقة.. لكن كان تصرفهم ذاك أكثر من كافٍ بالنسبة له، ودليل على استسلامهم لما طلبه منهم.. فابتسم بثقة أكبر، واستدار مغادراً الشرفة قائلاً لترياش القريب "هل نبدأ؟"

أجاب ترياش بحماس كبير "أهي بداية؟.. أم نهاية؟.. هذه نقطة فاصلة سيذكرها تاريخ ممالك العالم السامي.."

غمغم رادال "أرجو ألا يذكرها التاريخ بسوء.."

وسلك طريقه عائداً لقاعة العرش.. يسير ترياش قربه.. ويتبعه جماعة من الجند والحرس، وأعدادهم تتزايد مع كل ممر وطريق يمرون قربه.. وبدا اليأس والتردد الذي غزا نفس رادال في بداية هذا النهار طويل قد تبخر واستُبدل بثقة وعزم في نهايته..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

اجتمع بارا وسيرا في جناح الملكة الأم ومعهم باناس، محروسين بثلة من الجنود تحرس الجناح من أي هجوم.. لاحظ بارا تململ سيرا فور إغلاق الباب، وما لبثت أن استدارت محاولة المغادرة والسخط باد في ملامحها.. فاستوقفها بارا قائلاً "إلى أين؟.."

قالت بحنق "تلك البغيضة لم تأتِ معنا.. لا بد أنها لحقت برادال كعادتها وتحاول الاستئثار به.. يجب أن ألحق بهما.."

قال بارا باستنكار "الاستئثار به في هذه الأوقات؟.. ما الذي تظنينها ستفعله الآن؟.. ثم إنها جندية في الأصل، لذا هذا الصراع لن يكون خطراً عليها كما هو على فتاة عادية مثلك.."

قالت منفعلة "وما الذي دعاك أنت للتخلف عنهم؟.. ألست رجلاً؟"

قال بشدة "تخلفت مجبراً.. فلو لم أفعل ذلك، لما استطعت أن أضمن بقاءك بعيداً عن ذلك الصراع.."

تدخلت الملكة الأم قائلة "أنت ابن هرترام.. أليس كذلك؟.. أهذه هي توأمتك؟"

أجاب بارا "أجل.. هي من كنت أبحث عنها عندما أتيت شادين.."

فقالت الملكة الأم بابتسامة "إذن سيسعد هرترام وزوجته بعودتها إليهما.."

قالت سيرا بسرعة "لن أعود إليهما.."

صاح بارا "أنت في شادين.. على بعد بضع أميال من منزل أبويك.. ما الذي يجعلك بهذا العناد في هذه المسألة؟"

قالت سيرا بحدة "أنت تعلم السبب.. الأبوان اللذان لا يملكان ما يعترضان عليه عندما يتم رمي طفليهما من العالم السامي، لا يستحقان أن أعبأ لأمرهما ولما قد يشعرا به.."

بدا انعقاد حاجبي بارا شديداً، فيما تدخلت الملكة الأم قائلة بإشفاق "أأنت تبغضين أبويك بسبب اختيار الكهنة لك؟"

أدارت سيرا وجهها جانباً رافضة الإجابة مع ما في ذلك من قلة احترام ظاهرة للملكة، فقالت الأخيرة "ألا تعلمين أي بؤسٍ قد عاشه كل أب وأم فقدا أغلى ما يملكان دون ذنب؟.. أتظنين أنهما لم يعترضا؟.. لم يبكيا؟.. لم يسهدا كل ليلة لوقت لا يعلمه أحد؟.. لقد مررت بكل هذا، وأؤكد لك أنك مهما بذلتِ من جهد، لن تتخيلي ما قد مرّ به أبواك في تلك الأيام.."

قالت سيرا بسخط "هذا لا يجعلني أكثر تعاطفاً مع هذه المسألة.. أنا أبغضهما، وهذا من حقي بعد كل ما جرىٰ لي.."

نظرت لها الملكة الأم بصمت للحظة، ثم قالت لها "أنت فتاة أنانية وتظنين أن الدنيا تدور حولك.. أليس كذلك؟.. لا أظنك ستجدين من يتعاطف معك ومع مشاعرك وأنت بهذه الصورة.. وقطعاً لن تجدي من يحبك رغم جمال وجهك.."

نظرت لها سيرا بتنمّر واضح، وكأنها شعرت بأن الملكة الأم تلمّح لما بينها وبين رادال.. وزاد الأمر سوءاً أنها أم رادال بالذات، والتي قد تملك كلمة في أمر علاقتها به.. مد بارا ذراعه أمامها يدعوها للهدوء، فيما تعالىٰ صوتٌ من قلب الجناح يقول "أهذا الشعور بالذنب هو ما يدفع مولاتي لفعل ما فعلته؟"

نظرت المجموعة خلفاً بدهشة وتوجس، فيما استدارت الملكة الأم بهدوء لقيرام الذي أمرت باحتجازه في جناحها سابقاً.. وقالت مجيبة علىٰ سؤاله وعلىٰ اللوم البادي في عينيه "أجبني أنت يا قيرام.. ألا تشعر بأي ذنب حيال كل ما يفعله سوريم؟"

قال قيرام بضيق "أشعر بالذنب وأنا ليس لي يدٌ في الأمر؟"

قالت الملكة الأم بحزم "صمتك هو جزءٌ من الأمر ذاته.. كان بإمكانك الاعتراض، والتدخل بأي صورة.. وجودك وزيراً للملك يعني أنه يفترض بك أن تمنحه مشورتك، وأن تنصحه حيال كل ما ينوي القيام به.. وهو ما وضعك في هذا المنصب إلا لتنبيهه في حال جاوز الصواب، لا للموافقة علىٰ كل ما يقوله ويفعله.. مهمة الوزير تختلف تمام الاختلاف عن مهمة قائد الجند الذي يلزمه منصبه بقبول أوامر الملك مهما كان نوعها.."

خفض قيرام بصره دون أن يزول استياؤه، فيما أضافت الملكة الأم " ثم إنني لا أنكر أن الندم هو ما يحركني.. أو أنه كان كذلك حتىٰ رأيت ما فعله سوريم برادال.. كل ما يهمني في هذا الوقت أنني أستطيع أن أساهم في التغيير، فما الذي يمنعني من ذلك ما دمتُ علىٰ حق؟"

علق قيرام قائلاً "هل ستظلين علىٰ قناعتك هذه لو فشل الأمر؟"

أجابت بحزم "بالطبع.. سأتحمل مسؤولية ما أفعل للنهاية.."

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما وصل رادال قرب قاعة العرش، لاحظ جود التي تبعته مخالفة البقية.. توقف للحظة وسألها مقطباً، وقد ساوره القلق لما يحدث لها في المواجهة القادمة "ما الذي حداك للقدوم معنا؟.. لمَ لمْ تبقي في جناح الملكة حتى نفرغ من سوريم؟"

كانت جود تدرك أن وجودها لا فائدة منه، لكنها لم تكن لتقنع بالبقاء في أحد الأجنحة دون أن تعلم ما سيجري له.. لذا قالت "أنت طلبت مني أن أرى هذا الطريق معك لنهايته.. ألا تذكر؟.. وها أنا هنا لأرى نهايته.."

صمت رادال بحيرة وهو يحاول استقراء ما تعنيه بهذا القول.. أهي تتحدث عما سيجري للحرب بعد أن يتولى حكم المملكة؟.. لم يحاول رادال أن يفهم ما قالته، بل قال "ابقيْ بعيداً لئلا تصيبك رصاصة طائشة.."

قالت بابتسامة صغيرة "أأنت قلق عليّ؟"

قال بوجوم واضح "بل لكي تتمكني من رؤية النهاية بالفعل.."

واستدار مستكملاً طريقه لتلك البوابة الضخمة التي تفصل بينه وبين قاعة العرش.. هل كانت تلك الفتاة تهزأ بمشاعره في هذه الأوقات؟.. حاول إزاحتها من ذهنه والتركيز على ما هو قادمٌ إليه.. إن هي إلا ساعاتٌ معدودة وينقضي الأمر، وينتفي الغرض من وجود جود في شادين.. عندها، لا يظن أنها تملك سبباً للبقاء فيها.. ربما عندها تغمره الراحة بدل هذه الانفعالات المشدودة كلما كانت قريبة منه..

رأى ترياش الذي تقدمه واقفاً وسط ثلة من الجنود، وأمامه وقفت جماعة من الحرس يحاولون منعه من دخول القاعة بأي صورة.. تقدم رادال بخطوات واثقة وعزم كبير، فتجاوز رجاله وتجاوز ترياش القريب، ووقف أمام الحرس الذي بدا توترهم واضحاً أكثر من عزمهم على الخلاص منه.. فقال لهم "وقوفكم بوجهي لا معنى له.. القصر، وشادين كلها، قد أصبحا ملكي.. فهل تكفي هذه القاعة وذلك الكرسي لجعل سوريم ملكاً؟.."

ظل الحرس وقوف دون أن تبدر منهم بادرة للتنحّي، فأضاف رادال "لا أريد أن أطلب من رجالي الخلاص

منكم.. فبينكم قد أجد أخلص الرجال وأكثرهم شجاعة.. لكن هذا الصراع سيجبر أحدنا على مواجهة الآخر رغماً عنه.."

وتقدم خطوات قائلاً "فلا تجعلوني أندم على ما قد أقوم به.."

تراجع الحرس خطوات بتوتر أكبر.. وأعينهم معلقة برادال خشية أن يأمر بقتلهم في أي لحظة.. ومن قد لا يفعل ذلك والشيء الوحيد الذي يفصله عن العرش هم هؤلاء الرجال؟..

استغل ترياش انشغالهم بحديث رادال، فأرسل إشارة خفية للجنود القريبين، وإن هي إلا لحظات واندفع الجنود إلى ثلة الحرس تلك يضربون من يطالونه منهم بأسلحتهم ليسقطوهم فاقدي الوعي.. دام الصراع لحظات معدودة، ولم تنقضِ تلك اللحظات حتى بدأت أعداد الحرس تتناقص أمام مهارة الجنود وخبراتهم الأكثر عملية من خبرات الحرس العاديين..

فور أن رأى رادال فرجة بين الحرس، لم يتردد في أن يسلك طريقه عبرهم نحو القاعة، وترياش يتبعه قائلاً بقلق "مهلاً يا مولاي.. انتظر حتى يؤمن الجنود القاعة.."

لكن صبر رادال كان قد نفذ، لذا تقدم بعزم رغم التهديد الذي قد يواجهه من حرس القاعة بأمر من سوريم، ورغم تلك الرصاصة التي طاشت فور دخوله مارقة على مسافة قصيرة من وجهه ومصيبة أحد الحرس خلفه في كتفه..

وقف رادال ينظر لصاحب تلك الطلقة، والتي أطلقها أحد الحرس في القاعة نحوه وكادت تصيبه في مقتل لولا أن تدخل حارسٌ آخر وضرب بندقيته جانباً.. هرع ترياش قائلاً "هذا ما حذرتك منه يا مولاي.."

وقف رادال ينظر لسوريم الذي توسط القاعة، والذي قال باعتداد "أنا الملك سوريم.. من يجرؤ على مخالفتي، ومعاونة الخونة عليّ، سيقتل دون هوادة.."

ابتسم رادال دون أن يبدو عليه أي توتر لما قيل، بل قال بدوره "أخطأت بحكمك هذا يا سوريم.. أنت بهذا تحشر رجالي في زاوية ضيقة، وعندها سيبذلون الغالي والنفيس لإنجاح قضيتي، لأن فشلها يعني موتهم المحتم.."

وتقدم خطوات قائلاً لبقية الحرس "لكني لست مثلك.. أدرك أن ولاء الحرس لك هو ما يدفعهم للاستماتة في الدفاع عنك.. وأنا سأقدّر ذلك حق قدره، وأكافئهم عليه دون شك.. فمن قد لا يكافئ رجلاً

مخلصاً يبذل حياته لأجل مليكه؟"

دار ببصره بينهم ملاحظاً ارتباكهم وأضاف "لم يبقَ غيركم في هذا القصر، وربما في شادين كلها، يعلن موالاته لسوريم.. فإما أن تستسلموا لي، وتغادروا هذا القصر، وإما أن تجابهوني وينالكم مصيرٌ لن أستطيع التحكم به.."

صاح سوريم بهم "إياكم أن يجرؤ أحدكم على الاستسلام لهذا المأفون.. إنه كاذب، ولن يتردد في الخلاص منكم فور أن ترموا أسلحتكم.."

لكن نظرات بعض الحرس منهم لم تكن مبشرّة بخير، وكما خطط ترياش الذي دسّ عدد من رجاله بينهم، أظهر عددٌ من الحرس استسلامهم بعد حديث رادال وهم يضعون أسلحتهم أرضاً، وأحدهم يقول "سنثق بوعدك لنا يا مولاي.. ونثق برأي رفاقنا باختيارك أنت ملكاً على....."

هدر سوريم غاضباً "كيف تفعلون هذا؟.. كيف تستسلمون له دون أن تبذلوا جهداً للدفاع عن ملككم.. عن مملكة الضياء المجيدة؟"

رغم كل صياحه، بدأ عددٌ أكبر من الحرس يتخلى عن أسلحته، وينخفض أرضاً باستسلام أمام الجنود الذين أحاطوا بهم إحاطة تامة.. فيما وقف ترياش جانباً يراقب ما يجري دون أن تظهر أي ابتسامة أو شماتة على ملامحه لهذا النصر..

تراجع سوريم خطوات مبهوتاً مع هذا المنظر.. رادال يقف أمامه بثقة.. ترياش يراقبه وكأنه يشمت بما آلت إليه الأمور.. الحرس يلقون أسلحتهم أرضاً، والجنود الموالون لرادال يقفون بدائرة كاملة حول القاعة وأسلحتهم مشهرة في وجهه دون أي اعتبار لمكانته.. دون أي اعتبار للملك المملكة.. أهذا إعلانٌ بهزيمته؟.. هل هزم أمام رادال الحقير؟.. هل تخلى عنه رجاله؟.. هل نبذه شعبه؟.. هل أصبح دخيلاً على هذا العرش وهذا القصر؟..

تقدم رادال من سوريم الذي لم يجد ما يدافع به عن نفسه، لكن رادال وقف على بعد خطوة منه وقال بابتسامة "إن كنت تظن أن سقوطي من العالم السامي كان نقمة عليّ.. فأنت مخطئ.. كان مكسباً لك، ومكسباً لي بالقدر ذاته.. بسقوطي، انسلخت عن شخصيتي السابقة، وأصبحت شخصاً جديداً.. رميت كل ضعفي وهواني السابقين، ورميت كل ما حاول توريالك أن يزرعه فيّ.. لو تركني أبي في هذا العالم، لربما

تقمّصت الشخصية التي أرادها، ولربما اكتسبت القسوة والأفكار التي حاول زرعها فيّ.. لكن ببعدي عن هذا العالم، أصبحت ما أنا عليه الآن، وما أرغب أن أكونه حقيقة دون تأثير من أحد.. وهذا ما أنا شاكرٌ له حقيقة بعد كل ما جرى.."

وتقدم خطوة أخرى قابضاً على ملابس سوريم، وقرّبه من وجهه قائلاً "لكن ما الذي أصبحت عليه أنت؟.. لِمَ أصبحت أشد قسوة من أبيك، وأشد تعصباً لأفكاره منه؟.."

قال سوريم بحزم "أليس ذلك لأنها حقيقتي أنا؟.."

وركل قدم رادال ممسكاً بملابسه ليقلبه خلفاً، لكن رادال استعاد توازنه على الفور ورمى سوريم أرضاً بشيء من القوة أنّت لها عظام الأخير.. اعتدل رادال واقفاً وصاح بالمتواجدين في القاعة "أنا الملك رادال.. ملك مملكة الضياء.. الملك الحقيقي والشرعي لهذا العرش.."

تعالت هتافات الجنود حوله، وبدأ بعض الحرس بالانضمام إليهم متناسين استسلامهم بأسرع من البرق.. عندها، ارتسمت ابتسامة فخورة على وجه ترياش، وسرعان ما بدأ بالهتاف مع الجموع وهو يتقدم من رادال هاتفاً "عاش الملك رادال.. عاش ملك مملكة الضياء.."

وقف رادال وسطهم محاولاً تمالك انفعالاته التي لم تظهر على ملامحه.. تذكر ملامح وجه أبيه الممتعضة وهي ترمقه.. وتذكر الأسف على وجه أمه كلما رأته باكياً.. وتذكر ملامح الشماتة على وجه سوريم الصبي كلما تمكن من هزيمته في أمر.. أين كل هذا الآن؟..

وفي جانب القاعة، وقفت جود دون أن تحاول إخفاء انفعالها هذه المرة.. نظرت لرادال المحتفى به وهي تشعر بشعور غريب لم تعهده إطلاقاً.. شعور بالفرحة لما وصل إليه بعد عناء.. شعور بأنه قد أصبح غريباً عن ذلك الرجل الذي عرفته في أرض الهوام.. وشعور بأنها قد خسرت فرصتها لأن تكون شيئاً مهماً في حياته.. الآن، مع حياته الجديدة في هذا القصر، هل يمكن لرادال أن يعبأ لأمرها قط؟..

استدار رادال إلى سوريم الساقط أرضاً، بعد أن تجاوزه عدد من الجنود أثناء تقدمهم من رادال، فلاحظ على الفور اختفاءه من ذلك المكان.. استدار بحثاً عنه رافعاً حاجبيه، ثم هتف بمن حوله "سوريم قد هرب.."

استعاد الجنود انتباههم على الفور، وانطلق بعضهم بحثاً عنه على الفور بعد أن أدركوا أنه غادر القاعة كاملة.. اقترب ترياش من رادال قائلاً "لا تقلق يا مولاي.. لن يمكنه الهرب من القصر بأي صورة.."

ثم أضاف بابتسامة مشيراً للعرش "كما وعدتك يا مولاي.. ها هو العرش ماثلاً أمامك.. خالصاً لك دون منافسة.."

وانحنى له مضيفاً "فلتجلس عليه، ولتبدأ عهدك المجيد.. لقد استحققت العرش، سابقاً والآن.. ولن تجد من ينازعك فيه بعد الآن.."

نظر رادال للعرش دون أن تختلج ملامحه، ثم استدار على الفور قائلاً "ليس بعد.. لم نقبض على سوريم حتى الآن.. ولا أريد أن أضيّع أي لحظة قبل أن أعثر عليه.."

وغادر قاعة العرش دون أن يشعر بأي أسف لتجاهل تلك اللحظة التي تاق إليها زمناً لا يعلمه.. كان القبض على سوريم يحتل الدرجة الأولى لديه.. لو وقع في يد ترياش أو فيرد أو غيرهما، قد يحاولون قتله دون الرجوع لأوامره.. وهو لا يريد ذلك.. ليس في الوقت الحالي على الأقل..

ما يزال الوقت مبكراً ليواجه رادال مشاعره الخاصة بهذا الأمر.. وليستخرج الحقيقة المدفونة في صدره..

كل ما يريده الآن أن يقبض على سوريم دون أن تسيل دماء أحدهما أو يفقد أحدهما فرصته للتكفير عن أخطائه..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل العشرون)
مملكة الضياء: عرش المملكة المجيدة

كانت الأمور في جوانب قصر الملك في شادين على وشك أن تستقر وبقايا فلول الجنود والحرس الموالين لسوريم يعلنون استسلامهم أو يقبلون بإعلان ولائهم لرادال وقبوله ملكاً عليهم.. تولىّ ترياش إدارة جوانب العملية ببراعة دون أن يغفل عن أي تفصيل، محتفظاً بباناس قريبة منه ليطمئن على أمنها وأن شخصاً دنيئاً لن يستغلها للضغط عليه..

وفي جانب آخر من القصر، ترددت ميام كثيراً قبل أن تغامر بمغادرة جناحها.. مع زيارة أحد الحرس المرسلين إليها من الملكة الأم، ومع طلب الملكة منها أن تلزم جناحها ولا تغادره حفاظاً على سلامتها، ساور ميام قلق شديد لما يجري في القصر.. وتبادر لذهنها أن تكون الملكة الأم تحاول إثارة النزاع مع سوريم من جديد رغم فشلها في المرة السابقة.. أخيراً، شدّت ميام عزمها وغادرت الجناح متلفتة حولها بقلق، فيما سارت خلفها إحدى الوصيفات هامسة بتوسل "مولاتي.. أطيعي ما يطلب منك أرجوك لسلامتك.. القصر يضجّ بالخونة، ولا ندري ما قد يفعلونه بك للضغط على مولاي الملك.."

قالت ميام بحزم غريب عليها "لن أركن للراحة دون أن أعرف ما جرى لمولاي.. ابقي هنا ولا تتبعيني لئلا يصيبك ضرر بدورك.."

ودفعتها لتعود للجناح مغلقة الباب عليها، ثم سارت بخطوات متسارعة وهي لا تعلم لأي اتجاه توجه نفسها.. هل تذهب لقاعة العرش؟.. أم تذهب لجناح الملكة الأم كي تفهم ما يدور في القصر؟.. هل تبحث عن بيزاراك لتعرف إن كان جنوده قد تمكنوا من الخونة؟.. شعرت ببعض التوتر وهي ترى جماعة من الحرس يركضون حاملين أسلحتهم في هذا الممر، فاستدارت وسلكت طريقاً آخر على الفور دون أن تدري إن كانوا موالين لسوريم أم للخونة.. ما الذي يجري في القصر في هذه اللحظات؟.. وما الذي عاد بالخونة بعد أن سعى سوريم جاهداً للقضاء عليهم؟..

ارتطمت أثناء سيرها بشخص اعترض طريقها على عجالة، فشهقت بقلق وهي ترفع بصرها إليه.. لكنها فوجئت به يحيطها بذراعيه بقوة ويهمس "لشدّ ما أنا سعيدٌ أن أولئك الخونة لم يصلوا إليك يا ميام.."

تشبثت به وهي ترفع بصرها وتتأمل ملامح سوريم قائلة بدهشة "ما الذي يجري يا مولاي؟.. هل حاول الخونة الوصول للعرش من جديد؟.."

كانت القتامة الواضحة على وجهه تحمل إجابة واضحة لهذا السؤال، فقالت بإلحاح "لكنك تخلصت منهم.. أليس كذلك؟.. الشكر للشمس المجيدة أنك لم تصب بسوء.."

قال سوريم بنبرة ساخرة مريرة "تخلصت منهم؟.. إن كان فراري من قاعة العرش ذليلاً هو خلاصي منهم، فتعساً لهذه النجاة.."

اتسعت عينا ميام وهتفت "ماذا عن حراسك؟.. ماذا عن جنودك وقائد جنودك؟.. أين هم؟"

قال سوريم بزفرة غضب "حراسي تخلوا عني.. جنودي خانوني.. وقائد جندي خائن منذ أمدٍ لا أعلمه.. والآن، لو قبضوا عليّ، فلا أقل من أن يقتلوني.."

همست ميام مرتجفة "ما الذي سنفعله إذن؟.. ألا نملك وسيلة للفرار؟"

دمدم سوريم بحنق "لا يمكن أن أفر من قصري.. سأردع هؤلاء الخونة.. لو كنتُ أملك جنوداً أثق في إخلاصهم، فسأتمكن من القضاء على هذا الانقلاب البائس بلمح البصر.. لو أعثر على من يحضر لي رأس رادال....."

التمعت عيناه بفكرة طارئة يمكنها أن تحل ما وقع فيه ببعض التخطيط، فجذب ميام معه وهو يتلفت عبر ذلك الجدار، عندها همست ميام بقلق "إلى أين سنذهب؟.."

أجاب سوريم باستعجال "هناك وسيلة واحدة فقط.. وعلي أن أقتنص تلك الفرصة قبل أن يصل إليها رادال قبلي.."

لم تفهم ميام ما يقوله وإن لم ترفض اللحاق به وهو يجذبها عبر الممرات الجانبية بشكل متعرج.. حتى وجدته يقف أمام باب أحد الأجنحة التي عرفته منذ النظرة الأولى، وإن كانت جهلت سبب قدومه لهذا المكان بالذات.. لكن سوريم لم يتمهل وهو يفتح باب الجناح ويدفع ميام أمامه لتدخل عبره ثم أغلق الباب خلفه.. ولما التفت خلفه، رأى الملكة الكبرى جالسة في كرسيها باسترخاء تام، وهي تحيط نفسها بفرقة الجنود الخاصين بها لحمايتها وعددهم لا يقل عن عشرين جندياً بأسلحتهم.. جذب سوريم أنفاسه، وشد جسده قبل أن يتقدم بخطوات حازمة من الجنود قائلاً بأمر "فلتخرج جماعة منكم وليحاولوا القضاء على

ذلك المدعو تریاش.. ولو تمكنتم من إحضار رأس رادال، فسأرفع مقامكم في القصر عالياً.."

ظل الجنود على صمتهم التام دون أن يبادر أحدهم للحراك، بينما علقت الملكة الكبرى بابتسامة "أنت تجاوزت حدودك هذه المرة يا سوريم.. هؤلاء الجنود لا يأتمرون إلا بأمري.."

نظر لها سوريم باستنكار، ثم هدر قائلاً "أنا الملك.."

ضحكت الملكة ضحكة هازئة، وعلقت "أتدري ما معنى أن تكون الملك؟.. معناه أن غرورك يهيئ لك أن ولاء الجنود لك مطلق.. لكن ولاء الرجال يتغير كما يتغير سعر السلعة في أي سوق، والرابح هو من يدفع أكثر.. أما أنا، وتریاش بالمثل، ندرك أننا يجب أن نشتري هذا الولاء بكل وسيلة ممكنة، ونبقيه تحت أعيننا المتمحصة طوال الوقت.. والآن، ها أنت تدرك معنى غرورك منقطع النظير هذا.."

شدّ سوريم جسده قائلاً "إذن فليكن الأمر منك أنت يا جدتي.."

لم تتحرك الملكة من مكانها وهي تقول باسترخاء "للأسف.. ليس هذا ما أنتوي فعله الآن.."

قال سوريم محتداً "أنتِ تدركين أي ورطة نحن فيها الآن.. وهزيمتي تعني هزيمتك بالتبعية.."

التصقت ميام به بقلق وهي تتشبث بذراعه، بينما نهضت الملكة بحركة حادة لا تدلّ على عمرها الكبير.. وتقدمت منه قائلة بسخرية "لا تجمعني في خانة واحدة معك يا رجل.."

ومالت نحوه مضيفة "فأنا للأسف لا أحب القضايا الخاسرة.."

التمعت نظرة بغض واضحة في عينيه، ومد يده يمسك عنق الملكة بقوة ضاغطاً عليها وهو يقول بغضب "سنرى لمن سيكون ولاء هؤلاء بعد أن يروا جثتك الهامدة.."

فوجئ بتلك الضربة القوية التي ضربت يده وجعلته يفلت عنق جدته ويتراجع خطوة للخلف بصدمة.. كان أحد الجنود قد اقترب منه بسرعة ولطمه بمؤخرة بندقيته بقوة ليحمي مولاته، وهو تصرفٌ لم يتوقع سوريم أن يحدث قط حتى في أحلامه.. كأميرٍ وولي للعهد، ومن بعدها كملك للمملكة كاملة، لم يجرؤ شخصٌ على النظر له بنظرة لم تعجبه، ناهيك عن لمسه دون إذن.. فما بالك بضربة مؤلمة على يده؟!...

اعتدلت الملكة وهي تتراجع وترفع يدها بحركة خفيفة، ففوجئ سوريم بالبنادق ترتفع في وجهه دون هوادة أو لمحة تردد من الجنود.. دفع سوريم بميام خلفه وهو يقلب بصره في الجنود بصدمة، وصاح بغضب "لمَ تفعلين ذلك يا جدتي؟.. كيف لك أن تتخلصي مني بهذه البساطة؟.."

قالت الملكة وهي تتراجع لتجلس على كرسيها من جديد "أنا امرأة عملية، وقد ورث توريك مني هذا.. لهذا السبب لم يتردد في الخلاص من رادال بعد موازنة خياراته.. وأنا أكرر الأمر ذاته الآن.. فكيف لك أن تفرح بهذا القرار عندما كان لصالحك، وتستنكره عندما أصبح ضدك؟.."

صاح سوريم "أنتِ كاذبة.. ما كان أبي ليفكر بالخلاص مني لأجل رادال.. أنا ابنه المفضّل.. ولذا منحني هذا العرش مستثنياً رادال من وراثته.."

قالت الملكة الكبرى بسخرية "لكن توريك ليس موجوداً ليقرّ بأفضليتك على رادال.. وأنا لا أعبأ بما مضى.. ما يهمني الآن ما ستقبل عليه المملكة في الأيام القادمة.. بوجودك، ووجود رادال، سيزداد الصراع ويلتهم القصر ومن فيه، وربما شادين كذلك.. وأنا لا طاقة بي للانتظار لمعرفة نهايته.. العمر يمضي كما تعلم.."

رأى أحد الجنود يقترب منه عدة خطوات رافعاً بندقيته، فوقف سوريم أمام ميام هاتفاً بغضب "ما الذي ستفعله أيها الحقير؟"

قالت الملكة ببساطة "لِمَ الغضب؟.. هذا الجندي المخلص ينفذ أوامري لا غير.."

بهتت ميام وهي ترتجف بعد أن أذهلتها قسوة الجدة على حفيدها بحيث لا تتوانى عن الخلاص منه عندما بدأ يواجه غريماً أكثر قوة منه.. بينما سال العرق على صدغ سوريم وهو يرى الجندي يصوّب سلاحه نحوه بانتظار إشارة جدته التي جلست تراقبه بصمت وابتسامة جانبية..

تلمّست أصابع الجندي الزناد بانتظار إشارة الملكة الكبرى، دون أن يخايله تردد في أهمية إطاعة الأوامر حتى لو كانت تعني القضاء على ملك البلاد، لكنه فوجئ في تلك اللحظة بطلقة أصابت يده فاخترقتها وأجبرته على رمي بندقيته أرضاً وهو يطلق صيحة ألم ويتراجع.. رفع بقية الجنود أسلحتهم نحو مصدر الطلقة بتحفز بينما نظر البقية نحو باب الجناح وهم يسمعون من يقول "من الجيد أنني أحكمت التصويب هذه المرة.. لو أخطأت، لكانت النتائج مريعة.."

رمقت الملكة الكبرى رادال الذي وقف مصوباً مسدسه نحوهم بتهديد، وقالت مقطبة "ما معنى هذا؟.."

ابتسم رادال مجيباً "أولاً، من غير اللائق أن يصوب الجنود أسلحتهم نحو ملكهم، حتى لو أزيح من عرشه.. ثانياً، أنا لم أسمح لأحدٍ بعقاب سوريم، فهذا أمرٌ يخصني وحدي.."

رفعت الملكة يدها وخفضتها، فخفض الجنود أسلحتهم تلقائياً، وقالت رامقة سوريم الغاضب "هل ستعفو عنه؟.. خذ بنصيحتي ولا تفعل ذلك.. سيعود لينهش عنقك في أقرب فرصة.."

قال رادال مديراً مسدسه نحو سوريم "من قال إنني سأعفو عنه؟.. لست بهذا الغباء.."

ظل سوريم مواجهاً شقيقه باعتداد دون أن يُظهر خوفاً من المسدس الموجه نحوه.. كل ما كان يقلقه، والذي أثار نفضة لا إرادية في جانب فمه، هو مصير ميام.. ما الذي ينوي رادال فعله بها؟.. لو كان مكانه، لقتلها بعد أن يقتل شقيقه دون تردد.. فوجود من قد يطمح للانتقام منه هو أكبر خطأ قد يرتكبه أي شخص..

قبل أن يحاول القيام بأي تصرف، فوجئ بميام تندفع لتقف أمامه وهي تهتف بصوت مرتجف "لا تفعل هذا.."

تجمد سوريم ورادال ينظر لها بعجب، فيما قالت ميام متوسلة "أرجوك لا تقتل سوريم.. اعفُ عنه، وأعدك أننا لن نتدخل في أمور المُلك بعدها مطلقاً.."

ارتفع حاجبا سوريم بشيء من الصدمة لتوسلاتها لغريمه، وحنق للوعد الذي لا يقبله مطلقاً.. فقال بغضب وهو يجذبها "ما الذي تفعلينه يا ميام؟.. لا تتذللي لهذا الحقير.."

لم تنظر له ميام وهي تواجه رادال قائلة برجاء ولهجة مرتجفة "أرجوك.. هو كل من أملك في هذه الحياة.. أنا.... وطفلي....."

بهت سوريم وهو يسمعها، فيما صمت رادال للحظة موازناً خيارته، بينما اعتدلت الملكة الكبرى صائحة "طفلك؟.. أأنتِ حبلى؟"

هزت ميام رأسها إيجاباً وقالت بصوت ينتفض "بلى.. هذا الطفل هو ابن أخيك يا رادال.. أعني يا مولاي.. فلا تحرمه من أبيه بجريرة لم يرتكبها.."

ضحكت الملكة ضحكة عالية ساخرة، وصاحت "لقد انقَضَتْ فرصتك يا فتاة.. كان أمامك الكثير من الوقت لتجلبي لنا وريثاً لهذا العرش، لكن تقاعسك قد قلب الكثير من الموازين ضد مليكك الذي رفض استبدالك عندما لاحت له الفرصة.."

لم تعلق ميام وهي ترمق رادال منتظرة حكمه بعيونٍ احتشدت بها الدموع.. فيما قالت الملكة بإصرار "لا

تتخاذل الآن يا رادال.. لكل امرئٍ فرصة، وفرصتك تلوح أمامك فلا تتوانى عن اقتناصها.."

ابتسم رادال، ودسّ مسدسه في حزامه بحركة سريعة قائلاً "لا أستطيع تجاهل دموع امرأة، حتى لو كانت لأجل غريمي.."

وتجاهل خيبة أمل الملكة الكبرى مضيفاً بحزم "لكن هذا لا يعني أنني سأعفي سوريم من العقاب.."

فور أن أزاح مسدسه بعيداً، أجهشت ميام بالبكاء بعد الانفعالات الحاشدة التي مرت بها، وهي لا تصدق أن سوريم سيبقى حياً، ولو لأيام قليلة بعدها.. لقد كانت واثقة أن رادال لن يتوانى عن إطلاق رصاصته في رأس أخيه، لتبقى بعده وحيدة وتلك التجربة المروعة تورثها صدمة نفسية قد لا تستفيق منها أبداً..

شعرت بسوريم الذاهل يمسك كتفيها ويضغط عليهما محاولاً تهدئتها، ثم سألها بخفوت "لِمَ لِمْ تخبريني بكل هذا؟.."

قالت من بين نشيجها "كيف لي أن أحدثك عن هذا الأمر وسط كل الأحداث الهامة التي تمر بها المملكة؟.. خبرٌ كهذا ارتأيت أن أؤجله حتى تصفو لك الأمور.. ولم أظن للحظة أن الأزمات لن تنفك تسقط على رؤوسنا تباعاً.."

صمت سوريم مبتلعاً مرارته وصدمته لكل ما جرى هذا اليوم، وضمّ رأس ميام له وهو لا يدري كيف يعبر عن مشاعره.. أي سعادة يقدر على التعبير عنها بينما يرى ملكه يتهاوى ويُنتزع منه عنوة؟.. أي سعادة بمجيئ طفله الذي انتُزع إرثه منه قبل أن يرى نور الشمس المجيدة؟..

نظر رادال للجنود خلفه وقال "خذوا سوريم واحتجزوه في جناحه، وليبقَ أربعة منكم لحراسة الجناح دون أن يدخل عليه أي شخص إلا بأمري.."

اندفعت ميام تهتف "خذوني معه.. سينالني ما يناله، ولا أريد مصيراً يخالف مصيره.."

جذبها سوريم بانزعاج بالغ قائلاً "ميام.. ما هذا الذي تفعلينه؟"

قالت ميام بإصرار "أكون معك للنهاية.. أليس هذا ما عاهدتك عليه عندما تزوجتني؟"

قال سوريم باستنكار "سيقتلونك.."

ابتسمت ميام ابتسامة مرتجفة "وهل ستبقى لي حياة من بعدك؟.. أتظن أن أحدهم سيتركني أعيش بعدك طويلاً؟.. على الأقل، اتركني أشاركك مصيرك هذا مهما كانت نهايته.."

ظل سوريم ينظر لها بصدمة وعدم تصديق، بينما قال رادال "كما تشائين.. لا أريد أن أرفض دون سبب.. لكن عليكِ أن تفكري بالطفل الذي تحملينه في أحشائك، والذي لا ذنب له في كل ما جرىٰ.."

صمتت ميام عن التعليق دون أن يبدو عليها التردد، فاقتاد الجنود سوريم وميام نحو سجنهما المؤقت متفادين معاملته بطريقة مهينة.. ولم يتردد سوريم في السير أمامهم دون أن يخفض رأسه أو تبدو عليه المهانة والذل لما جرىٰ له.. أما رادال، فقد التفت إلىٰ الملكة الكبرىٰ التي علقت قائلة "لا أدري لِمَ لمْ يرث أحدكما عقلية توريك العملية.. أنتما تتحلّيان بذات العقلية الفارغة التي تحكمها العواطف كأمكما تماماً.."

قال رادال بهدوء "لو كنت مثل أبي، لأطلقت رصاصة في رأسك حالاً يا جدتي.. فهذا ما تمليه عليّ العقلية العملية التي لا تسمح بوجود شخص في قصري قد ينقلب ضدّي عندما تميل مصالحه لجهة أخرىٰ.."

ثم أضاف بابتسامة "حالياً، أتمنىٰ ألا تحاولي مغادرة جناحك حتىٰ تستقر الأمور في القصر وفي شادين.. وبالطبع، لن يبقىٰ أحد هؤلاء الجنود اللطفاء إلىٰ جوارك لتنفيذ أوامرك يا جدتي الغالية.."

مطّت الملكة الكبرىٰ شفتيها قائلة "هل ستعاقبني لأنني أردت الخلاص من سوريم؟"

أجاب رادال وهو يشير لجنوده "من يدري؟"

راقب جنود الملكة الكبرىٰ وهم يساقون خارج الجناح، وأمر بوجود حراسة دائمة علىٰ هذا الجناح دون أن يسمح لصاحبته بمغادرته أو لشخص آخر بملاقاتها، قبل أن يغادر متوجهاً لقاعة العرش أخيراً.. لاحظ بعد خروجه من الجناح جود التي اقتربت منه بقلق واضح في ملامحها.. كانت قد تبعته منذ غادر القاعة لتبقىٰ قريبة منه ولتطمئن أن يد أحد الخونة لن يصل إليه.. فلا تدري مَن منهم مندسٌ بين رجال ترياش يتحين اللحظة للقضاء علىٰ رادال بغفلة من الجميع..

مر بها رادال دون أن يغفل عن القلق البادي عليها، لكنه أساء تفسير الأمر وظنها قد أتت ساعية إليه بانتظار أن يفي بوعده لها بما يخص الحرب وجيوش مملكة الضياء المرابطة في جوانب مملكة الغمام.. تساءلت جود عندما اقترب منها "أأنت بخير؟"

ربت رادال تربيتة خفيفة علىٰ كتفها قائلاً "لا تقلقي.. ستسير كل الأمور كما وعدتك بها.."

وغادر بصمت تاركاً جود بحيرة من جملته تلك.. ما الذي فهمه رادال من سؤالها ذاك؟.. لكنها لم تملك الخوض في هذا الأمر وهي تتبعه دون تردد ملاحظة أنه قد اتخذ طريقه نحو قاعة العرش..

بعد زوال ملك سوريم، من قد يقف في وجهه ويمنعه من الجلوس على عرش مملكة الضياء المجيدة هذا اليوم؟..

من الذي قد يعترض على تنصيبه كملكٍ حقيقي لهذه البلاد؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

في ذلك اليوم الذي سطر تغييراً جذرياً سيحل على العالم السامي، دخل رادال قاعة العرش تتبعه جود التي تنحّت في جانب المكان وإن لم يغادرها التحفز وهي تشعر أن الخطر لم يزل يحيط برادال.. سار رادال وسط القاعة بخطوات واثقة للمرة الأولى في حياته.. حتى عندما كان ولياً للعهد، كان وجوده في هذا المكان تحت نظر توریاك الذي يقيّمه في كل لحظة وحين مثار توتره وقلقه الدائمين.. أما الآن، فقد استقرت الأمور له أخيراً، وقد أصبح ملك هذه المملكة كاملة دون منازع.. من كان يصدق ذلك لو رآه ملطخاً بالطين في أرض الهوام؟..

لاحظ وجود فيرد في جانب القاعة بالإضافة لترياش، وقيرام الوزير الأول السابق للملك محاطاً بالجنود، لكن رادال تجاهل الموجودين وهو يتقدم من تلك الدرجات المؤدية للعرش أعلاها.. بدأ يصعد تلك الدرجات متحسساً كل خطوة باستمتاع كبير، ومقيّماً المسافة التي تفصله عن ذلك العرش الذي لطالما كان بعيداً عن متناول يده.. وفور وصوله أعلى تلك الدرجات، وقف أمام العرش متأملاً إياه ومتلمساً نقوشه

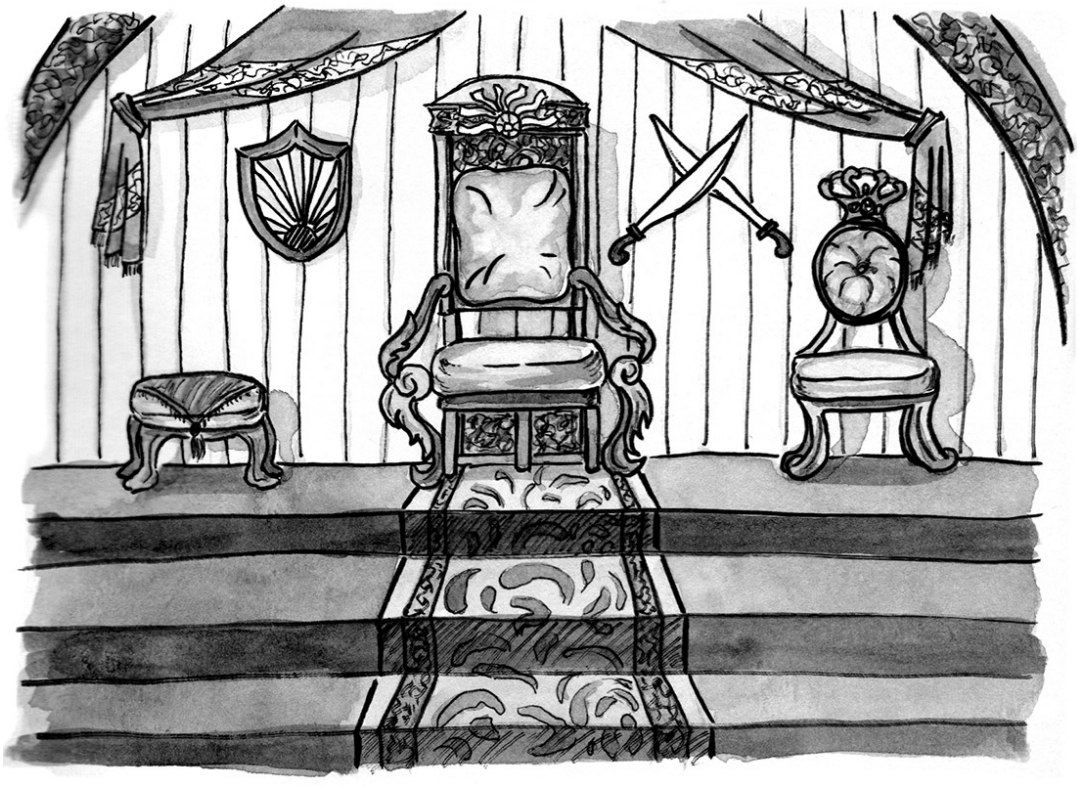

وجواهره الموزعة بعناية في جوانبه.. ثم استدار متأملاً القاعة من هذا الارتفاع، حيث ترتفع الأنظار لتتمكن من رؤيته، ثم جلس على العرش وشعور كاسح يجتاحه.. شعورٌ بالقوة.. شعورٌ بأنه قد أصبح الأعلى بين الجميع.. لا غرو أن سوريم قد اغترّ بتلك القوة وظن أنه يقدر على استعمار هذا العالم دون رادع.. فلهذا الكرسي قوة تنبع منه، وتكتسح مشاعر من يجلس عليه بشكل كلي خلال لحظات..

لكن رادال لم يكن ممن يستسلمون بسهولة.. ولم يكن العرش ليعمي بصره عما يدور حوله.. التفت في البدء إلى قيرام الذي أرغم على القدوم لقاعة العرش بعد استسلام سوريم.. فقال له رادال "ما رأيك يا قيرام؟.. هل ستظل على ولائك للملك السابق وتضطرني لعزلك من منصبك هذا، أم تقسم بالولاء لي وتعاونني في إعادة الأمن والاستقرار في ربوع المملكة؟"

أجاب قيرام بعد لحظة تردد قصيرة "لا يمكنني أن أرفض المشاركة في المحافظة على استقرار المملكة.."

ابتسم رادال وهو يرمقه، ثم قال "ما أسرع ما بدّلت جلدك يا هذا.. ألا تشعر بأي ذنب حيال مليكك السابق؟!.."

علق قيرام وهو يخفض رأسه "رغم أن ما سأقوله قد يبدو منافياً لأي منطق، لكني إنما أنا مستشار الملك.. ولائي للجالس على العرش، مهما كانت هويته.. لا أوالي ملكاً مات، ولا ملكاً أزيح من عرشه.. هذا ما يستدعيه منصبي، وما يحتمه عليّ دوري لفرض الأمن ولاستتباب الأمور في المملكة.. ولو واليت الملك السابق، فسيضطر مولاي لإزاحتي.. لا أخشى على منصبي قدر خشيتي من أن تسود الفوضى المملكة لو اضطر الملك لإزاحة كل من له شأن بالحكم السابق.."

ثم نظر لرادال مضيفاً "أنا لا أشارك في خيانة الجالس على العرش لأي إغراءٍ قد يساق نحوي.. ولم أكن لأواليك لو كان الملك السابق على العرش الآن.. كما أنني لا أواليك إلا لأنك الوريث الشرعي لهذا الكرسي، لا أكثر.."

غمغم رادال "منطقٌ مقبول.."

علق ترياش قائلاً "أنا أثق بقيرام كذلك، ويمكنني أن أشهد بصدقه وأمانته يا مولاي.."

هز رادال رأسه راضياً دون اعتراض، فأضاف ترياش "بقي أمر الملكة الكبرى.. وهي وإن كانت غير موالية لسوريم بشكل تام، لكن هذا لا ينفي أنها قد عارضت عودتك بوضوح.."

قال رادال "يكفي احتجازها في القصر.. لو غامرت بنقلها لقصر آخر، فلا أدري أي دسائس قد تحيكها بعيداً عني.."

تساءل تریاش "ألن تحاول اتخاذ أي تصرف تجاه الجنود الذين ناصبونا العداء؟.. الأفضل إزاحتهم من القصر، ومعاقبة الذين حاولوا قتلك رغم معرفتهم بهويتك الحقيقية.."

قال رادال بحزم "لا.. سأبقيهم ماداموا قد أقسموا بالولاء لي.. ومن يرغب بالرحيل، فلن أعترض على ذلك.."

علق تریاش باعتراض "هذا يجعلك تبدو بمظهر الضعيف في وقتٍ أنت بحاجة لإظهار قوتك فيه.. أتمنى أن تأخذ نصيحتي هذه بعين الاعتبار.."

تساءل رادال وهو مسترخٍ على العرش وكأنه اعتاد هذا الكرسي من الصغر "ولِمَ لا أقوم بتطبيق نصيحتك هذه عليك؟.. ما الذي يجعلني آمنك بعد ما فعلته يا تریاش؟.. لا أستبعد أن تقوم بإزاحتي من العرش متى ما حلا لك ذلك.."

بدت ملامح تریاش خالية من أي انفعال للحظات، وكأنه يقيّم موقفه، ثم قال محنياً رأسه "أنا أدين بالطاعة والولاء لك يا مولاي.. ولن أفكر قط في هذا الأمر.. لك أن تثق بكلمتي هذه.."

علق رادال بهزء "ألم تقسم لسوريم بالولاء ذاته سابقاً؟"

اعتدل تریاش مجيباً "مولاي يعلم تمام العلم أنني ما كنت لأكسر عهدي له لولا ما فعله بي.. وولائي له كان بحكم العادة لا إيماناً بأحقية جلوسه على العرش.. الأمر معك سيكون مختلفاً بالتأكيد.."

غمغم رادال وهو يحك ذقنه "أنت عاونتني بالفعل، ولم يفعل هذا غيرك قط رغم أنني كنت الجهة الأضعف وقتها.. لكني لا أستطيع التغاضي عن المصلحة التي كانت لك في الأمر ودفعتك لما فعلته.. لولا غرضك ذاك، لما وافقت على مد يد العون لي ولربما سلّمتني لسوريم بنفسك.."

صمت تریاش دون أن يبدو عليه القلق بانتظار حكم رادال عليه.. وبعد صمت قصير، قال رادال "لكني لست ممن ينكرون معروفاً قدّمه أحدٌ إليه.. ومعروفك أكبر مما أقدر على التغاضي عنه.. لذا، أمنحك ثقتي الكاملة يا تریاش، وأعاهدك أن تكون لك مكانتك في هذه المملكة ما دمت على ولائك لي.."

ابتسم تریاش منحنياً من جديد قائلاً "دامت أيامك زاهية بنور الشمس يا مولاي.."

فقال رادال بعدها "لكني لن أسمح لك بالعودة لباتير بعد الآن.."

نظر له ترياش بضيق هذه المرة وقال "هل ينوي مولاي عزلي من حكم تلك المدينة؟.."

أجاب رادال بابتسامة "بل أنوي ترقيتك للإقامة في شادين كمستشار لي.. أليس ذلك أفضل من بقائك في تلك المدينة وحيداً؟"

علت ابتسامة راحة وجه ترياش وهو يهمّ بتقديم شكره للملك على هذه الثقة، لكن رادال مال في كرسيه قائلاً "بهذه الحالة، ستبقى أمام عينيّ طوال الوقت ولن تقدر على القيام بألاعيبك الصغيرة هذه مجدداً.."

لم يعترض ترياش على هذا التعليق وهو ينحني قائلاً "المجد والعلياء لمولاي الملك رادال.. ملك مملكة الضياء ووريث عرش الشمس.."

الملك رادال.... كان ذلك لقبٌ لطالما سعى رادال لاستعادته.. ملك مملكة الضياء.. الملك الحقيقي الذي عاد بعد نفيه الطويل واستعاد العرش بضربة حظ أكثر من أن تكون بعد صراعٍ متكافئ.. وقد قالت الملكة الأم فور دخولها القاعة ورؤية رادال على كرسي العرش "لكم أنا مسرورة أن هذا النزاع قد انتهى بشكل سلمي دون الحاجة لإراقة الدماء.. وها أنت يا بني الحبيب قد أصبحت ملك البلاد الأوحد.. وأكثر ملوك العالم السامي أهمية في الأيام القادمة دون تأكيد.."

لم يعلق رادال على قولها وهو يلتفت جانباً متسائلاً "حسناً، يا وزير الملك، ما هو برأيك أول قرار على ملك البلاد أن يتخذه فور جلوسه على هذا العرش؟.."

تقدم قيرام قائلاً "مولاي.. علينا إرسال الرسائل للمدن والولاة كافة بخصوص توليك عرش هذه المملكة.. وإرسال رسائلنا لملوك الممالك الأخرى.. هذا أول ما يجب فعله قبل إقامة حفل تنصيبك ملكاً على المملكة بالفعل.."

اعتدل رادال قائلاً "الأهم من إقامة الاحتفالات بتنصيبي ملكاً على المملكة، هو أمر هذه الحرب التي انغمس فيها جيشنا والذي لابد من قرار بشأنه.."

قالت الملكة الأم وهي ترتقي الدرجات المؤدية للعرش، وتجلس على يمين رادال "وماذا بشأنها؟.. لن يتغير أمر حتى بتغيير الملك.."

علق قيرام "ستظل جيوشنا ملتزمة بالأوامر السابقة حتى صدور قرار جديد من جهتك.. لذا ليس عليك

أن تقلق لأمرها يا مولاي.."

قالت الملكة الأم وعيناها تلتمعان حماسة "ربما هذه كانت الحسنة الوحيدة التي قام بها سوريم.. أصبحت مملكة الغمام السابقة تنضوي تحت عرشك، واستقر لنا الأمر فيها أخيراً.. وهذه، كما لابد تدرك، هي بداية الأمر فقط.."

نظر رادال جهة جود التي وقفت جانباً تشهد ما يجري بصمت.. ورغم بعدها عنه، لكنه لمح قلقها واضحاً في عينيها.. لمح رجاءها، وتوسلاتها الصامتة رغم أنها لم تغيرّ وقفتها أو تبدي حراكاً.. عاد رادال ببصره لأمه ليرى انفعالها بكل ما جرى، وثقتها البالغة بخصوص هذه الحرب بعد الوعد الذي وعدها إياه قبل قدومه لشادين.. ثم أدار وجهه للأمام ورفع رأسه قائلاً بحزم "لن يستتبّ الأمن ويستقر الوضع في العالم السامي قبل أن ننزح الجيوش من مملكة الغمام ونعيد لها استقلالها.."

نظرت له الملكة الأم مبهوتة، فيما نهض رادال واقفاً قائلاً بصوته الجهوري "فلتصدر أمري لكافة قادة جيشنا في مملكة الغمام.. فلينسحبوا انسحاباً شاملاً وسريعاً دون إحداث أي ضرر في تلك المملكة.. وكل من يتخلف عن تنفيذ أمري يتم إعدامه على الفور.. أخبرهم قراري هذا قبل أن يفكر أحدهم بإبداء رفضه أو استنكاره لهذا الأمر.."

حنى قيرام رأسه دون اعتراض، وبدت الراحة العميقة على وجه جود وهي تتمنى لو تستطيع الاقتراب من رادال وشكره على ما ينوي فعله.. لقد وفى بوعده لها، وأثبت أنه لم يحاول خداعهم ليصل لما وصل إليه.. فيما هبّت الملكة الأم قائلة باستنكار "كيف تفعل ذلك يا رادال؟.. بعد كل ما فعلناه وكل الجهد المبذول لتحقيق هذه الأمنية؟!.. هذا مريع.."

التفت رادال إليها قائلاً "لم تكن تلك أمنيتي قط.. ولا تنسيْ أنني أول ضحايا هذه الحرب.. ضعي نفسك موضع مئات الآلاف من الأمهات اللواتي فقدن أبناءهن في هذه الحرب، وتذكري أن كاتيرد كان ينوي تكرار الأمر ذاته في هذه المملكة.."

لم يخفت الاستنكار من ملامح الملكة الأم، فقال رادال بلهجة قاطعة "ولا أنوي تغيير رأيي في هذا الأمر.. لذا أرجو أن تعفيني من هذا الجدال.."

عقدت الملكة الأم حاجبيها قائلة بحنق "يبدو أنك لا تختلف كثيراً عن سوريم.. فأنت تملك العناد ذاته.."

نظر لها رادال بابتسامة معلقاً "وهل ستفعلين معي ما فعلته مع سوريم؟"

زال تقطيبها وهي تدير وجهها جانباً، ثم زفرت قائلة "لن أفعل ذلك بالطبع.."

فقال رادال وهو يهبط الدرجات "أرجو ذلك.."

سار عبر قاعة العرش ملاحظاً رحيل قيرام لتنفيذ أمره بخصوص تلك الحرب، فيما تقدم رادال من جود التي لاقته عند منتصف المسافة وهي تقول بصوت متهدج "شكراً لك يا رادال لأنك أوفيت بوعدك لي.."

دار رادال ببصره جانباً وهو يقول بخفوت "هذا أقل ما أفعله اعتذاراً من كل من تضرر بسبب قرارٍ أحمق اتخذه أخي.. رغم أن ذلك لن يكون كافياً أبداً لتعويض كل من فقد عزيزاً بسبب هذه الحرب.."

لم تدرِ جود لمَ شعرت بأن رادال يرى نفسه مذنباً لكل ما جرى.. ورغم ذلك لم تملك ما تعلق به على هذا الأمر أو تعبر عن امتنانها العميق لما فعله.. رغم أن وجودها لم يكن ذا نفعٍ كبير له بالفعل، لكنه لم ينكر ذلك الوعد ولم يتجاهله..

سمعته يقول دون أن يلاقي عينيها "يمكنك بعدها العودة لقانار وأنت مطمئنة.. فهذا كان حلمك منذ زمن طويل.."

ذلك كان حلمها بالفعل، لكن لا تدري إن كان كذلك حتى الآن.. لذا عزفت عن التعليق وهي تخفض وجهها بصمت.. هل كان يظنها تعاونه لأنها تنتظر منه أن يوفي بوعده لها فقط؟..

التفت رادال إليها أخيراً متسائلاً "أين بارا؟.. هناك وعدٌ أخيرٌ عليّ تنفيذه قبل أن ينتهي هذا اليوم.."

أدركت جود مقصده، فقالت "سأبحث عنه وأحضره لك على الفور.."

واستدارت مغادرة بحثاً عن بارا، ورادال يتابعها بعينيه بصمت.. ما تزال الأمور عالقة بينه وبينها منذ ذلك اليوم الذي التقيا فيه بعد فراقهما الطويل قبله.. لكن هل يمكنه أن يفاتحها بهذا الأمر مجدداً؟.. هل يتناسى الأمر ويحاول تناسيها؟.. جود ولا بد عائدة لوطنها بعد أن ينسحب الجيش منه.. فهل يتركها ترحل ببساطة؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم يملك بارا انفعاله وهو يخطو في معبد الشمس لأول مرة بعد اثنتي عشرة سنة.. دار ببصره في المعبد الذي بدا لعينيه سابقاً مرعباً ضخماً مهيباً.. أما الآن، فلا يبدو له أكثر من بناءٍ مزخرف حاول أصحابه فرض المهابة عليه لانعكاس هذا الأمر على مكانتهم في المملكة وبين أفراد الشعب الذين يزورون هذا المعبد في مواسم محددة.. ومع نور الشمس الغاربة، بدا المكان أكثر كآبة من السابق وبهتت ألوانه فاقداً جزءاً كبيراً من مهابته..

سار بارا خلف رادال الذي مشى واثقاً في الممر المؤدي لساحته الرئيسية، برفقتهما سيرا وجود، وحولهما فرقة من الجنود لحماية الملك من أي هجوم أو ثورة محتملة.. سارت سيرا قريبة من رادال وهي تقول لبارا "ما أهمية ما تفعله حقاً؟.. هل سيعيد هذا الانتقام كل السنوات التي ضاعت من حياتنا؟"

لم يعلق بارا وعيناه تنطقان بمدى الانفعال الذي يشعر به لتحقيق حلمه وانتقامه أخيراً، بينما تقدمت سيرا من رادال محاولة إمساك ذراعه وهي تقول بابتسامة "بل إنني شاكرة لهؤلاء الكهنة، لأنهم هم من ساقوني للقائك يا رادال.."

لم يمكّنها رادال من إمساك ذراعه كعادتها، ولم يستجب لتعليقها وهو يقول لأحد جنوده "اجمع كل الكهنة في هذا المعبد.. أريدهم أمامي في ساحة القرابين بالذات.."

وسار متوجهاً لتلك الساحة التي تشهد في المعتاد طقوس إعداد القرابين والتضحية بهم منذ عدة عقود لا حصر لها.. فيما وقفت سيرا واجمة متخلفة عنهم وهي ترمق رادال بصمت وتعضّ شفتها السفلى بقهر واضح.. لقد فاض بها الكيل من صدّه ورفضه المتكرر لها.. وازداد الغلّ في أعماقها لأنه يتعمد فعل ذلك أمام الجميع.. وبالذات أمام جود.. فحتى متى يمكنها أن تكظم غيظها لكل ما يفعله بها؟..

بعد لحظات، كان الجنود قد نفذوا أمر الملك وحصروا جميع كهنة المعبد في ساحته دون أن يبدي أحدهم اعتراضاً جدياً.. لم يكن الكهنة يعرفون ما يراد بهم، ولم يخايل أحدهم أي ظن سيئ بخصوص هذا الاجتماع.. بل دار بذهن الجميع أن رادال قد جلبهم لإجبارهم على إدلاء القسم له والولاء التام له.. وفور اجتماعهم أمامه، تقدم كبير الكهنة منه قائلاً "المجد والعلياء للملك الجديد.. لقد بدأ عهدٌ جديد بك يا مولاي الملك.. وأنا واثقٌ أن الشمس سترعاك بضيائها لسنوات طوال.."

كان في قوله تملقٌ واضح لرادال، خاصة أن رادال يدرك رفضهم السابق له لأنه أحد القرابين البشرية الذين

قام المعبد بالتضحية بهم.. لكنه لم يعلق على هذا الأمر وهو يقول "لم آت لأسمع هذا القول منك يا هذا.. بل لإبلاغكم بقراري الخاص بهذا المعبد وكهنته.."

نظر له الكهنة بصمت وترقب، فقال رادال مديراً بصره بين الكهنة وكبيرهم "لقد أمرت بإلغاء عبادة الشمس، وهدم هذا المعبد وتسويته بالأرض.. منذ اللحظة، لا كهنة في هذه المملكة.."

انتفض كبير الكهنة وصاح "أنت ترتكب إثماً عظيماً، ألا تخشى من نقمة شمسنا المجيدة؟.."

قال رادال بسخرية "لستُ أعبد الشمس لكي أخشاها.. لذا لا يهمني ما تتهمني به.."

صاح كبير الكهنة بإصرار وارتياع "هذا خطأ كبير ستندم عليه يا هذا.. عبادتنا هذه هي ما يجمع هذا الشعب تحت لوائك، ويجبره على إطاعتك.. لو ألغيت هذه العبادة، ولو هدمت هذه المعابد، فأنت تبيح للشعب بأن يثور عليك وأن يأخذ نصيبه مما تملكه ومن المكانة التي تحتلها.. نحن السبب الذي لأجله يخضع لك أولئك الألوف المؤلفة من البشر.. فكيف ستضمن ولاءهم دون هذا الدين؟"

وقف رادال أمامه بحزم قائلاً "هناك أمورٌ أخرى يمكن لسكان مملكتي أن يدينوا بالولاء لي لأجله.. وربما دمار هذه المعابد هو أهم تلك الأسباب.. لذا ليس لك أن تقلق على مُلكي وما سأفعله من بعدكم.."

ونظر خلفه مضيفاً "وها هو أحد رعايانا يتلهف لما تستنكره أنت اليوم.."

نظر كبير الكهنة خلف رادال بدهشة، ليرى بارا يتقدم منه عابس الملامح مضموم القبضتين.. فقال رادال وهو يضع يده على كتف بارا "هذا هو أحد قرابينكم المزعومة.. وهو قد أمضى اثنتي عشرة سنة من حياته يتمنى اللحظة التي يلقي فيها بأحدكم لأرض الهوام كما فعلتم به دون رحمة.."

تعلقت الأبصار ببارا بصمت وتوجس.. فدار بارا ببصره بين الكهنة الذين تناثروا على ركبهم أمامه، ورغم مضي تلك السنوات الطويلة وتشوش ذاكرته حول تلك اللحظة المصيرية من حياته، لكنه بحث بإصرارٍ بين الوجوه عن وجهٍ يذكره من ذلك اليوم المشؤوم.. لكنه لم يتعرف على أحدهم في تلك اللحظة، كل ما أدركه أن كبير الكهنة الراكع أمامه كان موجوداً في ذلك اليوم وهو الذي أشرف في كثير من الأوقات على إعدادهما كقرابين قبل يوم التضحية..

تقدم بارا دون تردد من كبير الكهنة، فجذبه من مجمع ملابسه وجرّه بقوة عبر الساحة ونحو الدرجات القليلة التي تؤدي للفراغ.. ورغم مقاومة الكاهن، لكن ذلك لم يكن مجدياً مع كِبَرِ سنه ووهن جسده، فيما

كان غضب بارا يكسبه قوة مضاعفة وهو يجبره على الركوع عند آخر الدرجات مواجهاً الفراغ يكاد يهوي فيه بجسده.. عندها قال بارا بغلّ وهو يرى تشبث الكاهن بالأرض وذعره الواضح من مرأى الفراغ تحته "ما رأيك الآن؟.. ليس هذا بالموقف اللطيف الذي قد يسعد له المرء كما لك أن تتخيل.. هل راودك أي ندم وأنت ترمي بأولئك الصبية من هذا الارتفاع نحو موتهم المحتم؟"

قال كبير الكهنة بصوت راجف "كان هذا حتمياً.. لم يكن ذلك اختياري.. كان ذلك ما يحتمه علينا ديننا، وما تطلبه منا معبودتنا المجيدة لكي تمنحنا الأمان والسلام الذي نرجوه.."

صاح بارا بغضب وهو يضغط على عنقه من الخلف بقوة "وهل انتُهك السلام إلا بأيديكم وأيدي الملك الذي جار على جيرانه بجيوشه؟.. هل تهاوى العالم السامي بعودتنا إليه؟.. أم أن الشمس غضبت لأنها لم تحصل على قرابينها المزعومة؟"

نظر له الكاهن الأعلى وقال بصوت ينتفض "وهل ترى الشمس راضية عن عودتكم؟.. ألا تدلّك الفوضى التي تعيشها مملكتنا أن خوفنا لم يكن كلاماً فارغاً لا معنى له؟.."

عبس بارا بشدة وهو يشدّ قبضته على ملابس الكاهن، وساءه أكثر ما ساءه أنه لا يلمح الخوف في عيني كبير الكهنة.. بل بدا إيمانه وتصديقه بما يقوله أكبر من أي خوف قد يعتري صدره.. وفي هذه اللحظات، كل ما كان على بارا أن يفعله هو أن يرخي قبضته المشدودة على ملابس غريمه والتي تمنعه من السقوط في الفراغ.. عليه أن يدفعه دفعة صغيرة، ليهوي كبير الكهنة لمصيره الذي توعده على مدار عقد ونيف من حياته.. لكن كان الأمر في هذه اللحظات أصعب بمراحل مما تخيله وحلم به لسنوات طوال..

لكن بارا لم يملك القوة لتحقيق ذلك، وبعد لحظة ترقب من كل مَن في الساحة لما يجري، خفض بارا رأسه للحظة قبل أن يقول بأنفاسٍ ثائرة "ليتك أبديت ندمك على ما فعلته.. ربما ما شعرتُ عندها بالبغض الذي أشعر به الآن لك ولكل من في المعبد.."

انتفض كبير الكهنة للحظة ظاناً أن بارا سيفلته، ورمق السماء الغائمة تحته بقلق، لكن بارا جذبه نحوه حتى ألصق وجهه بوجه الكاهن، وقال بغضب "لا أظن سلب حياتك سيكفي لتعويض كل أولئك الذين ماتوا على يديك.. عليك أن تعمل جاهداً لما بقي من عمرك البائس للتكفير عن الذنوب التي ارتكبتها طوال حياتك.."

تراكض الكهنة نحو كبيرهم لجذبه بعيداً عن الهاوية، فيما تخلى بارا عن ملابسه وهو يستدير ويرحل بصمت دون أن يغادر العبوس وجهه.. فتلقاه رادال المتعجب متسائلاً "هل غيرّت رأيك؟.. ألم تأتِ لهذا العالم بهدف الانتقام؟"

قال بارا بصوتٍ مغموم "افعل هذا لو شئت أنت.."

نظر رادال للحظة لكبير الكهنة وبقية الكهنة، ثم غمغم بضيق "أتظن أن الأمر سيكون أسهل عليّ مما هو عليك؟"

لم يعلق بارا بكلمة وغادر بخطوات واسعة، فيما زفر رادال وهو يراقب الساحة وما يجري فيها بصمت.. ليته كان يملك القسوة الكافية للتنكيل بهؤلاء الكهنة قساة القلوب.. نظر للكرسي الفخم الذي يقع في صدر تلك الساحة، والذي يحتله الملك عادة ليشهد مراسم التضحية بالقرابين.. ثم توجه بشكل آلي لذلك الكرسي وجلس عليه رامقاً الساحة الواسعة أمامه والدرجات القليلة التي وقف على رأسها يرمق الفراغ.. من هذا الموقع، شهد الجالس على هذا الكرسي مراسم التضحية به مرتين.. مرة حيث جلس أبوه توريك وهو في العاشرة.. ومرة حيث جلس شقيقه سوريم الذي لم يتردد في تكرار الأمر بكل قسوة..

وقفت جود قرب رادال الذي يحدق بالساحة ساهماً، والتزمت الصمت بدورها وهي تدرك ما يدور في ذهنه من مشاعر مسترجعاً كل المواقف التي مرّ بها في هذا المكان.. لا يمكن لجود التي عاشت مع أبوين ضحيا بحياتيهما للدفاع عنها، ومع رجلٍ تبناها وأنشأها نشأة قوية واثقة، محاطة بمن تثق بهم وتحبهم.. لا يمكنها أن تفهم شعور رادال الذي وجد أن أقرب الناس إليه هم من أرسلوه لموته مرة بعد مرة لتحقيق أغراضهم الشخصية..

لاحظت أن رادال نهض من الكرسي وسار نحو حافة الأرض، إلى تلك الدرجات الحجرية المؤدية للفراغ والغيوم الكثيفة تحتها.. وهناك، وقف يرمق الفراغ هامساً فور اقترابها منه "أيمكنك أن تتخيلي شعور طفلٍ لا يتجاوز العاشرة من العمر وهو يقف في هذا المكان، ينتظر اللحظة التي ستدفعه فيها الأيدي ليلقى حتفه؟.. أي ذعر عشته تلك اللحظات، وعاشه كل أولئك الصبية الذين سقطوا على مر العقود؟.. وكل ذلك لمن؟.. لشمسٍ لا تدري ما يرتكبونه باسمها، ولا ما يرجونه منها؟.. كيف لي، بعد كل ما جرى، أن أتقاعس عن رمي الكهنة أولئك من ذات المكان ليذوقوا ذات العذاب؟.."

تحدثت جود أخيراً قائلة "هذا هو الفرق بينك وبينهم.. وهذا، برأيي، هو السبب الذي يجعلك الأنسب للجلوس على العرش وقيادة هؤلاء البشر من سوريم ومن غيره.."

زفر رادال زفرة حارة وهو ينظر للأفق الغربي الذي زها بنور الشمس الأحمر البهيج، والذي بدا لعينيه في تلك اللحظات لا يختلف عن دماء الصبية التي سالت على أرض الهوام وتشبعت بها دون أن يجدوا من يرحمهم من ذلك المصير.. فغمغم بوجوم "هذا لا يريح عقلي من الحقد والبغض على أولئك الكهنة، ولا يمكنه أن يهدئ أماً ثكلى أو أباً كظيماً لما جرى.."

لمست جود ذراعه برفق هامسة "لقد انقضى الأمر أخيراً.. ألن تنسى كل هذا؟.."

نظر رادال ليدها التي لمست ذراعه، في حركة بدت لجود كرفضٍ لما فعلته واستنكار لذلك التصرف.. فسحبت يدها وهي تطرق، حتى سمعت رادال يتساءل "ما الذي أبقاك معي حتى الآن؟.. ما الذي دعاك للسعي خلفي وخوض هذا الصراع رغم أنه لن يفيدك بأمر؟.."

قالت جود دون أن تنظر له للحظة "وهل هناك ما يدعو للدهشة في أن أسعى للبحث عنك وأحاول إنقاذك؟.."

ظل رادال صامتاً بدون اقتناع ودون تعليق، عندها رفعت بصرها إليه وتساءلت بتردد "ألسنا أصدقاء؟.."

سألها رادال وهو يحدق في عمق عينيها "وهل هذا ما تريدينه؟.."

أرخت عينيها بعيداً عن نظراته المتوقدة، في مزيج الرفض والحيرة.. هي لا ترفضه كصديق بالطبع، لكن ليس هذا ما تسعى إليه.. تريد اهتمامه، وتريد ما هو أكثر.. هل لها أن تأمل ببعض حبه بعد كل ما جرى؟.. لكنها تخشى أن تصرح له بذلك، فلا يطالها إلا سخريته وهزئه.. لطالما ألقى تعليقاته الساخرة عن صدّها السابق له متحججة بسيرا.. ولاتدري إن كانت مجرد سخرية أم أنها تحمل مرارة رادال لما جرى..

تنهدت بشئ من الأسى وهي تعلم أنها لو باحت بمكنون نفسها في هذه اللحظة، فلن تعود الأمور بينهما كما كانت قط.. للأفضل أو للأسوأ.. ولا تعلم أي سبيل ستسلك بها مصارحتها هذه، كل ما تملكه هو التحلي ببعض الشجاعة وتناسي ما قد تخسره لو خاب مسعاها.. هي فرصة أخيرة، وقد لا تتاح لها فرصة بعدها أبداً..

شعرت بأصابعه تتسلل لتشتبك بأصابعها، وسمعته يهمس "ما الذي تريدينه حقاً يا جود؟.."

أغمضت عينيها بقوة للحظة، ثم قالت بصوت خفيض "ألا يمكننا أن نعود لتلك اللحظة التي كشفت فيها ما تحمله لي من مشاعر؟.."

علق رادال بابتسامة مريرة "وبعد رفضك ذاك، هل لي أن آمل تغييراً في رأيك تجاهي؟.. هل تهوين العبث بي وبمشاعري؟.."

قالت جود بانفعال مكتوم "لم أكن سعيدة برفضي لك، بل قضيت أيامي ولياليّ بعدها أتحسر كلما وقع بصري عليك، وغصّة تعجزني حتى عن الندم أو البكاء لما جرى.."

شدّ رادال يده على يدها، وقال "إذن لِمَ فعلتِ ذلك؟.."

خفضت بصرها مغمغمة "لأجل سيرا.."

تنهد رادال بضيق بالغ، فقالت جود مبررة "أقنعتني أنها لن تحتمل حياتها دونك.. بكت أمامي ورجتني أن أتركك لها.. فما الذي كان بيدي فعله؟.."

علق رادال بضيق "وهل إشفاقك عليها يتيح لك التخلي عن مشاعرك ذاتها لأجل أخرى؟.. أمشاعرك رخيصة لهذه الدرجة بالنسبة لك؟.. سيرا لم تتوانَ عن استغلالك لنيل ما لا تملكه، فهل تعتقدين أن ما تشعر به كان حباً؟.."

خفضت جود وجهها أكثر وهي تقول "لكن ما رأيته منها في تلك الأوقات جعلت شعوري تجاهك يتضاءل بشكل لا يمكن تصديقه.. استماتتها في السعي خلفك، ورغبتها العميقة في إنقاذك ولو على حساب نفسها، جعلني أشعر بتفاهة مشاعري وأنني لن أصل لما تشعر به ولما تبذله لأجلك.."

زفر رادال قائلاً "أننا ممتنّ بحق لسيرا كل محاولاتها تلك.. ربما كنتُ مخطئاً لأنني لم أتشبث بفتاة مثلها، لكن من قال إن بذلها نفسها لأجلي سيجعلني أكثر سعادة؟.. أنا لم أطلب منها كل ذلك، وامتناني لها لا يجعلني أتنازل عما أسعى إليه حقاً، وليس سبباً قوياً يدفعني للارتباط بها.."

ثم أمسك يديها بيديه وجذبها قليلاً لترفع بصرها إليه وتلاقي عينيه مضيفاً "ألم تعبئي لأمري وقتها؟.. ألم تشفقي على انكساري وأنا أرى الفتاة التي أحبها تنفر مني؟.."

احتشدت الدماء بشدة في خديها وهي تنظر في عينيه دون أن تهرب منه هذه المرة.. لطالما هربت منه، واختارت خياراتٍ أخرى إلا مواجهته.. والآن، لم تعد راغبة بأن تسلك ذات المسار.. فسألته بصوت حمل

رجفة خفيفة "وهل تحبني حقاً؟.."

قال بعاطفة ضاماً يديها لصدره "أهيم بك عشقاً يا جود.."

كان هذا رداً مبالغاً فيه لم تتوقعه البتة، مما دفعها لتبتسم قبل أن تضحك بسعادة واضحة.. صمت رادال للحظات يتأمل عينيها اللامعتين وضحكاتها التي لَم يرها منذ زمن.. بل ربما لم يرها قط.. وشعر بدفءٍ في أعماقه أنساه الدنيا وما فيها.. لكنه تظاهر بالحنق مدمدماً "أتسخرين مني مجدداً؟.."

قالت ضاحكة "لم أتوقع منك هذا الرد.. أنت لست رادال الذي أعرفه، فمن أنت حقاً؟.."

اقترب منها خطوة وأمسك خصلة من شعرها قائلاً "بل هذه حقيقتي التي لم تحاولي اكتشافها قط.."

كفت جود عن الضحك وإن اكتفت بابتسامة واسعة وهو يداعب شعرها بخفة.. ورغم أن ما ستقوله سيسبب له الضيق، إلا أنها وجدت نفسها مدفوعة لتقول "لا ألوم سيرا على تشبثها بك، لابد أنها كانت تحلم بالسعادة التي أعيشها الآن.."

ونظرت له متسائلة "ألن تندم قط أنك اخترتني؟.."

قال رادال بابتسامة حانية "في هذه اللحظة، لا يمكنني أن أندم على ما أشعر به الآن.."

وضمّها بقوة هامساً في أذنيها "إياك أن تتركيني يا جود.. إياك.."

صمتت جود تاركة مشاعرها للإجابة عن هذا السؤال الذي لا يحتاج إجابة.. إذ كيف لها أن تتركه وهذه السعادة التي تغمرها لن تجد لها مثيلاً في العالمين؟..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

لم يظن بارا للحظة أنه قد يشعر بالبؤس كلما فكر بما ينوي فعله ويحققه بانتقامه الذي أمضى ليالٍ يخطط له ويحلم به.. جلس في المدرجات المرتفعة فوق تلك الساحة، يرمق السماء الغائمة، وينظر للساحة التي تطل على الفراغ بصمت.. طال صمته وجلوسه ساهم الفكر وشعورٌ بالفراغ يغزو صدره..

إنه لا يملك مكاناً يعود إليه إلا منزل أبويه.. لا يدري مصيره في الأيام القادمة، ولا يشعر أنه أفضل حالاً وأهدأ بالاً مما كان عليه.. أهذه السعادة التي كان يتمناها في هذا العالم؟.. لاح طيف مانا في خياله، فشعر

بشيء من الدفء في صدره وبدأت دقات قلبه المضطربة تهدأ قليلاً.. ربما كان مساره خاطئاً منذ البدء.. لطالما نصحه الآخرون بالكف عن التفكير في هذا الانتقام.. ربما كانوا أعلم به وبدخيلة نفسه منه هو شخصياً.. فهو لم يكن يدرك أنه أجبن من أن يرمي رجلاً من العالم السامي نحو أرض الهوام.. هل له أن يسرّ أنه لم يفعل ذلك؟.. الآن، على الأقل، يمكنه أن يعود لمانا دون أن يثقل ضميره أنه سلب شخصاً حياته حتى لو كان مذنباً.. ولا يظن أن مانا الرقيقة ترضى بفعلٍ كهذا مهما كانت مسوغاته..

بعد أن طال جلوسه وأفكاره تأخذه حول ما مضى وما هو مقدمٌ عليه، تذكر سيرا التي تخلّفت عنهم بعد دخولهم المعبد، فقرر أن يأخذها معه ولو بالقوة حتى تقابل عائلتها رغم أي اعتراضٍ قد تسوقه أمامه.. بحث عنها في أرجاء المعبد، وبعد أن توغل فيه بعيداً عن الساحة وما يجري فيها، لاحظ أخيراً طرف شعرها الأشقر في جانب المكان خلف أحد الجدران التي تخفيها عن الأعين.. سار نحوها متعجباً من وجودها هناك، ثم لمح عند اقترابه جود التي اقتربت منها بدورها متسائلة "ما الأمر؟.. ما ذلك الشيء الذي تريدين محادثتي فيه بإلحاح؟"

نظرت لها سيرا بتنمّر قائلة "هل نسيتِ وعدك لي؟.."

وجمت جود للحظة، فيما اكتفى بارا بالإنصات لما يجري من خلف الجدار دون أن يقاطع حديثهما.. وبعد لحظة صمت، قالت جود واجمة "لا.. لم أنسَ ذلك.. لكني أريد أن أعيد عليك قولك ذاته.. ألا تيئسين؟"

ازداد انعقاد حاجبي سيرا وجود تقول بحزم أكبر "لقد رفضت رادال بالفعل عندما قابلناه في الغابة القريبة من المعبد.. لكنه رفض الانصياع لرغباتك بعدها، وأصرّ على عدم استبدالي بك أو بغيرك.. فلمَ يجب أن أتعسه وأتعس نفسي لتحقيق أمرٍ لن يتحقق ولو بعد زمن طويل؟.."

كانت سيرا خافضة الرأس تستمع لها بوجه محتقن، ثم قالت بأنفاسٍ ثائرة "هل تهوّنين إثارة غيرتي بالتبجح بحب رادال لك؟"

لم تكن جود مهتمة بإنكار الأمر، لكنها فوجئت بسيرا تقفز نحوها مطوقة عنقها بيديها بقوة وهي تقول بغلّ "وما الذي سيجري عندما يراك جسداً هامداً بلا روح؟.. ألن يسعى خلف غيرك عندها؟.. أم أنك واثقة أن حبه لك مخلدٌ حتى لو فنيتِ أنت من هذه الدنيا؟.."

تقدم بارا خطوة محاولاً منع سيرا مما تفعله مع مرأى احتقان وجه جود، ناسياً أن جود ليست بالضعف

المتوقع منها.. وسرعان ما رأى جود تقبض على ذراع سيرا وتضغط بأصابعها على باطن مرفقها بقوة آلمت الأخيرة وأجبرتها على إفلاتها.. عندها جذبت جود رأس سيرا وضربتها بالجدار محاولة ألا تسبب لها آلاماً قوية، إنما لردعها عن ثورتها هذه.. لكنها وجدت سيرا التي لم تحتمل تلك الضربة قد سقطت فاقدة الوعي على الفور.. فوجئت جود بالأمر وهي ترمق جسد سيرا الساكن، ثم لاحظت اقتراب بارا الهادئ منها بصمت..

حاولت جود تبرير الأمر قائلة بارتباك "لم أنوِ بها شراً.. كنت أدافع عن نفسي.."

غمغم بارا "أعلم ذلك.."

وانحنى يفحص سيرا دون أن يثور غضباً كما جرت العادة كلما تعلق الأمر بتوأمته.. وهذا كان مثار دهشة رادال الذي سعى بدوره للبحث عن جود قبل رحيله من هذا المكان المشؤوم.. ورغم أنه رفض التدخل عندما رأى تهجّم سيرا على جود، واثقاً أن جود تقدر على الدفاع عن نفسها، لكنه لم يملك نفسه أن تقدم منها عندما لمح بارا يقترب منها.. ذلك الشاب حار العواطف والانفعالات قد يغضب لما فعلته جود رغم أنها لم تكن البادئة بهذا الصراع.. لكن هدوء بارا أثار دهشته بالفعل وهو يتساءل "ما الذي جرى؟.. أنت لا تثور غاضباً كما تفعل في المعتاد.."

زفر بارا للحظة وهو يتأمل ملامح سيرا العابسة رغم فقدانها وعيها، ثم غمغم "لستُ ملزماً بملاحقة سيرا والخوف عليها من أن يلحقها أي أذى.. ولستُ ملزماً بمراعاة ما تحبه وما تبغضه كما فعلت طوال عمري.."

نظر له رادال بدهشة وتساءل "ماذا تعني؟!.."

سحب بارا نفساً عميقاً، ثم نظر لرادال قائلاً "سآخذها لقصر والديّ.. لكن ربما تكون هذه هي المرة الأخيرة التي ألاحق فيها شؤونها ونزواتها.."

سأل رادال دون أن تخفت دهشته "ما الذي تنوي فعله؟.."

أجاب بارا "سأعود لقانار...."

كانت تلك هي الإجابة التي لم يتوقعها رادال وهو يحدق في وجهه.. بارا كان الأكثر التصاقاً وتعلقاً بشقيقته مما كانت هي عليه.. فأن يقرر التخلي عنها والمغادرة!.. هذا أمرٌ لم يخطر له على بال.. تساءل رادال بحيرة

"هل ستتخلى عن سيرا؟.. ولِمَ قانار بالذات؟.."

قطب بارا مجيباً "لطالما عاملتني سيرا بأنانية وجحود.. لم تكن شاكرة يوماً لكل ما قدمته لها، ولم تعبأ لأمري أو تهتم بما أشعر به قط.."

ونظر تجاه رادال مضيفاً "يحق لي أن أتصرف بأنانية لمرة واحدة، وأبحث عن سعادتي.. وسعادتي لن تكون قرب سيرا قط.."

عاد رادال يتساءل بحيرة أشد "ولِمَ قانار بالذات؟.. ما الذي تسعى خلفه؟.."

ابتسم بارا ابتسامة جانبية مجيباً "سأعود لياسان، وأطلب يد شقيقته منه.. رغم أنه رافضٌ للفكرة وكأنه سيسلّم شقيقته للشيطان ذاته.."

ورفع بصره لرادال مضيفاً ببساطة "لكني لن أستسلم بسهولة.."

لم يكن رادال قد سمع بأمر تلك العلاقة من قبل، وهذا كان مدعاة للدهشة أكثر.. فهي المرة الأولى التي يولي بارا اهتمامه لفتاة غير شقيقته.. أكان افتراقهما بعد مأساة ميركان لصالحه في النهاية؟..

تنهد بارا مزيحاً كل ما يتردد بذهنه عن سيرا.. كان رافضاً مجرد التفكير في ما قد يؤول إليه حالها بعيداً عنه.. لحسن الحظ أبويه لازالا على قيد الحياة.. لذا يمكنه أن يتركها في هذه المدينة دون قلق ليس بحاجة إليه..

دار ببصره في جوانب المكان وكأنه يستجمع شجاعته، ثم رفع رأسه وتقدم من رادال حتى وقف في مواجهته.. صمت رادال لما سيقوله بارا، في لقائهما الأخير ربما.. فسمعه يقول دون أن يبدو في عينيه ضيقه المعتاد "رادال.. أدرك أنك لم تكن تستلطفني، وربما تبغضني أكثر مما تبغض سيرا.. ولا يمكنني لومك على ذلك للأسلوب الذي عاملتك به طوال سنوات.."

قال رادال بشيء من الدهشة "لم أشعر بذلك قط يا بارا....."

قاطعه بارا قبل أن تتوه الكلمات منه وتضيع الإرادة التي حاول بها التغلب على ما تحلى به من كبرياء وعدوانية تجاه رادال "أنت أنقذت حياتينا.. هذه حقيقة لا يمكنني أن أنكرها.. لولاك، لما كنا حيّين حتى الآن، ولما عدنا كما نحن الآن.. لطالما عاملتك بعدوانية وغضب، وربما قسوتك علينا كان لها السبب الأكبر.. لكني لم أنكر فضلك علينا قط.."

زفر ورادال يستمع له صامتاً، بينما فضّلت جود الوقوف جانباً والتشاغل عنهما لئلا تحرج بارا، وهي تعلم

قدر الشجاعة التي احتاجها ليعترف بكل هذا.. قال بارا أخيراً "بعد كل ما مررنا به حتى وصولنا للأرض الدنيا، ومع مقدار الفزع والشعور بالنبذ الذي اعتصر ما بقي فينا من مشاعر، كنا بحاجة لمن يزيل عنا تلك المشاعر بعطف ويغمرنا بحنانه.. لكنك لم تكن كذلك قط.. أنقذتنا، وآويتنا في منزلك، وتعطفت علينا بكل ما قد نحتاجه، لكننا ظللنا بعيدين عن مشاعرك.. وربما هذا ما زاد بغضي لك في طفولتي، وما تحول لغضب واستياء مع تعلق سيرا الشديد بك.. لذا لا تلُمني لمعاملتي الجافة لك طوال ما مضى من سنين.."

تقدم رادال خطوة ووضع يده على كتف بارا قائلاً "لو لم أعبأ بكما لأرسلتكما بعيداً منذ اليوم الأول كما فعلت ببقية الصبية والفتيات الذين أنقذتهم، سابقاً ولاحقاً.. كنت أهتم بكما، وأخشى عليكما، لكن لو أظهرت ذلك لكما فقد تستسلمان لما كنتما عليه من ضعف.. لو أنني قد صرّحت لكما باهتمامي وعطفي عليكما، لما احتاج أحدكما لبذل الجهد في تقوية نفسه ومهاراته وتقوية قلبه لما قد تواجهانه في ذلك العالم.. أتتخيل ما أشعر به وأنا أرى بكاء سيرا وأرى وجهك المتألم رغم إنكارك ومكابرتك؟.. أتتخيل الهواجس التي تنتابني لو مرّ أحدكما بموقف خطير دون أن أكون موجوداً لحمايتكما؟.."

رفع بارا رأسه نحو رادال ورأى صدقه واضحاً في عينيه.. وهذا أشعل الندم أضعافاً مضاعفة عما كان يشعر به قبل قليل.. فقال خافضاً رأسه "سأظل شاكراً لك ما بقي من عمري.. ولن أتردد في القدوم إليك متى ما احتجتني إلى جوارك.."

قال رادال بابتسامة "لديّ جيشٌ كامل يأتمر بأمري، فلا تقلق.. اهتم بنفسك وكن بخير.. ولو أصرّ ياسان على رفضك، فأخبرني بذلك.. سأرسل له فرقة من جنودي تجبره على لمّ شملك بفتاتك.."

ابتسم بارا معلقاً "أتريد أن تشعلها حرباً جديدة؟.."

ومد يده مصافحاً رادال بقوة وللحظات طالت، ثم تراجع خطوة بابتسامة واسعة وقال "أتمنى لشمس سموّك أن تنير مملكة الضياء آماداً طويلة.."

واستدار لسيرا فاقدة الوعي، فحملها بصمت وغادر وهو يحني رأسه بخفة لجود.. راقبته جود وهي تقف قرب رادال.. ثم قالت متأملة ملامح رادال الصامت "لمَ لمْ تحاول استيقافه؟.. أرى في وجهك ملامح حزنك لرحيله.. وهو أمرٌ لم أتوقعه صراحة.."

نظر رادال بعيداً لئلا تلمح ما يعتمل في أعماقه وقال "كيف لي أن أمنعه من البحث عن سعادته، بعد أن

حصلت عليها أنا؟.."

وعاد ببصره لجود مضيفاً "لستُ أنانياً لهذه الدرجة.. ربما لم أكن أنانياً مع أحدٍ إلا معك أنت.. ولا يمكنك لومي، فما تمنحيني إياه من سعادة يجعلني لا أكتفي بما أحصل عليه.. ولا أدري إلامَ ستقودينني إليه في الأيام القادمة.."

رغم الاحمرار الواضح في وجهها لكلماته التي فاجأتها ونثرت فراشاتٍ ترفرف في صدرها، إلا أنها ابتسمت معلقة "أأنت رادال حقاً؟.. أنا أطالب بإعادة رادال الذي أعرفه، والذي لا يمكنه أن يلقي مثل تلك الكلمات المحرجة مطلقاً.."

أزاح رادال الخصلة عن جرح جبينها متلمساً الجرح بخفة، ثم مال بإصبعه نحو خدها مغمغماً "سأكون لك كما تحبين.. إن وعدتني ألا تتركيني وتتخليّ عني أنتِ أيضاً.."

ابتسمت جود هامسة "وهل أقدر على ذلك؟.."

ونظرت لخيال بارا وسيرا الذي ابتعد عنهما مغادراً المعبد للمرة الأخيرة، فعلقت "رغم أنهما توأمان، لكن مصيريهما اختلفا بشدّة لا يمكن لأحدٍ توقعها.. سيرا فشلت في الحصول على أي شيء تتمناه، بينما حقق بارا أمنيته بعودته لعالمه، وتنازل بإرادته عن تحقيق انتقامه، ويكاد يحصل على سعادته قرب فتاة أتمنى أن تعوّضه عن الجفاف والقسوة التي عاشها في سنواته الماضية.."

علق رادال وهو يضمّ يدها في قبضة يده "كلاهما نال ما سعى إليه، واستحق ما حصل عليه، بطريقة أو بأخرى.. ولو كانت سيرا تسعى لما فيه خيرٌ لغيرها، لما كانت نهايتها بهذه الصورة.."

لم تحاول جود أن تطيل التفكير في تعاسة سيرا، وشعورها الدائم أنها سلبتها رادال وحطمت أحلامها التي امتدت زمناً من عمرها.. حاولت أن تزيح شعورها بالذنب كلما رفرفت السعادة في صدرها، وركزت تفكيرها على تلك اليد التي تمنحها دفئاً يملأ قلبها بهجة، وأملاً بأن تنير أيامها القادمة كما تفعل الشمس التي لا تغيب عن هذا العالم..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الحادي والعشرون)
مملكة الغمام: لحظة الانتقام

جاء انسحاب جيوش مملكة الضياء من المملكة المسلوبة مدوياً، صاخباً، كما لم يتوقعه أحد في مملكة الغمام.. اندلعت الاحتفالات في كافة أرجاء المملكة لحصولهم على الحرية بعد غزوٍ شرس رغم قصره النسبي، وخرج العديد من أهالي المدن والقرى يراقبون انسحاب الجيوش بفرحة لا يمكن إغفالها.. وهناك من تجرأ أكثر على التطاول على الفرق المنسحبة، وحاول إحداث بعض الخسائر فيها انتقاماً لكل ما جرى لهم على أيديها.. لم يتوقع أي من رجال وشباب مملكة الغمام أن يحصلوا على حرية وطنهم بسهولة رغم الثورات التي كان العدو يخمدها فور اندلاعها في أي جهة من جهات البلاد.. لذا كان خبر هزيمة سوريم وإزاحته من عرشه، وخبر ذلك الملك الجديد الذي يعارض هذه الحرب آمراً جيوشه بالانسحاب منها منذ اليوم الأول لتوليه منصبه، كطاقة من السماء أنارت الأرض وأزاحت شيئاً من الظلمة التي سادت مع المصير الغامض للبلاد والشعب..

تبادل الشعب أخبار الملك رادال الذي أرسل لساربار، ملك مملكة الغمام الفعلي، يعرض عليه التسوية بخصوص هذه الحرب التي لم يكن له يدٌ فيها.. ورغم أن الأرواح التي أزهقت لا يمكن تعويضها، لكن رادال بدا صادقاً في عرضه ذاك، محاولاً أن يجبر الكسر الذي سبّبه سوريم بين ممالك العالم السامي بأطماعه وأطماع حليفه كاتيرد الذي جاء انكشاف أمره كصدمة للعالم السامي بأكمله..

وفي قانار، صاح ياسان بسرور وسط المخبأ الذي يلجأ له الجنود السابقون من جيش قانار، والذي ما عاد أمره يستدعي السرية ذاتها كما كان أيام الغزو "لقد فعلها رادال.. كنت واثقاً أنه سينجح في ذلك.."

علق هوتار بتعجب "هل كنت تعرف الملك رادال؟.."

أجاب ياسان بفخر "أنا، وجود، من أعاده للعالم السامي ويسرّ له المطالبة بعرشه.. لذا يمكنكم القول إن لنا فخر إنهاء هذه الحرب بشكل غير مباشر.."

ثم أضاف بابتسامة متسعة "ربما أرحل لشادين لزيارته في يوم من الأيام.. لن يرفض رادال زيارة صديق عزيز له.. ولا بد أن أذهب لرؤية تلك الفتاة الحمقاء جود التي لم تحاول طمأنتي على ما جرى لها طوال

الأيام الماضية.."

تجاوز الرجال حيرتهم لما يسمعونه، رغم الفخر الواضح على وجه ياسان واللهفة لمن يسأله عن حقيقة ما جرى.. تبادل الرجال النظرات، ثم تساءل أحدهم "القادة الخمس قد قتلوا في هذا العدوان.. فمن الذي سيتولى قيادة الجيش بعد أن يتم تنظيم صفوفه من جديد؟"

قال ياسان على الفور بابتسامة "لا أستبعد أن يتم انتخابي أنا لما أملكه من مهارات.. ثم إنني كنت معاون القائد كارون، لذا أنا الأصلح لهذه المهمة.."

ربت هوتار على كتفه قائلاً بابتسامة "هذا مستبعد يا ياسان.. أنت أطيب من أن تصلح قائداً لهذا الجيش.."

قال ياسان بحنق "وهل يجب أن أكون وغداً لأصبح القائد؟.. يمكنني أن أكون كذلك منذ الآن.."

ضحك الرجال على هذه الفكرة، والتي بدت لهم أكثر استحالة من فكرة تنصيب ياسان قائداً للجيش..

وفي جانب آخر من هذه البلاد، في إحدى مدن الشمال حيث استقر المقام بدارو الذي سعى بحثاً عن فلول الجنود والثوار، جاءت الأخبار برحيل الجيش مدوية صاعقة أكثر من أن تكون سعيدة لتلك الفرقة التي اجتمعت سعياً وراء الانتقام لما جرى للثوار..

جلس دارو في جانب ذلك المنزل الذي استخدمته جماعة لا تقل عن عشرين رجلاً اجتمعوا وأقسموا على أن يناضلوا ضد عدوهم الغاشم.. لكن ما الذي يجمعهم الآن بعد أن رحل ذلك العدو ساحباً فلوله؟..

علق أحد الرجال بسخط على تلك الأخبار بعد أن ابتلع صدمته "وهل نترك أولئك الجنود يرحلون دون جزاء؟.. كيف نصمت مع كل ما فعلوه بوطننا ورجاله وبكل من قتلوه منهم؟"

قلب آخر كفيه معلقاً "وهل نملك ما نفعله؟.. لقد حاولنا تكبيدهم الخسائر سابقاً لكننا لم ننجح إلا في إحراز أقل النتائج.. فما الذي سنفعله الآن وهم راحلون فعلاً من الوطن؟.."

ضرب أحدهم ركبته بقبضته قائلاً بحنق "علينا الانتقام منهم.. لن يهدأ لي بال إلا بقتل من نقدر على قتله من الجنود والاستيلاء على ما يملكونه من أسلحة.."

قاطعهم دارو قائلاً "لا تفعلوا.. هذا سيثير المزيد من المعارك وقد يؤخر رحيل العدو من أرضنا لو أصرّ على الرد على مثل هذا الهجوم.."

نظروا له باستياء وضيق، فأضاف بتأكيد "في مثل هذه الأوقات، آخر ما نرغب به هو تعطيل رحيل العدو

من أرضنا.. الموتى لن يعيدهم الانتقام.. ولن يشفي غليلكم.. لقد تدمرت الأرض دماراً من المستحيل أن يحدث في مثل هذا الوقت القصير.. لذا لا يجب تضييع جهودنا في الانتقام ولنركز على تعمير هذه الأرض قبل أن تسودها الفوضى.. أنتم تعلمون أنه بعد رحيل العدو، سيبقى الوطن دون قوة حقيقية تعيد له النظام.. وحتى يتم تنصيب الملك الجديد، وتنظيم الجيش مرة أخرى، علينا أن نكون نحن القوة الملائمة لتسيير أمور البلاد حتى ذلك الوقت.."

غمغم أحدهم باستياء "هذا منطقي.. لكن هذا لا يخفف النار التي في الصدور تجاه الأعداء.."

علق دارو "ولن تخفت حتى بإسالة الدماء.. فارمِ الماضي خلف ظهرك، والتفت للأيام القادمة التي لن تكون أكثر سهولة مما مضى.."

كانت الأيام القادمة على هذه المملكة، التي استعادت كيانها واسمها بين ممالك العالم السامي، أصعب مما يتوقعه أحدهم بمراحل.. فإما أن تهدأ الأمور ويلتفت الناس لتعمير أرض الوطن وإعادة ملامحه القديمة المشرقة.. وإما أن تغرق في مستنقع الاضطرابات والثورات التي ستغمرها في ظلامٍ طويل لا نهاية له..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

في جانب آخر من جوانب قانار، وقرب ذلك المنزل البسيط الذي تحفه الأشجار المزهرة قرب نوافذه، جلست مانا قرب باب المنزل على ذلك الكرسي الحجري ترقب الاحتفالات المتفرقة التي قام بها أهل قانار احتفالاً بتحرر بلادهم وتخلصهم من المعتدي الذي غيّر حياتهم بين ليلة وضحاها.. وها هو يغادر في غمضة عين وكأنه لم يدخل هذه البلاد قط.. ولولا مظاهر الدمار، والقتلى الذين لم تُمحَ ذكراهم من الأذهان، لما شعر أحدهم باختلافٍ يذكر الآن عما سبق..

تنهدت مانا وهي تنظر حولها ساهمة بصمت.. الفرحة حولها تكاد تعمي الأعين.. فرحة ياسان بدت أكثر من أن يتمكن من إخفائها، وأمها أيضاً قد أجهشت باكية فور أن سمعت بهذا الخبر وكأن كابوساً سوداوياً كان يطغى على حياتها وقد انقشع في لحظة واحدة.. لكن مانا رغم راحتها العميقة، لكن الأفكار التي لا تزايلها لا تجعلها تبتسم مع من يبتسم وتضحك مع الضاحكين.. البغض الذي يكنّه أهل قانار لمملكة

الضياء لم يخفت ولو للحظة، وكراهيتهم لكل ما يمت لتلك البلاد قد تضاعفت مع الأيام.. ورغم أن هذا رد فعل طبيعي بعد كل ما جرى، لكن تلك الأمور تجعل مانا مثقلة الفكر ضيقة الصدر كلما رأت تلك المظاهر حولها.. لو عاد، بأي حال سيواجه هذه الانفعالات وذلك البغض الذي قد يطاله لأنه يمثّل لهم كل ما يكرهونه؟..

سمعت صوتاً من خلفها يقول "أتظنين أنه عائدٌ إلينا؟.."

نظرت خلفها لوجه أمها التي تطالعها من النافذة القريبة.. رصّت على جانب ثوبها بأصابعها، ثم عادت تنظر للأمام وهي تقول بأملٍ أكثر منه ثقة "لابد أنه عائدٌ إلينا.."

نظرت لها الأم بشيء من الشفقة، ثم قالت قبل أن تغادر "عليك أن لا ترفعي آمالك كثيراً.. عقبات كثيرة تحول بيننا وبينه.. وربما لا يقدر على تجاوزها مطلقاً في الوقت الحالي.."

صمتت مانا وهي تشعر بمشاعرها تتهاوى أكثر من السابق لتلك الأفكار.. إنها لا تفتأ تنتظر عودة بارا منذ اليوم الذي غادر فيه.. وكأنه سيعود بعد ساعات.. بعد أيام قليلة فقط من رحيله.. ولم يفتر عزمها على انتظاره حتى بعدما صارحتها أمها بحقيقة موطنه وما يحول بينه وبين العودة لقانار..

لو لم يكن بارا واثقاً من عزمه على العودة، لما وعدها بذلك وطلب منها انتظاره.. سيعود.. وسيعيش معهم في قانار بعدها سنوات طوال.. غزت حمرة خفيفة خديها وهي تنظر للأرض عند قدميها.. لابد أنه سيعيش هنا.. وإلا ما معنى عودته من الأساس؟..

ألم يقل إنه يحبها؟..

وهي قطعاً تثق وتصدق كل ما يقوله..

وستنتظره مهما طال بها الانتظار....

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

فور أن وطأت قدم سابار أرض الوطن، ولمح قصر أبويه ماثلاً أمامه، تمالك انفعالاته الجياشة بقوة وهو يرى ملامح الدمار التي طالت المدينة المشرقة قانار بعد غيابٍ طال.. ما الذي فعله الأوغاد بها في هذا

الوقت القصير؟.. كيف لها أن تعود كما كانت؟.. وكيف لأهلها الذين صدموا بهذا الغزو أن يعودوا لحياتهم السابقة؟..

زفر سابار وهو يتقدم خطوات عبر مهبط الطائرات نحو مدخل القصر، ليرى كبير الوزراء السابق واقفاً بانتظاره.. كان كبير الوزراء يرتدي ملابس عادية، تختلف تمام الاختلاف عن ملابسه الغالية التي اعتاد ارتدائها سابقاً لتلائم منصبه الرفيع.. وفور اقتراب سابار منه، قال كبير الوزراء وهو ينحني "الشكر للسماء على عودتك سالماً أيها الملك سابار.. انتظرناك طويلاً، وها قد قرّت عيني برؤيتك مجدداً.."

ثم رفع رأسه نحو سابار الصامت مضيفاً "مباركٌ لنا حرية الوطن.... ونرجو أن تكون أيامنا....."

قاطعه سابار قائلاً بمرارة "على حساب من؟.. كم رجلاً، وامرأة، وطفلاً قتلوا في هذه البلاد؟.. كم من بيتٍ كسر كسراً لا يمكن جبره بعدها؟.."

قال كبير الوزراء بهدوء "هذا ما ليس لأحدنا أي يد فيه.."

لم يعلق سابار وهو يسير معه داخلاً القصر وكبير الوزراء يضيف "فور صدور أمر انسحاب جيش العدو، أصدرت أمري للحرس الذين توثقت من ولائهم لك بالقبض على الخونة واحتجازهم قبل أن يتمكنوا من الهرب.. هناك قلة منهم تمكنوا من الهرب لأنهم لم يكونوا في القصر عندها، لكننا أمسكنا بالبقية بالفعل.."

تساءل سابار بتقطيبة "ماذا عن أناري؟.. لا أعبأ لأمر البقية.. ما يهمني هو أناري فقط.."

هز كبير الوزراء رأسه متفهماً وقال "إنه محتجز مع بقية الخونة في قاعة العرش يا مولاي.."

تسارعت خطوات سابار عندها على الفور وهو يتخذ طريقه إلى قاعة العرش.. بدأ الثقل النفسي ينزاح من صدره، ووجد في نفسه انفعالاً يوازي ما هو سائرٌ إليه.. وملأته الرغبة بالانتقام دافعاً جديداً بدا بوضوح في خطواته وهيئته وملامحه.. وفور أن فتح باب قاعة العرش، سار سابار بخطوات واثقة وجسد منتصب وملامح باردة.. لاحظ على الفور جماعة من الحرس الذين كانوا عوناً للخائن أناري في سيطرته على قصر الملك.. ورأى في جانب المكان أناري ذاته راكعاً بصمت منتظراً الحكم الذي سيصدر عليه..

في البدء، تجاهل سابار أمر أناري تماماً، وتقدم من فرقة الحرس الخائنة متأملاً ملامحهم بصمت وجمود.. تفادى بعضهم النظر للأمير العائد خشية رؤية غضبه، بينما نظر له بعضهم بصمت ورجاء.. جاء خبر انسحاب جيوش مملكة الضياء صادماً لهم، وقد رفض قادة الكتائب الذين انسحبوا بجنودهم اصطحاب

الخونة معهم.. والآن، أصبح الخونة معلقين في السماء دون أن يجدوا أرضاً تضمّهم.. فلا وطنهم يرغب بهم.. ولا أرض الأعداء، أصدقاء الأمس، ترحب بهم..

أطلق سابار تنهيدة قوية، وكأنه يغالب مشاعره بالكاد.. فكان هذا بصيص أملٍ بالنسبة للخونة الذين ظنوا أنه سيرأف بهم وسيكتفي بسجنهم.. وللسجن مسالك عديدة يمكنهم الهرب عبرها.. أخيراً قال سابار وهو يتأملهم فرداً فرداً "لن أسألكم عن السبب الذي دعاكم لخيانة وطنكم.. لكل شخص منكم سببٌ يراه مقنعاً لمثل هذه الخيانة.. ومن العبثية المجادلة في هذا الأمر.. ولو لم يجد الأعداء سبيلاً لضمائركم، لوجده عند غيركم.."

ازداد الأمل في نفوس الخونة والأعين تلتقي عند سابار الذي أضاف "لقد تعلمت درساً مهماً من هذا الغزو.. الرفق والإحسان لا يقابلا بذات الصورة على الأغلب.. والدرس الثاني الذي تعلمته أكثر أهمية.." ونظر لهم بقسوة مستطرداً "أن السقوط من العالم السامي أقسى عقاب يمكن أن يحصل عليه المرء.. وهو أقل ما يستحقه أمثالكم.."

وأشار لجنوده الذين سارعوا للإحاطة بالخونة وإجبارهم على الوقوف.. تصايح الخونة بذعر وعدم تصديق طالبين الرحمة.. طالبين تخفيف العقوبة، أو استبدالها بأخرى أقل إفزاعاً.. لكن سابار لم يلقِ لهم بالاً، وتقدم عدة خطوات حيث ركع أناري الخائن على ركبتيه بانتظار حكم الأمير عليه.. كان أناري عابساً، رغم أن الخوف لم يبدُ على ملامحه.. وقد نظر للأمير قائلاً "هل تنوي رميي من العالم السامي كما فعلت بالبقية يا سابار؟"

ركله سابار حتى أسقطه خلفاً وهو يقول ببرود "بل الملك سابار أيها الخائن.."

وركع واضعاً ركبته على صدر أناري قائلاً "لا.. أنت الوحيد الذي أريد أن أراه يموت أمام عينيّ، رغم أن الموت راحة لأمثالك.. لكن لا يمكنني أن أسمح لك بالبقاء حياً، لأنك لن تُعدم وسيلة للهرب.."

وتناول السيف الرفيع الخاص بأناري من أحد الحرس، فوضع ذؤابة السيف على موضع قلبه وقال "أخبرني.. ألم تشعر بالندم قط وأنت تغتال الملك؟.. ألم تشعر بذرة تردد وأنت تغتال طفلاً بريئاً كل ذنبه أنه ابن الملك؟.. ألم يساورك أي تردد وأنت تقتل أماً بعد أن قتلت ابنها أمام عينيها؟"

أجاب أناري وهو يحدق بجمود في عيني سابار "لا.."

ثم دفع يد سابار الممسكة بالسيف بضربة قوية، لكن سابار الذي كان يتوقع حركته تلك رمى السيف نحو يده اليسرى قبل أن ينجح أناري في الإفلات منه، ودفع نصل السيف في صدر غريمه بقوة شهق لها الأخير.. نهض سابار تاركاً جسد أناري الراجف، ونظر له بصمت حتى همد جسده تماماً وتأكد أنه قد قتل بالفعل.. عندها، قال لجنوده بلهجة متعبة "خذوه وارموه نحو أرض الهوام.. أرض وطننا لا تؤوي في قلبها خائناً.."

سارع الجنود لتنفيذ أمره، وتنظيف الأرض من الدماء التي سالت عليها.. فيما سار سابار بخطوات متعبة نحو العرش الماثل أمام عينيه.. سار متذكراً كل من فقدهم في هذه الحرب.. سار حتى ارتقى الدرجات التي تؤدي للعرش، وجلس عليه بعد لحظة تردد.. كان يشعر بالغرابة.. بالوحشة في هذا القصر.. لم يعتدْ العودة للقصر دون أن يرى وجه الملك.. ودون أن تقابله ابتسامة الملكة وضحكات أخيه الأمير الصغير..

بدا القصر موحشاً بشدة.. لكن سابار موقنٌ أن وجوده مهم لإعادة الاستقرار لهذه البلاد التي عانت من ويلات الحرب رغم قصر المدة التي رزحت فيها تحت العدوان..

سيبدأ بتعمير هذه الأرض.. وسيعيد الاستقرار لها ولأهلها.. وعندها، يمكنه أن يقيم الحداد الملائم على الملك، وعلى كل شخص قتل من هذه الأرض..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

(الفصل الأخير)
خاتمة لا خاتمة بعدها

اعترضت جود طريق رادال في ذلك اليوم الربيعي الذي التمعت فيه جدران القصر بشمسه الدافئة.. فاقترب منها رادال قائلاً بابتسامة "أين كنتِ يا فتاتي؟.. أصبحتُ لا أراك إلا لماماً، وهذا يؤلم قلبي بشدة.."

قالت جود بثبات دون أن تختلج لكلماته "رادال.. عليك أن تتخذ قرارك الآن وفي هذه اللحظة.."

مال رادال برأسه جانباً وهو يعلق "ألا يفترض بك أن تناديني بمولاي الملك؟.. أمام الجنود على الأقل حفاظاً على مكانتي.."

قالت جود بإصرار "عليك اتخاذ قرارك يا مولاي.. لا يحق لك أن تترك سوريم وزوجته معلقان بانتظار حكمك عليهما.. لقد مضت عدة شهور بالفعل منذ احتجزته في أحد أجنحة القصر، وآن الأوان لتنتهي هذه المسألة.."

تساءل رادال بعجب "ألهذه الدرجة تريدين أن تري عقابهما؟.. لم أظنك تبغضين شقيقي لهذه الدرجة.."

هزت جود رأسها نفياً قائلة "بل أشعر بضيق لتركهما في حالة ترقب وذعر بانتظار ما ستقرره عليهما.. عليك اتخاذ قرارك بسرعة والكف عن هذه المماطلة.."

ثم تقدمت منه خطوة قائلة برجاء "لكن عدني أنك ستترفق بهما.. لا تنسَ أن زوجته معه، وهي لا تستحق ما سيقع عليها أبداً.."

أمسك رادال ذراعها وجذبها نحوه وهو ينظر في عينيها قائلاً بابتسامة "سأعدك بذلك لو وافقتِ على زواجنا هذه اللحظة.."

قالت جود بسرعة بما يشبه الهتاف "لا....."

بدت الخيبة واضحة على وجه رادال.. ثم تخلى عن ذراعها وهو يقول باستياء "هل تبغضين الفكرة لترفضيها بهذا الحماس؟"

تمالكت جود نفسها بعد تسارع ضربات قلبها المفاجئة، وقد شعرت في تلك اللحظات أنها قد حوصرت في موقفٍ قد تنهزم فيه بسهولة.. لكنها قالت لتدافع عن نفسها "أنت تعلم أن الأمر ليس كذلك.. لقد وافقتَ

على إرجاء هذا الأمر حتى تستقيم لك الأمور في شادين.. لا نريد أن نصدم الشعب بزواجك من أرضيّة وهو بالكاد يتقبل فكرة تغيير الملك بتلك الصورة الفجائية.."

قال رادال بشيء من الغيظ "كما تريدين.. يا ابنة التراب.."

قطبت جود قليلاً وهي تراه يتركها ويغادر دون اعتراض.. لم يكن يناديها بهذا اللقب إلا ليغيظها به وهو يعلم كم أصبحت تبغض أن تسمعه من أحدٍ غير قاث.. لكنها تجاوزت عن هذا وهي تقول بإلحاح بعد أن لحقته بخطوات سريعة "عليك أن تقرر ما تنوي فعله بهما الآن.. لقد مضت عدة شهور، ومدن المملكة قد سلّمت لك أمرها كاملة.. قواتك قد انسحبت من مملكة الغمام، والأمير سابار عاد لقنار لتوليّ الحكم.. فما الذي يمنعك من ذلك؟"

صمت رادال مفكراً وهي تراه يشدّ قبضته ويرخيها عدة مرات زاماً شفتيه، ثم قال باستياء مديراً وجهه جانباً "لو قررت إصدار حكمي على سوريم، فقد أرتكب فيه ما لا أتمناه قط.. وقد أندم على ذلك مدى حياتي.."

اعترضت جود قائلة "أعلم أنك تريد تأخير ذلك ما استطعت، لكن تذكر أن معه زوجته وهي حبلى.. بأي حالٍ تجدها قد أمضت الأسابيع الماضية بين همّ وليدها الذي لم يرَ النور وزوجها الذي قد لا يرى النور بعد صدور حكمك عليه؟.. إبقاؤك لهم في الظلام ليس أيسر من إصدار الحكم بالفعل.."

زفر رادال بحدة وهو يقف متأملاً شادين من إحدى النوافذ التي مروا بها.. إنه لم يبغض سوريم قط، فلم يكن له ذنبٌ فيما جرى له.. ولم يكن ذنبه أنه وافق أهواء أبيهما خيراً من رادال.. لو كان سوريم هو الأخ الأكبر، لاستحق هذا العرش دون مراء.. وربما جنى توريك عليه باللحظات التي يواجهها الآن كما جنى على رادال عندما رمى به نحو أرض الهوام.. جنى عليهما عندما رماهما في هذا الصراع الذي لا طائل منه..

التمعت عينا رادال للحظة وهو يرمق السماء ساهماً، ثم استدار فجأة وتسارعت خطواته نحو قاعة العرش مما حدا بجود لتلحقه وهي صامتة بقلق.. أدركت أنه استقر على أمرٍ ما، وإن خشيت للحظة أن تسأله عن ذلك مع مرأى الحماس في عينيه.. وعندما دخل قاعة العرش بخطوات واسعة، صاح بأحد الوزراء قائلاً "أحضروا لي سوريم وزوجته.."

أسرع الوزير لتنفيذ أمره، فيم وقفت جود جانباً لتشهد ما يجري ولتتدخل في حال أصدر رادال حكماً قاسياً

على شقيقه.. إنها تشعر بالأسى لأمر تلك الزوجة الوفية التي رفضت التخلي عن زوجها بعد أن فقد كل ما يملك.. بل وقررت مشاركته مصيره الذي تجهله تماماً.. لقد زارتها جود عدة مرات، ورأت فيها فتاة رقيقة ضعيفة لا تملك من أمرها شيئاً، لكن ما أثار عجبها هو ذلك التصميم والإصرار في عينيها كلما دار الحديث عن سوريم.. هي متشبثة به وتتمنى لو تفديه بحياتها.. ولا تدري جود ما فعله سوريم ليحظى بزوجة مثل هذه..

لاحظت جود ترياش الذي دلف القاعة وانحنى لرادال باحترام قائلاً "مولاي.. سمعت أنك قد طلبت مثول سوريم بين يديك.. هل تنوي إصدار حكمك عليه أخيراً؟"

قال رادال بابتسامة "هل جئت لتستمتع بانتقامك يا ترياش؟"

هز ترياش رأسه نفياً وقال "لا.. لكن هذا لا يعني أنني لا أريد أن أشهد حكمك عليه.."

فعلق رادال بتحذير "عليك أن ترضخ لقراري مهما كان يا ترياش.. لا تأمل بأن أصدر حكماً لا يرضيني فقط لكي يحوز رضاك.."

غمغم ترياش "أدرك ذلك طبعاً يا مولاي.."

لم تمضِ لحظات حتى دخل سوريم القاعة محاطاً بأربعة جنود ومن خلفه ميام كظلٍّ لا يفارقه.. كان الإنهاك واضحاً على ملامح سوريم والهمّ بادياً في وجهه، وقد غابت الثقة والغرور الذي كان عليه عندما كان يملك هذه المملكة كاملة.. أما ميام الرقيقة، فقد بدا السواد واضحاً تحت عينيها وغابت لمعتها السابقة، وبدا نحولها شديداً بحيث لا يظن من يراها أنها قد ذاقت لقمة طعام منذ زمن بعيد.. أشفقت جود عليها بشدة، وهي مدركة أن ما عاشته الفتاة في الشهور الماضية أقسى من كل ما قد يتخيله المرء.. فهي تصحو كل يوم بانتظار الحكم على سوريم بالإعدام، وتنام كل ليلة متشبثة به خشية أن يسحبوه بعيداً بغفلة منها..

وقف سوريم ثابتاً أمام رادال رافضاً الانحناء له.. رغم أنه لم يحكم البلاد إلا سنة واحدة، لكنه عاش عمره موقناً أنه الملك القادم.. فكيف له أن ينسى ذلك الواقع ويسلّم بأن العرش قد سُلب منه للأبد؟.. لكن رادال لم يغضب لتجاهل سوريم ذلك، فهو لا يعبأ لهذه الأمور ولا يحقد على سوريم لكل ما جرى بينهما في السابق.. ولولا إدراكه أن سوريم لن يعترف بهزيمته وسيحاول بشتى الطرق العودة لو أتيحت له الفرصة، لاكتفى بإبعاده عن القصر والسماح له بالعيش في شادين كأي شخصٍ آخر من النبلاء والأثرياء في قصر من

القصور الملكية..

نظر رادال بثبات لسوريم وهو يقول "أنت تعلم يا سوريم لِمَ استدعيتك اليوم.. وتعلم حقيقة الجرم الذي ارتكبته.."

قال سوريم بهدوء "وأي جرمٍ ارتكبته في حماية ما ورّثني إياه الملك السابق؟.. لو كنت تريد الانتقام وقتلي، لِمَ أرجأت ذلك حتى الآن؟.. أم أنك تخشى تأليب الشعب ضدك لو قتلتني فور عودتك لعرش المملكة؟"

قال رادال "لم أنوِ قتلك قط.. ولستُ أخشى غضب الشعب فأنا لا أقوم بتصرف ما لم أكن واثقاً منه تمام الثقة.. لكني في الآن ذاته لا أثق بوجودك هنا، ولا أثق بأي وعود قد تصرّح بها في عدم التعرض لي أو محاولة العودة للحكم.."

علق سوريم بسخط "لم أكن لأعد بذلك قط.. من تظنني؟.."

دار رادال ببصره في الموجودين حوله، والكل مترقبٌ للحكم الذي سيطلقه على الملك السابق وشقيقه الوحيد.. منهم من يتمنى عقاباً يشفي غليله، ومنهم من يخشى مثل ذلك العقاب.. تباينت الآراء، لكن اجتمعت على انتظار حكم رادال بصمت وتهيّب.. ولم يكن شحوب ميام وتظاهر سوريم بالثبات ليخفى على أحد.. عندها اعتدل رادال في جلوسه وقال بثبات "سوريم.. لقد أرجأت إطلاق حكمي عليك طوال هذه الشهور لسببٍ أرجو ألا يكون قد خَفِيَ عليك.. لم أكن أريد التلفظ بحكمي وأنا في سورة غضب، وحنق لكل ما دار بيننا في ذلك الوقت قبل نجاحي في العودة للعرش.. سيكون حكمي عندها ظالماً لك بكل تأكيد، ومحمّلاً بمشاعري في ذلك الوقت.. لكن الآن، بعد أن زال ذلك الصراع وزالت معه تلك الانفعالات، قررت أن الوقت مناسب لإنهاء هذه المسألة.."

حبس سوريم أنفاسه للحظة رغم هدوئه الظاهري، فيما ضمّت ميام قبضتيها عند صدرها بقلق شديد.. فقال رادال بحزم "سوريم.. نظراً لتشبثك السابق بالعرش، وأنا لا أحمل شكاً بأنك ستحاول الاستيلاء عليه لو أتيحت لك الفرصة.. ونظراً للتهديد الذي تمثّله لي وللأمن في المملكة.... قررت نفيك من شادين نفياً مؤبداً لا عودة فيه.."

اتسعت عينا سوريم بصدمة لهذا العقاب الذي توقع ما هو أسوأ منه بمراحل، فيما امتزج القلق بشيء من الراحة في ملامح ميام وهي تمسك ذراع سوريم وتشدّ عليها.. لم يتوقع أحدهما عقاباً أقل من القتل أو حتى

السجن مدى الحياة.. النفي يعتبر نعيماً مقارنة بالهواجس التي عاشا فيها للشهور الماضية كلها..

ولم يكن رأي ترياش مخالفاً لرأييهما، إذ قال مقطباً دون أن يتخلى عن التهذيب اللازم في مخاطبة الملك "مولاي.. ألا ترى أنك متساهلٌ جداً في هذا الحكم؟.. النفي لن يكون مؤبداً، خاصة بوجود الكثير من الموالين للملك السابق ومن قد يسعون لإعادته للحكم لغرضٍ أو لآخر.."

ابتسم رادال معلقاً "لا أخشى ذلك.. لأنني أنوي نفي سوريم في مكانٍ لا يقدر على العودة منه مطلقاً.."

غزا الوجوم وجه ميام وهي تنظر لرادال بصدمة.. بدا لها هذا التعليق أكثر إخافة من كل الأفكار والوساوس التي كانت تخشاها طوال الأيام الماضية.. أي مكانٍ يضمن فيه الملك عدم عودة سوريم منه للأبد؟.. لشدّ ما تخشى أن تعرف الجواب..

لاحظت أن رادال ثبت نظره عليها وسألها "أأنت واثقة أنك ستشاركين سوريم مصيره هذا؟.. يمكنك أن تتراجعي الآن ولن يلومك شخصٌ على ذلك.."

صمتت ميام للحظة وهي تلمس بطنها الذي بدأ بالبروز براحة يدها وشحوب وجهها واضحٌ للناظر إليها، لكنها سرعان ما نفضت ذلك وهي ترفع بصرها إليه مجيبة بإصرار "لا.. لن أتراجع في أي وقت عن هذا القرار.."

صمت سوريم بشيء من الضيق بعد أن أمضى شهوراً طويلة يحاول إقناعها بالتراجع، إن لم يكن لنفسها فعلى الأقل للطفل الذي لا يستحق ما قد يجري له ولأمه..

نهض رادال واقفاً فجأة، وقال بحماس وابتسامة واسعة "جهزوا لي أقوى وأحدث طائرة.."

نظر له سوريم المنهك بقلق، فيما تساءل ترياش "كم جندياً تريد مني تجهيزهم لمصاحبتك؟.. وما هي وجهتك يا مولاي؟.."

قال رادال بابتسامة امتزجت ببعض الصرامة "من غير اللائق أن تسأل الملك عن وجهته إذا لم يبادر هو للإفصاح عنها.."

حنى ترياش رأسه باعتذار، لكنه عاد يتساءل "والجنود؟.."

قال رادال "يكفي أن تقوموا بإعداد الطائرة.. لستُ بحاجة لأي مرافقين.."

تزايد قلق سوريم الذي ضمّ ميام له بقوة، وكأنه يريد حمايتها من المجهول الذي لا يعلم مداه.. بالنظر

لتفكيره العملي الخالي من الرحمة سابقاً، وما عايشه مع أبيه توريك، يصعب على سوريم الاقتناع أن رادال لن ينتقم منه حقاً..

رآه يهبط من العرش وابتسامة واسعة على شفتيه، فاقترب من جود الواقفة جانباً واضعاً يده على كتفها متسائلاً "هل تقدرين على تطيير الطائرة بمفردك؟.."

فوجئت جود بتساؤله، فقالت بحذر "ربما، بعد أن أتأكد إن كانت طائراتكم مشابهة لطائرات جيشنا.. وبعد أن أعرف الوجهة وأحدد إمكانيتي الاعتماد على نفسي في الوصول إليها من عدمه.."

فقال رادال بثقة "أنا أثق بقدرتك على ذلك.."

وأضاف بابتسامة جذلة "فرحلتنا هذه ستكون شيقة.."

لم تفهم جود سبب ثقته وما عناه بقوله ذاك، لكنها لم تجرؤ على الاعتراض أمام الآخرين حتى وجدت نفسها وحيدة معه أثناء توجههما لمهبط الطائرات لمعاينة الطائرة تلك.. فقالت لتروي فضولها ولتريح الهواجس التي تمرح في عقلها "ما الذي تنوي فعله حقاً يا رادال؟.. هل ستحاول الخلاص من سوريم بعيداً عن عيون شعبك؟.."

تساءل رادال وهو يرمقها بعينين التمعت فيهما ضحكة واضحة "أهذا ما تتوقعينه مني؟.. لقد خاب ظني بك.. أتظنين أنني ألقي وعوداً فارغة لمن هم حولي، وخاصة على أقرب فتاة من قلبي؟.."

مجدداً مع هذه التعليقات التي لا تعرف جود كيف تتصرف معها.. لكنها اختارت التغاضي عنها هذه المرة وهي تسأله ملاحقة خطواته السريعة "إذن أفهمني ما يجري هنا.. ما الذي تنوي فعله بهما؟.. إنه شقيقك رغم كل شيء.."

قال رادال بسرعة "الحل الوحيد للخلاص من سوريم وما يحمله من تهديد هو في نفيه بعيداً عن شادين.. وقد استثنيت الجنود من هذه الرحلة حتى لا يصل خبر منفاه لأحد، ولا يحاول أحدهم استعادة سوريم وخيانتي.. لن يعلم بمنفاه إلا أنا.. وأنتِ.."

ونظر لجود مضيفاً "لا تقلقي.. لن يصيبهما أي سوء في المنفى.. لكِ كلمتي بهذا.."

ظلت جود حيرى من كل ما سمعته.. قرار رادال بنفي سوريم هو أفضل حلٍ بالفعل، مع إدراكها أن بقاءه في شادين سيغريه بمحاولة استعادة العرش بلا ريب.. لكن، أي منفى هذا الذي ينوي رادال أخذهم له؟..

وكيف يضمن أن سوريم لن يجد وسيلة للعودة مطلقاً؟..

في الآن ذاته، اقتاد حارسان سوريم وميام عائدين لجناحهما بانتظار لحظة الانطلاق للمنفى.. وفور مغادرته قاعة العرش، رأى سوريم الملكة الأم تقترب منه بملامح يغلب عليها ما بدا له كشفقة.. وهو يكره ذلك أكثر ما يكره، بالإضافة لأنه لم يغفر لها قط أنها عاونت رادال على إسقاطه.. فلابد أنها الآن مسرورة بعدما كلّلت مخططاتها بالنجاح التام..

لم يتوقف سوريم ولو للحظة وهو يضمّ كتف ميام ويسير معها متجاهلاً الملكة الأم بشكل تام.. لكنها استوقفته بإلحاح قائلة "سوريم.. هل ستتجاهلني حتى آخر ساعة لك في شادين؟"

قال سوريم بغضب مكتوم "ومن الذي تسبب بطردي من شادين؟.. ألم يكن ابنك الحبيب بمآزرتك وعون بعض الخونة؟.."

قالت الملكة الأم "لقد طلبت منك ألا تؤذي رادال.. رجوتك ألا تحرمني منه.. لكنك أصررت على تحطيم قلبي بأقسى صورة.. لذا لا تلمني أنني عاملتك بالمثل.."

علق سوريم بهزء "وها قد تخلصتِ مني أنا.. وتخلصت من الحفيد الذي لطالما تحايلتِ لأحصل عليه.. فلتقر عينك أخيراً.."

قالت الملكة الأم بوجوم "لم يكن هذا ما سعيت إليه.. وقد طالبت رادال مراراً ألا يحاول إيذاءك، فأنت شقيقه مهما ساءت العلاقة بينكما.."

ثم أضافت بشيء من الأمل "يمكنني أن أقنع رادال، لو وعدته أنك لن تحاول قلب الحكم واستعادة العرش.. لن يكون رادال قاسياً عليك لو حاز على ولائك المطلق.."

رفع سوريم رأسه بإباء قائلاً "وأنا لن أوالي من عاداني.. وهذا الأمر يشملك أنت أيضاً.."

وأضاف بوجوم وهو يبتعد "ادّخري عواطفك هذه لرادال.. فأنا لا أحتاجها.."

صمتت الملكة الأم دون تعليق وهي تنظر له بأسى.. كانت تدرك، منذ اللحظة الأولى التي تم اختيارها فيها كزوجة للملك السابق توريك، أن حياتها في هذا القصر لن تكون عادية.. أنها لن تعيش كزوجة وأم عادية تعتني بعائلتها وتراقب حياتهم متمنية أن ترى سعادتهم.. أنها قد تضطر للقيام بتصرف لا تقبله أي أم على نفسها لإعلاء مصلحة شعبها أو لما فيه خير لوطنها..

لكنها لم تتوقع يوماً أنها ستضطر للاختيار بين ابنيها وإعلاء أحدهما على حساب الآخر.. لم تتخيل يوماً أن يشعل زوجها نار العداوة بين الشقيقين، وأنه سيرميها وسطهما دون تردد أو رحمة..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

شحب وجه ميام بشكل بالغ وهي تحدق بالأرض المنبسطة أمامها والتي بدت قاتمة نوعاً مع خفوت نور الشمس الذي اعتادته مبهراً في شادين طوال حياتها.. ولم يكن امتقاع وجه سوريم أقل منها وهو يحاول دفع الخيالات والهواجس التي ظلت تلوح أمام عينيه منذ عرف بوجهتهم.. لكنه تمالك نفسه بسرعة وصاح برادال "لو كنت تريد القضاء عليّ، كان بمقدورك إنجاز ذلك دون هذا العبث.. هل تستهويك فكرة تعذيبنا بهذا الأسلوب؟.."

قال رادال "الخلاص منك أمر، والقضاء عليك أمرٌ آخر.. هنا، أنا واثقٌ أنك لن تجد وسيلة للعودة يا شقيقي العزيز.."

وأشار بذراعيه حوله مضيفاً بانشراح "مرحباً بك في أرض الهوام.. أيها الملك السابق.."

لم يغادر الشحوب وجه ميام وهي ترمق ما أمامها وتضمّ قبضتيها نحو صدرها.. حتى وجدت يد جود تربت على كتفها قائلة "لا تقلقي.. ستقابلين أناساً لطفاء هنا، وهم سيعتنون بكما جيداً.."

لطم سوريم يدها بعيداً عن ميام باستياء، فيما امتنعت ميام عن التعليق وهي تتأمل القرية القريبة التي احتلت جانباً صغيراً من هذا السهل الواسع.. كانت القرية بائسة الحال، وما بدا لها من جوانبها يمنحها تصوراً عن سكانها لا يقل توحشاً عما سمعته عن أرض الهوام سابقاً..

اقتربت جود من رادال متسائلة "أتظن أن سكان القرية لن يعارضوا وجود سوريم؟.."

أجاب رادال "لا أظن ذلك.. يمكنني إقناع أيصر بكل سهولة.. فهذا الرجل لا يرفض لي طلباً.."

سارت جود برفقته متأملة القرية التي امتدت وعمّرها أهلها في وقت قصير نسبياً، وأدركت الفرق الواضح بينها وبين القرية السابقة التي فارقوها.. فقد كانت هذه القرية أوسع وأكثر نظافة واعتناء بملامحها، ومنازلها المنخفضة بدت أجمل وأكثر ترتيباً وأقل رطوبة من السابق.. لكن تلك الملامح التي وجدتها جود

تثير الإعجاب بما حققه القرويون، لم يكن لها تأثيرٌ إيجابي على سوريم وميام اللذان سارا أمام رادال بأمرٍ منه والصمت المتوجس يلفهما..

لم تكد جود تقترب من القرية والحقول القريبة منها، حتى فوجئت بذلك الجسد الذي ارتطم بها حتى كادت تسقط خلفاً.. تمالكت جود نفسها بدهشة، لترى هيما تحتضنها بقوة صائحة بفرح "أأنا أحلم أم أن ما أراه أمامي حقيقي؟.."

ابتسمت جود بسرور وربتت على رأس هيما قائلة "لشدّ ما أنا سعيدة برؤيتك يا هيما.. لقد تغيرتِ كثيراً.."

ثم أضافت بلهجة تعجب وقد انتبهت للغة التي استخدمتها "متى أتقنتِ لغة هذه الأرض؟.."

قالت هيما بابتسامة واسعة "أتقنتها في وقتٍ وجيز، فأنا لا يعجزني أمرٌ مطلقاً.."

ونظرت لسوريم وميام ورادال يقودهما بعيداً بحثاً عن أيصر.. فتساءلت هيما بفضول "من هذان؟.."

أجابت جود "سأخبرك بأمرهما لاحقاً بعد أن تخبريني بما جرى لك على هذه الأرض.. هل شعرتِ بالملل بعد؟.."

أطلقت هيما ضحكة مرحة مجيبة "ومن يمكنه أن يشعر بالملل بوجود جاكام؟.. بل إنني أتوق للأيام الهادئة المملة في أحيانٍ كثيرة.."

تساءلت جود بدهشة "ومن هو جاكام؟"

ابتسمت هيما قائلة "لا بد أنك سترينه قريباً.. إنه كالإعصار لا يمكن لأحدٍ أن يتجاهله في هذه القرية.. لكن صدقيني.. الكل يحبه هنا.."

قالت جود ملاحظة عينا هيما اللامعتان وهي تتحدث عنه"وأنتِ بالمثل تحبينه؟"

ضحكت هيما بشيء من الخجل مجيبة "ربما.. من يدري؟"

فقالت جود وهي تتأمل القرية القريبة التي خرج أهلها لرؤيتهم بفضول واضح "إذن.. ألا تنوين العودة؟"

أجابت هيما بسرعة "لا.. لا أظن ذلك.. لن أفكر بذلك مطلقاً.."

وصمتت للحظة قبل أن تقول ببساطة "رحيلي قد يغضب جاكام.. وأنا لا أريد أن أشهد ذلك أبداً.."

اتسعت ابتسامة جود وهي ممتنة لرادال لعودتها لهذه الأرض.. على الأقل لكي ترى عينا هيما السعيدتان بتلك اللمحة الفاتنة، ولكي تتخلص من أي تأنيب ضمير عندما تتذكرها وتتذكر تخاذلها عن إعادتها للعالم السامي..

جذبتها هيما نحو كوخٍ قريب وهي تسأل بلهفة "وجودكما هنا معناه أن كل الأمور في العالم السامي قد حلّت والحرب قد انقضت.. كيف حدث ذلك بسهولة؟"

ابتسمت جود ابتسامة مريرة وغمغمت "بسهولة؟.. لا يمكنني إطلاقاً أن أصف الأمر كذلك.."

وتنهدت متذكرة كل اللحظات التي مرت بها في العالم السامي.. متقلّبة بين اليأس والأمل.. بين الحزن والسعادة.. بين الأسى واللهفة.. ما مضى لم يستغرق إلا زمناً قصيراً من عمرها، لكنه استهلك كل انفعالاتها وعواطفها بشكل يعجز المرء عن تصديقه..

نظرت لعيني هيما الملهوفتين، فلم تمانع جود من قصّ الحكاية كاملة عليها..

مع قرار رادال بنفي سوريم لهذه القرية، تتضاءل فرصهم في العودة لهذا المكان، ولقاء هيما بعدها، أكثر من السابق.. لذا قد لا تجد جود فرصة أخرى لتقضي بعض الوقت مع هذه الفتاة القريبة من قلبها بهدوئها وطيبتها وقلبها الذي يشبه قلب طفلة ملأى بانبهارٍ بهذا العالم البائس الذي لا ترى فيه جود ما يثير الدهشة..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

وكانت إجابة أيصر القاطعة "لا....."

قال رادال باعتراض "ولِمَ ذلك؟.. أترفض أن تؤوي شقيقي العزيز في قريتك وتعتني به؟.. هما فردان اثنان لا غير.. لذا لن يضرّك وجودهما مطلقاً.."

قال أيصر عاقداً ذراعيه على صدره حيث جلس وسط كوخه "شقيقك هذا ليس شخصاً عادياً.. إنه ملك سابق.. أتظن أنه سيرضى بالعيش في هذا المكان؟.. لا أريد أن يجرّ علينا أي مصائب بوجوده هنا.."

قال رادال بابتسامة "لا تقلق.. لن يكون صعباً عليك تطويع أقوى الإرادات.. لا تقل لي إنك تخشى من سوريم وزوجته؟.."

ظل سوريم يمسك يد ميام وهو يجلس في الكوخ يستمع لمناقشة رادال وذلك الرجل الحادة والتي لا يفقه منها حرفاً.. لغتهم غريبة.. كيف له أن يعيش في هذا المكان البائس؟.. كيف له أن يتأقلم مع هذا العالم الوحشي؟.. إنه لا يفهم كلمة مما يسمعها.. ولا يظن أن هذه القرية قد تمنحه وميام، وتمنح وليدهما القادم، أي أمانٍ أو راحة.. فكيف له أن يستسلم لقرار رادال هذا؟.. لو كان أكثر قوة، لتغلب على رادال وهو وحيد دون جنود، واستولى على الطائرة ليعود لوطنه.. ولعرشه..

لكنه صمت مرغماً رغم كل اعتراضاته.. رادال فاق كل توقعاته.. لم يبادر لقتله والخلاص منه، ولم يرمِه في السجن مع زوجته ليقضي فيه ما بقي من حياته.. لم يحاول الانتقام منه بأي صورة كانت.. فهل يكون شاكراً لهذه الفرصة التي يمنحها له بأن يعيش حياة عادية بلا خوف أو قلق، لو كان بالإمكان إطلاق هذا الوصف على حياتهما في هذا العالم الغريب؟.. أم عليه أن يسخط لأن رادال سلبه كل ما يملك بغمضة عين؟..

لاحظ بعد بعض الوقت عودة تلك الفتاة التي رافقتهم من شادين، وبرفقتها فتاة أخرى من سكان القرية.. وبعد محادثة قصيرة بين الفتاة الغريبة وبين رادال، التفتت الفتاة إليهما قائلة بابتسامة "لا تقلقا.. العيش في هذه القرية ليس مرعباً.. وسأتأكد أنكما ستتعلما لغة هذا العالم بسرعة البرق.."

نظرت لها ميام بدهشة وقالت "من أنت؟"

أجابت هيما "أنا من سكان العالم السامي، وقد قررت السكنى في هذا العالم بمحض اختياري.."

ثم أمسكت يدي ميام بألفة قائلة "لا تقلقي لأي أمر.. يمكنك اللجوء إليّ في أي أمر وسأعينك عليه.."

لطم سوريم يدها قائلاً باستياء "من قال إننا نريد تعلم هذه اللغة؟.. ابتعدي عنها ولا تلمسيها.."

لم تظهر هيما استياءها لما فعله، بل قالت "ألا يفترض بها أن تبدي رأيها بهذا الأمر؟.. من قال إنها ملزمة بالقرارات التي تتخذها أنت دون أن تشاورها فيها؟.."

تزايد استنكار سوريم، فيما قالت ميام بشيء من التردد "أنا أريد أن أتعلم هذه اللغة.. وأريد عونك في التأقلم مع هذه القرية وهذا العالم.."

قال سوريم باحتجاج "كيف لك أن تفعلي هذا؟"

قالت له ميام بحزم أكبر "أريد أن أفعل هذا، لأجل طفلي القادم.. لا أريد أن أخضع لمصيري، بل أن أصنعه بنفسي.. أما يكفينا تشبثاً بذاك العالم الذي لن نعود إليه إطلاقاً؟.."

ابتسمت هيما قائلة "هذا عين العقل.."

بينما تغيّر لون سوريم بحنق لما يسمعه.. راقبه رادال بصمت عالماً أن مدة طويلة ستمضي قبل أن يستسلم لمصيره على هذه الأرض.. لكن الجيد أن ميام أكثر تقبلاً منه لهذا المصير، وأكثر عزماً على التأقلم فيه.. لذا لا بد أن تجرّ زوجها لتقبّل حياته بصورة أسرع.. وقد أثبتت الفتاة أنها رغم الضعف الظاهر عليها أقوى عزيمة وإصراراً مما قد يتصور أحدهم..

قاطع أيصر أفكاره في تلك اللحظة قائلاً "ما الذي عاد بك للقرية بعد رحيلك عنها؟.. ظننا أنك لن تعود إليها من جديد.. والآن، بعد هذا الغياب، تعود مصطحباً حملاً جديداً لترميه على ظهري؟"

غمغم رادال مطرقاً "لم أتوقع لوهلة أنني سأعود.. وربما لا أفعل بعد رحيلي هذه المرة أيضاً.."

ثم ابتسم مضيفاً "لكن ما يسرّني أنني أتيت لأشهد استقراركم في هذه الأرض.. يبدو أنكم لم تواجهوا أي مشاكل تذكر منذ رحيلي عنكم.."

قال أيصر بشيء من السخط "بلى.. لم نواجه إلا مشاكل مع بعض فرق الجوالة الذين يصرّون على تعكير صفونا بين وقت وآخر.."

بدت الدهشة على ملامح رادال وهو يتساءل "وكيف حللتم هذا الأمر؟"

أجاب أيصر "لم نفعل.. جاكام هو من فعل.."

تزايدت دهشة رادال وهو ينكر الاسم الذي لم يسمعه قط بين القرويين، بينما نهض أيصر منهياً هذا الحديث بقراره الأخير "نحن لا نعيل أحداً دون مقابل.. على هذا الرجل أن يشارك في تعمير كوخه الخاص، وعليه أن يبحث عن مصدر رزق له ليعيل عائلته.. نحن لسنا خدماً له، وعليه أن يوقن بذلك بأسرع ما يمكن.."

قال رادال بابتسامة وهو ينهض بدوره "أترك لك جهد إقناعه بذلك.."

لم يعارض أيصر رغم الاستياء البادي على ملامحه، فيما نهض سوريم وميام بالتبعية ورادال يخاطبهما قائلاً "عليك أن تقنع ببقائك هنا وتكون شاكراً لأنك تحتفظ برأسك حتى اللحظة.."

ظل السخط بادياً على وجه سوريم، فأضاف رادال وهو يغادر "على الأقل، كن شاكراً لأنك ستتمكن من رعاية عائلتك بنفسك، ولأنك ستشهد ولادة ابنك القادم.. هذا وحده أثمن من العرش ومن مُلك مملكة الضياء كلها.."

غادروا الكوخ دون اعتراض ملحوظ من سوريم، بينما وقفت ميام خارجاً وهي تهمس له بشيء من الانشراح "لن يكون الوضع هنا سيئاً.. قد يكون التأقلم معه صعباً في البدء، لكن متى ما تمّ ذلك قد نجد أنفسنا أسعد هنا من أي مكان آخر.."

غمغم سوريم بمرارة "أنتِ لا تستحقين هذا المصير يا ميام.. لو أنك بقيتِ في ذاك العالم لكان خيراً لك.."

نظرت له معلقة "وهل ستكون أسعد لو كنت وحيداً؟"

وشبكت ذراعها بذراعه مضيفة "المهم أننا معاً.. هذا كل ما يهمني في هذا العالم.."

رأى سوريم نمراً عظيم الهيئة بجناحين يقترب منهم فاغراً فاه وأنيابه بارزة، فانتفض مرتعباً ودارى ميام خلفه وهو يرى ذلك الكائن يقفز على رادال فيسقطه أرضاً دون توانٍ.. تراجع سوريم خطوات ضاماً ميام إليه دون أن يمد يده لرادال بأي عون، آملاً أن يلتهم ذلك الكائن الشرس رادال ويخلصه منه بضربة واحدة.. لكنه رأى رادال يعتدل من جديد وهو يقول بابتسامة واسعة "أيها العنيد.. ألم ترحل بعد؟.."

حك عنق الشاس بقوة وربت على أنفه الأسود وأذنيه القصيرتين، والشاس يبدي ألفة واضحة نحو رادال ويمسح رأسه بعنق الأخير باشتياق واضح.. لاحظ رادال اقتراب غيدان الذي صاح "أما زلت حياً يا رجل؟.. ظننتك قد هلكت من زمن.."

عانقه بقوة مربتاً على ظهره، فقال رادال "وما الذي يمكنه أن يتخلص مني؟.. هناك إشاعات تتردد في

العالم السامي أنني بعشرة أرواح.. ويبدو أنني لم أستنفذها كلها بعد.."

قال غيدان بابتسامة واسعة "ما الذي أعادك لهذا العالم البائس؟.."

نظر رادال جهة سوريم قائلاً "أتيت لاصطحاب الملك السابق لمنفاه الأخير.. هذا شقيقي بالمناسبة.."

حدق غيدان بوجه سوريم والأخير يظهر استياءه من الأعين المحدقة به رغم أنه لا يفهم ما قيل، ثم جذب ميام مبتعداً بها عن هذا الجمع، وعن الأعين التي ترمقهم من كل صوب في هذه القرية البائسة.. لو أنه عاش في قرية من قرىٰ العالم السامي، لما كان استياؤه مشابهاً لما يشعر به الآن.. فهل سيصمت طويلاً علىٰ هذا الحال البائس الذي صاروا إليه؟..

أثناء حديث رادال مع غيدان، وهو منشغلٌ بمداعبة الشاس الذي كان رفيقه لسنواتٍ لا حصر لها، سمع صيحة استياء صادرة من جانب القرية، فالتفت خلفاً لصاحب الصيحة عالماً أنها موجهة نحوهم.. عندها رأىٰ رجلاً غريباً لم يسبق له رؤيته في هذه القرية، بملامح لا تمت للّطافة بأي صلة، وبحاجبين معقودين وهو يقول بلهجة لا تخلو من صلف "أنت.. أترك هذا الشاس فهو يخصني.."

نظر رادال بتعجب واستفهام جهة غيدان، فقال الأخير بابتسامة "هذا جاكام.. انضمّ لنا حديثاً، وقد كان ذا عونٍ بالغ لأهل القرية في طرد فرق الجوالة الذين طمعوا بنا.."

سأله رادال باستنكار "ولِمَ منحته الشاس الخاص بي؟"

هز غيدان كتفيه مجيباً "لقد رفض الشاس الرحيل بعد غيابك، وظل يجول في جوانب القرية بلا صاحب.. لذا لم أرَ مانعاً من السماح لجاكام باستخدامه والعناية به.. وهو في الواقع قد بدأ يستطيب البقاء مع جاكام.."

وقف جاكام أمام رادال واضعاً قبضتيه علىٰ خصره ومباعداً بين ساقيه بشيء من التحدي وهو يقول "من الذي سمح لك بلمس الشاس؟.."

كان قوله المتحدي غريباً خاصة مع فارق الطول بينهما، بينما مالت جود علىٰ هيما متسائلة بحيرة "أهذا جاكام؟.. لا يبدو لطيف المظهر علىٰ الإطلاق.."

علقت هيما بابتسامة "لا تقلقي لمظهره.. إنه يحمل قلب طفل.."

صمتت جود بتعجب لابتسامة هيما ونظراتها التي تلاحق جاكام.. رغم أنها تدرك أن المظاهر ليست هي

حقيقة الأشخاص، لكن لا يمكن لشخص ألا يخشى هذا الرجل مع هيئته التي تبدو مرعبة لمن يراها لأول مرة..

قال رادال أخيراً معلقاً على سؤال جاكام "ومن قال إنني أنتظر إذناً بلمس هذا الشاس؟.. أنا مالكه الأصلي، وأنا من قام بترويضه.. فلا تتبجح الآن وأنت لم تفعل أياً من ذلك.."

دهش جاكام لما يسمعه، وهو يعلم أن صاحب هذا الشاس قد رحل للعالم العلوي دون رغبة بالعودة لهذه الأرض.. لكنه قال بحنق رغم ذلك "أنا مالكه الآن، لذا لا أسمح لك بلمسه.."

قال رادال ضاحكاً وهو يتسلّ بإغاظة جاكام "أراهن أنك لا تجيد امتطاءه بمهارة.. لذا اشتاق هذا الشاس لمن يملك المهارة الكافية لاستغلال قدراته.."

تقدم جاكام خطوة قائلاً بحدة "أتجرؤ على التشكيك بي؟.. أنا أمهر من يمتطي الخيول على هذه الأرض.. ولا يختلف الحال مع الشاس.. أتريد أن أبرهن لك ذلك؟"

فقال رادال وقد تسلل الحماس لصوته "لا بأس.. أتسابقني لنرى من منّا الأمهر؟.."

ونظر تجاه غيدان، الذي قال باستسلام "لا بأس.. يمكنكما استخدام الشاس الخاص بي.. لكن أعيداه لي قطعة واحدة.."

لم يتمهل رادال وهو يتوجه للحظيرة لإحضار الشاس الآخر، بينما قال جاكام بسخط "من يكون هذا المتكبر؟.."

أجاب غيدان "إنه مثلك بالضبط.. كبير الجسد صغير العقل يتصرف كأي طفل في القرية.."

قال جاكام بإباء "لكني لست كذلك قطعاً.."

لاحظ رادال الذي قفز على ظهر الشاس الآخر ولكزه ليطير به فور خروجه من الحظيرة، عندها سارع جاكام لامتطاء الشاس القريب وهو يدمدم بغيظ "ذلك الوغد المخادع....."

حلق الشاس بسرعة وحركة فجائية وقد اعتاد على صاحبه الذي لا يترفق في التحليق به كما يفعل البقية عادة.. طار الشاس بسرعة البرق لاحقاً بالشاس الأول وهما يرتفعان عالياً حتى يكادا يقاربان الغيوم التي تظلل هذا العالم بشكل دائم.. وفيما نظرت هيما بقلق لما يجري وهي ترتجف من فكرة الوصول لهذا الارتفاع، دون أن يزول خوفها المعتاد من المرتفعات، فإن جود علقت بابتسامة "الآن أرى ما عنيته

بحديثك عن جاكام.. هذان الأحمقان يملكان بساطة العقل ذاتها.."

نظرت هيما بفضول لجود، ثم سألتها "ما الذي جرىٰ بينك وبين رادال؟"

نظرت لها جود بدهشة من هذا السؤال، فابتسمت هيما معلقة "لا داعي لهذه الدهشة.. أنا موقنة أن أمراً ما جرىٰ بينكما.."

تساءلت جود "كيف تعرفين ذلك ونحن افترقنا منذ زمن طويل؟"

هزت هيما كتفيها مجيبة "لا أدري بشعورك نحوه، لكني كنت أشعر باهتمام رادال بك.. شككت بذلك منذ رأيته يدعوك في الرحلة الأولىٰ التي قامت بها القرية دون أن يدعو أحداً آخر معكما.."

غمغمت جود "يبدو أن الجميع أدرك ما يشعر به رادال إلا أنا.."

التصقت بها هيما متسائلة بابتسامة واسعة "إذاً؟.. ما الذي جرىٰ؟"

أدارت جود وجهها جانباً بشيء من الحرج، ثم قالت بعد أن طال تحديق هيما بها "لقد صرّح لي رادال بحبه بالفعل قبل مدة.. وهو يطالبني بالموافقة علىٰ الزواج به منذ بعض الوقت.."

هتفت هيما بحماسة "رائع.. أهذا يعني أنك ستصبحين الملكة؟.. من كان يصدق ذلك؟.."

ثم قالت بحسرة "أتمنىٰ لو أستطيع أن أحضر هذا الزفاف.. لابد أنه سيكون أسطورياً.."

غمغمت جود بخفوت "لا أظن هذا سيتحقق في وقت قريب.."

رمقتها هيما بعدم فهم للحظة، ثم تساءلت "ماذا تعنين؟.. ألستِ تحبينه؟.. أم أنك رفضتِ مشاعره بالفعل؟"

هزت جود رأسها نفياً وقالت "لا.. بل أنا أحبه بالفعل.."

عادت هيما تتساءل بحيرة "إذن ما سبب التأخير؟.."

صمتت جود محاولة استحضار تلك المشاعر المبهمة التي تموج في صدرها منذ بعض الوقت.. منذ أصبح رادال ملكاً علىٰ مملكة الضياء.. ومنذ صرّح برغبته أن تكون جواره في ذلك القصر.. ثم قالت أخيراً خافضة وجهها "أنت تعلمين أنني قاسيت لزمنٍ طويل من الرفض والسخرية من سكان قانار.. ولم يكن سبب ذلك إلا لأنني مختلفة.. ولأنني خالفت إحدىٰ خرافاتهم عن سكان هذه الأرض.. لا أقدر أن أتخيل ما سيشعر به سكان شادين لو وجدوا امرأة غريبة من مملكة معادية لهم، ولا تنتمي للعالم السامي في

الأساس، تجلس جوار ملكهم على عرش المملكة.. لا بد أن صدمتهم ستكون مريعة، وأن استنكارهم لن يقل قسوة عن استنكار سكان قانار.."

قالت هيما رافعة حاجبيها "لكني متأكدة أن رادال لن يسمح لأحدٍ بإيذائك.. ولن ينجرف خلف أي اعتراض بوجودك.."

أدارت جود وجهها جانباً معلقة "لكني لا أريد أن أشهد ذلك، حتى لو لم يطالني أي أذىً منه.. كما أنني متأكدة أنني لا أروق للملكة الأم، فقد سمعت هذا الأمر منها بوضوح أثناء لقائها برادال في وقت سابق.."

استدارت هيما لتواجه جود وهي تمسك يديها قائلة "كل هذا لا يهم.. لا تهتمي لأي أمر، إلا لنفسك ولرادال.. هذه حياتكما، وليس لأحدٍ أن يتدخل فيها.. ليس ذنبه أنه الملك ليكون مطالباً بالتخلي عنك لأجل ذلك.. وليس ذنبك أن رادال يحبك أنت دوناً عن بقية الفتيات.."

وشدّت على يديها مضيفة "ضعي ثقتك به.. فهل خيّب ظنّك يوماً ما؟.."

صمتت جود دون أن تملك إجابة هذا السؤال.. ونظرت تجاه رادال الذي قفز عن ظهر الشاس كعادته واقترب منهم منشرح الأسارير بعينين تلمعان سعادة وابتسامة واسعة قلما رأتها على وجهه، يتبعه جاكام ساخطاً متذمراً لفشله السريع أمام غريمه..

إنها لم تفقد الثقة برادال يوماً.. ولم تجده قد خيّب ظنها في لحظة من لحظات حياتها معه.. فهل تتبع نصيحة هيما وتستسلم له أخيراً واضعة مصيرها بين يديه؟..

هل سيختلف حالها عندما تواجه بالرفض والاستنكار من العامة والخاصة في شادين بوجود رادال قربها وتأييده لها؟..

قاث، الذي لطالما حماها ومنع عنها الأذى، لم يتمكن من إزالة الأذى النفسي الذي شعرت به في صغرها رغم أنه تمكن من جعلها أقوى وأكثر ثباتاً مما قد يتوقع منها المرء..

فهل يقدر رادال على تجنيبها ذلك؟..

أم أن الأفضل لها أن تختار البعد والتنائي رغم أن ذلك قد يكون موسوماً بتعاستها وتعاسة رادال بالمثل؟..

وهل الخيار المتاح أمامها يحتمل أي تردد؟..

دارت تلك الأفكار في ذهنها بلمحة بصر وهي ترىٰ اقتراب رادال، وقلبها يخفق بقوة لابتسامته وهي تكاد تسمع النبض القوي في أذنيها..

عندها، رفعت بصرها حتىٰ تلاقت عيناها بعينيه، ولم تهرب منه كما دأبت علىٰ أن تفعل في الشهور الماضية..

ابتسمت له ابتسامة مشرقة بعد أن سكن وجدانها واستقرت أفكارها عند الاختيار الذي لا تجد له بديلاً في حياتها القادمة..

عليها أن تثق به كما وثقت دوماً.. وأن تسلّمه حياتها كما فعلت عندما رأته لأول مرة علىٰ هذه الأرض..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

تمت

(الفصل الإضافي)
هايانا وهيرود.. قصة تحدٍّ..

في ذلك اليوم الذي غادرت فيه طائرة رادال وجود مدينة ساڤا، وبعيداً عن الأحداث الحاسمة التي ستواجه رفاقنا في رحلتهم الطويلة تلك، كانت الملكة هايانا تجلس في جانب جناحها زافرة بملل شديد وهي تراقب هيرود الذي انشغل باللوح المضيء في يده كعادته ينسّق ما بقي من أعمال لهذا اليوم ويرد على بعض الرسائل التي أرسلت إلى الملكة من رؤساء المدن الأخرى في المملكة.. قطعت هايانا الصمت قائلة بضجر "حتى متى ستظل صامتاً هكذا؟"

أجاب هيرود "حتى أجد أمراً مهماً يجب أن أقوله.."

رمقته بصمت للحظة، ثم وضعت وجهها على راحة يدها وغمغمت مديرة بصرها جانباً "تبدو بملل شديد في هذا اليوم، إنك لا تستجيب لمزاحي كالمعتاد.. هل اشتقت لضيوفنا الذين غادروا قبل ساعات معدودة؟"

لم يعلق هيرود على تساؤلها هذا، فقالت بإلحاح وهي تنظر له "هل اشتقت لتلك الفتاة الجميلة ذات الشعر الطويل المموج؟.. لاحظت أنك تنظر لها مطولاً في بعض الأحيان.. هي فتاة فاتنة بالفعل.. هل راقت لك؟"

قال هيرود دون أن يتخلى عن هدوئه "مولاتي.. ما الداعي للحديث في هذا الأمر العقيم؟.. تلك الفتاة جميلة بالفعل، لكنها لا تعنيني.. ولا يهمني أي أمرٍ في هذه اللحظات سوى ما أمامي من أعمال.."

تراجعت هايانا في كرسيها متذمرة "أنت تكذب.."

نظر لها بصمت، فقالت أخيراً ملوحة بيدها "أدرك ما ستقوله.. أنت لا تكذب مطلقاً مهما كانت الحاجة لذلك.. لكن كيف لي أن أصدقك؟.. مقارنة بها، أبدو كلوحٍ خشبي بشع الهيئة حتى لو كان مزخرفاً بزخارف جميلة.. كيف لك ألا....."

قطعت قولها عندما وضع يده على يدها وشدّ عليها بقوة.. نظرت له صامتة، فيما نظر لها هيرود بحدة وقال "هايانا.. أرجو أن تكفّي عن إهانتي أكثر من هذا.. لو كنت أريد فتاة مثلها، لما قبلت الزواج بلوح الخشب

ذاك.."

بدا الامتعاض على وجهها وهي تدمدم "ولابد أنك نادمٌ الآن بعد كل تلك السنوات.."

لم يعلق وهو يعود لأعماله زافراً.. فقالت هايانا بعد لحظة صمت وبصرها معلقٌ بالسماء الصافية من النافذة المقابلة "ألم تنظر لامرأة غيري قط يا هيرود؟.. لن أحزن في هذه اللحظة لو سمعت إجابتك الصريحة.."

لكنه يعلم أنها ستحزن بشدة.. ورغم ذلك، لم تكن عادة هيرود أن يكذب أو يجامل كما تعرف هي منه تمام المعرفة.. فقال أخيراً بعد لحظة الصمت "لا.. لأن أفقي قد ملأته امرأة جامحة تفوقني طولاً وتشغل أيامي بتصرفاتها غير المسؤولة.."

نظرت له هايانا بعاطفة واضحة للحظة وحاجبين مرتفعان، فمنحها ابتسامة حاول بها تأكيد قوله وبعث الثقة في نفسها.. ثم سمعها تقول "أهذا مديح؟.. هل يفترض بي أن أعتبره كذلك؟.. لكني لا أراه مديحاً مطلقاً.. ألا تملك كلمات ألطف وأكثر رقة من هذه؟.."

زفر هيرود من جديد متجاوزاً عن إجابتها، دون أن يغفل عن يدها التي احتفظت بها في يده، وهي تشبك أصابعها بأصابعه دون أن تجذبها بعيداً لوقت طويل.. رغم كل الثقة والعناد الظاهرين على الملكة، لكن هايانا في دخيلة نفسها لا تزال تشعر بانعدام الثقة بهيئتها كما كانت في صغرها.. ولا يبدو أن تلك المشاعر ستزول من أعماقها بسهولة رغم مضيّ السنين على ذلك..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋

قبل ما يقارب عشرين سنة...

زفرت هايانا، ذات السادسة عشر، بارتباك وهي تعدل ملابسها ذات اللون الأصفر الزاهي، والتي تخلل قماشها الكثير من التطريزات الناعمة والحواشي المتماوجة، وتلمست العقد الناعم الذي ترتديه بالحجر الذهبي في الوسط.. ثم قالت للوصيفة القريبة وهي تلمس الأقراط المذهبة "أأنت متأكدة أنني بأفضل هيئة ممكنة؟"

ابتسمت الوصيفة بارتباك قائلة "هذا أفضل ما رأيته عليك قط يا مولاتي.. اللون الأصفر أجمل عليك

ويناسب لون شعرك وخصلاته الناعمة.. لا أدري لِمَ تصرّ الملكة على تجهيز الفساتين ذات الألوان الوردية والسماوية لك، لكن تلك الألوان لا تناسب..... لا تناسب شكلك يا مولاتي.. هذه الألوان الجريئة تناسبك أكثر بكل تأكيد.."

خايل هايانا للحظة أن الوصيفة ستذكر جسدها الذي يعتبر ضخماً مقارنة بالفتيات في عمرها، أو طولها الذي يبزّ أطول الفتيان والأمراء في القصر.. لكنها لم تجد لديها طاقة للغضب والجدال بخصوص هذه النقطة وهي تتأكد من ثبات خصلات شعرها الطويلة في تلك التسريحة الملتوية على رأسها..

وجدت الوصيفة تعبث في بعض الصناديق الخزفية على الطاولة العريضة في جناحها، ثم استخرجت زينة للشعر مصنوعة من أحجار كريمة حمراء اللون وبهيئة زهرة جميلة ذات وريقات ناعمة وكثيرة العدد..

نظرت هايانا للزينة بريبة قائلة "ما الذي تنوين فعله؟"

قالت الوصيفة وهي تتقدم منها "هذه الزينة هي هدية خاصة من مولاي الملك لابنته الحبيبة.. لا بد أن ترتديها في مناسبة كالتي ستحضرينها الليلة.."

استسلمت لها هايانا وهي تضع الزينة على جانب شعرها، وتراجعت خطوات قبل أن تهتف "رائع.. لم أرَ أجمل منك اليوم يا مولاتي.."

كانت هايانا تدرك أن الوصيفة تلجأ للمبالغة في المديح كي تشجّع الأميرة على الاعتناء بهيئتها وعلى ارتداء ما يناسب مقامها كأميرة يافعة وابنة لملك البلاد.. كانت هايانا تبغض هذه الأمور، رغم أنها تجد أن هذا يحتل أغلب اهتمامات الأميرات الباقيات ويشغلهن في محاولة منهن لإبراز جمالهن في الحفلات التي تقام في القصر الملكي بين وقت وآخر..

زفرت هايانا بارتباك أكبر وهي تتأمل هيأتها الجديدة.. لم تعتد على هذا الارتباك والقلق الذي داهمها، فهي لطالما كانت قوية الشخصية وعنيدة في كل أمر، إلا ما يخصّ أمور الفتيات هذه.. لم تكن تحبذ ارتداء مثل هذه الملابس ولا تصفيف شعرها بتلك الطريقة.. لكن أمها الملكة قد أصرّت ألا تحضر الحفلة إلا بالشكل الذي يرضيها، وأكّدت لها أن هذه الحفلة بالذات بالغة الأهمية.. ففيها سيعلن الملك أنها هي وريثة عرشه وولية عهده حتى تصبح الملكة من بعده على مملكة القمة العالية..

لم يكن الملك يملك أي أبناء، عداها، لذا كانت هي الخيار الوحيد المطروح أمامه.. ولم يكن الملك رافضاً

لتلك الفكرة مع مثابرة هايانا في التدريبات المختلفة التي خضعت لها، من تحصيل المعارف المطلوبة لها كملكة مستقبلية، لخوض بعض التدريبات الخاصة باستخدام مهارات مثل السيف وامتطاء الأحصنة وغيرها من الأمور التي درج الملوك على إتقانها..

لكن هايانا لم تكن واثقة.. كانت تعرف أن الملك، بدلاله المعهود لها، سعيدٌ بالمنصب الذي ستحتله من الآن فصاعداً، ولا يرى أحق منها به.. لكنها تخشى مما سيحدث عندما تصبح ولي العهد.. هل سيتقبلها الآخرون؟.. ألن يهزؤوا من وريث عرش يرتدي الفساتين؟.. وريث عرش طويل الجسد يبدو أقرب لمهرج عندما يرتدي ما اعتادت بقية الفتيات على ارتدائه ببساطة؟..

سارت هايانا، بعد ساعة أو أكثر من موعد بدء الحفل، متوجهة نحو القاعة التي خصصت لهذا الاحتفال الكبير.. كان توترها قد بلغ بها مبلغه، ويداها ترتفعان لتعدلا تلك الثنية في ثيابها أو تلك الخصلة التي تحررت من مكانها.. ظلت هايانا على ارتباكها طوال الطريق، حتى رأت بوابة القاعة أمامها.. وقفت للحظة بعيداً عن المدخل المخصص لدخول العائلة المالكة فقط بعيداً عن الضيوف، وأشارت للحاجب ألا يعلن عن وجودها بعد أو يفتح لها الباب كما يفترض به..

تلفتت حولها بقلق كبير، بحثاً عن مرآة تلقي فيها بنظرة أخيرة على وجهها أو وصيفة تتفحص هيئتها وتقوم بتعديل ما انفلت من خصلاتها من مكانه.. لكنها لم ترَ أي مرآة، ولم تجد أمامها إلا خادماً من خدم القصر، كما ظنت في البدء، واقفاً في جانب المكان يلقي بتعليماته لبعض الحرس.. توجهت هايانا نحوه دون تردد آملة أن تطلب مشورته السريعة بهذا الخصوص، لكن عندما استدار إليها ولمحها كان الوقت قد فات للتراجع عن هذا الأمر.. فمن وقف أمامها كان هيرود، ذلك الشاب الذي جاوز العشرين بعدة سنوات، والذي بدأ العمل في القصر منذ سنة تقريباً كمعاونٍ للوزير الأول..

لم تكن تلك المرة الأولى التي ترى فيها هايانا هيرود.. فمنذ عمل في القصر، كان لا بد أن يقدم نفسه لها ويعرّف بوظيفته كما فعل مع الملك والملكة قبلها.. ورغم الاحترام الذي عاملها به، إلا أن الصرامة والهدوء البادیان على ملامحه كانا يسببان لها التوتر منذ اللحظة الأولى.. كلما وقع بصره عليها، شعرت أنه يقيّمها ويقدّر كفاءتها وصفاتها كأميرة وحيدة للملك.. ولم تكن هايانا مرتاحة لنظراته ولا لشعورها ذاك، دون أن تجرؤ قط أن تنهره عن ذاك التصرف أو تشكوه للوزير الأول.. لو فعلت، لضحك عليها الجميع للتهيؤات

التي تدور في ذهنها.. لكنها واثقة على الأقل أن هيرود لا يكنّ لها أي إعجاب أو استلطاف..

وقفت هايانا مترددة، بينما لم يتوانَ هيرود عن التقدم إليها متسائلاً "أيمكنني أن أساعدك بأمرٍ يا مولاتي؟"

إنها تلك النظرة مجدداً.. لقد نظر لها تلك النظرة التي تبغضها، وبصمته التام فإنها تشك أنه يسخر منها في داخله، لكن مكانته لا تبيح له إظهار تلك السخرية.. شدّت هايانا عزمها وهي تسأله باندفاع "ما رأيك بهيئتي هذه؟.. هل أبدو بشكل جيد؟.. ألا تبدو هذه الثياب غريبة وغير ملائمة لي؟"

أجاب هيرود على الفور بهدوئه المعتاد "تبدين بأفضل هيئة يا مولاتي.."

قالت بشك "لا أنتظر منك مجاملة.. أريد الحقيقة.."

رفع بصره إليها، كما لا يفعل في المعتاد لفارق المكانة بينهما، وقال "يمكنك الاطمئنان أنني لا ألجأ للكذب والمجاملة حتى لو كان ذلك عملي.. هل تطلبين مني أمراً آخر؟"

وإزاء نفيها، انحنى لها واستدار مبتعداً بخطوات، بينما دمدمت هايانا وهي تحاول ترتيب خصلات شعرها "لابد أنك تسخر من منظري في سرّك، لكنك تخشى من العقاب لو قلت الحقيقة.."

توقف هيرود عن سيره فجأة عندما وصله تذمرها، واستدار إليها قائلاً "لو كنت سأنال عقاباً على أي حقيقة أقررها دون خوف، فأنا لا أتشرف بالعمل في مكان كهذا.. ثقي يا مولاتي أنني لا أخشى العقاب، ولو كنت أخشاه لما كنت في القصر في هذه اللحظة.."

انحنى لها باحترام، وغادر بهدوئه المعتاد ليتابع عمله.. ظلت هايانا جامدة للحظة بعد ما قاله، لكن أعاد لها صوابها ذلك الضجيج الذي تعالى من القاعة عندما فتح بابها وخرجت منه الملكة.. اقتربت الملكة قائلة بحماس "أين كنتِ يا أميرتي؟.. الملك ينتظرك على أحر من الجمر للإعلان عن خبر الليلة.. كيف لكِ أن تتركيه ينتظر هكذا؟"

قالت هايانا بارتباك "كنتُ على وشك الدخول.. هل تريني بمنظرٍ ملائم يا أمي؟"

قالت الملكة دون تدقيق في وجهها "أنت جميلة كالعادة يا فتاتي.. هيا بنا.. طال انتظار الحضور لك هذه الليلة.."

فتح باب القاعة من جديد، فتمكنت من رؤية الحضور الغفير الذي ملأ جوانبها رغم اتساعها.. سحبت هايانا نفساً عميقاً، وسارت بخطوات ثابتة قرب أمها محاولة جعل المسافة بين كل خطوة وأخرى أقصر مما

تفعل في المعتاد.. كانت تريد الظهور كأميرة، وكفتاة قبل كل شيء، لكن لم يكن لها ألا تلاحظ بعض الابتسامات التي بدت لها هازئة، وبعض الضحكات المتوارية خلف الأكف المرفوعة.. صمدت هايانا في سيرها ملاحظة أن أغلب من تراهم يرفع بصره ليرى وجهها، وهذا أمرٌ لطالما سبب لها الضيق.. لمَ اختصّها والداها بهذا الجسد الطويل الذي يناسب شاباً أكثر من أن يكون ملائماً لفتاة؟..

وصلت هايانا للعرش، برفقة أمها، فانحنت أمام الملك بالاحترام المفروض عليها.. بينما نهض الملك مسروراً لرؤيتها وتقدم قائلاً بابتسامة واسعة "أميرتي الجميلة.. لشدّ ما أنا سعيدٌ برؤيتك في هذا الحفل.."

حاولت هايانا ثني ساقيها تحت ملابسها الواسعة كي لا يظهر طولها الحقيقي جوار الملك الأقصر منها شيئاً ما.. لكن وقوفها بتلك الطريقة كان مؤلماً دون أن يظهر ذلك على ملامحها وهي تقف قرب الملك الذي وضع ذراعه على كتفها قائلاً للحضور بصوت مرتفع " ضيوفي الأعزاء.. يسعدني أن أزف لكم الخبر السعيد بتنصيب هايانا، ابنتي العزيزة، وريثة لعرش مملكة القمة العالية وولية عهدي من بعدي.. لن أجد خيراً منها لهذا المنصب بذكائها الوقّاد ومهاراتها التي تباري أبرع الأمراء وأكثرهم تميزاً.."

التهبت أكف الحضور بالتصفيق والتهاني للأميرة التي أصبحت الآن ملكتهم المستقبلية.. حاولت هايانا رسم ابتسامة على شفتيها، دون أن تفوتها بضع ابتسامات ساخرة هنا وهناك غفل عنها والداها وهما يتقبلان التهاني بسعادة واضحة..

فور أن عاد الحفل لسيره المعتاد، تراجعت هايانا خلفاً بعيداً عن الأنظار، وحاولت شغل نفسها بتناول بعض الأطايب التي وضعت على موائد متفرقة حول القاعة.. لم تكن تشعر بالجوع، لكنها شعرت أن انشغالها بالطعام يجعلها تتجنب التفكير بالمحادثات الجانبية التي سمعت أطرافاً منها في وقت سابق، ولم تكن سعيدة بما سمعته بأي حال..

سمعت نحنحة خلفها، فاستدارت لترى شاباً من إحدى أكبر العائلات في ساقا، والذي لا يتجاوزها في العمر إلا بسنة أو اثنتان، يقف خلفها بابتسامة واسعة.. ابتلعت هايانا اللقمة في حلقها وهي تنظر له بتوجس.. كان هذا غودار، الذي عرفته منذ زمن طويل في زياراته للقصر برفقة أبيه، وكان دائم الشجار معها في صغرهما والذي تحول لسخرية وهزء منها مع تقدمهما في العمر غير آبهٍ لمكانتها التي تفوق مكانته في هذا القصر بمراحل.. توجست هايانا مما ينوي قوله، فرأته يقول متأملاً الصحن الذي تحمله والذي ضجّ

بالطعام الموضوع فيه "ألا يفترض بمولاتي أن تكون في صدر الحفل تتلقى التهاني على هذا الخبر السعيد؟"

هزت هايانا رأسها إيجاباً وهي تستدير بعيداً عن بصره، فسمعته يضيف ضاحكاً "أنصحك التخفيف من هذا الطعام قليلاً.. للأسف، تناولك الكثير منه لن يفيد إلا في جعلك أكثر ضخامة مما أنت عليه الآن.. أشعر بالأسى لهذا الفستان الذي ترتدينه الآن والذي كان ليبدو رائعاً على فتاة عادية.. لا أدري لِمَ أشعر بالغثيان لرؤيته الآن.."

كادت هايانا تغصّ بالطعام الذي وضعته في حلقها للتو، والذي تسبّب باحتشاد الدموع في عينيها للألم الذي اعترى حلقها.. لذا، فور أن تمالكت نفسها وابتلعت الطعام تابعة إياه بشرابٍ بارد لتهدئة الألم، أسرعت عائدة للعرش وقد احتشد صدرها بالانفعالات.. كانت تخشى من هزء الآخرين بها، وها هي بعد لحظات فقط من تنصيبها كولي للعهد تسمع سخرية آلمتها بعنف وحطّمت ما بقي لديها من ثقة..

فور وصولها للعرش، انحنت هايانا على أمها الملكة قائلة بخفوت وغضب مكتوم "أمي.. أبلغي أبي أنني أرفض هذا المنصب منذ هذه اللحظة.. لا أريد إفساد هذا الحفل عليكما، لكني لن أكون وريثة عرش هذه المملكة.. ابحثا عن شخصٍ آخر ليشغل هذا المنصب.."

واستدارت مغادرة غير عابئة بالصدمة التي اعتلت وجه أمها، ولا نداءها المتكرر لها قبل أن تستدير للملك وتحادثه بخفوت وانفعال واضح.. أما هايانا، فقد غادرت القاعة وسط النظرات المندهشة، وتجاوزت الممرات القريبة منها قبل أن ترفع أطراف فستانها وتبدأ الركض دون هوادة.. حملتها قدماها للحدائق القريبة من القصر، ومنها للاسطبل المقام في جانبها ويؤوي في قلبه الأحصنة الملكية..

اندفعت في الاسطبل مثيرة فزعاً بين الأحصنة، ثم توجهت لحصانٍ أسود اللون وقف جانباً وهو يحرك رأسه نحوها بألفة واضحة.. كان ذلك هو حصانها الخاص، الذي تشعر براحة كبيرة لوجودها معه وتآلفه معها امتدّ لسنوات طوال.. لمست هايانا عنقه بهدوء ولطف، محاولة تمالك انفعالها لكل ما جرى.. كانت تلك ليلة مشؤومة منذ البدء، ورغم تيقنها من ذلك فور أن رأت الفستان الذي أرسلته لها أمها في بداية تلك الليلة، إلا أنها رفضت الإصغاء لحدسها الذي يكون صائباً في المعتاد بشكل دقيق..

لِمَ هي، من بين جميع فتيات القصر، تحصل على هذا الجسد الذي لا يكف عن النمو حتى اللحظة؟.. لِمَ لا تستطيع أن تكون رقيقة الملامح والجسد كما ترى عليه أغلب الأميرات، بل وحتى الخادمات والوصيفات

في القصر بشكل يثير حسدها في كثير من الأحيان؟.. لم يكن والداها بطول يتجاوز المعتاد، فممّن حصلت على هذه الخصلة التي تكرهها بشدة؟..

تسللت الدموع لعيني هايانا رغماً عنها وهي تذكر سخرية غودار منها.. احمر وجهها بشدة للإهانة التي ما فتئت تلاحقها وتتردد في أذنيها، وشعرت بتعاسة قوية جعلت فمها يتقوس ويرتجف وهي تنشج بصوت خافت.. انزوت في جانب الاسطبل رامية رأسها على ذراعيها مختبئة في ذلك المكان المقطوع حيث لا تسمع إلا بعض الحمحمة والصهيل وضربات أقدام الأحصنة على الأرض الرملية..

لم تدرِ هايانا كم طال بها المكوث في هذا المكان الذي لم تكن رائحته باللطافة التي قد تهدئ حزنها، ولم تدرِ كم ستظل باكية حتي تكف عينها عن ذرف الدموع بلا انقطاع.. هل تنتظر حتى تنفضّ الحفلة ويغادر الحضور قبل أن تتجرأ على العودة لجناحها؟.. هل يبحث عنها والداها في تلك اللحظات بجزع للخبر الذي صدمتهم به؟.. لم تخفت تعاستها للحظة وتلك الأفكار تدور في عقلها حتى شعرت بتلك اليد التي لمست ذراعها بخفة..

انتفضت هايانا بشدة وهي تنكمش قلقة من فكرة أن ترى غودار أمامها من جديد.. لكن من رأته كان هيرود الذي قال لها بخفوت "اعذري تطفلي ووقاحتي يا مولاتي.. لم أتمكن من تجاهل بكائك وأنا أراك مختبئة في هذا المكان الغريب.."

خفضت هايانا بصرها بصمت والرجفة تعود لشفتيها، ثم تذكرت ما وضعته الوصيفة على شعرها البني الأملس قبل أن تتعرض للسخرية من غودار.. فمدت يداً مرتجفة لتنزعها من شعرها وترميها أرضاً قبل أن تطالها سخرية هيرود كذلك.. لكنه لم يسخر منها، بل تناول الزينة من الأرض متسائلاً "ما الذي جرى؟.. تبدو جميلة على شعرك.. فما الذي أثار حنقك وبكاءك بهذه الصورة؟"

أشاحت بوجهها بضيق، ثم دمدمت بمرارة "ذلك الحقير غودار قد هزأ بي.. قال إن منظري هذا لا يناسبني، وأنه يصيبه بالغثيان.."

فقال هيرود بهدوء "لو كان مظهرك يصيبه بالغثيان، فعليه أن يغادر القصر ويستفرغ معدته بعيداً.. لسنا بحاجة لشخص ضعيف ومرهف الأعصاب مثله ليفسد ليلة احتفالٍ مميزة كهذه الليلة.."

نظرت هايانا بدهشة لتعليقه، فيما مد هيرود يده وثبّت الزينة على جانب شعرها، ثم أزاح الخصلة التي

مالت على جبينها قائلاً بابتسامة "مولاتي.. أنت جميلة كما أنتِ.. هل يجب أن تكوني كبقية الفتيات لتنالي إعجاب شاب وغد كغودار؟.. أليس الأفضل أن تفتخري بتميّزك عنهن وبصفاتك التي لا يحصل عليها إلا قلة في هذا العالم؟"

ارتابت هايانا من لطفه الذي لم تعهده قط، وقالت بشك "أي صفات تعني؟.. طولي البشع؟.. أم جسدي الضخم؟.. هل ترى في ملامحي التي لا تميل للأنوثة أي تميّز؟"

تنهد هيرود لإصرارها على تحقير نفسها بهذه الصورة، ثم قال "بل أرى فيك طولاً فارعاً يبزّ الآخرين ويجعلهم يشعرون بالنقص والضآلة حيالك.. أرى جسدك قوياً قادراً على مجاراة أقوى الرجال شدة، وفي الآن ذاته أراه أنثوياً كفاية لدحض ادعاءات غودار بأنك لست فتاة.. أرى ملامح تنمّ عن قوة في شخصيتك وعزيمة على الارتقاء والحصول على أعلى المراتب.. فلا تبخسي نفسك حقها يا مولاتي.."

ظلت هايانا تنظر له بصمت ودهشة وقد لان عبوسها السابق وبدت أهدأ وأقل انفعالاً.. فتدارك هيرود نفسه قائلاً "اعذريني يا مولاتي لما تفوهت به.. ساءتني رؤيتك بتلك الحال البائسة، وهو أمرٌ لم أعهده منك قط.. لطالما أعجبت بقوة شخصيتك وجرأتك في مواجهة كل ما يعترض طريقك.. فلا تجعلي شخصاً تافهاً لا يباريك في أي من الصفات التي تملكينها أن ينال من ثقتك بنفسك ويزعزع قوتك.."

ظلت هايانا تحدق في وجهه غير مصدقة كل الكلمات التي تفوه بها، ولا اللطف الذي بدا في عينيه وصوته.. فيما انحنى هيرود لها للحظة قبل أن ينهض ويبتعد عائداً لما أتى لفعله..

بعد ابتعاده، تمالكت هايانا نفسها، ومسحت دموعها ووجهها، ثم انحنت تطلّ من خلف ذلك الحاجز الخشبي الذي اختبأت خلفه، لترى هيرود يتقدم من أحد الأحصنة ويداعبه مطمئناً على صحته، ويبدو أنه يفعل ذلك كل يوم كما بدا لها من الألفة التي يحملها الحصان له.. رغم أنها واثقة أن هيرود لا يملك حصاناً في هذا الاسطبل، فهو مخصص للعائلة الملكية، لكن يبدو أن حبه لتلك الكائنات يقوده إليها في أوقات فراغه..

مدت هايانا يدها تتلمس الزينة التي وضعها هيرود في شعرها، ثم ابتسمت بسعادة وخديها يتوردان، ونهضت مغادرة بخطوات سريعة وخفة بالغة.. متناسية الحزن والبؤس الذي شعرت به قبل لحظات، والذي تغيرّ من النقيض للنقيض بكلمات بسيطة سمعتها من هيرود..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

عندما وقفت هايانا بقامة منتصبة وثقة بالغة في قاعة العرش، في اليوم التالي، جذبت أنظار كل من كان فيها في ذلك النهار.. كانت هايانا قد استبدلت ملابسها الثقيلة المزركشة السابقة برداءٍ مكون من بنطال بسيط يشبه ما ترتديه عادة عند امتطاء حصانها المفضل، وقميص حريري بلون أزرق جذاب، وفوق ذلك ارتدت المعطف الملكي الطويل المخصص عادة للأمراء بلونه الأسود الفاحم وياقته العالية وأزراره المفتوحة المذهبة وكمّيه الطويلين.. والأعجب من ملابسها تلك كان شعرها الذي قصّت خصلاته حتى أضحى قصيراً لا يكاد يتجاوز أذنيها، وقد صففته بعناية وتسريحة محكمة محتفظة بخصلة مائلة على جبينها، وبالزينة البسيطة التي ارتدتها في اليوم السابق ثابتة على جانب شعرها بتحدٍ لأي تعليق قد يطرح عن هذا الأمر..

شهقت الملكة بخفوت قبل أن تهتف "هايانا؟.. ما الذي فعلته بشعرك؟.. وما هذه الملابس البشعة؟.."

لم تعلق هايانا وهي تتقدم بخطوات ثابتة واثقة متجاهلة بعض نظرات الاستنكار من الأميرات والأمراء في القاعة لهيئتها الغريبة تلك.. لمحت بين الحضور هيرود الذي ارتفع حاجباه لمرآها، لكن فور أن التقت عيناه بعينيها فإنه ابتسم ابتسامة صغيرة وأحنى رأسه لها باحترام وإعجاب ظاهرين..

لاحظت في تلك اللحظة أن صمته ونظراته تلك لا تدلّ على الهزء والسخرية بالضرورة.. بل بدا لها أنها نظرات إعجاب، بها أو بشخصيتها أو بجرأتها.. لا تعرف.. لكن المهم أنها أدركت خطأ اعتقادها به طوال السنة الماضية.. وهو أمرٌ عزمت ألا تكرره مرة أخرى..

لم تتوقف هايانا عن سيرها حتى وقفت أمام العرش مباشرة،

وواجهت أبويها قائلة "أبي.. لقد فكرت طويلاً ومليّاً في ما طلبته مني.. ورغم أن ذلك أطار النوم من عينيّ الليلة الماضية، لكني أتيت لإبلاغك رأيي الذي أتمنى ألا ترفضه.."

اعتدل الملك في عرشه دون أن يخفى عليه الخبر الصادم الذي أبلغته به الملكة في الليلة الماضية، وقال بقلق ظاهر "لا بأس يا هايانا.. لا أريد أن أمنعك من اتخاذ القرار الذي تحبينه.. لكني أتمنى أن تفكري في عواقب قرارك ذاك، عليك وعلى المملكة كاملة.."

ابتسمت هايانا ابتسامة جانبية مع الصمت الذي عمّ القاعة بانتظار قولها، فشدّت جسدها ملاحظة أن أغلب الرؤوس حولها تبدو صغيرة، وضئيلة... ولأول مرة، لم تبغض طولها الفارع ذاك.. التقت عيناها بالملك وقالت بحزم "لقد قبلت عرضك وطلبك لي يا مولاي.. منذ اليوم أنا، هايانا، وريثة عرش مملكة القمة العالية.. والملكة المستقبلية للمملكة.."

غمر السرور ملامح الملك والملكة، وتعالت الهمسات متباينة الآراء من المتواجدين في القاعة.. بينما قال الملك بابتسامة واسعة "هذا ما توقعته منك يا هايانا.. لن يخيب ظني فيك مطلقاً.."

اتسعت ابتسامة هايانا، وأضافت بثقة "وكذلك سأتزوج هيرود..."

ساد الصمت المكان على غفلة، والأنظار تتجه نحو هيرود الذي غلبته المفاجأة كالبقية وظل يحدق في وجه هايانا الحازم.. فيما انتفضت الملكة قائلة "هذا قولٌ سابقٌ لأوانه يا ابنتي.. أنتِ لن تتزوجي قبل أن تتمّي تدريبك كولي عهد المملكة.. وعندما يحين ذلك الوقت، ستجدين الكثير من الأمراء المناسبين لمنصبك ومكانتك العالية.. وبالطبع، لن نرغمك على الزواج من شخص معين بل سنتيح لك اختيار من يناسبك منهم.."

قالت هايانا بحزم "بل سأتزوج هيرود.. وهذا قولٌ أخير.."

ونظرت تجاه هيرود الذي بدت الصدمة جليّة على وجهه مضيفة "أنت لا تمانع.. أليس كذلك؟"

ازداد حرج هيرود مع الأنظار التي صبّت عليه في مزيج من الحنق والدهشة وبعض الشك لاختيار هايانا له بالتحديد.. فحنى هيرود رأسه متمالكاً صدمته، وقال "هذا شرفٌ لي يا مولاتي.. لكني لا أليق بك ولا بالمكانة التي أنتِ فيها.."

لم تتراجع هايانا وهي تنظر لأبيها المصدوم قائلة "منذ اليوم، سيصبح هيرود مستشاري الخاص.. ولا

أظنك تعارض يا أبي فلن أجد خيراً منه لنصحي وإرشادي في المهام الموكلة لي.. والوزير الأول يشهد بقدراته دون شك.."

انقلبت النظرات نحو هيرود إلى الحسد وشيء من الغيرة لما حصل عليه في لحظات ودون جهد كبير.. فقال بحرج متجاوزاً أصول الحديث في القاعة والتي لا تبيح له التحدث قبل أن يوجه له أي سؤال "مولاتي.. هذا غير مقبول بتاتاً.."

فيما قال الملك باعتراض لم يبدُ مجدياً لعيني هايانا "هذا ما لن أسمح به قط.. ما الداعي لاقترانك برجل مغمور لا مكانة له ولا عائلة ينتمي إليها؟.. أنت تهينين نفسك بهذا التصرف، وتهينين العائلة الملكية كاملة.."

لم تزايل الابتسامة شفتي هايانا وإن بدت أكثر تحدياً من السابق، ثم قالت هازة رأسها "لا بأس.. كل ما عليّ فعله هو رفض أي شخص يتقدم لي للزواج، حتى أبلغ السن التي يبيح لي فيها القانون الاقتران بمن أختاره بنفسي دون تدخل أحد.."

ظل الملكان ينظران إليها بصدمة شديدة لهذا العناد الذي تتحلى به، والذي ظهر في أسوأ الأشكال الممكنة.. بينما استدارت هايانا واقتربت من هيرود ملاحظة تفرق البقية من حوله وابتعادهم عن طريقها رغم أن أعينهم تترقب ما يجري بينهما.. ورغم الضيق والحرج البادي على ملامحه، إلا أن هايانا قد شبكت ذراعها بذراعه وأجبرته على المغادرة معها وهي تقول "لنذهب.. لدينا طريقٌ طويل لألمّ بكافة التفاصيل المتعلقة بمنصب ولي العهد.. ولن أجد خيراً من مستشاري لتوضيح ذلك الدور لي.."

لم يعارض هيرود وهو يغادر برفقتها القاعة تحت أنظار الجميع ملاحظاً الهمسات التي ترددت في جوانب المكان باستنكار وصدمة.. لكنه قال فور خروجهما منها، وبعد أن أغلقت أبواب القاعة خلفهما "ما معنى كل هذا يا مولاتي؟.. ما الذي يدعوكِ لتبنّي هذا العرض الغريب؟"

قالت بتعجب "عرضٌ غريب؟.. لا أجد في عرض أبي تنصيبي كولي للعهد أي غرابة، بما أنه لا يملك وريثاً ذكراً يخلفه على العرش.."

قال هيرود بضيق "بل عنيت إعلانك الزواج بي.. ما معنى كل هذا؟.. ولمَ قد تختار سموّك شخصاً مثلي؟"

ابتسمت هايانا ابتسامة صافية تخلو من أي حرج أو ضيق، وقالت "أنت أخبرتني البارحة أنك معجبٌ بي..

ألم تفعل؟"

ثم أضافت بانشراح "كانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها قولاً كهذا من أي رجل.. حتى أبي لم يتجرأ يوماً لمدح صفاتي وشكلي مكتفياً بمدح مهاراتي وقدراتي الأخرى.. كان اعترافك ذاك صادماً لي، وأثار رجفة قوية بأعماقي.. عندها، فكرت أنك الرجل المناسب لي.. وأنني لن أجد أفضل منك لتشغل ذلك المنصب المهم في حياتي.."

ثم أطلقت ضحكة قصيرة مضيفة "ألا يسعدك أن تشغل منصب زوج الملكة، والوحيد الذي يحق له أن يعاملها كند لها؟"

تخلى هيرود عن ذراعها وقال مقطباً "لكني لا أقبل بذلك.. لن أقبل به مطلقاً.."

وقفت هايانا بدورها متفحصة ملامحه، ثم قالت "أترفضني بسبب هيئتي التي أنا عليها؟.. أم أنك تحب فتاة أخرى؟"

لاحظ المرارة التي برزت في صوتها وهي تسأله، فقال بإصرار "لا وجود لمثل تلك الفتاة في حياتي.. ولم أرك قط أقل من بقية الفتيات، فلا داعي للإصرار على هذه النقطة.. أنت جميلة يا مولاتي.. لكن كل ما في الأمر أنني لا أستحقك.. الملك غاضب ولابد لهذا التصرف الغريب.. من يدري ما العقاب الذي سيقع عليّ منه بسبب قرارٍ لم يكن لي يدٌ فيه؟"

اكتست نظراتها بلطف بالغ وهي تقول "أتخشاه؟.. ألم تقل إنك لن تعمل في قصرٍ تخشى العقاب فيه؟"

ثم قالت بحزم بعد أن وجدته لا يجد رداً يرد به عليها "يمكنني أن أتظاهر أمام الملك بأنني قد صرفت النظر عن هذا الأمر، حتى أصل لمنصب الملكة بالفعل.. عندها، لن يكون لك عذرٌ لرفضي مطلقاً.."

ظل الاستياء ظاهراً على ملامح هيرود وهو يقول "علاقة كهذه لا يمكن أن تدوم.. فهي مبنيّة على أساسٍ فاشل.."

عادت هايانا تشبك ذراعها بذراعه، ونظرت في عينيه قائلة بثقة "دعْ الزمن يقرر هذا الأمر.. ولو لازلت متردداً، سأمنحك فرصة للتعرف عليّ بصورة أكبر وتقرير إن كنت أناسبك كزوجة أم لا.. رغم أنني واثقة أن هذا الزواج سيتم كما أريد له.."

وتجاهلت نظرات هيرود المبهوتة بمزيج الصدمة والاستنكار لما يجري له رغماً عنه.. لكن هايانا التي لم تعتدْ

على التراجع عن أي قرارٍ تتخذه قد قالت بحزم وهي تسير قربه، كتفاً بكتف "صدقني، حدسي لا يخطئ مطلقاً.. وهو ينبئني أننا سنبقى معاً لأمدٍ طويل جداً.."

واتسعت ابتسامتها بثقة بالغة، وقد زالت كل آثار التعاسة والتردد منها عما كانت عليه في اليوم الماضي..

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋